الإخوان المسلمون فى سورية





مذكرات وذكريات

العلاقات السياسية لجماعة الإخوان

فى ثمانينيات القرن العشرين وما بعدها

عدنان سعد الدين

مكتبة مدبولى

الإخوان المسلمون فى سورية

مذكرات وذكريات

العلاقات السياسية لجماعة الإخوان

فى ثمانينيات القرن العشرين وما بعدها

اسم الكتاب: الإخوان المسلمون فى سورية
مذكرات وذكريات
العلاقات السياسية لجماعة الإخوان
فى ثمانينيات القرن العشرين وما بعدها
المؤلف: عدنان سعد الدين
الطبعة: الاولى ٢٠١٠
رقم الايداع: ٢٠٤٤٧ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى : ٩ - ٨١٦ - ٢٠٨ - ٩٧٧
الناشر: مكتبة مدبولى
٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
ت: ٢٥٧٥٦٤٢١ ف: ٢٥٧٥٢٨٥٤
Web site : www.madboulybooks.com
E_ mail : info@madboulybooks.com

عدنان سعد الدين

الكتاب الخامس

الإخوان المسلمون فى سورية

مذكرات وذكريات

العلاقات السياسية لجماعة الإخوان فى ثمانينيات القرن العشرين وما بعدها

مكتبة مدبولى
٢٠١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بقلم الأستاذ الأديب: عبدالله الطنطاوي

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على مصطفاه، والرحمة والرضوان على صحابته الكرام، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

الكاتب:

قارئ هذا الكتاب -المجلد الخامس من الكتاب الموسوم: الإخوان المسلمون في سورية: مذكرات وذكريات- سوف يقف على خصيصة من خصائص شخصية المؤلف: ديناً، وعقلاً، وثقافة، وحصافة، وكياسة، ودهاء، واهتماماً بعظائم الأمور دون سفاسفها، واستشرافاً للمستقبل، من خلال الإفادة من الماضي بما فيه، ووعي الحاضر بتعقيداته، ومن خلال تجاربه الغنية طوال سبعة عقود، وتجارب الشعوب والأمم الأخرى.. وسوف يقلّ العاذلون والمتلاومون حوله -فيما أحسب- أولئك الذين يكثرون الجدل فيما يضرّ ولا ينفع.

تراه دائم التفكير، وهو يحدّثك، وهو يسامرك ويؤانسك، وهو يجالسك ويؤاكلك.. حديثه فيما الجماعة فيه من أزمات، وما

يعترضها من مشكلات، ومعوّقات، ويقترح الحلول، فهي همُّه الكبير، لأنها المحيط الذي نشأ فيه وترعرع، وليس له من حياة في غير الوسط الإخواني، في سائر أحواله، وهو جندي، وهو قائد.

عندما رأى ابتعاد أبنائها عن الربانية التي أقام عليها الإمام البنا جماعته الراشدة، بادر إلى تأليف كتابه الرائع: في التزكية والسلوك. إنه صاحب مشروع وطني عربي إسلامي كبير، طالما حلم به، وعمل على تحقيقه، وبذل الكثير من جهده، ووقته، وراحته، وماله، من أجله، وكتبه كلها تصبّ في هذا المشروع الطموح الذي يبدأ في تحصين الجماعة، والتخطيط لها لتكون المؤهلة الممهدة لقيام الدولة المؤسسة على مبادئ الإسلام وعدالته وشريعته وأخلاقه.

يحدثك فيما الأمة العربية والإسلامية فيه من تخلف وعجز، لابدّ من السعي لتخليصها منهما، فتحسّ أن هموم الأمة هي ما يشغله، إلى جانب هموم جماعته، التي هي والشعب السوري المظلوم جزء من تلك الأمة التي كانت خير أمة، فصارت إلى ما هي عليه، حتى طمع بها من لا يذبّ عن نفسه، واحتل جزءاً عزيزاً من أرضها المقدسة، وأبناء الأمة في عجز مريع، لا يدفعون عن أنفسهم، ولا عن مقدساتهم.. ضاعت فلسطين، وضاع شعبها، وضاع العراق وتمزق شرّ ممزق، وعيون المسلمين حسيرة، خاسئة، تذرف الدمع في انكسار وارتياب ويأس..

سيالته الفكرية في توقد، لا تعرف الراحة، ولا ترتاح للبلداء، حتى لو كانوا يلبسون لباس الكبار، ليظهروا بمظهر الكبار في الأعين

الكليلة.

والروح الجهادية ظاهرة في كل ما خطّته يمينه، ومنها كانت انطلاقته ومنطلقاته، حيثما كان، في حلّه ومرتحله، ومنذ يفاعته، نما معه، واشتدّ به عوده، ومن هنا كانت علاقاته، وما تزال، مع كل من يحمل راية الجهاد، مع قلة النصير، أولئك الذين ظنوا النصر وشيكاً وغير مكلف، أما هو، فلم يضعف، ولم يفتر، ولم يصبه كلل ولا ملل، ولا ونى، حتى هذه اللحظات التي يصارع فيها أشدّ أنواع المرض.. بارك الله في عمره، وشفاه وعافاه وألبسه ثوب الصحة والعافية.

الأستاذ المؤلف شخصية عامة، ذو طموح غير محدود، لو أتيح له الأعوان الصادقون من ذوي الكفاءات، لقطع أمداء وسيعة في تحقيق مشروعه الكبير، ولكن الظروف القاسية التي مرَّ بها ومرّت الجماعة، من كيد، وحسد، وتربص، وترصّد، وسعي حثيث لتشويه سمعته، والتشكيك فيه، من الداخل والخارج، من (الأصدقاء) والأعداء على حدّ سواء، كل ذلك، حال دون أن يأخذ الرجل الصلب مداه في النهوض بمشروعه، برغم حركته الدؤوب التي عُرف بها، فهو لا يكلّ ولا يملّ، ولا ينام، ولا يترك من يعمل معه ينام.. لا يستريح ولا يدعهم يستريحون، وهذا لم يعتده جلُّ الإخوان، فكان من بعضهم ومنه ما كان، فتعثّر السير، وتعكرت النفوس، وكانت النتيجة ما نراه الآن.

وقارئ هذا المجلد، سوف يتساءل بحق وصدق: من كان يظن

أن رجلاً مثله -مثل المؤلف الكبير- يمكن أن يقوم بكل هذه الجهود، وبكل هذه الاتصالات، في وقت لم يكن ليتيح له شيئاً معقولاً من الإمكانات المادية، والظرفية، لينهض بهذه الأسفار.. الأعباء.. من بغداد إلى السودان، إلى الأفغان، إلى جاكرتا، فالجزائر، ومصر، وماليزيا، وفلسطين، واليمن، وتركيا، وأوربا وأمريكا، وسواها من بلاد الله الواسعة الشاسعة، ليس سائحاً، ولا متفرجاً مترفاً، بل هو في مهمات شاقة، تدفعه إليها، وإلى خوض غمارها وغمراتها، هموم دعوته، وهموم المسلمين التي تشغل حيزاً عظيماً من نفسه، وتتجافى بجنبه عن المضاجع ولذاذات العيش الرغيد، والحياة المترفة التي تهيأت له، فأعرض ونأى بجانبه عنها..

ويتساءل قارئ هذا المجلد الذي كُتب على عجل، ومن الذاكرة، وفي ظرف مرضي قاسٍ جداً: تُرى.. لو هيئت لهذا الرجل الإمكانات اللازمة، والأعوان الأكفياء، والمكاتب والدراسات: ماذا كان سيفعل؟.

والجواب: سعادة أبي عامر في نصبه:

وما في طبّه: أني جواد   أضرَّ بجسمه طول الجمام

إنه هو ذاك.. فقد كنا نقرأ سعادته في وجهه، ويطالعنا بها لسانه الذرب، بعد كل جولة يجولها شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً.. ولم تتمكن الهموم الثقيلة من أن تطغى على سعادته التي كانت في تنائي الراحة عنه، وتجافي لذيذ المنام عن عينيه المرهقتين، وحرمانه من

الطعام الذي اعتاد، والوطاء الذي تركه وراءه..

تغشاه سعادته وهو يسعى في أفغانستان ليجمع قادة المجاهدين الأفغان، مع كبار المسؤولين العراقيين، ليؤمن لهم المال والسلاح، وليجمع القادة المجاهدين على كلمة سواء بينهم، بعد أن تمزقت صفوفهم، مخافة أن تذهب ريحهم.. وكذلك الأمر في السودان، واليمن، وباكستان، والجزائر، وسواها من بلاد العروبة والإسلام.

كنا نصافح السعادة، ونتلقاها وهي تطفح من وجهه الوضيء، وعينيه الحالمتين بمستقبل صحيح سليم للإسلام والمسلمين، ومن كلماته التي تعبر عن مكنون نفسه، وحصافة عقله، وذكاء لبّه.. سعادة تغمره في بيان لا يحتاج إلى بيان، سعادته في توحيد صف، وجمع كلمة، ووحدة موقف، ليكون المنطلق سليماً، قوياً، في تذليل العقبات، من أجل الوصول إلى الهدف المنشود.

تقرأ في حياته شوقاً عارماً للحرية التي يعشقها، وتطلعاً وعملاً دؤوباً لتحقيقها قيمةً إنسانية في حياته، وحياة شعبه، وأمته، بل والإنسانية والبشر أجمعين.. وكل ذلك في تفاؤل يتجاوز عوامل الإحباط -وما أكثرها- في تحدٍّ لا يعرف الحدود والقيود، ولا يقف أمام المعوّقات، إلا ريثما يحطمها، أو يقفز فوقها.

عرف طريقه فسلكه، ولم يكن ممهَّداً، يملؤه إيمان المجاهد مذلل الصعاب، في تصميم من لا يجد الفشل أو الخوف من الفشل إلى نفسه سبيلاً.

وكم كنت، وما أزال، أعجب لتساميه على الجراح، من أجل المشروع الذي يسعى إليه، حتى إذا ما كان منه قاب أقواس، حالت الحوائل دونه، وهي فوق طاقته وطاقات من معه، فيحبط من يحبط، ويستمر هو، مستعيناً بالله، ثم بما حباه من طاقات خبيئة لا تخفى على المراقب اللبيب.

صاحب هذا الكتاب رجل سياسة وإعلام، يحسن الدخول وإدخال محاوره أو محاوريه إلى الجو الذي يريد.. صاحب مبادرة وبديهة واقتحام، كأن بيده مفتاح الجو الذي يقتحمه دونما استئذان، بحسن الحديث الذي كان قد تهيّأ له قبل الولوج فيه، يعينه في ذلك توقّد ذهنه، ودقة إحساسه بطبيعة من يحاور، وإلمامه بجوانب الموضوع، ووضوح الهدف والوسيلة إليه، وتقويمه السريع لمن يلقاه أول مرة، فينحرف بالحديث ذات اليمين وذات الشمال، ليجد المنفذ الذي يسلمه إلى لبّ محاوره، وكثيراً ما كان يصيب في تقويمه للشخصية، وتقديره للموقف، والتغلب على ما يطرأ مما لم يكن في حسبانه، لأنه قد أعدّ للطارئ عدّة، فيكسب الجولة بعون الله وتوفيقه وتسديده، وبما آتاه من فطنة وذكاء ودهاء، ومن تجارب، ومن ثقافة عامة، وبُعد نظر في تقدير الأمور والرجال، ساعدت في نجاحه بإقناع محاوريه، ليبرم معهم ما يسعى إلى إبرامه، كما ترى في توفيقه بين ياسر عرفات والمسؤولين العراقيين، وكان بينهم ما صنع الحداد، وما بين الأفغان والعراقيين، مما سوف تقرأ تفصيلاته في هذا الكتاب المهم.

بعد محاورات شاقة بينه وبين محاوريه، كسب ثقة كثير منهم، وثقوا بعقله، وسرعة بديهته، وإخلاصه، وتجرده من المطامع الشخصية، وصدقه، وأنه صاحب رأي يتطلع جلساؤه لمعرفته، وكان تقويمهم له إيجابياً، وكان نجاحه بسفاراته، مدعاة لمزيد من الثقة بلغت شأواً عظيماً لدى بعضهم، الأمر الذي أثار حسد الحاسدين عليه، من الحلفاء والأصدقاء والخصوم والأعداء، وخاصة بعض كبار البعثيين وبعض قادة المخابرات، أولئك الذين نقموا عليه حركته الدؤوب، وثقة كبارهم به، واستماعهم لرأيه، وتقديرهم لنجاحاته في سفاراته، وكانوا يفاجؤون بصبره عليهم، وعدم الكيد أو التحريض عليهم، وهو يراهم يفتعلون المشكلات لإفشاله في مهماته، ولو أراد لأمكن منهم، ولكنه بشهامته ومروءته وعقله، تجاوزهم وما يثيرون، وأعرض عنهم، لأن القافلة كانت تسير، وهم مع الخوالف.

سارت به قافلته، وتمكّن من بناء علاقات سياسية، وإعلامية، ودعوية، مع عدد من الحكومات والتنظيمات ذات الشأن، وبذلك -كما سيطالع القراء في هذا السفر النفيس- جعل لأبناء الجماعة موطئ قدم في العديد من الدول العربية والإسلامية، وهيّأ للجماعة مكاتب إدارية وإعلامية وسياسية ودعوية، لتمتين تلك العلاقات، ولضبط تصرفات الإخوان في البلدان الصديقة ضبطاً حال دون أي تصرف يسيء للبلد المضيف أو يحرجه.. وبهذا جنَّب الجماعة وأبناءها، التعرض للمضايقات، بل والتنكيل أو الإزعاج.

التوفيق والتسديد من عند الله الرحمن الرحيم، العليم الحكيم،

الذي يهيئ لكل مرحلة رجالها، ولكل مهمة عناصر نجاحها، فللنصر رجاله في شتى الميادين السياسية، والإعلامية، والعسكرية، والإدارية، والمالية، والدعوية، ومنها العلاقات العامة التي غدت علماً من العلوم المهمة في هذا العصر، بل في كل عصره، قد لا يكون مؤلف هذا الكتاب قد قرأ الكثير من كتبه، ولكنه -بتسديد من الله الذي حباه العقل والذكاء اللماح- نجح فيما بنى من علاقات، خاض معامعها بعقل وصبر ودهاء، وخاصة مع الأضداد المتشاكسين.

قد يحسب بعض الناس أن علاقة المؤلف مع المسؤولين في الدول والتنظيمات الصديقة، اقتصرت على العلائق السياسية، ولم يكن يهتم بالجانب الدعوي، وهو المسؤول الأول أو الثاني في جماعة الإخوان المسلمين السوريين، وفي التنظيم العالمي للإخوان.. وهذا افتئات على الحقيقة، فمن خلال ما نطالع في هذا الكتاب، وفي حدود معرفتنا وما كنا نسمع منه بعد كل لقاء مع من كان يلتقيهم ويحاورهم من قادة الدول والتنظيمات، أنه ما كان يفوّت فرصة تسنح للدعوة إلى الله إلا ويقتنصها بالتي هي أحسن، فيذكر محاسن الإسلام، ويذكّر بمبادئه الإنسانية العظيمة، ويشيد برجالاته وعظمائه في التاريخ البعيد والقريب، ويهدي بعض الكتب الدعوية لهم، ويتحدث عن دعوة الإخوان، عن مبادئها، وشعاراتها، وسيرة مؤسسها الإمام الشهيد، وإخوانه من القادة العظام، كمصطفى السباعي مؤسس الجماعة في سورية، رحمهم الله جميعاً.

وأختم هذه الفقرة بما سمعته من الداعية الأستاذ غانم حمودات،

-أحد مؤسسي جماعة الإخوان المسلمين في العراق- حفظه الله تعالى:

«الأستاذ أبو عامر عدنان، ممن أوقف حياته على خدمة الإسلام والمسلمين، وجعل خدمة الإسلام، والاهتمام بالمسلمين وأمورهم، أكبر همّه، ومبلغ علمه، ولا أزكيه على الله تعالى.. وقد قدّمته على الشيخ الصواف الذي كان عظيم النشاط، عالي الهمّة، وما أحسب أن عالماً من العلماء أهمَّه أمر فلسطين، كما أهمَّ الأستاذ الصواف، إلا الحاج محمد أمين الحسيني. رحم الله الجميع».

الكتاب:

المعركة السياسية لا تقلّ أهمية عن المعارك الحربية، إن لم تفقها، والإخوان في سورية خاضوا عدداً من المعارك السياسية والإعلامية في العهد الديمقراطي الذي جاء به الاستقلال، وتبناه رجالات سورية الذين كافحوا الاستعمار الفرنسي إلى أن طردوه، وكانت سورية أول بلد في العالم الثالث، ينتزع استقلاله من مستعمريه، إلى أن جاء الانقلابيون من العسكر، فأساؤوا، واستبدوا، ونشروا ثقافة الانقلاب والاستبداد، ثم جاء انقلابيو آذار التاسع عام ١٩٦٣ فانحرفوا بانقلابهم انحرافاً ما عرفته سورية من قبل، بل ولا سائر الأقطار العربية، أعني نشر ثقافة الطائفية، والتمكين للطائفية بقوة الحديد والنار، وهؤلاء استبدوا استبداداً فظيعاً غير مسبوق في الانقلابات التي سبقت، فقد كانت السجون، والتعذيب والدماء والأشلاء، والنفي، والاغتصاب، وتخريب الضمائر، وإشاعة الفساد

بين الناس، حتى غدا نهجاً لا يزيغ عنه واحد منهم، ثم عمّ المجتمع ودوائر الدولة، والجيش، والأجهزة الأمنية التي تكاثرت وتكاثر عناصرها وضباطها كالخلايا السرطانية في جسم المجتمع السوري الذي أنهكوه ببرامجهم وسلوكياتهم اللاوطنية، واللاأخلاقية، وغير الإنسانية.

وقد نزل بالإخوان من البلاء أضعاف ما نزل بسائر شرائح المجتمع المدني، واجتاح الاضطهاد الطائفي والقتل على الهوية والوشاية آلافاً منهم، وهم المكشوفون أمنياً، لأن تنظيمهم من أعرق التنظيمات السياسية السورية، ومراكزهم وشُعبهم وفروعَهم في كل المحافظات والمدن والقرى، يعملون تحت ضوء الشمس، ودعوتهم علنية، وأهدافهم وخططهم وشعاراتهم، وكتبهم، ونشراتهم مبذولة لمن يريدها، ليس في سلوكهم ظاهر وباطن، ولم يمسّ تاريخهم ما يشين، برغم كل الكيد والتآمر والعسف الذي لحق بهم.. تاريخهم ناصع، يدعون الناس على بصيرة، بالحكمة والموعظة الحسنة، والكلمة الطيبة، لم يحملوا السلاح إلا في فلسطين والقنال، ولم يقاتلوا إلا الصهاينة والمستعمرين الإنكليز والفرنسيين، يدعون إلى السلم الاجتماعي، ولا يقولون للناس إلا حسناً.. إنهم مواطنون صالحون، يبنون ولا يهدمون، مسالمون لا عدوانيون، أصحاب دين وأخلاق وعلم وأدب، بعيدون من الجهالة والجاهليين ومن هم في سوك الفاسدين، فأحبَّهم الطيبون وناوأهم الأشرار والعملاء والفاسدون، فكانوا يعرضون عنهم، ولا يبغون عليهم ولا يفتئتون،

وكانوا يصبرون عليهم صبر أصحاب الرسالات على الأشرار والبغاة والطواغيت.. وقد شهد لهم بهذا وبغيره خصومهم من أصحاب الضمائر، ناهيك عن عقلاء الأمة وأبرارها من الحياديين والمستقلين والمنصفين..

إنهم خاضوا معارك سياسية مشرّفة، وما زالوا وخاضوا معارك فكرية، وإعلامية، وكلها تشهد لهم بالوطنية، وحب الوطن، والحرص عليه، على أرضه، وشعبه، ودينه، وقيمه، ونظامه، الجمهوري وعروبته، ووقفوا في وجه الأحلاف الاستعمارية، والدعوات المشبوهة التي تمس استقلال الوطن، وناصروا العمال والفلاحين، ودعوا إلى إنصاف المظلومين، وشاركوا في الانتخابات البرلمانية، وأسهموا في الوزارات الائتلافية، ولم تُسجَّل عليهم حادثة واحدة تخلّ بالأمن، ولم يرفعوا سلاحاً في وجه أحد قط، إلا في فلسطين، وفي وجوه الإنكليز المستعمرين، واليهود الصهاينة الغزاة المعتدين.

فالإخوان المسلمون حركة دعوية، وسياسية، وجهادية، منتشرة في أنحاء المعمورة، لا تخلو منها قارة، بل ولا دولة من دول العالم، شرقية وغربيّة، مسلمة، ونصرانية، ولا دينية، ولا بد لهذه الجماعة من التعايش مع المحيط الذي هي فيه، والرسول القائد ﷺ رائدها الأول في حركته بين القبائل العربية، ثم في بعوثه إلى الملوك والزعماء، وقد أثمرت تلك العلاقات والصلات.. وجاء الإمام الشهيد لينحت في صخر مصر، والأحزاب المصرية، ومَلَئها، ولكن

التآمر عليه وعلى جماعته الربانية الراشدة لم تمهله، وامتدت الأيدي الآثمة لتغتاله وتغتال مشروعه، قبل أن يؤتي أكله، ثم كانت الكوارث والمآسي التي لحقت بالجماعة، وحدّت من نشاطها.

وأصيب الإخوان في سائر البلدان بأقل مما نزل بإخوانهم في أرض الكنانة، ما عدا التنظيم الإخواني السوري الذي نزل به من البلاء ما لم ينزل بإخوانه الآخرين قاطبة، وكانت الهجرات الجماعية بالآلاف إلى دول الجوار، بل إلى أصقاع المعمورة، وقد تطلب هذا حركة سياسية واعية، الهدف منها: توطيد العلاقات السياسية مع الدول المضيفة، ولكسب الأنصار، وفضح جرائم النظام الفئوي الطائفي في دمشق، ولبناء علاقات ودّية، وتحالفات سياسية تقي الجماعة من غوائل النظام الدموي، وتحميها من عملائه وزبانيته وعصاباته وميليشياته المدربة على عمليات القتل والاغتيال، والتي باشرت أعمالها الإجرامية في الداخل والخارج، وبلغت ضحاياها آلافاً مؤلفة..

وفي هذا الكتاب كنز من المعلومات عن العلاقات والتحالفات بين الإخوان وبين الذين تحالفوا معهم، لا يمكن معرفتها إلا من هذا الكتاب، فأكثر الناس، والإخوان منهم، لا يعرفون الكثير مما ورد فيه.

تحدث المؤلف الكبير عن النظام الطائفي الذي أهدر دماء الإخوان، ورصد المكافآت لكل من يدل على واحد من الإخوان أو يقتله بيده، فقد أباح دماءهم لكل من يقدر عليها، وسنّ لقتلهم

القانون ٤٩ لعام ١٩٨٠ الذي أطلق الناس عليه **(قانون العار)** في سابقة خطيرة لم تعرفها البشرية إلا في بعض العهود المظلمة، كعهد ستالين الذي اتخذه رموز النظام قدوة لهم ولعهدهم الأسود، كرفعت أسد، فعمت فوضى القتل في كل مكان من سورية الحضارة، في الشارع، والجامعة، والمدرسة، والجامع، والمعمل، والحقل، فكانت هجرة الإخوان إلى الجهات الأربع.. إلى دول الجوار، إلى الأردن، ولبنان، والعراق، وتركيا، فراراً بدينهم، ودمائهم، وأعراضهم.. من القرامطة الجدد.. وهو ما لا يمكن أن ينساه التاريخ لهؤلاء الأباش الذين روّوا أحقادهم وبؤسهم الإنساني من دماء الشعب السوري عامة، ومن دماء الإخوان المسلمين خاصة..

وربّ ضارة نافعة -كما قيل ويقال- فقد فتحت هذه الهجرة آفاقاً جديدة أمام الإخوان، ما عرفوها، ولا تطلعوا إليها، وما رادوا ميادينها الفساح، غالبوا مأساتهم، وقفزوا فوق جراحهم التي لم ولن تندمل في حاضر أو قابل، فهي عميقة، عميقة، عميقة، واستقبلوا حياتهم الجديدة بعزائم الرجال، وفتحت لهم الحياة قلبها وصدرها، واستقبلتهم بما هم له أهل، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ وقد وجد الإخوان المراغم الكثير والسعة في أرض الله الواسعة، حيث حلوا وارتحلوا، لأنهم مهاجرون إلى الله أولاً، ولأنهم من صفوة الشعب السوري، همماً وعزائم، وثقافة وأخلاقاً، وانفتاحاً منضبطاً على الحياة والأحياء..

التقوا إخـواناً لهم وأنصاراً حيـث نزلوا، وعقدوا تحالـفات مع من نزلوا بأرضـهم، ومع من وصل إلـيهم صوتـهم، وتفاعل الأحـرار مع قضيتهـم الإنسانية العادلة، فآووهم ونصروهـم، وآخوهم وصادقوهم، وشاركوهم، وتزوجوا منهم وزوجوهم، في صور أعادت إلى الأذهان ما كان من شأن المهاجرين الأولين إلى الحبشة وإلى المدينة المنورة، رضي الله عنـهم وأرضاهم، وصلى على قـدوة المهاجريـن وقائدهم: محمد رسول الله.

أنت واجد في هذا الكتاب، بفصوله أو تجاربه الاثنتي عشرة، كما أحب المـؤلف أن يسمي فـصوله، الكثـير الجـديد عن العلاقـات التي أقامهـا الإخوان المسلمـون السوريون مع الأردن، والعـراق، ومصر، والسعـودية، ولبنان، وتـركيا، والسـودان، واليمن، ومنـظمة التـحرير الفلـسطينيـة، وتونس، والمـغرب، والجزائـر، وماليـزيا، وباكسـتان، وأفغانستان، وعن جولات المؤلف الإعلامية في أوربا وأمريكا وآسيا.

سوف تقرأ دراسات مستفيـضة عن العراق، وعن التحالف الوطني لتحـرير سورية، وعن الـنشاط الواسع الـجاد لإصلاح ذات البـين بين المجاهـدين الأفغان والعراق القـومي الذي بذل ما بوسعـه لهم، وعن العـراق الذي أنقذ الـسودان من براثـن الوحش الجنـوبي المدعـوم من الغرب وأمريكا وإسرائيل.. أنقذه بما قدم له من سلاح هو في مسيس الحاجة إليه..

تقرأ عن المصالحة التي أجراها المـؤلف بجهود مضنية بين العراق ومنظمـة التحرير، ورأسـها ياسر عـرفات، ثم ما كـان من تعاون كبـير

بينهما.. وبينهما وبين الإخوان المسلمين السوريين.

تقرأ دراسة جديدة ومهمة عن تونس، وفيها من المعلومات ما لا يعرفه أكثر الناس..

وتقرأ عن الجزائر ومشكلاتها ومأساتها ومحنتها بقادتها وجنرالاتها وبعض الدعاة فيها.

تقرأ دراسة جادة وجديدة عن العلويين، نشأتهم، وتوضّعهم في سورية وتركيا، وعقائدهم، وصلاتهم وعلاقاتهم المشبوهة عبر التاريخ..

تقرأ الجديد عن الأرمن وضلوعهم بارتكاب جرائم فظيعة بمشاركة إيران..

تقرأ عن الأكراد في تركيا، والعراق، وتطلع على معلومات مهمة وجديدة، لتكون على بصيرة مما جرى ويجري..

تقرأ عما لقيه الإخوان من ترحيب في الأردن الحبيب، من الملك الهاشمي الحسين بن طلال، رحمهما الله رحمة واسعة، ومن بعض أركان دولته، ومن تنظيم الإخوان الأردنيين، ومن الشعب الأردني العربي الأصيل الذي آوى ونصر، وفتح للإخوان المهاجرين إلى أرضه، قلبه وبيته، وفهم مأساتهم، وعرف حجم معاناتهم، فعمل على تخفيف ما يعانون بأريحية العربي المسلم.

وحديث المؤلف عن العراق الشهيد لا يغني عنه أي حديث أو تلخيص، فالتجربة الإخوانية على أرض العراق غنية، وقد تحدث عن

بدايتها، وعن تطورها الإيجابي والسلبي بأمانة وصدق..

ما ورد في هذا الكتاب القيم دراسات ومعلومات ميدانية، وليست مجرد ذكريات، وسوف يستفيد الباحثون والدارسون والمؤرخون الكثير منه، وسوف يقفون على الأسباب الوجيهة التي أودت بالعراق ونظامه وأرضه وشعبه.. معلومات ميدانية صادقة باشرها بنفسه، في رحلات استغرقت من المؤلف زمناً طويلاً، وجهوداً، وعرقاً، ودموعاً، ثم لخّصها تلخيصاً مركزاً مكثفاً فيه توضيح وخلاصات لكثير من المسائل الشائكة التي كان لها مآلات توقعها المؤلف قبل وقوعها، في العراق، والجزائر، وأفغانستان، وسواها مما تجدها واضحة جلية وأنت تطالع هذا الكتاب.

هذا الكتاب للتثقيف السياسي، برزت فيه حنكة المؤلف في عدد من المواقف الحرجة، فعالجها بطروحاته الذكية، وبمبادراته التي كانت تبهر أصحابها، فلا يملكون إلا التسليم لها..

وهو ذكريات حفظتها ذاكرته الحديدية التي لا تنسى، ومن هنا تأتي أهميته، لأنها لا توجد إلا في هذا الكتاب الذي سدّ ثغرة كبيرة في مكتبة الإخوان المسلمين السوريين خاصة، فيه ذكاء وحضور بديهة، وسياسة، وعمق، وفكر، ودعوة، وإعلام، وأعلام، وما لستَ واجده في سواه.

ومن المفيد لأولادنا أبناء الدعوة، أن يطلعوا على تجارب شيوخهم، بما فيها من إيجابيات وسلبيات، لتختصر لهم طريق التجارب والآلام، فيجتنبوا السلبيات، ويفعّلوا الإيجابيات، فقد

حرص المؤلف الكبير على تبيانهما معاً، تبيان الإنجازات الضخمة لجماعة بطش بها خصومها وأعداؤها، وتقاعس عن النصرة أنصارها، وخاصة في غربتها القاسية، حتى ظنَّ من ظنّ أنها النهاية، ففرح من فرح، وحزن من حزن، والجماعة تصارع الأمواج العاتية، وعيونها وقلوبها معلقة بالسماء، وعقول قادتها ومفكريها تبحث في الأرض، لا لتواري سوءة، بل لتثبت به الأقدام، ذاكرين أن الله يدافع عن الذين آمنوا، وإن الله على نصرهم لقدير، برغم كل الظلام والظلم والظلمات والظالمين.. تلك التي تراكم بعضها فوق بعض، في الداخل والخارج.

إني أدعو المخلصين إلى قراءته قراءة الدارس بعمق، وأن يحاولوا سدّ الثغرات فيه، فما خلا كتاب بعد كتاب الله العزيز من ثغرات، فهو وحده لا ريب فيه ولا تناقض ولا نقص ولا زيادة، فهو كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير..

اقرؤوه بعمق، وبإخلاص، لعل الله يفتح العقول والقلوب، فتزيد وتنقِّح، ليكون الأقرب إلى الكمال، خدمة للدعوة، وللوطن، وللإنسان، ويبقى الكمال لله العظيم، والعصمة لأنبيائه ورسله الأكرمين.

كتبه المؤلف في ظرف صحي بالغ الشدة والقسوة، وأنجزه في وقت قياسي، ومن ذاكرته الحديدية الحية التي أتعبته وأتعبتنا، وجرت عليه وعلينا الخصومات، لأنها لم تنس شاردة ولا واردة، فتعب وأتعب، وأرجو أن يثاب عليها ولا تتره معقّباتها..

والحمد لله أولاً وآخراً.

وصلى الله على سيد الخلق محمد المبعوث رحمة للعالمين.

وآخر دعوانا: أن الحمدُ لله رب العالمين.

٨/ ١٠/ ١٤٣٠هـ

٢٧/٩/٢٠٠٩م

* * *

توطئة

خاضت جماعة الإخوان المسلمين معركة شرسة فرضتها عليها حكومة الأقلية الأمنية، لم تكن الجماعة مستعدة لها، ولا راغبة فيها، إذ إن الجماعة أصرت في أكثر من مكان في خطتها العامة التي نشرتها كاملة في نهاية المجلد الثاني من هذه الموسوعة، على تجنب الصدام مهما بلغت درجة استفزاز السلطة، ولكن حكومة الأقلية بما تملكه من أحقاد دفينة من جهة، وحماسة الشباب الناشئ، واندفاعهم الذي يفتقر إلى الوعي والحكمة، جر علينا وعلى السوريين جميعاً كوارث غير مسبوقة، وتسلطاً رهيباً، وكيداً تجاوز كل الحدود والتصورات.

من جهة أخرى خاض الإخوان السوريون معركة موازية من نوع آخر، كان ميدانها الفكر والإعلام والسياسة، وأجروا حوارات، وأقاموا صِلاتٍ وعلاقات، وعقدوا اتفاقات، نرجح أن أياً من التنظيمات الإخوانية الأخرى لم تمارسها ولم ترق إلى مستواها.

ولأهمية هذه التجارب السياسية الثرية، وما تنطوي عليه من نتائج وأسرار، آثرت أن يكون هذا المجلد الخامس مسرحاً لها، ومحتوياً

لأحداثها ذات الأهمية البالغة.

لقد امتدت فترة هذه العلاقات قرابة عقد من الزمن، منذ أواخر السبعينيات ومعظم سني الثمانينيات وحتى مطلع التسعينيات، وشملت دولاً كثيرة كالأردن والعراق ومنظمة التحرير الفلسطينية واليمن والسعودية ومصر والسودان ودول المغرب العربي، ودولاً إسلامية عدة مثل باكستان وأفغانستان وماليزيا وأندونيسيا بدرجات متفاوتة تتراوح بين الزيارات والحوارات وبين المواثيق والاتفاقيات، شملت حكومات وأحزاباً وشخصيات، واكبتها لقاءات مع وكالات أنباء وصحف عالمية شهيرة كاللموند والتايمز وغيرهما.

ألفيت كل هذا جديراً بالبحث والدراسة والتحليل ليطلع الأبناء وأبناؤهم والأنصار والحلفاء والعاملون في الحقل الإسلامي من شتى المدارس الفكرية والدعوية على هذه التجارب ليستفيدوا من إيجابياتها، ويتجنبوا سلبياتها إن وجدوا ذلك، ليبدأ الأواخر من حيث انتهى الأوائل، لا من حيث بدأوا.

ألف الإخوان أو معظمهم الانطواء على أنفسهم، وأن ينأوا عمن يختلفون معهم في المعتقد والفكر والسياسة، وهم بهذا المفهوم غير تحالفيين ولا جبهويين، بل كان الصراع الحزبي هو السائد، وذلك بواقع من تمسكهم بمبادئهم، والغيرة عليها، دون النظر إلى ما هو أبعد من ذلك في وجوب الاطلاع بدقة وموضوعية على ما لدى الآخرين من برامج وأساليب في الحكم والسياسة، وليطلع الآخرون

علـى ما لديـنا من مـناهج وأفكـار ومشـروعـات وخطط ونظـرات في السياسـة والدولة والمجتمع، وبهـذا حُجبنا عن آفاق ما كـان ينبغي أن نُحجب عنها، وحُـرمنا من فوائد ومزايا الحوار من الآخـرين، لنتعرف على ما لـديهم، ونطلعهـم على ما لدينا، فـنستفيـد من الذين سبـقونا إليـه، ونصحـح لهم الفـهم الخـاطئ عن حـقيـقتـنا وصدق تـوجهـاتنا وصلاح مـبادئنـا وشريعـتنا السمـحاء، فـيحل الحـوار محل الـجدل، والعلاقات الحميمة مكان الخصام والصدام.

الحـوار هو الأسلوب الوحـيد فـي الدعوة والتـبليغ ونـشر مـبادئ الإسلام، وهو الأسلوب الذي طبقه وأخذ به سيدنا المصطفى ﷺ مع المشركين والدهريين والمسيحـيين واليهود، وكل المخالفين، دون أن يضيق ﷺ بحوار قط، بل إن جميع الذين حاورهم انتهوا إلى الاقتناع أو المودة عـلى أقل تقدير، ولم يـعرف عنه ﷺ أنه ضـاق بحوار، أو توقـف عنه، أو تبـرم من رأي مـخالـف، أو واجه الآخـرين بشـدة أو بأس، بل كان بقلبه الكبير، يسع الجـميع، فيقول قائلهم، كالذي ورد على لسان هند بن عتبة رضي الله عنها: «التقينا برسول الله ﷺ وهو أبغض الخلق إلينا، وتركناه وهو أحب الناس إلينا».

إن البعد عن النـاس وعدم الاختلاط بهم، وتأليف قلوبـهم سياسة خاطـئة لا تمـت إلى الأسلوب الـنبوي بصـلة، فرسـولنا ﷺ يـقول: «المـؤمن الذي يخـالط الناس ويـصبر عـلى أذاهم، خيـر من المـؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم».

كان الرسول ﷺ وكل صحابته دون استثناء يدعون إلى الله بالحكمة، ويؤلفون القلوب، ويرغّبون الناس بالإسلام الذي أرسله الله جل وعلا رحمة للعالمين.

إن في الحوار فوائد جمة، منها: تعرفنا على مواقف الناس وأفكارهم، وعلى تأليفهم، وتعريفهم بالإسلام ودعوته ومبادئه وأحكام شريعته، ومنها تهدئة الخواطر، وإطفاء نار العداء، وإمساك الخصوم عن التهجم على الإسلام وأهله، وكسب الكثير ممن نحاورهم ليدخلوا في الإسلام كافة، أفراداً وأفواجاً، أو كسبهم كأصدقاء أو حلفاء في بعض الظروف، كما حدث في العهد المدني من حياة النبي ﷺ.

بيد أن الحوار الذي يكون مجدياً هو الذي يضطلع به ذووه والمؤهلون له، فالداعية المتمكن كالجوهر الذي يزيد تألقاً عندما تضعه في الماء، وأما الذي يعبد الله على حرف، فليس مؤهلاً لمثل هذه المهمة الجليلة، لأنه كالملح الذي سرعان ما يذوب ويتلاشى عندما يرمى به في الماء داخل الإناء.

ومن فضل الله ومنّه: أن فريقاً من أبناء الجماعة بلغ مرحلة النضج، وأضحى جديراً بإدارة الحوار مع الآخرين من مثقفين وسياسيين ومسؤولين ورجال دولة بصورة تدعو إلى الثقة والطمأنينة، وتثلج قلوب الدعاة.

وخلال سنوات عشر أو ما يزيد، دخل الإخوان في حوارات

وتحالفـات مع دول وحكومات وأحزاب وهيـئات وشخصيـات أفضت إلى نتائج إيجابيـة مذهلة، ومكاسب عظيمة لدعوة الإخـوان المسلمين السوريـين بعد أن خرج الألوف منهـم من ديارهم وأموالهم، وانـتقلوا إلى أرض الله الواسعة إثر مطاردتهم والإمعان في قتل شبابهم وتشريد بنيهم وأهليهم.

وفيما يلي نمـاذج كثيرة من إنجازات الجماعة في الـحقل السياسي والعلاقات الدبلوماسية.





التجربة الأولى

مع الأردن الشقيق

بعد أن استحر القتل في سورية بمراسيم كتبها حافظ أسد، أو كتبت له، وأحياناً دون مراسيم طبقاً للقانون ٤٩ الصادر عام ١٩٨٠، وأحياناً دون النظر إلى مرسوم أو قانون، فقد خول السفاح كل ضابط برتبة رائد فما فوق من ضباط الجيش والأمن أن يعقد محاكمات أمنية أو ميدانية لمن يريد، وله أن يصدر أحكاماً وينفذها بحيث أضحى (دم كل من يمت إلى الإخوان أو يقف بصفهم أو يتعاطف معهم أو تربطه بالمعارضة قرابة أو جوار أو صداقة، أو يكون قد استقبل ملاحقاً في منزله) مستباحاً، يقتله أزلام السلطة في منزله أو السجن أو في الشارع دونما مساءلة أو حماية قانونية أو قضائية، الأمر الذي حمل الألوف على الهرب، وترك الوطن، والسفر إلى دول الجوار القريبة أو البلاد البعيدة.

هُرع الألوف بل وعشرات الألوف إلى تركيا والعراق ولبنان، وكان نصيب الأردن من هؤلاء الفارين والنازحين كبيراً لسهولة الانتقال إليه، إذ لم يكن السوري بحاجة إلى تأشيرة دخول من جهة، وللقرب

المكاني من جهة أخرى، فتجمع في الأردن أعداد كبيرة جداً طلباً للنجاة من الموت والقتل على قارعة الطريق.

كانت العلاقة بين جمهور الإخوان والمملكة الأردنية الهاشمية ذات ثلاثة أبعاد:

١ - مع ملك المملكة الأردنية الهاشمية الملك حسين بن طلال غفر الله لنا وله: إذ أفسح صدره للوافدين، وأصدر توجيهاته لأركان دولته بتسهيل إقامة الوافدين السوريين، فوجدوا الرعاية التي لا تنسى، والدعم المعنوي الذي أتاح لهم ومكنهم من مزاولة العمل بكل أشكاله وفروعه، فلم تمض على إقامتهم فترة وجيزة حتى صار السوريون الوافدون أصحاب محلات تجارية، ومكاتب هندسية وعيادات طبية، ومحلات شهيرة في الحلويات الشامية والمعجنات السورية وصار بعضهم من ذوي اليسار.

إن سياسة الملك الراحل حسين بن طلال حيال السوريين كلفته عداء السلطة السورية، فدخلت معه في خصومة بلغت حد إغلاق الحدود حيناً، وحشد قوات عسكرية سورية على حدود الأردن حيناً، والتهجم العلني بعبارات لا تليق إلا بمن صدرت عنه ضد الملك وعائلته الهاشمية.

لم تثن الملك حسين رحمه الله هذه الأزمة عن الاستمرار في نهجه، وإتاحة المجال واسعاً أمام السوريين، وكأنهم أبناء الأردن سواء بسواء، بل لقد اعتبرهم ضيوفه، وأمسينا على مدى ثلاثة عقود نُذكّر من نراجع من المسؤولين في مناسبات كثيرة بأننا ضيوف الملك

حسين، حتى بعد رحيله رحمه الله.

ولربما يقول قائل من المتربصين أو المتصيدين أو المراقبين: إن للملك حسين سياسة خاصة به في الحقلين الداخلي والخارجي، وتأتي إجابتنا سراعاً: سواء أكانت السياسة الأردنية متطابقة مع ما نطمح إليه أو غير ذلك، فإننا لم نتدخل قط في سياسة بلد أوينا إليه، ولم ولن ننسى معروفاً أسدي إلينا، أو يداً حانية امتدت لمساعدتنا، وهذا الخلق تلقيناه عن سيدنا رسول الله ﷺ الذي كان يعتبر الوفاء جزءاً من إيمان المؤمنين، وبهذا المقياس أو الخلق النبيل، لن ننسى ما قدمه الأردن الشقيق للإخوان السوريين من أفضال لا تنسى على مر الأيام وكر السنين.

٢ - كانت الجهة الثانية التي كنا نرجع إليها في معاملاتنا وشؤون إقامتنا وما يتصل بذلك هو الفريق أحمد عبيدات مدير المخابرات العامة طبقاً للأوضاع الحكومية والنظامية الأردنية.

كان الفريق أحمد عبيدات - أبو ثامر، مثال الرجل في التعامل مع الآخرين، وكان يتصف بشكل ملموس بالشهامة والحمية العربيتين، وكان يؤنس زواره، ويتعامل معهم بلطف ورجولة، وبالرغم من أن ضابط الاتصال بين الإخوان وأبي ثامر هو الأخ علي البيانوني - أبو أنس- فقد كنا نزوره بين الفينة والفينة في منزله في حي الشميساني على شكل وفد أو مجموعة قد تضم الشيخ سعيد حوى رحمه الله وأبا أنس وكاتب هذه السطور، وكان مثال المضيف الذي يقوم بنفسه على خدمة زواره في تقديم الضيافة لهم، وتجاذب أطراف الأحاديث

الطلية معهم.

إن الفترة التي عرفنا بها الأستاذ الكبير أحمد عبيدات لا ينالها النسيان، ولا يدانيها من الاحترام والمعاملة الراقية إلا الذي لمسناه من الفريق مصطفى القيسي فيما بعد من خلق كريم ومعدن أصيل، ومعاملة مثلى سيزيد مع الأيام رسوخها في ذاكرتنا ونفوسنا إذ نشعر بالعجز عن الوفاء للرجلين في ذمتنا، فإننا ندعو الله لهما بالتوفيق، وأن يجزيهما خير الجزاء وأحسنه.

٣ - أما استقبال رجال جماعة الإخوان بالأردن فقد ذكّرنا باستقبال الأنصار لإخوانهم المهاجرين -مع الفارق- إذ أكرموا وفادتنا، وغمرونا بفيض مودتهم، وفتحوا لنا قلوبهم وبيوتهم، وكلفوا أحدهم بالقيام على أمورنا وإيوائنا وتأمين جميع حاجاتنا من مأكل ومشرب وإقامة، وقد كان التوفيق حليفهم عندما كلفوا الأخ الشهم إبراهيم المشوخي -أبو عبد الله- الذي قام هو وأهله وذووه على تأمين أمورنا، وكانت والدته -رحمها الله- ترعانا وتطهو لنا طعامنا كما تفعل مع أبنائها لفترة طالت دون أن نلمس من إبراهيم ضجراً أو تبرماً، أو أي مظهر من مظاهر الضيق بضيافتنا المُكلفة.

لقد استمر أبو عبد الله الذي لم نر شهامة كشهامته، ولا أخوة كأخوته، على هذا المنوال في ترتيب أمور الجميع بأعمال مفيدة ومجزية سبقت الإشارة إليها منذ قليل.

إن ما لمسناه من الأخ إبراهيم من صدق الوفاء والإخاء، ومواقف الفضل عصية على التقادم والنسيان، وكذا إخوانه وعلى رأسهم الأخ

المراقب العام محمد عبد الرحمن خليفة طيب الله ثراه وإخوانه الكرام، وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فإن من المعادن الثمينة التي عرفناها عن قرب هو الأخ الفقيد أحمد قطيش الأزايدة الذي أشعر بالعجز عن التعبير عما يكنه القلب من توقير وتقدير وإجلال لهذا الرجل الذي قل أن تلد الأرحام مثيله في الخلق الرفيع والأدب الجم والكرم النادر، والمودة التي يفيض بها على إخوانه وعارفيه وزائريه. رحم الله الأخ أحمد قطيش الأزايدة رئيس كتلة الإخوان في البرلمان الأردني، ورئيس بلدية مأدبا التي أحبه شعبها مسلمهم ومسيحيهم، لأنه كان صادقاً مع الجميع، ومخلصاً للجميع، ويخدم الجميع دونما تقصير أو تمييز بين المواطنين في تعامله معهم، كما لا يسعني إلا التنويه بالأخ الفقيد شاعر الأقصى يوسف العظم أبي جهاد لوفائه الذي ظللت ألمسه فيه حتى أيامه الأخيرة قبل أن يسبقنا إلى رحاب الله وعفوه، غفر الله لنا وله، وجمعنا به في مستقر رحمته وواسع جناته ورضوانه.





التجربة الثانية

مع العراق الشقيق

أعلنت السلطات السورية عن مطاردتها لعدد من أعضاء التنظيم الإخواني، ورصدت مبلغ خمسين ألفاً لكل من يقبض على أي منهم أو يدل عليه، فلجأ المطلوبون المطاردون إلى بيروت فراراً بأرواحهم، وصادف أن سافرت إلى بيروت في تلك الآونة، فالتقيتهم، وكانوا خمسة أعضاء ينتمون إلى عائلات كريمة من آل العلواني وآل الحداد وآل الزعبي من مدينة حماة، وكانوا في ريعان الشباب، لا تتجاوز أعمارهم العشرينيات، بل إن بعضهم لم يبلغ العشرين من عمره، كالشهيد مهدي علواني رحمه الله، عرضت عليهم مبلغاً من المال، فقالوا: لسنا بحاجة لذلك، فألححت عليهم أن يستلموا مبلغاً يضيفونه إلى ما لديهم حساباً للطوارئ ولما قد يتعرضون إليه فقبلوا ذلك، ثم ذكروا لنا أنهم تلقوا عرضين للجوء السياسي، أحدهما من مصر، والآخر من العراق، وسألوني رأيي في ذلك، فقلت: إن أردتم الراحة والبعد عما يحدث في سورية، فمصر هي الأفضل، وإن أردتم الاستمرار في المعارضة والاتصال الدائم بما

يجري في سورية، فالعراق أفضل، فآثروا التوجه إلى بغداد، بعد أن رُتبت لهم أوراق السفر، فتوجهوا إلى المطار، وكنت مع بعضهم مودعاً.

من هنا بدأت علاقتنا ببغداد، إذ دخل الإخوان الخمسة إلى العراق، فاحتفظت بهم قوات الأمن لبعض الوقت، ثم أخلت سبيلهم بعد تحقيق سريع معهم، وهيأت لهم مكان السكن والإقامة في العاصمة العراقية.

١ - أرسل إلينا العراقيون واحداً من هؤلاء، (الذين وصلوا إلى بغداد) إلى الإمارات -حيث كنت أعمل- يحملون عرضاً بزيارة بغداد، فكان ذلك مفاجأة لنا ووقفنا أمامها في ذهول وحيرة، فعقدت لقاء مع ممثلي التنظيمات الإخوانية من أردنيين وفلسطينيين ويمنيين ومواطنين وسودانيين وعراقيين.. إلخ وسألتهم آراءهم قائلاً: جاء من بعض الجوار استعدادهم لاستقبال الأعضاء الذين يطاردون في كل مكان من سورية، وتستباح دماؤهم على الأرصفة وفي قارعة الطريق، فكانت الإجابات متباينة، منها المحذر، ومنها المتحفظ، ومنها المتوقف عن إبداء الرأي، باستثناء المندوب السوداني الذي قال: إذا أتيحت لكم فرصة تنقذون فيها أبناءكم من القتل، ولم تهتبلوها فأنتم آثمون.

حملت هذه الآراء في طريقي إلى عمان، وأجريت مناقشةً موسعة مع قيادة الجماعة حيال هذا الأمر، فكان الحذر والتخوف سائدين، إذ كيف نفر من بعث إلى بعث (قبل أن نعرف الفرق بين التنظيمين من

حيث المنشأ والتركيب والأفكار والمواقف والتطلعات والتباين الكبير بين الحزبين) واستشرنا إخواننا في مكتب الإرشاد حول دعوة تلقيناها لزيارة بغداد، فأشاروا علينا بالاستجابة لذلك، باستثناء المراقب العام بادئ ذي بدء.

زار الإخوان القياديون بالتتابع العراق، وذهب كل من الإخوة محمد الحسناوي وسعيد حوى ومحمد ديب الجاجي، وعادوا يتحدثون عن زيارتهم التي صادفوا فيها ترحيباً وتكريماً، وشعروا بالطمأنينة، وهكذا فتحت لنا أبواب العراق على مصاريعها، لتنشأ عنها أمور كثيرة وكبيرة جديرة بعرضها وتسجيلها.

أ- كانت البداية إرسال مجموعة مؤلفة من خمسة عشر أخاً إلى بغداد ليلتحقوا بدورة تدريبية عسكرية، ولشدة خوفنا أجرينا للإخوة دورة دعوية كُلّف الشيخ سعيد حوى رحمه الله بالإشراف عليها، لتحصين شبابنا قبل أن يتوجهوا إلى دولة علمانية، فذهب الإخوة بقيادة واحد منهم هو الأخ الشهيد زهدي عبد الكريم -أبو النور-، والتحقوا في دورة للتدريب على السلاح، مدتها خمسة عشر يوماً، وحدث في ذات صباح أو يوم أن الضابط العراقي المناوب هتف بشعار البعث في أفراد الدورة، وكان الإخوان ضمنهم، فلم يردده الإخوان، ورفع مسؤولهم -أبو النور- يده، وطلب الحديث مع المناوب، قائلاً له: نحن من فصيل آخر، ومن اتجاه إسلامي، وننتمي إلى تنظيم خاص بنا، فجاءت الإجابة: عدم تكرار هذا الأمر طيلة مكثنا في العراق حوالي ربع قرن.

عـاد الإخوة الخـمسـة عشـر من دورتـهم -وكان أحـد أبنائـي في عدادهم- وقدم مسؤولهم تقريراً عـن كل ما شاهدوه وسمعوه، وكيف كانت معاملة العراقيين لهم، وما الذي استفادوه من خبرة تدريبية دون أن يصـادفوا أي عقـبة أو أمر سلـبي، فاطمـأنت الجمـاعة إلى سـلامة أبنائها، واحتـفاظهم بما هم عليه من أصول وفـروع، بالإضافة إلى ما اكتسبوه من خبرة في التدريب على السلاح.

ب- تتـالت الـدورات بأعداد أخـرى لاحـقة، كـمـا تتالـى تقـديم التسهيلات والأمور اللوجستية، وفتح العراقيون أبواب الجامعات على مصاريعها لأعضاء الجمـاعة، إذ كان أكثر المطاردين من الطلاب ومن أبناء الـجامـعات، فـالتحـق كل طالب بـالكليـة التي كـان بمـثلهـا في سورية، وبالفصل الذي كان طالباً فـيه دون أن يفوتهم أو يضيع عليهم من دراسـتهم شـيء، وهكذا أنقـذ مئـات وأكثـر من أعـضاء تـنـظيمـنا مستقبلهم الدراسي، واستمروا حتى أنهوا دراستهم، وحملوا شهاداتهم الجـامـعـيـة، وحـمـل كـثـير منـهم الـشـهـادات العـليـا فـي جـمـيع الاخـتـصـاصات، وأضـحى عدد مـنهم أسـتاتذة فـي جامـعات العـراق واليمن ودول الخليج وغيرها.

كما حمل أبناء تنظيمنا جوازات السفر العراقية حتى بلغ في إحدى الفترات ألفاً ومـئتي جواز سفر، ثم تقلصت فيمـا بعد حسب الظروف التي جدت إلى دون العشرة اقتصرت على أعضاء القيادة دون غيرهم.

غيـر أن الأهمَّ من هذا كـله، من الدراسـات والتدريـب وجوازات السـفر، ما خـصصـته إذاعة المـعارضـة التي كنا نـشارك بهـا في ركن

خاص بـالإخوان يبث فـيه الإخـوان لمدة سـاعة مـا لديهم مـن أفكار وثقافة إخوانية ومبادئ إسلامية على تردد كان يغطي كل بلاد الشام في سورية ولبنان والأردن وفلسطين، وكم كانت دهـشتنا بل وفرحتنا حين علمـنا أن شبـاب فلسطيـن كانوا يتـابعـون بثنا في ركـن المجـاهدين، ويستمعون إليه على نطاق واسع، وأنهـم تشبعوا بالروح الجهادية التي كان الركن يركـز عليها ويبشّـر بها، ويستنهض أبنـاء الإسلام على رفع رايتها والاستعداد ليوم كريهة وسداد ثغر.

٢ - رأينا أن الإخـوان لم يكونوا قـبل الأحداث السـاخنة يمـيلون إلى التحالـفات والمشاركة في الأعـمال الجبهوية، ولكـن بعد أن فتح العراق أبوابه، طرح البعـثيون السوريون المعارضون مـوضوع التحالف بين الإخوان والفصائل الأخرى، فترددنا في ذلك وتخوفنا منه، ثم مر بنا الأستاذان حـمود الشوفي وخالد الحـكيم، وهما اثنان كان ثالثـهما نسيم سفرجلاني، ظل ولاؤهـم لصـلاح البيطار ثابتاً. وكانوا من أركان المعارضة البعثية للنظام السوري.

حضـر الشوفي والـحكيم إلى عـمان، والتـقيناهمـا مرتين، كـانت الثانـية في منزل الأخ عـبد الله الـطنطاوي حفـظه الله، وكان تـشكيل جبهة عريضة من كل أطياف المعارضة مدار البحث على مدى ساعتين تقـريبـاً، ولقـد لخصـنا موقـفنـا بطلب واحـد لا نتـجاوزه: أن يـكون الإسلام دين الدولة، والشريعة الإسلامية مـصدر التشريع في أي ميثاق نتـفق عليه، فـقال أحـدهما ومـا زلت أذكره: إن المـوافقة عـلى ذلك واجبـة، وإن إهمـال هذا المطـلب لتشكيل الـتحـالف يعـتبـر تفريـطاً

وانحرافاً وطنياً.

أ- شعرنا بالطمأنينة، وجرت ترتيبات اللقاء في بغداد لتشكيل التحالف والاتفاق على ميثاقه، وعبراللقاءات جرت ترشيحات من كلا الفريقين المعارضين لتشكيل الهيئة التأسيسية، فرشح البعثيون والاشتراكيون: أكرم الحوراني وشبلي العيسمي وحمود الشوفي وخالد الحكيم وأسماء أخرى، ورشحنا شيوخنا: مصطفى الزرقا ومحمد المبارك وعمر بهاء الدين الأميري والشيخ عبد الفتاح أبو غدة وأسماء أخرى، ولم يعترض أي من أطراف التحالف على أي ترشيح، لأن الرغبة كانت في توسيع دائرة الهيئة التأسيسية، لتشمل أطيافاً واسعة من المعارضين.

عقدت الهيئة التأسيسية أول اجتماعاتها برعاية نائب الرئيس العراقي الأستاذ طه ياسين رمضان، ورئاسة أكبر الأعضاء سناً: أكرم الحوراني، وطرحت مبادئ الميثاق، وجرت مبادرات متشعبة في حديث الأعضاء، فلمسنا أن اللذين زارانا في عمان ووافقا على دين الدولة، وعلى أن تكون الشريعة مصدر القوانين، قد تحدثا بلهجة أخرى، فتكلم رئيس مجموعتنا الدكتور حسن هويدي رحمه الله حديثاً مطولاً، وأسهب في الحديث عن أهمية أن يكون الإسلام دين الدولة وأطال، ثم تحدث شبلي العيسمي حديثاً مشبعاً بالروح العلمانية، ومما جاء في حديثه: إننا نكافح منذ ثلاثين سنة لإرساء قواعد العلمانية في المجتمع، فاستفزنا حديثه وموقفه الذي يتعارض مع الذي اتفقنا عليه معهم قبل تشكيل الهيئة التأسيسية، فأجبته في

حدة وشدة وانفعال: ونحن نقدم شهداءنا، لا لنكون أمراء أو وزراء، بل لنرسي قواعد الإسلام في المجتمع، ونثبت مبادئ الإسلام في الحياة العامة، وعندما بلغ التوتر مداه، بادر السيد طه رمضان إلى إيقاف الحوار مقترحاً رفع الجلسة، وقد كان.

ب- في ردهات المبنى الذي عقدنا الجلسة فيه -مبنى قيادة الجيش الشعبي- تجاذبنا أطراف الحديث مع عدد من أعضاء الجبهة، كان من أهمهم نائب الرئيس العراقي طه رمضان الذي لمسنا فيه ميلاً واضحاً لموقفنا وأفكارنا حول الإسلام وشريعته، واكتشفنا أن الدستور العراقي المؤقت ينص بوضوح على أن الإسلام دين الدولة، فوقع البعثيون السوريون في مأزق، لأن إصرارهم على مواقفهم يعني خروجاً على مواقف قيادتهم العليا، فحملهم ذلك على الانسحاب من مواقفهم، والتراجع عنها، والتسليم بمبادئ ميثاق التحالف التي تقدمنا بها.

لقد أرضى البعثيون أنفسهم في أمور طرحوها لا تتناقض مع أفكارنا ومبادئنا، فنص الميثاق على الحرية التي كانت أحد أركان الشعار الذي أعلنه الإمام البنا (الحق والقوة والحرية) وعلى الوحدة العربية التي يعتبرها البعثيون -غير الطائفيين- ركناً ركيناً من شعاراتهم، ويعتبرها الإخوان جزءاً من معتقداتهم ومبادئهم، وليس من سياساتهم فحسب، وبذلك تم الاتفاق على ميثاق التحالف الوطني الذي وصفه أحد أركان التحالف اللواء محمد الجراح ممثل التوجه الناصري، بأنه -أي الميثاق- يصلح أن يكون ميثاق حزب، وليس

ميثاق جبهة وتحالف يضم عدداً من التيارات المتباينة في أهدافها وسياساتها.

٣ - احتوى الميثاق الذي تقدمت به لجنة صياغة مشتركة من مقدمة أو توطئة شرحت مأساة الشعب السوري، والنكبة التي أصابته وحلت بساحته، ومن ستة عشر بنداً أو مادة، وتم التوقيع عليه وتصديقه في ١٥ جمادى الأولى ١٤٠٢هـ الموافق ١١ آذار ١٩٨٢م.

أ- نصت التوطئة أو المقدمة على ما يلي: لم يشهد التاريخ مثيلاً للمأساة الكبرى التي يعيشها شعبنا في سورية تحت وطأة نظام حافظ أسد، الذي فرض على شعبنا أشكالاً من الإرهاب والقمع الدموي، أخرجت هذا النظام من دائرة الوطنية، وجعلت منه عدواً حقيقياً لشعبنا، ولكل قيمه وتطلعاته، فقد لجأ هذا النظام المجرم إلى مصادرة الحريات العامة والخاصة، وملأ السجون بالمعتقلين، وسلط عليهم أبشع أنواع التعذيب، واغتال المئات منهم في السجون، دون تحقيق أو محاكمة، كما حدث في الرستن عندما قتل مئة وعشرين امرأة، وفي مجزرة تدمر الرهيبة عندما قتل بأمر مباشر من رفعت أسد سبعمائة معتقل، . . والبعض يقدر عدد الضحايا بألف وسبعمائة معتقل، وأطلق هذا النظام عصابات القتل والإجرام التي أضحت سنده الأساسي في تحكمه بالبلاد، إذ أطلق يدها في المدن السورية، فاستباحت كل شيء بكل وحشية وهمجية، تسلب وتنهب، وتنتهك الأعراض والحرمات، وتدوس على المصاحف وتمزقها، وتهدم المساجد والكنائس، وتقتل المواطنين، وتمثل بهم، وتمزق لباس

الحشمة، وتقتل من يعترض سبيلها، وقد ازدادت في السنتين الأخيرتين مظاهر الظلم والطغيان هذه زيادة خطيرة، فتعرضت أحياء ومدن بكاملها لعمليات الهدم والتمشيط التي شملت دمشق وحلب وحمص وحماة ودير الزور وإدلب وجسر الشغور وسرمدا واللاذقية، مع ما رافقها من سلب ونهب، وقتل واعتداء.

لقد كان غرض هذا النظام السفاح واضحاً في إذلال الشعب، وإهدار كرامته، وتحدي معتقداته الدينية ومشاعره الوطنية، وبلغ به الأمر أن أصدر القانون ٤٩ لسنة ١٩٨٠ القاضي بإعدام كل من يثبت انتماؤه إلى جماعة الإخوان المسلمين، وقدم المكافآت المغرية، لكل من يقتل أحد أعضائها، واتخذ من هذا القانون ذريعة لقتل كل من يرفع صوته، أو يقف في وجه جرائمه، ليشرك معه في هذه الجرائم أكبر عدد ممكن من عصاباته وأزلامه.

لقد بلغ من طغيان رئيس هذا النظام وإجرامه حداً يناقض أي أهلية للمسؤولية والحكم، عندما أعلن مراراً أنه سيصفي جسدياً خصومه ومعارضيه، وسيلاحقهم في الداخل والخارج، كما صدر مثل هذا الإعلان المنكر عن أخيه رفعت، وقام السفاحان معاً بعمليات اغتيال عديدة داخل سورية وخارجها.

وكان تدميره لمدينة حماة جريمة فاقت أي طغيان سجله التاريخ، فقد حاصر المدينة المجاهدة، وقطع عنها الماء والطعام، وقصف بيوتها ومساجدها وأماكن العبادة فيها بكل أنواع السلاح، بالمدفعية والصواريخ والطائرات والدبابات، فهدم منها أحياء كاملة على من

فيها، واستباحها، وارتكبت عصاباته فيها من أعمال السلب والنهب والهتك ما لم يسبق له مثيل، ثم منع حافظ أسد أولئك الذين تمكنوا من مغادرة المدينة وهي تحترق، من العودة إليها مثل الذي فعله الصهاينة في فلسطين.

إن هذه السياسة القمعية الدموية لنظام حافظ أسد، إنما تستهدف تغيير الطابع التاريخي والسكاني لسورية، عن طريق محاربته للعروبة والإسلام، وفرض واقع غريب ومصطنع، يلغي انتماءها العربي، ويقطع صلتها العميقة بالإسلام، ويهدد بتمزيقها إلى دويلات طائفية.

لقد أصيبت سورية على يد هذا النظام بمرض الطائفية السياسية الذي لم يعرفه تاريخنا الطويل، إذ كانت العلاقات بين الأديان والمذاهب فيها، نموذج البلد الذي ارتفع بالعلاقة بين المواطنين إلى مرتبة المودة والمؤاخاة.

والطائفية السياسية هنا ليست تعدد الأديان والمذاهب، فهذه مسألة تضرب جذورها في التاريخ، وتجد علاجها في التعامل الوطني الديمقراطي، وإنما هي عصبية فئوية لنظام معزول عن الشعب، استخدمها لبقائه وتحكمه وطغيانه، إنها من مخترعات هذا النظام، ومن حفنة المتاجرين بالطائفية، وإثارة الفتن من نظام ينشر الرعب في أوساط بعض الطوائف، ويصور لها أن حياتها مهددة بالخطر من قبل الطوائف الأخرى، إن هي لم تؤيده وتتكتل حوله.

إن نظام الطائفيين الانتهازيين الذين احتلوا المراكز الحساسة والأساسية في الدولة والجيش وأجهزة الأمن، مراكز التقرير

والإشراف على التنفيذ، إنه النظام الذي مارس سياسة التمييز الطائفي التي ألحقت الأذى بأبناء طائفته التي حاول استغلالها ووضعها معه في صف معادٍ للشعب والوطن.

إن نظام حافظ أسد كارثة حقيقية، حلت بشعبنا ووطننا، وتمثلت بإلغاء الدور العربي الطليعي لسورية، وبالتسلط العسكري الدموي على لبنان بعد تدميره وتمزيق شعبه، وضرب الحركة الوطنية فيه، واغتيال عدد من قادتها، وذبح الفلسطينيين في مخيمات تل الزعتر والكرنتينا ونهر البارد وغيرها، كما تجسدت هذه الكارثة بالمواجهة الدموية مع المقاومة الفلسطينية في لبنان، بعد أن أغلق في وجهها حدود سورية مع الأراضي المحتلة، بقصد تحجيمها وتحويلها إلى مجرد أداة طيعة في سوق المساومة الدولية الرامية إلى فرض الاستسلام على العرب، وتمكين الكيان الصهيوني منهم.

النظام الذي كان فيه حافظ أسد وزيراً للدفاع وقائداً للجيش، وآمراً لسلاح الطيران، وعضواً في أعلى قيادة سياسية له، يتحمل مسؤولية هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧، ويتحمل حافظ أسد أكبر مسؤولية عن تلك الكارثة، حيث إنه حرم الجيش العربي السوري من شرف القتال، وسلم الأرض للصهاينة دون قتال، عندما أمر الجيش بالانسحاب الكيفي، وأعلن عن سقوط القنيطرة قبل وصول العدو إليها.

أما مسؤوليته عن حرب ١٩٧٣، فقد كانت أكبر وأشد خطراً، فبينما اعتقد ضباط الجيش ومقاتلوه أن الفرصة قد حانت ليستعيد

الجيش كـرامته، وتحرر سورية أرضـها، وتسهم في تحريـر فلسطين، تصرف حافظ أسد بما يناقض رغبات الجيش وتطلعات الشعب.

وعندما وصل الجيش العراقي البـاسل إلى أرض المعركة، وأسهم في وقف الاندفاع الصـهيوني باتجاه دمشق، أصـدر حافظ أسد أوامره بوقـف القتـال، فكـانت النتـائج العـملـية لتـلك الحـرب، أن احتـلت الصـهيونـية أراضي جـديدة في بلادنا، واسـتمر الـخط التآمـري وأبرم اتفـاق فك الارتباط مع الـعدو الصهـيوني، وتـمركزت قـوة المراقبـين الدوليين داخل أراضيـنا، وقبل حافظ أسد رسمياً بـقرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الذي يعترف بالكيان الصهيوني.

لم يكن تصـرف أسد على السـاحة العربية أو الـدولية مختـلفاً عن تصـرفه الـشائـن ضد شـعبـنا في سـورية، فـقد اسـتخـف حافظ أسـد بالمصلحة الوطنية السورية، وبتطلعاتها العربية والإسلامية، فجعل من الوحدة العـربية لعبـة يعبث بها، فـيدخل فيهـا أو يخرج منها، ويـتآمر عليها دون أي شـعور بالمسؤولية تجـاهها، يقيمها يومـاً مع هذا القطر العـربي أو ذاك، ليهـدمها، ويتـناساها في يـوم آخر، مسـتهدفـاً بذلك تمييـع شعار الوحدة العـربية، وزرع الشكوك حول إمكـانية تحقيـقها، كما حدث في حشوده على حدود الأردن الشقيق، وفي تمزيقه للصف العـربي، ومقاطـعته لمـؤتمرات القـمة العـربية، وسـعيه لإبقـاء الدول العربية عـاجزة عن رسم أي سياسة جـادة لمواجهة الكيان الصـهيوني، ونظراً لما يشكلـه القطر العراقي من مركز قوة في أي مواجـهة عربية، فقـد خص حافظ أسد الـعراق الشقـيق بأكبر قـدر من التآمـر والغدر،

فتحالـف مع شاه إيران، ومع الصهيونـية والإمبريالية، لتمزيق العراق وشغله داخلياً، وتحالف مع النظام الإيراني المدعوم من الكيان الصهيوني -في تلك الفترة- لاستنزاف طاقات العراق البشرية والمادية، وإبقاء العرب عاجزين عن وقف التدهور، والقدرة على النهوض في مواجهة الصهيونية، وأعداء الأمة العربية.

إن مجمل سياسات حافظ أسد المتمثلة داخلياً بإضعاف سورية وإجهادها، وتعميم القتل والدمار والتهجير فيها، وتهديدها بتمزيق وحدة شعبها وترابها، ومحاربته لعروبتها، واعتدائه على الدين الإسلامي فيها، وتهديم دور العبادة الإسلامية والمسيحية، وتشويه المناهج الدراسية، ولاسيما مناهج التربية الإسلامية، والخارجية المتمثلة كذلك فلسطينياً وعربياً، بتمزيق لبنان إلى طوائف متقاتلة، وعقد الاتفاقات مع العدو الصهيوني لاقتسام لبنان، كما في اتفاقية الخط الأحمر الشهيرة، ومحاولاته الدائمة لشق صفوف الثورة الفلسطينية لإنهائها، وتآمره على الوحدة العربية، والتضامن العربي الفعال، واستخفافه بالروابط التاريخية العميقة بين الإسلام والعروبة.

إن مجمل سياسات حافظ أسد هذه إنما تخدم واقعياً خطط الصهيونية في منطقتنا، وتجعل منه أداة منفذة لها، وخنجراً مسموماً تغرزه في جسم العروبة والإسلام.

ولما حَرَمَ هذا النظام شعبنا من كل حقوق المواطنة، وفَرَضَ على العباد هذه الأجواء السامة المخيفة، وجعل من التمييز الطائفي سياسة ثابتة، فقد أصبح شعبنا مضطراً للدفاع عن بقائه، وعن حقوقه

وحرياته، بكل الوسائل، وعلى رأسها الكفاح المسلح.

إن حمل شعبنا للسلاح -مع أنه حق تقرره له كل شرائع السماء والأرض، وواجب تفرضه عليه دواعي الدين والوطنية والنخوة والشرف- كان رداً طبيعياً على ممارسة القهر والظلم والتمييز الطائفي السياسي والقمع الدكتاتوري العسكري، والإرهاب الفكري، والتضليل الإعلامي، ومصادرة الحريات، وهدر حقوق الإنسان، وفقدان العدالة والقانون، وتعشيش الفساد، وتفشي الإثراء غير المشروع.

إن الدور الخياني والإجرامي الخطير الذي يلعبه هذا النظام، والذي دفع شعبنا إلى حمل السلاح، والنهوض بعبء المقاومة الباسلة، وتقديم ألوف الشهداء البررة، سيقتضي من جميع الأحزاب والتنظيمات والشخصيات الوطنية، أن تنهض بمسؤولياتها كاملة، في دعم ثورة شعبنا المجاهد وتطويرها لاختصار الآلام والمعاناة، والتعجيل بإعادة الصحة والعافية للجسم الوطني الجريح.

لذلك: فقد التقت التنظيمات والأحزاب والشخصيات الوطنية العازمة على إنقاذ سورية -عبر حوار بناء ومسؤول- على إسقاط نظام حافظ أسد الخياني، وإقامة النظام الدستوري النيابي، على أساس فصل السلطات، والذي يكفل تعدد الأحزاب والاتجاهات، ويتساوى فيه جميع أبناء الوطن بالحقوق والواجبات، النظام القائم على احترام كرامة الإنسان، وضمان حرياته العامة والخاصة في حدود الدستور والقانون، النظام الذي يرفض التمييز بين المواطنين جميعاً، على اختلاف أديانهم ومذاهبهم واتجاهاتهم، ذلك لأن مثل هذا النظام

وحده، هو النظام الذي يكفل إعادة سورية، لتؤدي دورها الوطني والعربي والإسلامي والدولي، وهو الذي يمتنع معه التفرد والتسلط، أو العودة لنظام الفردية والطائفية والتسلط، أو العودة لنظام القمع والإرهاب.

وكان لابد أمام هذا الخطر الداهم الذي يهدد سورية بتمزيق وحدتها الوطنية، وتفتيت شعبها، وجعلها عرضة للهجمة الصهيونية والاستعمارية، أن ترتفع جميع الأطراف إلى مستوى المسؤولية التاريخية التي تُحمّلها إياها طبيعة هذه المرحلة، فتنبذ خلافاتها، وتتجاوز سلبيات الماضي وتناقضاته وأخطاءه، وتبحث عن الإطار المشترك الذي يجتمع عليه أبناء هذا الشعب، لتعمل يداً واحدة، من خلال المبادئ المشتركة، على إنهاء الفرقة المصطنعة بين العروبة والإسلام، وإيجاد تحالف وطني بين هذه القوى، مفتوح أمام الجميع، قادر بإذن الله على إسقاط نظام الخيانة، وإرساء الأسس الصالحة، لحياة سياسية نشطة، ومتفتحة، تكون سورية في ظلها مصدر إشعاع في جميع المجالات الوطنية والعربية والإسلامية.

ب- وتعبيراً عن المعاني الوطنية السامية، والتزاماً بها، فقد اتفق أطراف التحالف على المبادئ التالية:

- العمل الجاد الدؤوب لإسقاط النظام الحالي، باعتماد كافة الوسائل: السياسية، والإعلامية، والجماهيرية، والنضالية لتحقيق هذا الهدف.

- محاكمة كبار المسؤولين في هذا النظام عن جرائمهم التي

ارتكبوها في حق الشعب والوطن.

- تأليف حكومة مؤقتة، تقوم فور إسقاط النظام الحالي، وتعمل بأسرع وقت ممكن للإشراف على انتخاب مجلس تأسيسي، بغرض وضع دستور دائم للبلاد.

- الإسلام دين الدولة، والشريعة الإسلامية هي المصدر الأساس للتشريع والتقنين، باعتبارها تراثاً حضارياً وفقهياً للعرب وللمسلمين كافة، بل وللإنسانية جمعاء، لا يمس تطبيقها حقوق غير المسلمين في عقيدتهم، وأداء شعائرهم، وتطبيق قوانينهم الخاصة بهم، بكل حرية وأمان.

- ضمان الحريات العامة لجميع المواطنين في سورية، وفي مقدمة ذلك حرية الاعتقاد، والتعبير، والاجتماع، وتأليف الأحزاب السياسية.

- إعادة بناء الجيش العربي السوري، وسائر مؤسسات الدولة، على أساس الإخلاص والكفاءة، ومبدأ تكافؤ الفرص، بما يعيد ويحفظ الوحدة الوطنية في سورية ضماناً لدورها الرائد في المنطقة.

- معالجة الأوضاع الاقتصادية المتدهورة، وإعادة بناء الاقتصاد السوري على أسس متينة، بما ينهي -بكل حزم- حالة الاستغلال والسلب والنهب والرشاوى، ودعوة الخبرات والطاقات المهاجرة، لتساهم في إعادة بناء البلاد.

- إنقاذ العمال والفلاحين والفئات الكادحة، من عبث النظام في

مكتسباتهم، والعمل على تعزيز هذه المكتسبات التي حققوها في نضالهم الطويل منذ فجر الاستقلال.

- إعادة النظر في المناهج الدراسية، والمعاهد العلمية، وجميع مؤسسات الدولة، بما ينقذها من حالة التردي الراهنة، ويؤهل البلاد للاضطلاع بمسؤولياتها كاملة.

- التعويض الكامل لذوي الشهداء والمتضررين والمصابين في مرحلة الصراع ضد النظام الخائن.

- الإيمان المطلق بتحرير فلسطين من الاغتصاب الصهيوني، والهيمنة الإمبريالية، واعتماد كافة الوسائل التي لا تفرط بالحق العربي والإسلامي فيها، والسعي لتعبئة كل الطاقات، البشرية والعسكرية والسياسية من أجل التحرير.

- التضامن الكفاحي مع الثورة الفلسطينية، وممثلها الشرعي والوحيد، منظمة التحرير الفلسطينية، من أجل تحقيق أهداف الشعب العربي الفلسطيني في التحرير، واستعادة وطنه.

- العمل الجاد من أجل أوثق العلاقات العربية الأخوية مع الدول والمنظمات العربية، وحشد جميع الطاقات لمواجهة الأخطار التي تهدد الوجود العربي.

- النضال الجاد لإقامة الوحدة العربية، وبذل كل الجهود لاتخاذ خطوات وحدوية عملية في هذا السبيل.

- إقامة أوثق العلاقات الأخوية مع العالم الإسلامي -شعوباً

ودولاً ومنظمات- بما يعزز دور الرسالة الإسلامية في العالم أجمع باعتبار الإسلام عمقاً إستراتيجياً ومبدئياً للعروبة، وأن المسلمين هم سند قوي للعرب، ورافد أساسي للشعب العربي.

- عدم التورط في الصراعات الدولية، والالتزام بمبادئ حركة عدم الانحياز، واعتماد سياسة خارجية مستقلة.

إن سورية التي كانت أول بلد حقق الاستقلال التام في العالم العربي لجديرة بأن تتجاوز مأساتها، وإن الأطراف المشاركة في هذا التحالف لتطمح أن يكون هذا الميثاق محوراً للحركة الحالية، وإطاراً للمستقبل الدستوري والعملي للسياسة السورية، وإن هذه الأطراف كلها لتأمل أن تكون الجمهورية القادمة في سورية، معقد الأمل، ومحط الرجاء، على المستويين العربي والإسلامي.

وقد حرصت أطراف هذا التحالف، على أن يجتمع في سيرها: الأصالة مع المعاصرة، والأخلاق مع التقدم، والعدالة مع إطلاق الطاقات، وهي إذ تستلهم من الله التوفيق، وتسأله سبحانه النصر، فإنها -أي أطراف التحالف- لتدعو الشعب العربي في كل أقطاره، وتناشد شعوب العالم وقادته، دعمها في كفاحها العادل، لإنقاذ سورية من المأساة التي تعانيها، وإقامة نظامها الديمقراطي متعدد الأحزاب.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾
صدق الله العظيم/ ١٥ جمادى الأولى ١٤٠٢ الموافق ١١ آذار ١٩٨٢ .

صادقت عليه الهيئة التأسيسية التي تمثل كل أطراف التحالف بالإجماع، وتم بعد ذلك تشكيل الأمانة العامة -قيادة التحالف- لعدم الاتفاق على أمين عام لفترة طويلة، ثمَّ تمّ تكليفي بمهمة الأمين العام للتحالف فيما بعد.

جـ- في وقت لاحق من هذه الفترة تمت ولادة الجبهة الإسلامية التي ضمت في صفوفها الإخوان وطيفاً واسعاً من العلماء، عقدوا اجتماعات كثيرة في عدد من المدن على هامش الحج والعمرة، كان منها مؤتمر في مكة المكرمة بمناسبة موسم الحج، وأكدوا فيه على اختيار الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رئيساً للجبهة، والشيخ أبو النصر البيانوني أميناً عاماً، غير أن أهم اجتماعات الجبهة الإسلامية كان في الرياض حيث ضم كبار علماء سورية من جميع المدن السورية.

حضر من حلب سبعة علماء كبار، ومن حماة عدد قريب من ذلك، ومن شيوخ أجلاء، وكذا من حمص ودمشق ودرعا وغيرها، وكانت المودة بين الجماعة والعلماء سائدة وملموسة، وقد ذكرت في كلمة قصيرة أن على شباب الإخوان أن يستفيدوا من علم العلماء باعتبارهم جماعة إسلامية تدعو إلى الله على بصيرة ، وأن يتلقوا توجيهات المربين من السادة العلماء لينشروا الأخلاق الإسلامية والآداب المحمدية، ويتمثلوا مبادئ الإسلام المنقذة للبشرية جمعاء، وكذلك ينبغي على شباب الجماعة أن يتعاونوا مع جميع طلاب العلم وتلاميذ الشيوخ والمريدين من كل المشارب، لتنشأ لحمة بين جميع العاملين للإسلام، تجعل منهم جسداً واحداً وبنياناً متراصاً، كما

ذكرت تقصير الإخوان أحياناً مع السادة العلماء، ووجوب احترامهم والاستفادة من علومهم وتوجيهاتهم، فكان لهذا الحديث المقتضب أثر إيجابي كبير في نفوس الحاضرين، حتى إن الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله وغفر لنا وله، قال لمن يجلس بجواره: لو تحدثت في هذا اللقاء لأشرت إلى تقصير الشيوخ والعلماء مع أبناء الدعوة من جماعة الإخوان المسلمين.

غير أن ظروفاً كثيرة طرأت على هذه الجبهة حالت دون استمرارها في عملها، وتطوير أنشطتها، من ذلك أن بعض العلماء آثروا الانكماش، والعمل على عودتهم إلى سورية للنهوض بأعمال العمل الدعوي بعد أن فرغت الساحة السورية، أو كادت من كثير من علماء سورية الموثوقين لدى جماهير المسلمين في أرجاء الوطن، ومنها أن بعض العلماء ظنوا أن الجماعة تستأثر بالعمل ولا تشارك العلماء المشاركة المطلوبة، ومنها أن عدداً من الشيوخ فضلوا الانصراف إلى التعليم والتوجيه، وجمع التلاميذ على الدراسات القرآنية والنبوية والفقه الإسلامي، لتنشئة عدد من العلماء يضطلعون بمسؤولية الدعوة إلى الله، وتوعية أبناء الشعب بأمور دينهم وعلوم إسلامهم.

٤ - جرت حوارات كثيرة مع نائب الرئيس العراقي الأستاذ طه ياسين رمضان، وحوارات قليلة مع الرئيس العراقي صدام حسين، سأقتصر على نموذجين منها:

أ- كان السيد طه رمضان يحضر للحوار مع الإخوان على رأس ثلاثة من أعضاء حزب البعث سوريين وعراقيين، ويتحدث باسمهم،

وكان الإخوان يحضرون بعدد أكبر، ويحاول كل منهم أن يكون متحدثاً، وفي ذات يوم تناول الحوار الأفكار لكل فئة، فقال نائب الرئيس طه ياسين:

- إننا نقدر في الإخوان صلابتهم وتمسكهم بمبادئهم، وهذا ما يجعلهم موضع احترام لدينا، ثم قال: نحن كذلك نتمسك بشعاراتنا، ونحرص عليها، ولا نتساهل بها، فلو قلنا لكم مثلاً: تركنا مبدأ الحرية، فهل تصدقوننا؟

قلت له: لا.

ثم قال: لو قلنا لكم تركنا مبدأ الوحدة العربية، فهل تصدقوننا؟

قلت له: لا.

ثم قال: لو قلنا لكم تركنا مبدأ الاشتراكية، فهل تصدقوننا؟

قلت: نعم، نصدق ذلك، لأن في الشريعة الإسلامية غنى عن الاشتراكية، وعن المذاهب الأخرى المستوردة.

فسكت، ولم يعقب على ذلك بأي كلمة سلبية أو إيجابية.

لقد كان طه ياسين يتجاوب مع كل آرائنا ومواقفنا وطلباتنا، فيما يلزم أعضاءنا من الانتساب إلى الجامعات، وحمل الجوازات وتسهيلات السفر وغير ذلك، حتى إن بعض الحزبيين السوريين البعثيين كانوا يطلبون منا مراجعته في الأمور التي لا يلبيها لهم، فقد طلبوا حصة من الدواء الذي توزعه وزارة الصحة على صيدليات

القطر، وأن يخصص للجالية السورية صيدلية وحصة لها، فلم يستجب، وطلبوا تشكيل هيئة لمساعدة الضعفاء من أبناء الجالية، فلم يلب طلبهم، وعندما راجعته في الأمرين بأسباب طرحتها له، استجاب قائلاً: بهذه التفسيرات لا نرد مثل هذه الطلبات.

كان الأستاذ طه ياسين رمضان، رحمه الله وعفا عنه، متفاعلاً مع تنظيمنا، ومقدراً لأفكارنا ومواقفنا، ومستجيباً لكل ما يعنينا، وفي ذات يوم حمل مفتاح سيارة لي في بيت الضيافة الذي كنت فيه نزيلاً، فقلت:

- أشكركم جزيل الشكر، فإن أي هدية تحرجني ولو كانت قلم رصاص، وعندما نضطر سوف نقبل هديتكم باحترام.

وكان لهذا الموقف ما بعده، فعندما استوردت سيارة من المنطقة الحرة في الأردن، وطلبت جمركتها، جاء الرفض على لسان النائب من رئيسه، فربطت بين الأمرين في عدم قبولي الهدية الذي لم يألفوه ولم يصادفوه، ولم يرتاحوا له، وبين عدم الموافقة على جمركة السيارة المستوردة، فاضطررت إلى بيعها بثلث تكاليفها دون حسرة أو ندم، وإنني أسجل كل الامتنان للأستاذ طه ياسين رمضان على مواقفه منا خلال عشرين عاماً، طالباً له من الله تعالى الرحمة، وأن يتغمده بالرضوان والغفران.

ب- أما النموذج الآخر من الحوار، أو النماذج الأخرى معه، فأذكر منها حوارين مهمين، كان الأول عندما جئنا إلى بغداد لأول مرة

على شكل وفد برئاسة الدكتور حسن هويدي رحمه الله، والثاني عندما طلب الرئيس صدام عن طريق نائبه إجراء حوار مع الإخوان حول المبادئ والأفكار، وأثبت هنا كلا الحوارين لأهميتهما في علاقتنا مع العراق كواحدة من العلاقات التي شملت دولاً عربية وإسلامية وأجنبية في أنحاء العالم كما سيأتي.

في الحوار الأول مع الرئيس صدام حسين، غفر الله لنا وله، جاء مندوبنا في بغداد الدكتور رشيد عيسى ينقل رغبة القيادة العراقية للقيام بزيارة رسمية إلى بغداد، فتشكل وفدنا من الدكتور حسن هويدي المراقب العام رئيساً وعضوية كاتب هذه السطور، والشيخ سعيد حوى رحمه الله، وآخر لم يستطع اللحاق بنا.

استقبلنا مدير المكتب السوري السيد نزار حمدون رحمه الله، وحملنا بسيارته إلى مقر الضيافة الذي نزلنا فيه، وبتنا ليلتنا مساء الأحد، وفي يوم الاثنين الذي تلاه فوجئنا مساءً بترتيب اللقاء مع الرئيس، فحملتنا السيارات إلى قصر الرئاسة المطل على النهر بجانب جسر ١٤ تموز، ومكثنا بعض الوقت في الانتظار، ثم انتقلنا مع الرئيس ونائبيه إلى جهة نائية في حديقة القصر الواسعة، ومعهم للإنارة نيون صغير أو شمعة حسب التسمية العراقية، فكان تعليق الرئيس على ذلك:

- إن العدو لم يترك سلك هاتف أو شريط كهرباء إلا استخدمه. تبريراً لجلوسنا في أرض فلاة، والاكتفاء بإنارة خافتة دون الإنارة الساطعة بالكهرباء.

كان المتحدث بادئ ذي بدء الدكتور حسن هويدي رحمه الله، فأسهب في كلمته التي كانت يغلب عليها الأسلوب الخطابي والمشاعر العاطفية، ليثير حماسة الرئيس صدام على ما يقع على السوريين ولاسيما المعارضون من تعذيب وتنكيل واضطهاد وحشي، لم تشهده سورية من قبل.

استمر الدكتور حسن في كلمته زهاء ساعة والرئيس يصغي، بل يحسن الإصغاء، وعندما انتهى عقّب صدام على الكلمة قائلاً:

- هل طلبتم شيئاً وحجبناه عنكم؟ هل تريدون أن نحمل لكم الدبابة إلى حلب؟

ثم شرع الرئيس في كلام مفصل استمر زهاء ساعة، عرض فيه لموضوعات متنوعة كثيرة، كان من أهمها أن إقامة مجتمع إسلامي، كما تهدفون، ليس بالأمر الهين أو السهل، وقال: إذا أراد مهندس أن يشيد بناءً على الأرض في كل مراحله، فإن ذلك أسهل عليه من ترميم بناء متصدع طال عليه الزمن، وقد فهمنا من شرحه أن المجتمعات العربية الإسلامية في أكثرها متصدعة واهية، والعمل على إصلاحها يحتاج إلى جهود كبيرة، وإرادات صلبة وعزائم قوية، وعندما انتهى من حديثه استأذنت بالكلام فقلت دون مقدمات:

- عندما جيء بصناديد قريش وقادتها مكبلين بين يدي رسول الله ﷺ بُعيد انتصار المسلمين في بدر، نظر إليهم سيدنا رسول الله ﷺ وقال: لو كان المطعم بن عدي حياً لجعلتهم فداءه، وكان المطعم قد

مات كافراً، وكان شديد الوطأة على أبي طالب كعضو في وفد قريش الذي طالب أبا طالب بتسليم ابن أخيه لقريش وتسليمه رهينة من قريش مقابل ذلك، والمطعم كان أحد الموقعين الخمسة من زعماء قريش على صحيفة المقاطعة لمحمد ﷺ ومن معه، والتي كانت معلقة في جوف الكعبة، لكن المطعم هذا كان له يد عند رسول الله عندما أدخل محمداً ﷺ في جواره بعد عودته من الطائف في رحلة شاقة تعرض فيها ﷺ لإيذاء السفهاء من ثقيف، فلم ينس عليه الصلاة والسلام هذا الصنيع للمطعم بن عدي، بل تذكره في يوم كريهة عاقب الله فيها قريشاً. وعندما جاءت امرأة من البادية ودخلت على النبي ﷺ فسأل ممن هذه المرأة، فقيل له: إنها من بني سعد، خلع ﷺ رداءه وفرشه لها إكراماً لحليمة التي كانت من بني سعد.

يا أبا عدي: ليس الوفاء دَيْناً في أعناقنا فحسب، ولكنه عقيدة في أفئدتنا، إننا لن ننسى معروفكم نحن وشبابنا وأبناء تنظيمنا ما دمنا أحياء نتنفس الهواء.

وتكلم الشيخ سعيد حوى رحمه الله لمدة خمس دقائق بعد أن انتهيت من كلامي الذي استمر زهاء ربع ساعة، وورد في كلام الشيخ وهو يخاطب صدام كلمة رفيق، فأسرع صدام قائلاً: لا أحب هذه اللفظة لأنها جاءتنا من الخارج، وكان آخر المتكلمين الأستاذ عزت إبراهيم لمدة دقيقة واحدة قال فيها: كم كنت أتمنى أن يحدث مثل هذا اللقاء، أما وقد حدث، فأقتصر على كلمة واحدة هي: الحمد لله.

عدنا إلى مكان النزل المخصص لنا في حي المسبح على شاطئ

دجلة، وبعد يومين من المكث فيه والتجول في عاصمة الرشيد وما لمسناه من إكرامنا واحترامنا عدنا أدراجنا إلى مدينة عمان، ونحن نشعر أن هذه الرحلة كانت ناجحة بكل المقاييس، وأن العراقيين المعروفين بالنخوة والشهامة العربيتين فتحوا لنا الأبواب على مصاريعها، التحاقاً بالجامعات، وحملاً للجوازات، وتدريباً على صنوف السلاح، وتسهيل حركة الأسفار، وما إلى ذلك من الخدمات اللوجستية، فجزى الله العراق وأهله خيراً على معروفهم الذي لا يمكن لأبناء دعوة الإسلام أن ينسوه أو يمحى من ذاكرتهم، وهذا من الوفاء الذي تعلموه وتلقوه من قائدهم وسيدهم وحبيبهم المصطفى ﷺ.

الحوار الثاني مع الرئيس كان ذا أهمية من لون آخر، فقد ذكر لي السيد نائب الرئيس كلاماً نقله عن الرئيس قال فيه:

لقد قال السيد الرئيس: هل ستبقى علاقتنا مع الإخوان مقتصرة على التدريب والسلاح؟

فشعرت بالغبطة والبهجة وأجبت: إن هذا يسرنا كثيراً، ونرحب به، ونوافق عليه، وقلت: إن الشخصيات الإخوانية التي تتقدم على غيرها هم: فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله، وفضيلة الدكتور حسن هويدي رحمه الله، والفقير إلى عفو ربه كاتب هذه الكلمات.

لم تمض إلا أيام -وكنا في اجتماع للهيئة التأسيسية- إذ جاءنا خبر مكتوب بأن الرئيس بانتظار زيارتنا له في قصر الرئاسة، وفي

داخل الجلسة تداولنا أمر الزيارة، فكتب لي فضيلة الشيخ عبد الفتاح على ورقة صغيرة: ماذا ينبغي علينا من مواقف في هذه الزيارة الأولى -وكان الشيخ رحمه الله كثير الاستشارة- أجبته كتابة:

- أرى أن نقتصر في الحديث الأول مع الرئيس صدام على ما يتحدث عنه أهل الدعوة والتبليغ من عقيدة وعبادة ومكارم الأخلاق.

أجاب الشيخ كتابة: هذا ليس كافياً.

فهممت أن أكتب فلم يتح لي ذلك، لأننا طلبنا للتوجه إلى حيث ينتظر الرئيس، ركبت إلى جانب الشيخ في المقعد الثاني من السيارة، ولم يكن معنا أحد باستثناء السائق، فأجبت شيخنا مشافهة وهمساً:

- إن الرئيس يصادف ويقابل العشرات بل المئات ممن يمدحون ويتملقون، وأظنه لا يلتقي إلا القليل الذين يقولون ما يرضي ربهم، ويريح ضمائرهم، ويشهدون شهادة الحق.

دخلنا القصر، فإذا بالرئيس قد أعد عشاءً من المشويات على الطريقة العراقية في كل مساء. لقد كان صدام لطيفاً للغاية، وكانت أحاديثه لطيفة طلية، وعندما بدأنا بتناول الطعام، قدم لكل منا -نحن الثلاثة- طبقاً ملأه بالطعام، ثم أعاد الكرة بعد حوالي عشرين دقيقة ليقدم لنا أطباقاً أخرى بيده ملأها باللحوم والطعام.

بعد أن فرغنا من تناول الطعام شرع الرئيس يوجه جملة أسئلة، ويستفسر عن بعض الأفكار، وكان مما وقف عنده، حكم الإسلام في موضوع الرق، فأجاب شيخنا أبو غدة رحمه الله إجابات فقهية في

هذا الشأن.

شعرت أن الرئيس يحمل في داخله أفكاراً متباينة بين ما تلقاه من حزب البعث الذي كان يتهم الإسلام بتبنيه لنظام الرق، وبين ما ورثه عن بيئته المحافظة في تكريت، وتذكرنا صراعاتنا مع البعثيين السوريين في أربعينيات القرن الماضي وما تلاها من نيلهم للدعوة الإسلامية واتهامها بتبني أنظمة الإقطاع والرق، وتهجمهم على أحكام العقوبات، تلك المواقف والأفكار التي انتقلت منهم إلى بعث العراق، وهذا كله يتناقض مع البيئة العراقية وما نشأت عليه من التقاليد والأعراف والغيرة على الإسلام.. إلخ.

لقد وقع في نفسي أن الرئيس صدام يناقش في داخله هذه التناقضات، ولاسيما أن العمر قد تقدم به، وأضحى في أواسط الخمسينيات، فأراد أن يستمع إلى قادة من الحركات الإسلامية أو الإخوان حول آرائهم في مسائل جدلية أثارت في الماضي نقاشات وحوارات ساخنة.

استأذنت بالكلام، وناقشت موضوع الرق من زاوية فكرية، فقلت: جاء الإسلام والبشرية كلها تتعامل بنظام الرق، وكأنه جزء من الطبيعة البشرية والحياة الاجتماعية، فقد أقره سقراط ودافع عنه، وأكد عليه أفلاطون، وجعله جزءاً من المجتمع في جمهوريته المثالية، وأقرته الديانة اليهودية، وكذا المسيحية، وتعاملت الإمبراطوريات والحكومات والدول والمجتمعات على أنه جزء من الحياة العامة، فعالج الإسلام هذه الظاهرة على ثلاث مراحل: بشَّرَ في الأولى بالعتق

وشجع عليـه، وفتح له ستة عشـر باباً يخرج منها الأرقـاء إلى ساحات الحرية، فالذي يضـرب رقيقاً فكفارته أن يعتقه، ومن يـحنث بيمينه أو يقارب زوجـه في أثناء الصـيام فالكـفارة عتق رقـيق، ومن قتل إنـساناً وهو عاجـز بطبيعة الـحال أن يرد له الحيـاة، فليرد الحريـة إلى رقيق، فيـعتقـه ويأخذ بيده إلـى الحياة الـحرة الكريمـة، وكأنه رد الحـياة إلى مخلوق بديـل، وإذا رغب الرقيق بالعتق فـعلى سيده أن يستـجيب له، ويكتب معـه اتفاقاً يسدد الرقـيق بموجبه أقسـاطاً من المال ثمناً لعـتقه وحريتـه كما جاء فـي كتاب الله العـزيز: ﴿فَكَاتِبُـوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِـيهِمْ خَيْرًا﴾ . . وهكذا، كما سدَّ الإسلام في هذه المرحلة أبواب الاسترقاق كلها، واعتبر ذلك (أي استرقاق الحر من الجرائم الكبرى) باستثناء ما يقع في الحروب لأنها من قبيل المعـاملة بالمثل، ويتوقف حالها على اتفاق الأطراف في معـاهدات دولية كما حدث في نهايـة القرن التاسع عشر الميلادي.

أما الـمرحلـة الثانـية فـهي التعـامل مع الأرقـاء كأفـضل مـا يكون التـعامل الإنسـاني، إذ كانت وصـية المـصطفى ﷺ: أطعـموهم مـما تأكلون، وألـبسوهم مـما تلبسـون، ولا تكلفوهـم ما لا يطيقـون، فإن كلفتموهم، فـأعينوهم، وفي ظل هذه المعاملة الكريـمة الراقية برز في صفـوف الرقيق علـماء وفقـهاء وقضـاة كبار، جلـس البعض من عـلية القوم بمن فيـهم الخلفاء أمام منصة الـقضاء ليحاكمهـم ويصدر حكمه عليهم قضاة، كانوا في يوم ما عبيداً، فرفعهم الإسلام إلى مصاف قادة الرأي والفكر والفقه والقضاء.

في المرحلة الثالثة عقدت دول العـالم اتفاقاً دولياً نصَّ على تحرير الرقيـق في كل الحالات، ومنـها الحروب، لـيحل محلـه الأسر، وتم التوقيع عـلى ميثاق بذلك، سرعان مـا استجاب له المسلـمون ووقعوه مختارين في عهد السلطان العثماني عبد الحميد وما بعده.

كان الرئيس صدام يصغي باهتمام إلى مـا ذكره شيخنا عبد الفتاح، وإلى ما ذكـره كاتب هذه السطور، وشـعرنا أنه كان مـرتاحاً لما قـدمه قادة الإخوان من أفكار وطروح وشروح لمخـتلف القضايا، كان علاج الإسلام للرق من أولها وأهمها.

٥ - كان السودان يـشكل في نفوسنا أمـلاً كبيراً في تجـربة الحكم الإسلامي أو المجتمع الإسلامي منـذ أن أعلن الرئيس السوداني جعفر النمـيري أنـه بصدد تطـبيق مـبادئ الشـريعـة الإسلامـية في المـجتـمع السـوداني، والتي لم يـكتب لهـا النجـاح إلا في حيـز ضيق، وكـانت الجبهة القومية الإسلامية بزعـامة الدكتور حسن الترابي ناشطة وفاعلة، وتعمل وتخطط على تنفيذ مشروعها الإسلامي.

بَذَلْتُ جهـوداً كبيرة باءت كلهـا بالفشل من أجل إيجاد عـلاقة بين العراق وبين الجبهة القومية الإسلامية في السودان، وكان التسويف أو الصمـت هو السائد، ولـم أجـد لذلك تفسـيراً بعد أن عـرفت الطبيـعة العـراقية الـتي تبـادر دونما تردد فـي الحوارات مع الآخـرين، وإقـامة الصلات السـياسية والتحـالفية معهـم، استمرت هذه الجهـود منذ عام ١٩٨١ وحتى العام ١٩٨٣ .

وفي ذات يوم قال لي نائب الرئيس في إحدى زياراتي له:

- هل تعرف بدر الدين المدثر؟ الأمين العام القطري لحزب البعث السوداني؟

قلت: لا، ولكنني أسمع به.

فاتصل هاتفياً به، وقال له: أتعرف أبا عامر؟

وكأن الجواب كان: لا أعرفه، فاقترح زيارتي له في القيادة القومية (القريبة من مبنى قيادة الجيش الشعبي) التي كان المدثر يداوم فيها، وعندما التقيته أحببت أن يكون الجو بيننا طيباً والحديث محبباً، فقلت:

- إن السودانيين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم يوقرون الإسلام، ويحملون في صدورهم جذوة الإيمان.

فإذا به يسكت، ولا يبادل هذا التلطف معه بمثله أو ببعضه، ثم استدعى بدر الدين المدثر موظفاً لديه قائلاً له:

- اكتب محضر هذه الجلسة.

فاعترضت على ذلك قائلاً للكاتب: ارفع القلم والورق، فإنني جئت في زيارة مجاملة، ولا حاجة أو ضرورة لكتابة محضر لهذه الزيارة.

وبعد دقائق من تجاذب أطراف الحديث، قال المدثر:

- إن الرفيق طه يطلب إقامة صلة مع الجبهة القومية الإسلامية في السودان، لكنني كنت أعترض على ذلك.

فقلت في نفسي، وجدت التفسير لتلكؤ العراقيين في إقامة صلة مع الجبهة في السودان، كما وجدت الخصم العنيد للجبهة، والنظر إليها بمنظار حزبي مناوئ، وكان المدثر يعوض عن ضعف حزبه في السودان بالمبالغة في مدح الرئيس العراقي وإرسال البرقيات المطولة التي يملأ بها الصفحات، وهو قابع في مبنى القيادة القومية تعويضاً عن ضعف الحزب جماهيرياً في السودان حيث لم يستطع -رغم المساعدات العراقية السخية له- أن يشق طريقه، فعندما جرت الانتخابات الحزبية في عهد سوار الذهب، نال حزب الأمة مليوناً ونصف مليون صوت، ونال الاتحادي مليوناً ومئة ألف صوت، ونالت الجبهة القومية الإسلامية تسع مئة ألف صوت، ونال الحزب الشيوعي ٦٤ ألفاً، ونال حزب البعث بقيادة المدثر ٣٢ ألف صوت، رغم أن إحدى دفعات العراق من الدولارات دعماً للانتخابات النيابية كانت خمسة ملايين كما سمعت ذلك من حسن الترابي ومن الصادق المهدي حسب شهادة الجمارك.

أ - كانت زيارتي لمقر القيادة القومية مفيدة للغاية، إذ عرفت منها ما كنت أجهله، مما حملني على تغيير التكتيك في بذل المساعي الحميدة والمجدية لإقامة علاقات سودانية قوية من العراق، فشرعت في مباحثات جديدة مع الأستاذ طه رمضان حول موضوع الصلة مع السودان، باعتبار حزب البعث السوداني الضعيف جداً يشكل حاجزاً لتطوير هذه العلاقة، وأن الجبهة منفتحة بأفكارها وحواراتها، وأنها ترغب بإقامة علاقات دبلوماسية حميمة مع الآخرين من الدول العربية

لصالح التعاون والتضامن العربيين، فراجع السيد النائب رئيسه في هذه الشؤون، وتقرر إجراء حوار، وإقامة صلات على مستوى الحكومات والدول والقيادات العليا بصرف النظر عن موقف الحزب القطري الذي له أن يتصرف بحدود صلاحيته وقطريته.

من جهة أخرى زرت السفير العراقي عاصم الجعفري في مكتبه في الخرطوم وسألته: هل لك أي صلة أو معرفة بالجبهة ورئيسها الدكتور الترابي؟

قال: لا، ولكنني أرغب في ذلك، ويمكنك أن تحمل له ولعدد من إخوانه دعوة للغداء في منزلي.

وكان الوقت قريباً من الزوال وصلاة الظهر، فانتقلت على وجه السرعة إلى مقر الجبهة، وبلغت الترابي أن السفير العراقي يأمل بحضورك إلى منزله لتناول طعام الغداء مع نفر من إخوانك.

فخاطب اثنين من إخوانه، ليتهيؤوا لذلك، وعندما أبلغت السفير تلبية الترابي لدعوته، فوجئ بذلك وهُرع إلى مقر الجبهة لتعزيز دعوته والالتقاء بالترابي.

في منزل السفير جلسنا نتحدث عن مصالح الأمة، وعن الحرب العراقية الإيرانية وشؤون السودان، فكان لقاء مثمراً وودياً للغاية، ثم قال مسؤول العلاقات الخارجية في الجبهة الدكتور عبد الله سليمان العوضي:

- ما رأيكم بتناول طعام العشاء في منزلي؟

فاستجاب الحضور، واجتمعوا على طعام العشاء، وهكذا تمت في أقل من عشرين ساعة ثلاثة لقاءات بين العراقيين والسودانيين، في مقر الجبهة، وعلى طعام الغداء، وكذا على طعام العشاء، فأنهينا في هذه الساعات الخمس عشرة ربع قرن من التباعد والقطيعة. وكتب السفير العراقي تقريراً رفعه إلى حكومته حدثهم فيه عن هذا التقارب السريع.

ب- كانت الحرب في جنوبي السودان على أشدها، فتوجه محمد أمين خليفة عضو مجلس قيادة ثورة الإنقاذ، ورئيس البرلمان السوداني المؤقت إلى بغداد، والتقى الأستاذ عزت إبراهيم، وجرت بينهما أحاديث كثيرة سمعت تفصيلات عنها من الأستاذ محمد أمين خليفة، كان منها ما نصح به نائب الرئيس العراقي السودان بوجوب المصالحة مع جنوبي السودان على غرار ما فعلته قيادة العراق من اتفاق مع الأكراد في شمالي العراق، ولما علم الأستاذ عزت بما يعانيه السودان من شح الوقود قال لضيفه: اذهب إلى عدن، فإن للعراق كميات من البترول في عدن لتكرارها في مصفاة عدن الكبيرة، اذهب إلى هناك، واستلم كل ما عندهم من البترول العراقي: سواء الخام منه، والمكرر، ثم أردف الدوري قائلاً: هذا البترول هو ملك الأمة كلها وليس للعراق فحسب، وإن كان ينبع من أرضه.

جـ- وجد السودانيون الحل لأزمة الوقود لدى إخوانهم العراقيين الذين لم ينس السودانيون صنيعهم ومواقفهم ومعروفهم، ثم تتالت مجالات التعاون في كل الميادين بسرعة فائقة، أكثر مما كان متوقعاً،

كان من أهمها توريد السلاح الذي كان السودانيون بأمس الحاجة إليه في حربهم مع الجنوبيين المحرضين والمدعومين من القوى المعادية، والذين يواصلون زحفهم بتأييد الغرب والشرق والفاتيكان وكوبا، لاحتلال الشمال، فتدفقت الأسلحة بكميات كبيرة جداً، حتى صار ما وصل إلى كل موقع في السودان من السلاح بقدر ما كان لدى السودان كله، كما قال أحد كبار السودانيين الذي سمعت منه، حتى بلغ ثمن ما استلمه السودانيون من العراق مليار دولار، فقال لهم صدام، حسب القائمة التي استلموها من السلاح: هذا السلاح يقدر بمليار دولار، فإن استطعتم دفعها، وإلا سامحناكم به كأشقاء لنا، فاستطاع الجيش السوداني أن يرد هجمات الجنوبيين، ويبعدهم عن منابع النيل التي كانت على بعد ميلين من زحف الجنوبيين.

حاول البعثيون السودانيون القيام بانقلاب بقيادة اللواء دلول المسرَّح من الجيش، وهو من دفعة الرئيس البشير، فاستدعاه وحذره من تحركه الذي عرفت الحكومة تفصيلاته، فأنكر ذلك، ووعد بالابتعاد عن أي تحرك، وقد كان في إجابته مراوغاً ومخادعاً، فلم تمض أيام قليلة حتى قام بمحاولة انقلاب دعمته فيها دول عربية أخرى، لكن باء بالفشل، ولم يتمكن من الاحتفاظ بالأمكنة التي احتلها في جوار الخرطوم -موقع الشجرة- وألقي القبض عليه وعلى مساعديه في الانقلاب، فكلفه ذلك حياته وحياة عدد ممن شاركوه بعد محاكمات عسكرية حكمت بإعدامهم.

خشي البعض أن يتوقف الدعم العراقي بعد محاولة الانقلاب

الفاشلة التي قام بها بعثيو السودان، لكن الواقع أثبت عكس ذلك، فبعد المحاولة خرجت من البصرة باخرة تحمل للسودانيين أكبر كمية من السلاح سبق أن أرسلها العراق إلى الخرطوم.

زادت وتيرة التعاون بين العراق والسودان، لتشمل كل الميادين العسكرية والبترولية، وفي مجال الطيران، في التدريب وغير ذلك، وكثرت زيارات الوفود المتبادلة بين بغداد والخرطوم التي شملت اتحادات الطلاب والشباب، والاتحاد النسائي، والبعثات العسكرية في مجالات كثيرة وغير محدودة.

إنّ السودانيين جميعاً من رجال وشباب ونساء وسياسيين وإعلاميين وأكاديميين، لا ينسون موقف العراق من بلدهم، ووقوفه بجانبهم في أحرج الأوقات التي مر بها السودان، ومد يد المساعدة إليه، في وقت كان فيه السودانيون أشد ما يكونون احتياجاً إليها.

يذكر السودانيون ذلك في كل مناسبة، ليكون هذا التعاون بين البلدين أنموذجاً حياً للتضامن والتعاون والتلاحم، ودليلاً على الترابط العضوي الوثيق بين أبناء الشعب العربي الواحد، وأعضاء الأمة العربية الواحدة ذات الرسالة السماوية الخاتمة.

لم يعد لحزب البعث السوداني أي دور بعد محاولاته الكثيرة والمتكررة في عرقلة كل المساعي للتقارب والتعاون بين الخرطوم وبغداد، فلم يعد له أي شأن في هذا التضامن الذي قدم مثالاً حياً، على سياسة العراق الإيجابية والأخوية بين أقطار الأمة الواحدة التي تمتد من المحيط إلى الخليج، بطول سبعة آلاف كيلو متر، وعلى

مرانة السودانيين في كل علاقاتهم الدبلوماسية مع الأشقاء والأصدقاء، بالرغم مما يبيت للسودان من كيد وتآمر من جنوبه وشرقه وغربه وداخله لتعطيل مسيرته، والنهوض به، والتي عطلت الكثير من مشروعاته التنموية، ورغم ذلك كله ما زال صامداً ومستمراً. كذلك يدل ما رأيناه من مساعي تنظيم الإخوان السوري في التقريب بين وجهات النظر، وقيامهم بالمساعي الحميدة والمثمرة، بالرغم مما يعانونه من ظروف قاسية، ومعاناة بالغة الشدة، شتتت شملهم، وألحقت الأذى في شبابهم وأعضاء تنظيمهم، وإخراجهم من ديارهم، ومع كل ذلك لم ينسوا واجبهم تجاه أمتهم ووطنهم، فقاموا بهذا الجهد الذي لا ينسى بين القطرين الشقيقين: السودان والعراق.

٦ - لم يكن لنا علاقة من قبل مع منظمة التحرير الفلسطينية وياسر عرفات رئيس المنظمة، وفي ذات يوم التقى بعض إخواننا الكبار أمثال سيف الإسلام حسن البنا وغيره مع رئيس المنظمة في مسعى لم أعد أذكر مناسبته، تم الاتفاق على لقاء عرفات مع الشيخ عبد الفتاح أبو غدة والدكتور حسن هويدي رحمهما الله وبعد تبادل الأحاديث الودية، وكان السيد عرفات ودوداً في استقباله لهما كما تحدثا فيما بعد، وفي آخر جلسة سألهم عن العبد الفقير قائلاً: أين فلان؟

واتفق الطرفان على عقد لقاء آخر، يضم عرفات والإخوة الثلاثة الشيخ عبد الفتاح والدكتور حسن وكاتب هذه السطور، وقد جرى اللقاء بعد أيام قليلة في جدة وفي ساعة متأخرة من الليل بعد أن فرغ

عرفات من استقبال ضيوفه وأنصاره وأعضاء المنظمة، فالتقينا بعد الثانية ليلاً، أي بعد منتصف الليل.

كان انطباعنا نحن الثلاثة إيجابياً عن السيد عرفات، فقد كان شديد التواضع، يقوم على خدمة ضيوفه بنفسه، وكان عذب الحديث، يقبل على ضيوفه بروح المودة وطيب الكلام، جرت أحاديث متنوعة ومتشعبة، وكان قد أصابه ضر من سياسة حافظ أسد في سورية ولبنان، فشمل الحديث أحوال السوريين الذين تضرروا هم والفلسطينيون واللبنانيون والعراقيون من حكومة الأقلية في سورية وما عاناه الجميع من هذا الحكم الشمولي الفاسد في سورية.

كانت العلاقة -كما أشرت- بين المنظمة والنظام السوري قد ساءت إلى درجة كبيرة بلغت حد العداء والصدام، وسبق أن التقيت في الرباط في نطاق جولة المكتب السياسي للمعارضة السورية بالسيد خالد الحسن عضو القيادة في منظمة التحرير، فشن حملة على العراق، متهماً إياه بإغلاق معظم مكاتب المنظمة في بغداد، وبقطع الإمدادات من التمور التي يحتاج إليها الفدائيون في تحركاتهم، واستخدم كلمات حادة عن موقف الحكومة البعثية في بغداد. وعندما سألت السيد ياسر عرفات عن الصلة بين الجانبين، كرر بعض ما سمعناه من السيد خالد الحسن رحمه الله في الرباط، قلت يا أبا عمار: هل تستطيع منظمتكم أن تستمر في كفاحها بعد خروجها من لبنان، وتوزيع فصائلها على عدن وتونس والجزائر، وبعد أن أضحى تحركها في الأردن ومصر وسورية ولبنان متعذراً؟ هل يوجد أقرب من

العراق لفلسطين؟ وهل يوجد غير العراق لتهيئة الفرصة لكم، لتستمروا في كفاحكم؟

فأجاب بمر الشكوى عن معاملة العراق لمنظمتهم.

قلت: ينبغي من أجل القضية الكبرى في مواجهة المشروع الصهيوني الاستيطاني أن تتجاوزوا خلافاتكم، وأن تفتحوا صدوركم لأشقائكم في أي بلد يتيح لكم الاستمرار والتحرك، والعراق كما عرفناه إذا أدبر فإن المعاملة معه عسيرة، وإذا أقبل يسابق الجميع في مواقفه.. فما رأيك يا أبا عمار بأن يبذل تنظيمنا المساعي الحميدة لعودة المياه إلى مجاريها بين الشقيقين: العراق ومنظمة التحرير الفلسطينية؟

صمت عرفات قليلاً، ثم قال:

- لديكم الخط الأخضر في أي مسعى تبذلونه في هذا المضمار.

خرجنا من لقائنا مع أبي عمار في الساعات الأخيرة من الليل، باتجاه الفندق لنأخذ قسطاً من الراحة، ولو لوقت قصير.

سألني إخواني عن السبب في طرح هذه المبادرة والتأكيد عليها مع عرفات، فقلت: إنها ورقة مهمة، بل هي أهم ورقة لدينا لا نملك سواها.

سمى لنا أبو عمار مندوباً عنه للتنسيق فيما بيننا، ألا وهو السيد عبد الله لبيب الملقب بهواري قائلاً: لن تجدوا أشد منه وأكثر صرامة في معارضته للنظام السوري.

في بغداد تناولت حديث التقارب بين المنظمة والعراق مع السيد نائب الرئيس الأستاذ طه رمضان، فكان قاسياً في رده، شديداً في نقده لمنظمة التحرير، طارحاً موضوعاً شائكاً، وهو أن أبا عمار كان ينسق مع بومدين رئيس الجزائر ضد حياة الرئيس صدام حسين.

بعد حديث طويل، ومناقشة الموضوع من كل جوانبه، واستعراض الأخطار التي يتعرض لها الوطن العربي من قبل الصهيونية والغرب وأمريكا، والدسائس الداخلية وغير ذلك كان ختام الحديث مع السيد نائب الرئيس:

- يا أبا أحمد: لابد من أن نتجاوز خلافاتنا، وأن تحل المصالحة محل الخصام، وأن يمد أحدنا يده لأخيه مصافحاً ومسامحاً، لاسيما أن السيد ياسر عرفات أبدى استعداده ليفتح صفحة جديدة في علاقاته مع العراق.

أ- كان هواري أحد العصي الغليظة في يد السيد ياسر عرفات، وكان شديد المراس، سريع الاندفاع ضد الصهاينة وخصوم المنظمة، وقد جافاه جميع أعضاء اللجنة المركزية في فتح، وقرروا إبعاده، فلم يستطيعوا، بل بقي ثابتاً في مكانه في المنظمة، وموضع ثقة رئيسه عرفات.

حضر هواري إلى بغداد زائراً، بعد أن توثقت العلاقة بيننا وبينه، فهيأنا له حضوراً في المكتب السياسي للتحالف الذي أصبحت أمينه العام بقرار من الهيئة التأسيسية في التحالف دون أن أكون حاضراً، بل

تبلغته في عمان من السيد مطاع الصفدي رئيس الهيئة التأسيسية.

حضر هواري جلسةً للمكتب السياسي، وقال كلاماً أثلج به صدور أعضاء المكتب، وأبدى استعداداً قوياً للتعاون مع المعارضة السورية، ودعماً لها بما تحتاج إليه، فكان لهذا اللقاء ما بعده على المدى البعيد، وفي لقاء لاحق للسيد طه ياسين من أعضاء المكتب السياسي ذكر السيد أمين حافظ أمام السيد طه رمضان أن هواري أبدى استعداده لدعم المعارضة بما تريد. فانزعج السيد النائب وقال:

هل ينقصنا السلاح أو المال حتى ننتظر الدعم من هواري؟

وفي هذا الجو المتوتر قلت للسيد النائب:

أقترح عليكم اللقاء بهواري واستقبالكم له.

فنظر ولم يجب على الاقتراح، فأعدت كلامي وقلت:

- أرجو يا أبا أحمد أن تتجاوز البروتوكول، وتلتقي هواري في مكتبك.

وبعد برهة قال: لا بأس، أحضره معك، وائتيا إلى مكتبي.

واتفقنا على موعد اللقاء.

ذهبت على التو إلى هواري في فندق بابل، وطلبت منه النزول إلى الصالون كيلا نكون في غرفة مغلقة، وسرعان ما نزل، فأخبرته أن فرصة سانحة قد أزفت، وأن السيد نائب الرئيس طه ياسين مستعد لاستقبالك في مكتبه، وأنك تستطيع أن تكسب وده إذا تعاطفت معه

فيما وقع على مفاعل تموز، وأنك مستعد لتثأر للعراق ضد الصهاينة.

تمت زيارة السيد النائب في مكتبه، فتحدث هواري دون أن يوفق في حديثه، فالرجل خُلق للصدام لا للكلام، ولدى خشيتي من فشل المقابلة، تدخلت في الحديث قائلاً:

- إن السيد هواري مرتبك ومتهيب، لأنه يلقاكم لأول مرة، وإني سمعت منه كلاماً واضحاً في التعاطف مع العراق والغيرة عليه.

ثم تكلمت عما أريد باسم السيد هواري وعلى لسانه، ولاسيما فيما يخص الثأر لمفاعل تموز وبما يكافئ هذا الثأر، فإذا بالسيد النائب ينشرح صدره لما سمعه، ويقول لهواري:

- اتفقنا، ومنذ الآن نعتبر أننا معكم في اتفاق ووفاق.

ب- توثقت الصلة بين حكومة بغداد وبين منظمة التحرير الفلسطينية على جميع الصعد، وتكررت زيارة أبي عمار إلى بغداد والتقاؤه الدائم مع صدام حسين، وفي ذات يوم سألت أبا عمار عن اتجاه القبلة فأجاب: رأيت الرئيس الذي زارني فجراً يصلي بهذا الاتجاه، وأشار إلى اتجاه الكعبة.

فتحت المنظمة عدداً من المكاتب في بغداد، وصار التنسيق بين الجانبين أمراً معتاداً، ورشح أبو عمار هواري مندوباً عنه، فتم تشكيل لجنة مشتركة من اثنين من الإخوان -المراقب العام والمسؤول العسكري -واثنين من العراقيين- مدير المكتب السوري والسيد فاضل صلفيج العزاوي أحد مساعدي مدير الأمن، ومن السيد هواري، وفي

هذه الأثناء اشتعلت نـار الحرب ضد المخيمات الفلسـطينية في لبنان، فوقف تنظيـمنا بجانب المقاومين الفـلسطينيين بما يحتـاجونه من أمور لوجسـتية، كـما وقف العـراق بجانب الفلـسطينييـن معاوناً ومـناصراً، وهكـذا أضحـت بغـداد السـاحة الـرئيـسيـة لتـحرك مـنظمـة التـحـرير الفلسطينية بعد الهوة السحيقة التي كانت تفصل بين الجانبين.

لم ينس الـفلسطينـيون جهـود الإخوان المسـلمين السـوريين فيـما تحـقق من عودة المـياه إلى مـجاريهـا بين قيـادتي صدام وأبي عـمار، فوقفوا بجانبنا في أزمات عانيـنا منها وعجزنا عن حلها، وكان هواري مندمجاً معنـا بشكل لفت أنظار بعض قادة المقاومة في الـمنظمة، فقد ذكر هـاني الحسن أن هـواري تغير إلـى الأفضل منـذ التقاكـم، ونسق معكـم، وفي ذات يوم ذهبنا إلى قـرية العوجا لـنقدم العزاء إلـى مدير المـكتب السـوري بوفـاة قريـب له، وعنـد العـودة طلبت مـن هواري التـوقف أمام باب مـسجد فـي مدخل مـدينة بلد، حـتى أصلي الظـهر والعصر صلاة المسـافرين، فالوقت لا يحتمل التأخير، وتـركته مسرعاً إلى داخل المســجد لأسبغ الوضوء تمـهيداً لأداء فريضـة الصلاة، فإذا بي أفاجأ أن هواري لحق بي واتجه إلى الميضأة، ثم إلى الحرم ليؤدي الصلاة معي في جماعة.

كان هواري مسموع الكلمة لدى السيد ياسر عرفات، فكان لا يرد له طلبـاً، وكان يعتـبره أحد القـادة الفدائيـين الذين يعـتمد عليـهم في المهـمات الصعـبة، فكان هواري يـؤكد على أبي عـمار في تنفـيذ كل الأمور التي يـحتاجهـا إليها تنظيـمنا وسرعان مـا كان يستـجيب، وفي

ذات يوم وقع لنا في الأسر سبعة أعضاء في بوخارست عاصمة رومانيا، وصدرت ضدهم أحكام قاسية ما بين المؤبد وخمس سنوات، وكان الرومان يقبلون الفدية لإطلاق سراح المعتقلين، وكان المطلوب فوق قدرتنا، فاستنفرنا إخوتنا المقيمين في بعض الأقطار، فاستجابوا، شكر الله مسعاهم، لكن ذلك كان دون المطلوب (فدية كل محكوم بالمؤبد ربع مليون دولار)، فتحرك هواري بحماسة ملموسة طالباً من رئيسه أن يقف معنا، وقد كان ذلك، إذ استجاب أبو عمار وساندنا، ووقف بجانبنا في أزمتنا، فخرجنا منها ظافرين مجبورين، ونحن نرى إخوتنا السبعة يأتوننا في بغداد لإكمال دراستهم، فيما كانوا عليه في الجامعات الرومانية، ولم تمض سنوات قليلة حتى كان منهم الطبيب وغيره، بفضل الله أولاً، ثم بمساعي إخوتنا وتعاطف أبي عمار، والتسهيلات التي كانت بغداد تقدمها لأبناء تنظيمنا كما مر معنا على مدى سنوات طوال.

وهذا كله حدث بجهود تنظيمنا في التقريب والمصالحة بين منظمة التحرير الفلسطينية، وبين حكومة بغداد بقيادة صدام حسين، وما نتج عن ذلك من تعاون وإنجازات كثمرة لسياسة الجماعة في حل المشكلات السياسية المعقدة.

٧ - بعض الساسة والقادة لا يتعظون بأحداث التاريخ، بل ولا يقرأونه، فيركبهم الغرور، فيخوضون معارك ومغامرات تؤدي بهم وبشعوبهم إلى موارد الهلاك، كالذي فعله نابليون وهتلر، وما فعله والإنكليز والسوفيات في أفغانستان.

غدر رئيس الوزراء الأفغاني بابن عمه ظاهر شاه، وقام بانقلاب جاء بالشيوعيين إلى الحكم، فشرعوا يسفكون الدماء ويبطشون بأبناء وعشائر أفغانستان.

تغطي الجبال والهضاب والسلاسل المعقدة العالية جداً ثمانين بالمئة من مساحة أفغانستان، وهي جبال تكسوها الثلوج معظم أشهر السنة، وتقع فيما بين سلاسل الجبال الأفغانية واحات صغيرة وكبيرة، يعيش فيها الأفغان بما لديهم من زراعة الخضار والفاكهة التي تغذيها الينابيع والثلوج المذابة في الربيع والصيف وبعض أيام الخريف، وكذا بما يملكونه من حيوانات أليفة ودواجن يعيشون على لبنها ومن لحومها، ولا يمكن لقوة مهما بلغت أن تقتحم عليهم واحاتهم، وإلا عرضت نفسها للدمار.

جرب الإنكليز في القرن التاسع عشر احتلال أفغانستان فوقعوا في فخ على الطريق ما بين كابل وجلال آباد في وسط سلسلة وعرة من الجبال الشاهقة (وقد رأيت المكان في سفر من كابل إلى جلال آباد لا يصله ولا يتورط في الدخول إليه إنسان عاقل) فأبيد الجيش البريطاني عن بكرة أبيه، وكان تعداده، كما ذكرت بعض المصادر، خمسين ألفاً، لم ينج منهم إلا طبيب عاد ليخبر عن هول المعركة والقضاء المبرم على الجيش البريطاني المحتل.

لقد غرَّ السوفيات جيشهم الأحمر والحزب الشيوعي الذي قام بالانقلاب في كابل، فلم يمض على وصول الشيوعيين إلى السلطة فترة قصيرة، إلا ظهر أمران مهمان، الأول ميلاد المقاومة التي بدأت

متواضعة، وانتهت كقوة ضاربة حفرت للسوفيات قبورهم، والأمر الثاني هو الصراع على السلطة بين أجنحة الشيوعيين، وتصفية بعضهم البعض، الواحد تلو الآخر.

أضعف الصراع على السلطة فوق الهضبة الأفغانية، وبين سلاسل الجبال، الجيش السوفياتي الذي تورط وانتشر في بقاع أفغانستان الوعرة وجبالها السامقة، ولم تكن المقاومة قد استكملت قدراتها، وعندما همَّ السوفيات بسحب قواتهم وجدوا الأمر عسيراً، فكان التورط السوفياتي أحد أهم الأسباب في انهيار هذه الإمبراطورية، أي الاتحاد السوفياتي صاحب أكبر مساحة بين دول الأرض -٢٦ مليون كم٢- وأعظم ترسانة في الأسلحة الحديثة والقوة النووية، فلم تعد تُجدي طائراتهم التي كانت تتجول بين الجبال فيراها المجاهدون، وينظرون إليها ساخرين، ثم يدخلون الأنفاق والمغارات قبل أن تصل القذائف إلى الأرض لتتناثر على سفوح الجبال.

أ- كانت صلات الإخوان السوريين بالمجاهدين الأفغان كبيرة، فكلتا الحركتين -الجهاد السوري والجهاد الأفغاني- وُلدت في عام ١٩٧٩، وكلتاهما رفعت راية الجهاد، ونادت بوجوب العودة إلى الإسلام، بتحكيم شريعته في المجتمعات الإسلامية، وكنا لا ننقطع عن السفر إلى بيشاور لنلتقي قادة الجهاد الأفغاني السبعة، وبعد التعرف إليهم، والاختلاط بهم، والوقوف على أفكارهم تبين لنا أن الحركتين الكبيرتين من بين الحركات السبعة هما: الحزب الإسلامي بقيادة قلب الدين حكمتيار، والجمعية الإسلامية بقيادة برهان الدين

رباني، وقد قرر المعنيون الباكستانيون وعلى رأسهم حميد كُل، رئيس المخابرات العسكرية الباكستانية أن الحزب الإسلامي يشكل أربعين بالمئة من مجموع المجاهدين الأفغان، أما الحركات الخمسة الأخرى، فتأتي بعد الحركتين الكبيرتين، وهي الحزب الإسلامي جناح يونس خالص، وحركة الثورة أو الانقلاب بقيادة مولوي محمدي رئيس علماء باكستان، والحركة الوطنية بزعامة الكيلاني ذي الأصل العراقي، وهو غربي النزعة في سياسته وفي حياته الخاصة كما شاهدنا ذلك في منزله، وكذا الحركة التي يقودها المجددي، وهي أقرب إلى السياسة الأمريكية، أما التنظيم السابع فهو الذي شكله عبد رب الرسول سياف من المنفصلين عن أحزابهم، والمختلفين مع قيادتهم، بعد أن كان الجميع قد ارتضاه رئيساً وحكماً لاتحاد الفصائل كلها، لكنه صدم الجميع بتشكيل فصيل خاص به هو الاتجاه الإسلامي، فخسر الثقة والدور الذي كان منوطاً به.

لقد اختار تنظيمنا السوري من هؤلاء جميعاً العلاقة مع حكمتيار المهندس قائد الحزب الإسلامي لصدقه وصلابته وصراحته، ورباطة جأشه في التصدي لأي قوى خارجية محتلة أو طامعة، سواء أكانت سوفياتية أم أمريكية، وقد تعاونا معه بما نستطيع من دعمه، وتعاون معنا بما يستطيع من دعمنا، واستمر تعاوننا معه طيلة أيام الجهاد الأفغاني إلى ما بعد دخول المجاهدين إلى كابل.

لم نكن نرتاح، أو بالأصح، لم أكن أرتاح لبرهان الدين رباني بعد تجارب طويلة، فيما لمسناه من أسلوب زئبقي لا نستطيع أن

نعرف منه ماذا يريد، أو أن يثبت على اتفاق كثيراً ما أبرمه المجاهدون ولم يثبتوا عليه.

ب- كنا نتطلع إلى وقوف العراقيين الرسميين مع حركات الجهاد الأفغانية، ولاسيما بعد أن صوت العراق في المؤتمر الإسلامي بالرياض لصالح المجاهدين الأفغان دون أن يلتفت إلى علاقته ومصالحه مع السوفيات، وكان هذا القرار بوجوب انسحاب السوفيات واستقلال أفغانستان قد حظي بتأييد جميع الدول الإسلامية والعربية، باستثناء حافظ أسد الذي اعتبر أفغانستان إحدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي مثل طاجاقستان وأوزبكستان وتركمانستان وقازاخستان وغيرها سواء بسواء، الأمر الذي أثار اشمئزاز المسلمين جميعاً من هذا الموقف النشاز.

كان العراق يستورد السلاح من السوفيات في حربه مع إيران كمصدر رئيسي، ومن ثم ليس من اليسير وقوفه ضدهم، وهو بحاجة ماسة لهم، ومع ذلك، فلم نيأس من دعم العراق إلى الأفغان، بعد أن عرفنا نفسية العراقيين وطريقة تفكيرهم، فهم إذا اقتنعوا بأمر أقدموا عليه، ولو كان دون ذلك خرط القتاد، إنهم بحق رجال ذوو شهامة وحمية يلمسها فيهم من يخالطهم، ويتعرف عليهم عن كثب وقرب.

في ذات يوم، وفي لقاء ثنائي مع الرئيس العراقي، قلت له:

- يا أبا عدي: إن الأمن الأفغاني مرتبط بالأمن العربي منذ مئات السنين، فإذا كانت أفغانستان قوية، وعلى أرضها دول قوية مثل

الغزنويين والسلاجقة وأمثالهم، أعطانا الإيرانيون ظهورهم، وولّوا وجوههم شطر الشرق خوفاً من الأفغان، وحماية لهم من جبروتهم وبأسهم، أما إذا كانت أفغانستان مفككة ضعيفة، ومقسمة إلى ولايات متناحرة، تفرغ الإيرانيون للعراق، وأذاقوه شرور كيدهم، وظلمهم، كما حدث في أيام الصفويين ونادر شاه، عندما حاصروا بغداد والموصل، واضطروا السكان إلى أكل القطط من شدة الحصار الإيراني للعراق.

يا أبا عدي -وقد كانت الحرب مع إيران على أشدها- إن كنت تريد أن تؤدب إيران وأنت في راحة وطمأنينة،فأيِّدْ أفغانستان، وادعم الأفغان، وسلح مجاهديهم، ففي ذلك تأديب لإيران، وتصفية حسابات ضد إصرارها على الاستمرار في الحرب مع العراق.

نظر صدام وحدّق بعينيه -باوع باللهجة العراقية- دون أن يتكلم، وبعد برهة قال كلاماً بعيداً عن الإجابة المطلوبة والمنتظرة، قال: -الأفغان رجال، وإسلامهم نقي وصادق، لا تخالطه نعرات أخرى، كما نرى ذلك لدى بعض الشعوب التي تنتمي للإسلام، وسمى بعض الشعوب الإسلامية.

عدت إلى مقر الضيافة الذي كنت نزيلاً فيه، فجاء في اليوم التالي أو بعد ذلك نائب الرئيس السيد طه ياسين وقال:

- يقول لك الرئيس: إنه موافق على ما ذكرت، وهو يعتبرك مندوباً عنا لدى الأفغان.

حملت هذه الرسالة الشفهية وشددت رحال السفر إلى بيشاور ومنها إلى كابل للقاء قادة الأفغان.

كان المهندس أحمد شاه زي -من أنصار رباني- قد قام بتشكيل وزارة من أطياف حركات وأحزاب الجهاد، فالتقيته وتناولت في منزله طعام الغداء، وكان يتقن الحديث باللغة العربية، فنقلت له حديث الرئيس صدام حسين مستبشراً ومبشراً بهذا الدعم من دولة عربية قوية، وبعد التشاور مع إخوانه، جاءتني الإجابة من رئيس الوزراء المؤقت أحمد شاه زي قائلاً:

- لقد قررنا أن تكون مندوبنا لدى الإخوة العراقيين.

وهو نفس التكليف الذي أسنده إلي العراقيون.

لم أكتف بهذا التكليف أو هذا التشريف، خائفاً من أن يبقى في نطاق المجاملة دون أن تترتب عليه خطوات عملية، فدخلت مع الشخص الذي هو أقرب الجميع من نفوسنا وقناعاتنا القائد حكمتيار، وعرضت عليه أن يقيم صلات مع بغداد، فلم تمض برهة من الزمن حتى زار العراق، والتقى السيد نائب الرئيس طه رمضان، ثم زارها مرة أخرى، والتقى السيد الرئيس صدام حسين، فوعده بتقديم معونة شهرية للتنظيم الجهادي القوي الذي يقوده حكمتيار، مقدارها مليون دولار شهرياً، استلمها قلب الدين حكمتيار لشهر، وقيل لشهر آخر، ثم وقعت الحرب اللعينة بدخول العراق إلى الكويت بارتكاب خطأ استراتيجي دمر كل شيء، وغير كل شيء، وسبب كارثة ليس للعراق

والكويت فحسب، بل للعرب والمسلمين، وا أسفاه، في كل ديارهم وأقطارهم.

٨ - كان ظهور السيد نجم الدين أربكان على الساحة التركية مبعث أمل كبير في أن تستعيد تركيا دورها الإسلامي والتاريخي على الأرض التركية، وفي الساحة الدولية.

استطاع نجم الدين دخول البرلمان التركي باسم حزب السلامة وبعدد قارب الخمسين نائباً -٤٩- وأن يدخل في وزارتين، مرة مع سليمان ديميريل، وأخرى مع أجاويد، لأن حزبه كان يرجح الكفة في الحصول على ثقة البرلمان، وهكذا دخل نجم الدين السياسة التركية من أوسع أبوابها.

كانت صلاتنا مع أربكان قوية، بحكم الجوار والجغرافيا، فكنا نتردد على أنقرة، ونزوره في مقر حزبه، كما كنا نجتمع به في نطاق التنظيم العالمي للإخوان المسلمين -وكنت في هذه الفترة عضواً في مكتب الإرشاد- في جدة حيناً، وفي اسطنبول أحياناً، فلمسنا منه تعاطفاً في محنتنا في سورية كما لمسنا منه طموحاً كبيراً في توسيع نطاق التعاون بين الحركات الإسلامية الكبرى مثل: الجماعة الإسلامية في باكستان بقيادة القاضي حسين أحمد، والإخوان المسلمين في البلاد العربية بقيادة مكتب الإرشاد، وحركة الشباب الماليزي بقيادة أنور إبراهيم، بل إن طموحه تجاوز ذلك إلى إقامة صلات مع ليبيا وإيران، وتشكيل تحالف إسلامي من ثماني دول إسلامية كبيرة مثل: باكستان وبنغلادش وأندونيسيا ونيجيريا

وماليزيا... إلخ وأن يكون لهذه الكتلة دينار إسلامي أي عملة موحدة.

لم يكن حال تركيا الداخلي -ومنها تسلط العسكر- والوضع الدولي في أوروبا وأمريكا يسمحان لهذه الطموحات أن تأخذ مداها، فلم يكتب لها النجاح، لأن أربكان كان أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع، فلم يستطع إكمال دربه، ولاسيما أن عناصر ثقيلة في حزبه انشقت عليه، واختلفت معه في كيفية إدارته للجزب ومركزيته الشديدة التي لم يحتملها رفقاء مسيرته.

أ- كنا نتطلع إلى إقامة علاقة إستراتيجية بين بغداد واسطنبول، أو بين ورثة الخلافة العثمانية وورثة الخلافة العباسية، فإن في ذلك نجاحاً كبيراً في تقوية شعوب المسلمين من أهل السنة والجماعة، وتنسيقاً مثمراً بين العراق وتركيا على الحدود المشتركة بين الجارتين للحد من طموح الأكراد في إقامة دولة على حساب الأتراك والعراقيين ودول الجوار الأخرى، فكنا نبشر العراقيين بالمستقبل الواعد لحزب السلامة أو حزب الرفاه الذي حل محله بعد أن حله الجيش التركي المتربص بنمو الحركة الإسلامية التركية، الذي يشكل صعودها خطراً على علمانية أتاتورك التي أرسى مصطفى كمال قواعدها منذ سبعين عاماً، فكان الجيش -حامي العلمانية كما يزعم- يصمم على إبعاد الإسلام عن الحياة العامة، وتحجيم دور الحركة الإسلامية، ومنعها من أي نهوض تركي.

كان العراقيون يستمعون لذلك، ويستقبلونه برغبة ملموسة، ومن

جهة أخرى كنا نلح على الأستاذ أربكان ومن معه أن يوثقوا صلتهم بالعراق، ويعملوا على التنسيق معه للوقوف في وجه الأخطار الكبيرة التي تغذيها الدول الأوربية وأمريكا والحركة الصهيونية.

كان سفير العراق في تركيا السيد رافع دحام رحمه الله متحمساً للفكرة، ومتحركاً باتجاه دعمها، وعندما أعطته حكومة بغداد الضوء الأخضر في هذا الشأن، كانت زياراته لأربكان وحزبه دائمة ومستمرة، وصارت الدعوات توجه إلى أربكان للحضور إلى بغداد، ومشاركته الفعالة في العديد من المؤتمرات، حتى صار شأنه كبيراً عند العراقيين.

ب- جاءت حرب الخليج بعد دخول الكويت مفسدة للعديد من الصلات والعلاقات العربية العربية، والعربية الإسلامية، والعربية الإسلامية والدولية، فأصيبت العلاقات التركية العراقية الوليدة بضربة قاتلة، ولاسيما بعد أن اقترح أربكان، وهو رئيس الوزراء، استمرار القاعدة الأمريكية على الأراضي التركية -انجرلك- دون الحاجة إلى تمديدها كل ستة أشهر بقرار من البرلمان كما كان الحال في ظل الحكومات التي سبقت حكومة أربكان، وبعد أن جامل نجم الدين الغرب والأمريكان بتنفيذ سياسات مع إسرائيل في شؤون الجيش والأمن، كان ينتقد من يفعلها ويقدم عليها قبل تشكيله الوزارة، فسبب ذلك ردود أفعال حادة لدى العراقيين، وصرنا نسمع انتقادات شديدة للأستاذ أربكان، فنضطر للصمت، بعد أن كان من أقرب الساسة الأتراك وغير الأتراك إلى قلوب العراقيين.. وصدق الله العظيم:

﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[1].

٩- بعد ظهور حركة حماس منذ عشرين عاماً ونيّف، انتعشت آمال العرب والمسلمين في إحياء روح الجهاد الشرعي ضد المحتلين الغاصبين، ومقاومة العدو الصهيوني الذي لم يعد يجد في العرب من يتصدى له، أو يوقفه عند حده، كما ظهرت بعد ذلك حركات جهادية أخرى على الساحة الفلسطينية مثل حركة الجهاد التي أسسها الشهيد فتحي الشقاقي رحمه الله، وكتائب أخرى تحت مسميات جديدة.

رأت حماس أن ساحات سياسية فتحت أمامها، هيأت لها إقامة علاقات دبلوماسية مع عدد من الدول العربية والإسلامية، فقرعت أبواب طهران والأردن في أول أمرها، ودمشق، وكذا السودان واليمن وقطر والبحرين وغيرها، إلا أن منظمة التحرير بقيادة ياسر عرفات وجدت في حماس منافساً لها، ولتنظيم فتح، فاشتعلت بينهما نار حرب إعلامية استمر سعيرها لفترة طويلة، وكان عرفات يوجه التهم جزافاً لحماس، ويزعم أن إيران أمدتها بأموال طائلة، متذرعاً بذهاب وفود حماس إلى طهران ودمشق، في الوقت الذي كانت حماس تنفي ذلك نفياً قاطعاً، وترد على كل هجوم بما يوازيه.

أ- كان الرد المقنع في نظرنا هو القيام بزيارة بغداد التي كانت في حرب، وفي خصومة مستعرة مع طهران، فذهب وفد من حماس

---

(١) سورة البقرة -الآية: ٢٦٩ .

برئاسة الأخ -خ. آ- إلى العراق، ولدى أول لقاء مع سبعاوي الحسن الأخ غير الشقيق للرئيس صدام، حصل توتر بين الفريقين، عندما سأل سبعاوي الوفد الذي حضر بواسطة عضو قيادي في تنظيم الإخوان السوريين: ماذا تريدون؟

أجابه رئيس الوفد: بل أنتم ماذا تريدون؟

فكانت الإجابة: إنكم رغبتم في زيارتنا.

وكان الرد: بل أنتم وجهتم الدعوة إلينا.

ليظهر أن الذين رتبوا لهذه الزيارة لم يحكموا برنامجها، ولم يأخذوا بأسبابها، وهكذا فشلت هذه الزيارة، وكان لها أثر سلبي، كانت حماس بغنى عنه، فاستمرت الجفوة بل والقطيعة لفترة ليست قصيرة.

ب- كانت المباحثات بيننا وبين العراقيين قد اجتازت مسافة واسعة، أتاحت لنا أن نعيد بحث العلاقة بين العراق وحماس، وكانت قناعتنا كبيرة في ذلك للرد على من يقول إن حماس رهينة الصلة الباطنية، فجددنا بحث الصلة والزيارة والتعاون بين حماس وبغداد.

قلت لحماس -وهم في الأردن-: لا أتوقع نتائج كبيرة لأول وهلة في علاقتكم ببغداد، وأرى أن يقتصر الأمر بادئ ذي بدء على المطالبة بفتح مكتب لحماس، وتسجيل عدد من قياداتكم في الدراسات العليا لحمل شهادات الماجستير والدكتوراه، وكذلك ليدرك الجميع أن حماس تقيم صلات وعلاقات مع جميع الدول على

اختلاف أطيافها، فكما تزور حماس طهران تزور بغداد، وكذلك الأمر بالنسبة لدمشق، فيبطل مفعول الدعاية المضادة لحماس، واتهامها بالارتهان أو الارتباط بطهران.

تمَّ ترتيب الزيارة، وتحديد تاريخها وبرنامجها، فحضر وفد من ثلاثة أعضاء من قادة حماس، ومر بالحدود العراقية الأردنية في الوقت المحدد والمتفق عليه مع العراقيين، فلم يكن الاستقبال على المستوى المتوقع، ففسرنا ذلك بجهل أو إهمال بعض الموظفين، وكانت الترتيبات قد تمت مع السيد نائب الرئيس طه رمضان!!

نزل الوفد في فندق بابل، على أمل استقباله مساء يوم الأحد الذي وصل فيه الوفد، لكن ذلك لم يحدث، وأبلغ المرافقون وفد حماس أن اللقاء سيكون مع طارق عزيز الذي كان، كما زُعم مشغولاً، وفي صباح اليوم التالي، اعتذر المرافقون عن اللقاء بدعوى أن طارق عزيز -المسؤول عن ملف حركات التحرر- منشغل كذلك، ثم تكرر الاعتذار مساء الاثنين وصباح الثلاثاء، فلم يعد الأمر طبيعياً، فقرر الوفد العودة، فاستمهلتهم قليلاً، وهُرعت إلى فندق بابل، فرأيتهم قد استأجروا سيارة تكسي استعداداً للسفر، فرغبت إليهم بأمرين، أولهما: إلغاء السفر بالتكسي، لتحملهم إحدى سياراتنا المناسبة التي لديها إذن بالسفر خارج الحدود، وثانيهما: أن يتكتموا على ما حدث ريثما ندبر الأمر، ولاسيما أن نائب الرئيس قد استقبلهم، وفي هذا تغطية مناسبة لبرتوكول الزيارة، فتم الاتفاق على ذلك، وحملتهم سيارة الجماعة إلى عمان.

جـ- كنا نرجح أن طارق عزيز سعى بإفساد الزيارة، وتعطيل برنامجها، ثم جاءنا اليقين بلسان المقال، وليس بلسان الحال فقط، إذ أن السيد عبدالله الحوراني أحد قياديي فتح والمنظمة الذي لا ينقطع عن بغداد، وفي كل مرة يقابل بها جميع المسؤولين، باعتباره من أصول بعثية، وكنت على صلة به منذ كان معلماً في مدرسة الشعب الابتدائية في دبي، قبل أن يستدعيه صلاح جديد إلى دمشق مديراً للإذاعة والتلفزيون!! وكنت إذ ذاك رئيس بعثة قطر في ساحل عمان -دولة الإمارات فيما بعد- فذكر أمامي الأستاذ عبدالله الحوراني أنه التقى بطارق عزيز، وسمع منه أن وفداً لحماس حضر إلى بغداد، ولم يكن لديه وقت لاستقباله، فتأكد لنا أن ما فعله طارق عزيز -الذي كان يظهر بمظهر المتسامح غير المتعصب- كان عن تصميم وقصد وكيد، لقيادة حركة المقاومة الإسلامية، فصار لدينا دليل واضح، هيأ لنا أو برّر أن نشن هجوماً حاداً ضد طارق عزيز على مسمع من ضباط الأمن الموجودين في كل الدوائر والمؤسسات، ومنها مقر التحالف الوطني لإنقاذ سورية، ومما ذكرناه أمامهم: أنه ليس من شيم العرب والمسلمين والبدو وأبناء العشائر أن توجه دعوة إلى ضيوفٍ ثم يهملون!! ولا يكرمون، وأن ما فعله طارق عزيز، ونطق به يتنافى كل المنافاة مع أخلاق العرب ومع تقاليدهم.

لم تمض على ذلك برهة وساعات قليلة حتى كانت التقارير على مكتب الرئيس صدام، فقرر في الحال إبعاد طارق عزيز عن هذه المسؤولية، وعن أي صلة بحماس، وإسناد موضوعها وملفها إلى

السيد نائب الرئيس طه ياسين وإلى مدير المخابرات العامة السيد رافع دحام.

د- جرت ترتيبات بديلة، دقيقة ومبرمجة لقيام وفد حماس برحلة إلى بغداد تمحو الأثر السيئ الذي أحدثه تصرف طارق عزيز، والذي كرره في العلاقة ما بين العراق وأفغانستان، وحضر الوفد المؤلف من قادة حماس: خالد مشعل، ومحمد نزال، وعضو ثالث، فكان الاستقبال على الحدود حاراً ولائقاً، وكذلك الأمر بعد وصول الوفد إلى بغداد.

كان البرنامج الذي أُعد لحماس حافلاً، تضمن جولات سياحية، ودعوات كريمة، واستقبالات لائقة مع كبار المسؤولين، ومنها حفل غداء أقامه في منزله على شاطئ دجلة مدير المخابرات العراقية: رافع دحام الذي كان يتمتع بخلق رفيع ودماثة ملموسة، وكنت أعرفه منذ كان سفيراً للعراق في أنقرة، فكان احتفاله بالضيوف كبيراً، وعند مغادرة الوفد منزله، همس لي قائلاً حين توديعه:

- إن وفد حماس جدير بالاحترام والإكرام أكثر من أفراد يأتونه من الخارج، ويعاملون معاملة كريمة ليحققوا بعض المكاسب، وليس لهم ثقل، وليسوا على مستوى المسؤولية الكبرى التي تضطلع بها حماس، وإنني سوف أتولى الاهتمام بها والاعتناء بأمورها على أرض العراق، ثم توفى الرجل بأزمة قلبية، فكان فقدنا له خسارة لما لمسناه في هذا الرجل الفاضل من خلق كريم، وأدب جم، ودماثة تدل على تربية رفيعة المستوى، رحم الله رافع دحام، وجزاه عما لمسناه نحن

وغيرنا منه خير الجزاء، وشمله بغفرانه ورضوانه.

هـ- افتتحت حماس مكتباً لها في بغداد، وقدم لها المسؤولون مقراً مناسباً في حي المنصور أرقى أحياء العاصمة، وفتحوا لها أبواب الجامعات والدراسات العليا، فكان عمر بن الدكتور موسى أبو مرزوق أحد خريجي الطب في بغداد، وكذلك منحوا محمد بن عبد العزيز الرنتيسي مقعداً في الطب، وخصصوا مقاعد لعدد من رجال حماس في الدراسات العليا، فحملوا شهادات الدكتوراه وعادوا إلى أعمالهم في دمشق وعمان. وبهذه العلاقة الطيبة لم يعد من مجال لاتهام حماس بأنها مرتبطة بإيران، بل هي حركة مقاومة وسياسة تتصل بمن تشاء، وتزور أي دولة تريد، وتقيم علاقات واسعة لصالح برنامجها المعلن في السياسة والمقاومة والتوجيه الإسلامي، فشرب خصومها الصمت، ولم يعد ثمة أي مسوّغ للنيل منها واتهامها زوراً بما ليس له أي أصل أو أساس، وكانت حماس من قبل قد أجرت مباحثات مع مدير المخابرات الأردنية مصطفى باشا القيسي حول مساعي حميدة بين حماس والأردن، وفق الله تعالى كاتب هذه الكلمات باسم جماعته وتنظيمه الذي يشرف بالانتماء إليه، فانقشعت الغيوم التي كانت تلبد العلاقة بين الطرفين، وانفرجت الأزمة، وسُمح للسيد موسى أبو مرزوق بالمجيء إلى عمان، وإقامته في ربوعها، وشرائه منزلاً لسكناه، ومقراً لتنظيم حماس ومكتبها السياسي، وتم الاتفاق ضمن المساعي الحميدة، أن لا تحرج حماس المملكة الأردنية، وتسبب لها الأذى في أي مسعى أو تحرك أو عمل سلبي، وأن تعامل

الأردن بالمقابل حماس معاملة كريمة.

استمرت هذه العلاقة أو شهر العسل بين الفريقين لأكثر من ثلاث سنوات قبل أن تَسوء الصلة جراء عوامل خارجية أو داخلية أدت إلى اعتقال عدد من قادة حماس لفترة وجيزة، ثم الطلب إليها أن تترك الأردن لظروف قاسية، بل أقسى مما يتحمل الأردن ويصبر عليه.

١٠- تأتي ماليزيا في مقدمة الدول الإسلامية في سخاء طبيعتها وجمالها، وفي تقدمها الصناعي والاقتصادي قياساً على غيرها من الدول الإسلامية، وشعبها يتصف بالأمانة والخلق الرفيع والمعاملة الراقية، والزائر لماليزيا يلمس الجمال والرونق في كل مرافق الحياة العامة فيها، حيث لم أجد كمساجدها تنظيماً وأناقة ونظافة وجمالاً، وقل مثل ذلك في حدائقها ومتنزهاتها وريفها الفتان، وأناقة بيوتها ومساكنها، فكوالالامبور عاصمة ماليزيا نجمة متألقة في سماء العالم الإسلامي الممتد من جاكرتا إلى الدار البيضاء.

كان الحزب الحاكم -امنو- بقيادة مهاتير محمد يحكم ماليزيا لفترة طويلة، وكانت المعارضة تشمل الشباب المسلم الماليزي بقيادة أنور إبراهيم أحد ألمع الشخصيات في العالم الإسلامي، والحزب الإسلامي بقيادة فاضل نور الذي نجح في إحدى الولايات الشهيرة وحكمها في نطاق السلطات الفيدرالية التي تحكم ماليزيا.

أ- لقد زرت ماليزيا أكثر من مرة، ورغبت إلى قيادة الحزب الإسلامي بزيارة بغداد بناء على رغبة الحكومة العراقية، وكان على رأس الحزب ثلاثة يقودونه، هم: فاضل نور ونائبه وأمين السر

شكري خريج كلية أبي حنيفة في بغداد، وهو من ثم يتقن العربية، ويحمل في نفسه مودة تجاه العراق، وتقديراً له، وقد لبى الدعوة إلى مؤتمرات عراقية عديدة هو ونائب رئيس الحزب. فقامت علاقة طيبة بين العراق والحزب المعارض، دون أن يعكر ذلك صفاء العلاقة بين العراق والحزب الحاكم -امنو- في كوالالامبور.

بعد دخول العراق إلى الكويت واحتلالها، ومعارضة دول العالم الإسلامي للعراق، شرع مجلس الأمن، بتحريض من الدول الكبرى، يصدر قراراته ضد بغداد، وكانت ماليزيا عضواً في مجلس الأمن، فطلب العراقيون منا السفر إلى ماليزيا لنذكرهم بواجبهم وأخوتهم الإسلامية تجاه العراق.

سافرت مع الدكتور عرفان عبد الحميد -الأمين العام للمؤتمر الإسلامي- إلى ماليزيا للاتصال بحكومتها، وحثها على الدفاع عن العراق في مجلس الأمن ضد ما تبيته له الدول الكبرى من خطط تمهد بها لضرب العراق، وإلحاق هزيمة بجيشه وحكومته.

كان وصولنا إلى العاصمة الماليزية في أول العام الميلادي، فالفنادق ملأى بالزوار والمحتفلين بعيد رأس السنة، فتَركنا مندوب السفارة العراقية، ولم يحضر معنا إلى الفندق، رغم قوله لنا إنه في أثرنا، وجدنا بصعوبة في تلك الليلة غرفاً -سويت- لا تطاق أسعارها، لم نجد أحداً بجانبنا من موظفي السفارة العراقية المستغرقين بأعياد الميلاد دون شعور منهم بالأزمة الخانقة التي يمر بها وطنهم.

في اليوم التالي ذهبنا إلى السفارة ففاجأنا السفير -الطبقجلي- أننا لن نجد من يتجاوب معنا في مناصرة العراق، لأن للسفارة الكويتية نشاطاً واسعاً، ورساميل كبيرة تستثمرها في ماليزيا، وأدخل اليأس إلى نفوسنا والإحباط إلى قلوبنا، فطلبت منه أن يصلني بالسفير الفلسطيني السيد أحمد الفرا -أبو ماهر- الذي عرفته في زيارات سابقة لأزوره وألتقيه، وما هي إلا دقائق حتى كنا في منزله المجاور لسفارته، وبعد مضي أقل من ساعة كان السفير العراقي بجانبنا في منزل السفير الفلسطيني الذي كان كما عرفناه من أفضل سفراء فلسطين، ومن القلة في خلقه الرفيع ومودته الظاهرة.

كان السفير الفرا يحدثنا عن تعاطف الماليزيين مع العراق، بشكل كاسح بمن فيهم الجالية الصينية ذات النفوذ الاقتصادي، وأن الشعب الماليزي يقف صفاً واحداً مع العراق في محنته ضد مجلس الأمن والدول المسيطرة عليه، فالتفتنا إلى السفير العراقي، فإذا به يكرر ما قاله الفرا بتناقض يبلغ ١٨٠ درجة عما كان قد حدثنا به في اليوم السابق، من أن العراق ليس له من يناصره!!!

أما موظفو السفارة العراقية، فلم نعد نسمع لهم حساً ولا ركزاً، لأنهم كانوا غارقين في ليالي رأس السنة الميلادية، ولم نرهم إلا بعد أربعة أيام، وقبيل السفر بساعات، فأبدينا لهم امتعاضاً واستنكاراً بلسان الحال والمقال دون أن يشعروا بالخجل أو الحرج.

أدركنا فشل دولنا الممثلة بعناصر لا تعرف إلا اللذات والسهرات معظم ساعات الليل، واحتساء الخمور، وتهريب الأموال وغيرها

بالحقائب الدبلوماسية، وجني الثروات الحرام، أما شعوبهم التي تدفع لهم المرتبات الباهظة، فلا شأن لهم بها، ولا يهمهم أمرها، لأن العمل الدبلوماسي لديهم وسيلة للثراء والمتع والفواحش، في الوقت الذي لا تهدأ فيه البعثات الدبلوماسية للعدو في خدمة بلادها بكل الطرق والأساليب المتاحة في سبيل أوطانهم والعمل على رفعة شأنها.

ب- خلال إقامتنا القصيرة في ماليزيا، عمل السفير الفرا على لقائنا بالسيد أنور إبراهيم، وزيارته في وزارة التربية التي كان يمسك بحقيبتها، وكان لنا علاقة به منذ عام ١٩٨١ عبر لقاء في مؤتمر لاتحاد الطلاب المسلمين، فرحب بنا أجمل ترحيب قائلاً: تفضلوا معي -في سيارته- لنزور إحدى المدارس التي سيفتتحها الوزير، فحضرنا معه، ثم عاد بنا إلى وزارته لنبحث موقف ماليزيا ذات العضوية في مجلس الأمن ضد ما يبيت للعراق من كيد، تمهيداً لشن الحرب عليه.

قال السيد أنور إبراهيم: كل ماليزيا مع العراق، ولكن الأمريكان يمارسون ضغوطاً شديدة على ماليزيا، ومنذ فترة قصيرة اتصل بوش شخصياً برئيس الوزراء مهاتير محمد لحثه وحضه على الوقوف بجانب أمريكا ضد العراق.

قمنا بزيارة الشافعي الغزالي وزير الخارجية السابق، وكذا تنكو عبد الرحمن الذي قاد الشعب الماليزي إلى الاستقلال، وكان قد بلغ من العمر عتياً، وهو في أيامه الأخيرة من عمره المبارك، فالشعب

يقدره ويجله، ويعتبره الأب الروحي للماليزيين، وقائد ثورتهم التي أثمرت للوطن استقلالاً ناجزاً، رفعها إلى مصاف الدول الحرة والكريمة.

١١- في مطلع الثمانينيات واجهت حركة النهضة التونسية أزمة حادة مع الحكومة التونسية انتهت بزج قادة النهضة في السجن وتقديمهم إلى المحاكمة، فصدر حكم الإعدام على زعيم حركة النهضة الأستاذ راشد الغنوشي، فأحدث ذلك ضجة في أوساط الحركات الإسلامية والسياسية، ولدى استئناف الحكم صدرت براءة الأستاذ الغنوشي، وخرج من السجن خروج المنتصرين، فصار له شأن عربي ودولي، تلقى بعدها دعوات من عدد من الدول العربية، كانت السعودية في مقدمتها، فقدمه ولي العهد إذ ذاك الأمير عبدالله ابن عبد العزيز -الملك حالياً- وأجلسه بجواره في احتفال عام، ثم رغب العراقيون بتوجيه دعوة إلى الأستاذ راشد لزيارة بغداد، فقمت بتوجيه الدعوة إليه، فقبلها مبدئياً، ولكن ضابط الأمن في السفارة العراقية في باريس التقاه، وطلب منه أن لا أكون على علم ببرنامج الزيارة، لأجهل توقيتها وأي خبر عنها، فوجدت الأستاذ راشد غاضباً من هذا السلوك عندما التقيته في باريس، وقال معقباً على ذلك:

- هل هؤلاء رجال دولة أم أفراد عصابة؟

أ- بعد عودتي إلى بغداد شكوت إلى بعض المسؤولين تصرف موظفيهم في سفارتهم في باريس، وما أحدثه سلوكهم في نفس الأستاذ الغنوشي من ردود فعل، أدت إلى عكس المرغوب فيه من

توجيه الدعوة إليه، فأقسموا أنهم يفاجؤون بذلك، وأن هذا التصرف كان خارج علم المسؤولين، بل كان تصرفاً فردياً واجتهاداً شاذاً، واعتذروا عن ذلك أبلغ الاعتذار بعد أن أبديت لهم استنكاري واشمئزازي ممن يُحَذِّرُ مني بعد أن وقع عليّ الاختيار في توجيه الدعوة إلى الأستاذ راشد الغنوشي.

سُوِّي الموضوع وعادت الأمور إلى مجاريها، وقبلنا الاعتذار بعد أن شعرنا بجدّيته، وأن رؤساء الموظف الذي ارتكب هذا الخطأ، سوف يُسائلونه عن خطئه، وسوف يتحمل هو مسؤولية ذلك.

ب- حمل الغنوشي عصا الترحال وقصد عاصمة الرشيد بغداد، فاستقبل من قبل المسؤولين المعنيين استقبالاً حاراً، والتقى عدداً من كبار رجال الدولة، ثم توجت هذه الحفاوة بدعوة الرئيس صدام للغنوشي في احتفال كبير في قاعة الاحتفالات الكبرى، وأجلسه بجانبه إشعاراً لجميع من حضر الاحتفال الذي غصت به القاعة بتقدير الحكومة العراقية للغنوشي، وعلى رأسهم أو مقدمتهم رئيس الجمهورية صدام حسين الذي رأى في الغنوشي شخصية محترمة ومرموقة، وجديرة بالتقدير على جهاده وصلابته ودفاعه عن قضايا شعبه العربي وأمته الإسلامية، فكانت هذه الزيارة دعماً كبيراً للغنوشي على ما يضطلع به من نضال صلب وجهاد كبير (ولحركة النهضة التونسية -الإخوان المسلمون-) ووقوفه بجانب كبار رجالات الأمة العربية، في الدفاع عن قضاياها المصيرية، وتصديها لأعدائها الألداء، وفي مقدمتهم الحركة الصهيونية الباغية التي اغتصبت فلسطين،

وطردت شعبها بعد أن ارتكبت مجازر وحشية بحق الفلسطينيين يندى لها الجبين.

جـ- صادف أن تلقينا دعوة من السيد ياسر عرفات لزيارة مقر منظمة التحرير في العاصمة التونسية شملت عدداً من الإخوة كان منهم الأخ علي البيانوني، وقد تضاربت دعوة المنظمة لنا على حفل عشاء مع دعوة وجهها لنا الأخ راشد الغنوشي لإفطار رمضاني في منزله، فآثرنا الاستجابة لدعوة الأخ الأستاذ راشد، والاعتذار للسيد عرفات وإخوانه عن الاستجابة لدعوتهم.

كان الأستاذ راشد قد بلغ شأواً كبيراً في سمعته ومقداره في البلاد العربية كما ألمحت من قبل، وكذا في الأوساط الدولية، وصار يدعى إلى المحافل الثقافية والمهرجانات الخطابية والندوات الفكرية والمؤتمرات السياسية، حتى أضحت شخصيته يُشار إليها بالبنان مع شخصيات ألمعية أخرى، كالشيخ القرضاوي وعبدالله النفيسي وغيرهم.

ليبقى الأخ الأستاذ راشد الغنوشي من أعلام الحركة الإسلامية، ومن الشخصيات التي تساهم في دراسة وتحليلات المواقف السياسية والفكرية التي تشهدها الساحة العربية، وتواجهها الأمة الإسلامية.

١٢- كانت ثورة الجزائر، وكان جهادها من أعظم ما خاضه شعب من شعوب الأمة الإسلامية ضد أعدائها ومحتلي أراضيها، إذ استمر كفاحها ثماني سنوات قاومت فيه دولة عاتية قوية إذ ذاك وهي

فرنسا، وقاومت ست عشرة دولة تشكل حلف شمالي الأطلسي انضمت إلى فرنسا في ضربها للجزائريين أملاً في القضاء على ثورتهم، لكن جهاد الجزائريين كان أصلب من كل القوى الباغية التي واجهها، فاستمر المجاهدون في صلابتهم وثباتهم، وتقديمهم التضحيات التي بلغت أكثر من مليون شهيد، حتى انتزعوا استقلالهم وحريتهم من بين فكي الوحش الفرنسي والأوربي انتزاعاً، أذهل العالم، ونال إعجابه، وعندما أنقذ الوطنيون مصير وطنهم، كان الأمل منهم أن يقدموا نموذجاً صالحاً لحكم الجزائر يجسد آمال الشعب، ويتمثل عقائده وقيمه ومثله العليا التي حارب في سبيلها، إلا أن الواقع خيّب آمال شعبهم بهم، فظهر الفساد في البر والبحر، وانتشرت الرشوة والسلب ونهب المال العام والثراء الفاحش، كما انتشرت المفاسد الخلقية والاجتماعية، حتى إن الجزائريين ذكروا أن ما شهدته الجزائر من فساد أخلاقي في عهد بوتفليقة، لم تشهد الجزائر مثله في ظل الاستعمار الفرنسي، كما سمعت من شخصيات جزائرية، كان منهم سلطاني أبو جرة رئيس حركة حُمس -الإخوان المسلمون- في مكة المكرمة على هامش عمرة رمضانية منذ عامين، ومع ذلك اصطف أبو جرة في نفس العام مع بوتفليقة في الانتخابات، وفي المشاركة الضعيفة في الوزارة.

أ- هذا الواقع المرّ عبّأ جماهير الجزائر ضد حكومة حزب جبهة التحرير الوطني الجزائرية، وعرّضها للتفكك والانهيار، وفي هذه الظروف ظهرت جبهة الإنقاذ الجزائرية بقيادة عباسي مدني وعلي

بلحاج، وطرحا باسم الجبهة التي يقودانها مع إخوانهم أمرين مؤثرين في ضمائر الجزائريين وهما:

- العودة إلى الإسلام الذي حاربوا من أجله -ومن أجل الاستقلال- ووجوب التمسك بأهدابه، بعد أن فرطت بمبادئه حكومة حزب جبهة التحرير.

- محاربة الفساد الذي استشرى حاله، واستحكم أمره، فأضحت في ظله الجزائر منهوبة من المتنفذين في السلطة، فاستجاب الشعب بأكثرية ساحقة لنداءات وشعارات جبهة الإنقاذ، ومنحها ثقته شبه المطلقة، ومن هنا تحرك المفسدون وعلى رأسهم عدد من جنرالات الجيش الذين يرعون الفساد، ويحكمون البلاد بالحديد والنار، فأبطلوا الانتخابات، ومنعوا الجولة الثانية بعد أن اكتسح الإنقاذيون الموقف منذ الجولة الأولى، وعاقبوا من نال ثقة المواطنين، فزجوا الألوف منهم في السجون، وأبعدوهم إلى سجون الصحراء في جنوبي الجزائر، فكان هذا الإجراء مبعث فتنة داخلية، وحرب أهلية، أصابت الوطن في الصميم، ودمرت اقتصاده، وبنيته التحتية، ووحدته الوطنية، فكانت ضحايا هذه الفتنة عشرات الألوف من أبناء الشعب الجزائري المنكوب بجنرالاته وجلاديه.

ب- التقيت الأستاذ المفكر مالك بن نبي في مكتبة العروبة بالقاهرة عام ١٩٦٥، وسمعت منه مقولة يذكر فيها: أن الجزائر منكوبة بهؤلاء الضباط، وأن ثروتها تنفق على الفساد، وعلى قتل شعبها، لأن هؤلاء الجنرالات -يقدر عدد المتنفذين منهم بخمسين-

كانوا في الجيش الفرنسي، يؤدون كل صباح التحية للعلم الفرنسي، وكانوا اليد الباطشة بأيدي المحتلين، وعندما انتصرت ثورة الجزائر، انحازوا إلى الجيش الوطني، واستلموا قيادته، فكان هذا -كما قال مالك بن نبي- من أكبر وأخطر الأخطاء التي ارتكبتها الثورة الجزائرية، عندما جاءت بأعوان فرنسا، وأسندت لهم مصير الجيش الوطني الناشئ، وبالأحرى مصير البلاد والعباد.

كان الأستاذ عباسي مدني كبير الثقة بالانتصار وحكم الجزائر، فتبنَّى سياسة حادة ومواقف صدامية، وقد استدعاه رئيس الجمهورية ابن جديد، وطلب منه الصبر والأناة قائلاً له:

- سوف تستلمون السلطة إن صبرتم، لأنني أواجه تياراً في الجيش لا يمكن مقاومته والتغلب عليه، فعليكم بالحلم والأناة، وسوف تحققون ما تبتغون.

إلا أن عباسي كان يحمل عقلية خاصة، وقفنا فيما بعد على نوعها وكنهها في مناسبات عدة كان منها: لقاؤنا به على هامش فريضة الحج، فدعا الأستاذ عبدالله المطوع -أبو بدر- رحمه الله، وأجزل له المثوبة -في منزله بمكة المكرمة، كلاً من عباسي مدني ومحفوظ نحناح قائلاً:

- سوف أتحمل كل أعباء المعركة الانتخابية إذا اتفقتم وشكلتم جبهة واحدة متراصة وقائمة مشتركة.

فوافق عباسي ظاهراً على ما طرحه أبو بدر، إلا أن محفوظ كان

يحتفظ بسره في مشروع خاص به، فبدا وكأنه يتنصل من أي اتفاق.

قمت بزيارة للجزائر في مطلع التسعينيات في الفترة التي دخل بها الجيش العراقي الكويت، لحضور ملتقى في قسنطينة نظمته حركة النهضة التي كان جاب الله يقودها، وفي ختام اللقاء ذهبنا في سيارة واحدة إلى العاصمة، حملت جاب الله وعدداً من الضيوف لمقابلة الشيخ عباسي، فذهبت مع جاب الله إلى مقر جبهة الإنقاذ، وكان جاب الله يقول:

- لقد أرجأت تقديم طلب بترخيص الحزب -تأشيرة- بانتظار موقف عباسي، عسى أن نشكل جبهة واحدة، كما وعد في مكة.

التقيت على انفراد بالشيخ عباسي، قائلاً له: هذا جاب الله جاءك ليعرف ماذا تريد، وهو ينتظر الإجابة منك، فإن كنت تريد التفاهم، فهاهو في الغرفة المجاورة.

فإذا به يقول في جاب الله ومحفوظ كلاماً لا أسوغ لنفسي ذكره، ويصفهما بأوصاف غير لائقة، رافضاً الدخول معهما في جبهة واحدة أو موحدة، فخرجنا من مقر جبهة الإنقاذ في حي القبة، وغادرناها بخيبة أمل مرة، وقلت لجاب الله:

- اذهب قبل أي شيء إلى وزارة الداخلية، واحصل على ترخيص الحزب الذي تقوده، فالشيخ عباسي مدني يود أن يخوض وحده معركة الانتخابات، ويستنفد تجربته التي بدأها تحت اسم جبهة الإنقاذ دون الاشتراك مع أي جهة أخرى، دون أن أشير إلى رأي عباسي به

وبمحفوظ، وكان الفراق، وتمزق الصف الإسلامي الذي تجرعت الجزائر مرارته.

جـ- رغب العراقيون في توجيه الدعوة إلى الشيخ عباسي مدني لإجراء حوار معه، فأبلغته الدعوة في مقره في حي القبة، في وقت لاحق، فقبلها شاكراً، وقصد بغداد برفقة نائبه علي بلحاج.

التقى الرئيس العراقي ومعه نائبه، ومكثا وقتاً ليس قصيراً مع الرئيس صدام حسين، فكان عباسي يغلظ القول مع الرئيس، ويتحدث بكلام خال من اللباقة السياسية والعرف الدبلوماسي، وبعدما خرج عباسي وبلحاج من مقابلة صدام حسين، واتجها إلى الفيلا التي ينزلان فيها، ذهبت للتو إليهما، لأسمع من عباسي عن نتائج اللقاء، فسمعت منه مالو نقله أحد إليّ لتشككت به، قال عباسي:

- العراق ينبغي أن توجه إليه ضربة.

ففوجئت بهذا التفكير الذي يصدر عن زعيم مسلم، متمنياً أن توجه ضربة إلى بلد عربي مسلم، مهما كان التباين معه كبيراً في الموقف، وفي وجهات النظر.

قلت لعباسي: إن الترابي والغنوشي ينتظرانك في فندق عالية بجانب المطار في عمان، تمهيداً لتشكيل وفد يسعى لإيقاف التوتر بين دول المنطقة، إثر دخول الجيش العراقي إلى الكويت، فإذا به يقول:

- هذا الأمر لا يحتاج إلى تظاهرة!!

إشارة منه إلى رفض فكرة الوفد، وأن تقتصر الوساطة على

مساعيه الشخصية دون أن يشاركه أحد، ثم قال:

- على الحركة السودانية -وقد مر على ميلادها زهاء ستين سنة- أن تستفيد من تجربة جبهة الإنقاذ التي يقودها -ولما يمض على تأسيسها أكثر من سنتين- فقلت في نفسي: الويل للجزائر من مثل هذا التفكير، ومن هذه العقلية التي يصعب على الإنسان تقدير الكارثة التي ستجرها على الجزائر، عندما قابلت الترابي في يوم لاحق في عمان، وسألني عن مواقف عباسي ومدني، أجبته:

- الرجل يظن بنفسه أنه المهدي المنتظر، ولا يريد أن يقف معه أو بجانبه أحد تنسيقاً أو مشاركة أو مشاورة.

فقال الترابي: حبذا أن يسمع منك ذلك الأخ راشد الغنوشي.

هكذا خسر عباسي العلاقة مع العراقيين الذين أبدوا امتعاضاً كبيراً من الرجل، ومن العقلية التي يخاطب بها الآخرين، وخسر العراق الصلة مع جبهة الإنقاذ بعد الجهود التي بذلناها لإقامة هذه الصلة، وقد قُوِّضت جميع المساعي الرامية إلى تهدئة الأوضاع وإجراء مصالحة بين العراق من جهة وبين السعودية ودول الخليج من جهة أخرى، فكانت خيبة الأمل كبيرة في تشكيل جبهة قوية من قادة العالم الإسلامي تقوم بإطفاء الحريق الذي يوشك أن يدمر المنطقة بكل أقطارها، وقد كان ذلك، وحدثت كارثة حرب الخليج التي كانت خسائرها أكبر من أن تقدر أو تحصى، واأسفاه.

١٣- قمت مع وكيل وزارة الأوقاف العراقية الدكتور محمد

شريف بزيارة إلى باكستان، والتقينا القاضي حسين أحمد أمير الجماعة الإسلامية أكبر الحركات الإسلامية في باكستان، فأبدى تعاطفاً مع العراق، وفي إجراء مصالحة بينه وبين أشقائه في الخليج، كما زرنا الشيخ إحسان إلهي ظهير في منزله في لاهور، واقترحنا عليه زيارة العراق، فقال:

-وهل تضمنون لي مقابلة الرئيس صدام حسين؟

فأجبناه: ليس هذا الأمر بيدنا، ولا نستطيع أن نَعِدَ به، لكنه في تقديرنا أمر ميسور ومتاح بإذن الله.

أ- ذهبت وفود باكستانية كثيرة إلى بغداد، كان في مقدمتها قادة الجماعة الإسلامية، وقادة جماعة الحديث، وقادة جمعية علماء باكستان برئاسة أحمد شاه نوراني رحمه الله، وبعض علماء السنة وعدد من الشيعة، فحضروا تجمعاً كبيراً ضم قادة وعلماء من معظم الدول العربية والإسلامية.

كانت خُطَبُ إحسان إلهي ظهير شديدة، وكان كثير التخوف من امتداد النفوذ الشيعي إلى البلاد العربية والإسلامية ذات الأكثرية السنية، وأن يمتد الزحف الإيراني الشيعي من بحر الخزر أو بحر قزوين إلى البحر الأبيض المتوسط، ومن جنوبي تركيا إلى شمالي جمهورية باكستان الإسلامية، وأن يبتلع هذا المد العراق وسورية ولبنان والأردن وما حولها.

اهتم العراق بزيارة الوفود، وكان السيد طه ياسين نائب الرئيس العراقي يستقبلها في مكتبه، وقد صحبت بعضها مثل القاضي حسين

والدكتور الترابي، وكنت في الطريق إلى هذه المقابلات أحث القادة الإسلاميين على تذكير العراقيين بوجوب التمسك بالإسلام، والالتزام بأحكامه.

أولى العراقيون اهتماماً خاصاً بالشيخ إحسان إلهي ظهير، إذ استقبله الرئيس صدام استقبالاً مطولاً، وحضر إليه مندوبون من الديوان، ومن دوائر أخرى للتباحث معه، والوقوف على آرائه ووجهات نظره، باعتباره مختصاً بالدراسات الشيعية، وكاتباً كبيراً في موضوعاتها، إذ أصدر عدداً كبيراً من المؤلفات في هذا الموضوع.

ب- صحبنا الشيخ إحسان إلى معسكر خاص بالمجاهدين السوريين، فتكلم فيهم، وخطب في جموعهم معجباً ومشجعاً، بل ومؤيداً لهم في جهادهم.

كان الشيعة في إيران وباكستان يحملون كرهاً في نفوسهم للشيخ إحسان إلهي ظهير، ويرسلون له الوفود إلى منزله لتوجيه النصح له بالتوقف عن فضح شذوذ الباطنية، وفي ذات يوم زاره السفير الإيراني وسأله عن سر عدائه للشيعة، وبعد جدال طويل أمسك عن بعضه لأن فيه تجريحاً للخميني، قال الشيخ إحسان:

- لو توقفتم عن شتم الصحابة الأجلاء، وتوجيه الاتهامات الزائفة والباطلة ضدهم لحدث تقارب وتعايش بين السنة والشيعة.

فنفى السفير -كما روى لنا الشيخ إحسان- أن يكون الشيعة في صدد الهجوم على صحابة رسول الله ﷺ، فأجاب الشيخ إحسان:

- أنتم لو كتبتم كتاباً في الرياضيات لما خلا في أمثلته من النيل من الصحابة الكرام، وقال: مددت يدي إلى كتاب في مكتبتي التي تجمع أعداداً كبيرة من الكتب في هذا الشأن، ولم أكن قرأته من قبل، وشرعت في تقليب صفحاته، لأعثر من فضل الله ولطفه بي على شتائم للخلفاء الراشدين وأصحاب رسول الله ﷺ الميامين، فبهت السفير، وانتهت الزيارة الفاشلة.

جـ- لم يعد باستطاعة زعماء الشيعة الصبر على أنشطة الشيخ إحسان في كتاباته العديدة ومؤلفاته العتيدة عن السنة والشيعة، وعن تحريفهم للقرآن الكريم، وعدائهم لأهل السنة والجماعة والتي أحدثت دوياً كبيراً في دول العالم الإسلامي، وفي البلاد العربية، حتى إن شيعة كثيرين -كما أخبر الشيخ إحسان- تحول عن التشيع، بعد أن رأوا من الطامات ما لا يستطيع قلب مؤمن بالله ورسوله والإسلام الصبر على سماعها، واعتنق مذهب أهل السنة والجماعة الذين يبجلون الصحابة جميعاً دون استثناء، ويعظمون آل البيت تعظيماً يليق بمقامهم وأقدارهم دون غلو أو تفريط أو إسناد الآراء الشاذة لهم، بل وينشئون أبناءهم والأجيال على نهجهم والصلاة عليهم في صلواتهم وأدعيتهم، وفي جميع المناسبات الإسلامية الأخرى. ضاق شيعة باكستان بالشيخ إحسان، وما أحدثه من تنبيه المسلمين إلى الشرور التي تلحق بالمسلمين من تشويه لدعوة الله، وتمزيق لأبناء الأمة الإسلامية الواحدة، فقرروا قتله والتخلص منه، وراقبوه وتابعوه لتنفيذ جريمتهم، فاهتبلوا فرصة إقامة حفل ديني في لاهور، وبعثوا -عن

طريق طفل- مزهرية فيها أزهار ظاهرة، وعبوة ناسفة في داخلها، ووضعوها أمامه على المنصة، فانفجرت وألحقت به جراحات بالغة، حاول الملك فهد والرئيس صدام كلاهما نقله بطائرة لتلقي العلاج، إلا أن المنية عاجلته، فانتقل إلى جوار ربه فداء عقيدته، عقيدة أهل السنة والجماعة التي استشهد في سبيل الله دفاعاً عنها، وحماية لها.

١٤- لم تتوقف المعارضة الليبية ضد نظام معمر القذافي، وكان على رأسها أو في مقدمتها ذوو الاتجاهات الإسلامية التي جمعت صفوفها، وقدمت السفير الليبي السابق الدكتور محمد المقيرف على رأسها، فاتخذت المعارضة من أرض السودان ملاذاً لها، الأمر الذي لم يحتمله القذافي، وضاق به ذرعاً، فقصف إذاعة أم درمان التي كانت تساعد المعارضة الليبية على بث برامجها.

حاول النميري الخروج من هذه الأزمة، وأن يهدئ عداوة القذافي للسودان، فرغب إلى السيد محمد المقيرف أن يغادر السودان، وكان حسن الترابي على صلة قوية بالنميري في نطاق المصالحة التي أجراها معه، فشرح لي الترابي الموقف، ورغب إليَّ أن أتوسط لدى العراق لتقبل السيد المقيرف لاجئاً سياسياً.

أ- رحب العراق الذي كان على عداء سافر مع القذافي، بالمعارضة الليبية وبرئيسها محمد المقيرف الذي وجد في بغداد الأمان والتكريم، ومنذئذ صارت بغداد منطلقاً للمقيرف يخرج منها في جولاته وأسفاره، ويعود إليها كمقر رئيسي له.

مرت فترة لم أعد أسمع عن المقيرف شيئاً في العراق، ولم

أتمكن من مقابلته، حتى التقيته في الطائرة التي كانت تقله إلى بغداد، فسألته معاتباً عن هذا الابتعاد، وتجنب أي لقاء معه، فلم يحر جواباً، ورد بكلام مبهم غير مفهوم.

عرفت مقر إقامته، فوجهت له دعوى إلى طعام الغداء، ضمن طيف من الشخصيات السياسية المرموقة والمعارضة، وعندما حان وقت الغداء وحضر جميع الضيوف، تخلف المقيرف عن الحضور دونما عذر أو اعتذار أو اتصال، فعلمنا أن رجال الأمن الذين يتولون أمره قد نصحوه بعدم الحضور وتلبية الدعوة، والاستمرار في ابتعاده عن الصلة فيما بيننا، كما أدركنا أي نوع من الرجال كان المقيرف، وقد صادفنا مثل هذا النمط من الرجال الذين يبحثون عن المكاسب العاجلة، أما الوفاء وما إليه فلا علاقة لهم به أو بالقيم المماثلة.

ب- من المدهش أن بعض المعارضين يصبحون رهن الأجهزة التي ارتبطوا بها دون النظر إلى حريتهم وكرامتهم واستقلاليتهم، نظير مساعدات مالية أو تقديم خدمات لوجستية من سكن وسيارة وراتب وما إلى ذلك، ليصبحوا رهينة لدى مخابرات الدول التي لجأوا إليها، متناسين الذين مدوا إليهم يد المساعدة، ومهدوا لهم الطريق ليجدوا المأوى أو الملاذ.

ظل المقيرف على هذه الحال من عدم الوفاء، والاستغراق فيما أو مع من وضع مستقبله ومصير معارضته وبرامجه في التحرك والنشاط بأيديهم حتى ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلم نعد نسمع له ذكراً أو ركزاً.

وفي هذه الحادثة وكثير مثلها درس وأي درس لمن يسير في طريق المعارضة، فإذا به يقع في فخ منصوب له مقابل منافع رخيصة وعاجلة، ليكون كالمستجير من الرمضاء بالنار، ومن هذا المصير ينبغي على المعارضة، ولاسيما أبناء الدعوة الإسلامية أن يحصنوا أنفسهم وأبناء دعوتهم من المتربصين بهم وبأمثالهم، ويصطادون بالماء العكر، ويسخرون ممن يلجأون إليهم في أغراض رخيصة، وأحياناً تكون خسيسة. وإذا لم يطمئن المعارضون على أبنائهم من الانزلاق أو السقوط، فخير لهم ألف مرة أن يصبروا ويصابروا بدلاً من أن يتنقلوا من ظلم إلى خضوع، ومن حرية وكرامة إلى ذل وخنوع.

١٥- كان السيد جاسم علوان ذو الاتجاه الناصري واحداً من أقطاب المعارضة السورية لفترة لم يطل أمدها، لأنه كان مرهف الحس، شديد التأثر بأي موقف أو كلمة يسمعها من الآخرين إذ أغضبه كلام صدر عن السيد أمين حافظ في مقابلة صحفية، فانكفأ على نفسه وانسحب من المعارضة بسلبية ليست في رأينا مبررة، لكنه ظل وظللنا معه على صلات وثيقة وصداقة مستمرة، لأن جاسم يتمتع بخلق رفيع ونفس مهذبة في تعامله مع الآخرين.

في أثناء صلته بالمعارضة، ومشاركته بنشاطها، وبعد تجميد عضويته بها، كنا دائمي اللقاء به في مقر إقامته بالقاهرة، والقيام بزيارة منزله، بمبادرة منا أو دعوة منه في مسكنه في حي الزمالك في العاصمة المصرية. وكثيراً ما كان يجمع بنا أو معنا أطيافاً من

شخصيات ناصرية ومعارضة وذات شهرة في مجالات الفكر والسياسة والإعلام.

اقترحنا عليه أن يدعو في هذه اللقاءات بعض الشخصيات الإسلامية، وسمينا له الأستاذ فريد عبد الخالق عضو مكتب الإرشاد السابق أيام الإمام حسن البنا، وقبل أن يمكث في السجن بضع سنين، وكان من قبل وكيلاً لوزارة الثقافة، وكذا الأستاذ المحامي الأخ أحمد سيف الإسلام ابن الشهيد الإمام حسن البنا، فلاقى هذا الاقتراح رغبة لدى السيد جاسم علوان صاحب الدعوة، ولدى الأخوين الكريمين فريد وسيف الإسلام، وسرعان ما لبيا الدعوة، وصارا دائمي الحضور في المناسبات عندما تعقد اللقاءات، وكان الانسجام بين الجميع واضحاً وملموساً، حيث يلتقي الجميع على همّ واحد، هو وجوب توحيد الأمة، وإخراجها من النكبات والأزمات التي تعاني منها.

انتقلنا من هذه المرحلة التي اقتصرت على اللقاء والمناقشات، إلى توجيه الدعوة للأخوين لحضور المؤتمرات الكثيرة التي كانت تعقد بالقاهرة بأسماء مختلفة، وتحت عناوين وطنية وقومية وإسلامية عديدة، ومن أجل العمل على إطفاء الحرب اللعينة بين العراق وإيران التي التهمت الأخضر واليابس، وأفقدت البلدين مئات الآلاف من أبناء البلدين المجاورين، ودمرت الحرث والنسل، وهدمت الطرق وشطراً من المدن في البلدين وأسلحة كثيرة، وأوقفت عجلة التنمية في كلا البلدين الجارين.

أضحت بغداد وجهة الكثير من زعماء العرب والمسلمين، فصار من المألوف أن نرى فيها أربكان والغزالي وسيف الإسلام، وزعماء العرب والمسلمين من شمالي أفريقيا، من تونس وليبيا والجزائر والمغرب، وطيفاً واسعاً من الشخصيات المصرية والسودانية واليمنية والأردنية.

عندما حضر الشيخ الغزالي رحمه الله سألني: كيف يتم اللقاء باللواء محمود شيت خطاب؟

فقلت: أفضل أن تجتمعا على طعام فطور حيث أسكن، تجنباً لإثارة حساسيات لدى العراقيين من اللقاءات الجانبية.

وقد كان ذلك، واجتمع العلمان الكبيران باسم دعوة إفطار كانت مألوفة على هامش المؤتمرات.

ب- وفي آخر مؤتمر عقد في بغداد عام ١٩٨٧ وحضره محمد حسنين هيكل، ووفد سوداني برئاسة السيد علي عثمان والأستاذ محمد الغزالي والأستاذ أربكان وأعداد كبيرة كان سيف الإسلام ضمن هذه الوفود، التي وجهنا لها باسم المعارضة السورية الدعوة إلى طعام الغداء في مطعم تركي حجزناه لهذه الغاية، ولم يتخلف أحد عن تلبية هذه الدعوة التي تكلمنا فيها مرحبين بالوفود، كما تكلم عدد من المدعوين كان السيد نجم الدين أربكان على رأسهم وتحدث باسمهم.

كان القائمون على المؤتمر ينظمون اللقاءات ما بين أعضاء الوفود والشخصيات البارزة وبين القادة العراقيين، من أمثال عزت إبراهيم

الدوري، وطه ياسين رمضان، وقد خص القائمون على المؤتمر شخصيات بعينها وصحبوها إلى زيارة الرئيس العراقي صدام حسين بناء على رغبتهم أو طلبهم.

لكن ما فوجئنا به أن الرئيس طلب من القائمين على ترتيب الزيارات أن يحضروا له الأخ سيف الإسلام ابن الإمام حسن البنا، فذهب تلبية لدعوة الرئيس والتقى به، وكان الترحيب حاراً أكثر من المألوف، وبعد لقاء طال وقته، وتخللته أحاديث شتى كما روى سيف الإسلام: أعرب الرئيس عن سبب هذه الدعوة، والرغبة في استقبال سيف الإسلام: كنت أسمع الكثير عن والدك، وعن دوره في الإصلاح، وعما كان يتمتع به من ميزات وخصائص، وعندما فاتني التعرف عليه والالتقاء به، رغبت بالتعويض عن ذلك بتوجيه الدعوة لك، كي أراك بعد أن فاتني رؤية والدك رحمه الله والتعرف به عن قرب.

١٦- والفقرة المهمة من هذه التجارب الإخوانية مع العراق الشقيق تخص الفكر الإخواني وأمور الدعوة على أرض العراق، فقد كان الخطاب السياسي العراقي قبل هذه الفترة معبراً عن أدبيات حزب البعث والحكومة العراقية، وكانت الصبغة العلمانية هي الغالبة، وعندما أصرت جماعة الإخوان على تثبيت مبادئها في ميثاق التحالف مع أطياف المعارضة من بعثيين وناصريين ومستقلين، أعقب ذلك خطوة أخرى مهمة عندما خصص العراقيون للجماعة معسكر التاجي الذي يقع على بعد خمسة عشر كيلو متر شمالي بغداد، وهو معسكر

رائع في سعته وتنظيمه وموقعه، وكان مخصصاً قبل ذلك للكادر المتقدم في الحزب، فتحول باستلام الإخوان له إلى موئل، تلقى فيه المحاضرات الإسلامية والتوجيهات الإخوانية في الأسر التنظيمية، وفي الإذاعات الصباحية والمسائية ذات الطابع والمضمون الإسلامي. كما كنا نستقبل فيه الضيوف من الدعاة الكبار الذين يؤمون بغداد، ليلقوا فيه المحاضرات الإسلامية، وهكذا أضحى معسكر التاجي عريناً للحركة الإسلامية في وسط بغداد، وفي أهم مواقعها.

حدث هذا ولم نجد من ينكر علينا من العراقيين، أو ينتقد توجهاتنا، أو يبدي أمامنا ومن خلفنا امتعاضاً أو اعتراضاً. لقد كان معسكر التاجي معسكراً إخوانياً إسلامياً بكل ما تعنيه هاتان الكلمتان من تربية وتزكية وسلوك وتوجيه لسنوات طويلة.

أ- وفي اجتماعات الهيئة التأسيسية التي تضم أطياف المعارضة بأعداد تبلغ حوالي ثلاثين مندوباً، وفي المكتب السياسي المؤلف من سبعة أعضاء كان للإخوان منهم عضوان، في هاتين المؤسستين الرئيسيتين في تشكيلات التحالف الوطني لإنقاذ سورية، أصبح الإسلام -في القرارات والنداءات والبيانات والكلمات والاحتفالات والبرقيات المرسلة إلى مختلف الجهات- يشكل جزءاً لا يتجزأ، وحضوراً دائماً في أدبيات التحالف بصورة مألوفة دون أي اعتراض أو جدل حول المصطلحات الإسلامية التي تلامس المجتمع، أو القرارات السياسية الصادرة باسم التحالف الوطني المعارض للنظام السوري.

كان الإخوان مشاركين في كل مؤسسات التحالف النقابية -الأطباء والمحامون والصيادلة والمهندسون- وفي الاتحادات العديدة، وأهمها اتحاد الطلاب الذي كان لأبناء الجماعة نشاط ملموس في احتفالاته ومهرجاناته ومناسباته الإسلامية والتاريخية والوطنية مثل: ذكرى المولد النبوي الشريف، والعام الهجري، وذكرى الإسراء والمعراج، وعيد الجلاء أهم الأعياد الوطنية السورية، فكان شبابنا من طلاب الجامعات دائمي المشاركة في إلقاء الكلمات وإصدار البيانات.

ب- لكن المرحلة الحاسمة في الدعوة للفكر الإسلامي والتوجهات الدعوية كانت طرح أدبيات الإمام الشهيد حسن البنا طيب الله ثراه، فقد أذهلت ونالت إعجاب الجميع من غير الإخوان آراء الإمام البنا، ومواقفه من العروبة المؤمنة والوحدة العربية العتيدة، وتعبئة الأمة ضد الاستعمار والمحتلين، والدفاع عن حقوق الفقراء والمستضعفين من حرفيين وفلاحين وعمال، وفئات بائسة، إذ أضحى من المألوف الاستشهاد بفكر البنا وآرائه في الاحتفالات العامة، ولاسيما تلك التي كان اتحاد الطلاب يقيمها، ومن ذلك: اهتمام البنا ببلاد الشام ولاسيما فلسطين، إذ أدرك الإمام رحمه الله ما يبيت لها من شرور ومخططات ترمي إلى خطفها من شعبها، وإحلال اليهود الوافدين إليها من الآفاق محلهم، بدعم من البريطانيين الذين أقطعوا فلسطين لليهود بموجب وعد بلفور في ٢-١١-١٩١٧ . فشرع الإمام يرسل الوفود إلى فلسطين ليوقظ شعبها، ويحركهم عن طريق الدعاة الكبار الذين بعث بهم بدءاً من منتصف ثلاثينيات القرن الماضي

-١٩٣٥- ليلقوا الكلمات الحماسية في مساجد حيفا ويافا والقدس وغيرها . . . إلخ.

تعاون رحمه الله مع شيوخ فلسطين، وفي مقدمتهم الحاج أمين الحسيني وأعضاء الهيئة العربية العليا والعلماء الأجلاء أمثال الشيخ نمر الخطيب إمام وخطيب مسجد حيفا الكبير، كما بعث الدعاة إلى كل أنحاء القطر المصري لتوجيه المصريين وتعبئتهم إلى ما يبيت ضد فلسطين والعرب والمسلمين من أخطار ومؤامرات لئيمة. وكذا دعوة الإمام البنا إلى الوحدة العربية بحماسة شديدة، وتحدثه عن ميزات العروبة وخصائصها، والقيم التي تحلت بها وعرفت عنها، فقال في كلمة ألقاها في اجتماع رؤساء المناطق عام ١٩٤٥:

«نحن نعلم أن لكل شعب ميزاته وقسطه من الفضيلة والخلق، ونعلم أن الشعوب في هذا تتفاوت وتتفاضل، ونعتقد أن العروبة لها من ذلك النصيب الأوفى والأوفر، ولكن ليس معنى هذا أن تتخذ الشعوب هذه المزايا ذريعة للعدوان، بل عليها أن تتخذ ذلك وسيلة إلى النهوض بالإنسانية، ولعلك لست واجداً في التاريخ من أدرك هذا المعنى من شعوب الأرض كما أدركته تلك الكتيبة العربية من صحابة رسول الله ﷺ.

ومما كان يسمعه العراقيون عبر التحالف والمناسبات عن حديث الإمام عن الوحدة العربية حديثاً يفيض بالحماسة والاقتناع، وربطه بالعقيدة وأصول الدعوة إلى الإسلام في مناسبات كثيرة، وفي فترات متفاوتة، كان أوضحها ما جاء في خطابه بالمؤتمر الخامس عام

١٩٣٨ إذ قال:

«ثم إن هذا الدين نشأ عربياً، ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه بلسان عربي مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين، وقد جاء في الأثر: إذا ذل العرب ذل الإسلام، وقد تحقق هذا المعنى حين دال سلطان العرب السياسي، وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم، فالعرب -كما يقول الإمام- هم عصبة الإسلام وحراسه، وأحب هنا أن أنبه -يقول البنا- إلى أن الإخوان المسلمين يعتبرون العروبة كما عرّفها النبي ﷺ فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: ألا إن العروبة اللسان، ألا إن العروبة اللسان، ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لابد منه لإعادة مجد الإسلام، وإقامة دولته، وإعزاز سلطانه، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها، وهذا هو موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربية.

ثم أكد الإمام المرشد على هذا المعنى في المؤتمر السادس الذي عقد في عام ١٩٤١ فقال:

«العروبة لها في دعوتنا مكانها البارز، وحظها الوافر، فالعرب هم أمة الإسلام الأولى، وشعبه المتميز، ولن ينهض الإسلام بغير اجتماع الشعوب العربية ونهضتها، فهذه الحدود الجغرافية والتقسيمات السياسية، لا تمزق في أنفسنا أبداً معنى الوحدة العربية الإسلامية التي جمعت القلوب على أمل واحد، وجعلت من الأقطار جميعاً أمة

واحدة، مهما حاول المحاولون، وافترى الشعوبيون، ونحن نعتقد أننا حين نعمل للعروبة نعمل للإسلام ولخير العالم كله».

في الشأن الاقتصادي آلم الإمام ما يعانيه المواطنون من فقر وبؤس ومرض وجهل، فأرسل رحمه الله صيحة مدوية حذر فيها من النتائج المترتبة على ذلك، وذكر أن في مصر ٣٢٠ شركة يملكها أجانب وغرباء وجاليات، بينما لا يملك المصريون سوى إحدى عشرة شركة، ونادى رحمه الله بتمصير -تأميم- الشركات، وإحلال رؤوس الأموال الوطنية محل رؤوس الأموال الأجنبية، واستقلال النقد المصري عن الإسترليني. كما تحدث عن نظام الملكيات، فدعا إلى إعادة النظر في تمليك الأرض، وبتشجيع الملكيات الصغيرة، وتعويض ذوي الملكيات الكبيرة، حتى يشعر الفقراء أن لهم في الأرض ما يعنيهم أمره، ويهمهم شأنه، كما جاء في رسالة النظام الاقتصادي التي صدرت عام ١٩٤٨ .

جـ- وإذن فقد صار مألوفاً أن نحمل رسائل البنا في العراق بأيماننا، ونقلب صفحاتها في مؤتمرات الطلاب، وفي الاجتماعات التحالفية، ونقرأ منها على مسمع من الطلاب الذين ينتمون إلى تنظيمات غير إخوانية، فكانوا يصغون إليها باهتمام، دون أن يتحفظوا على سماعها، بل كانت رغبتهم ملموسة في الاستماع إلى آراء الإمام الشهيد وأفكاره.

هكذا أضحت أدبيات الإخوان وعلى رأسها ما سطره قلم الإمام في رسائله حول الوحدة والاقتصاد والنقد والملكية وقنال السويس

التي طالب بتمصيرها، وفي مختلف الآراء. فكان وجود الإخوان المسلمين في العراق، على كل المستويات السياسية والنقابية والطلابية سبباً واضحاً في التعريف بالفكر الإخواني والتذكير بأدبياتهم في كل المناسبات، حتى غدا الخطاب الإسلامي مألوفاً ومرغوباً فيه على أرض الرافدين وفي عاصمة القطر العراقي الشقيق.

د- ومن إنجازات هذه المرحلة تذكيرنا الرئيس -في أحد لقاءاتنا به- بتخصيص إذاعة للقرآن الكريم التي أخذت بها دول كثيرة كالأردن ومصر وغيرهما، ليكون في بغداد إذاعة خاصة بها تبث سور القرآن وآياته، وعلوم القرآن الكريم على مدار الساعة، وقد نفذ الرئيس هذا المقترح وأخذ به، دون أن نعلم أن ذلك كان بناءً على تذكيرنا له، أم أنه جاء بتذكير غيرنا، وإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى.

كان الشيخ عبد الوهاب السامرائي من أبناء الدعوة البررة، لم يتوقف طوال عمره المديد عن خدمتها على كل الصعد، وكان لنا تعاون معه في مجالات عدة، أهمها توزيع الصدقات على مستحقيها، وكان يصدر منذ أكثر من نصف قرن مجلة التربية الإسلامية، ويرعاها كما يرعى الأب ولده الوحيد، يجمع لها التبرعات، ويفسح صفحاتها لأقلام الكتاب والدعاة، ويقوم بتوزيعها في خارج العراق أكثر مما يوزع منها في داخل القطر.

صدر ذات يوم قرار بتوقيفها وإلغاء وجودها، فبادرت -دونما استشارة من الرجل الصالح عبد الوهاب رحمه الله- وراجعت السيد

نائب الرئيس بموضوع المجلة قائلاً له:

- مجلة التربية الإسلامية مجلة معروفة ومرموقة لدى أوساط كثيرة في خارج العراق، وفي بلاد العرب والمسلمين، وهي معنية بالعلوم الإسلامية، وليس لها مساس في السياسة، وهي مصدر دعاية إيجابية للعراق في الخارج كدليل على أن العراق يسمح بنشر العلوم الإسلامية. وتوقيفها يخلف موقفاً سلبياً لدى الأوساط الإسلامية في داخل العراق وفي خارجه.

لم تمض أيام على هذا اللقاء حتى استصدر النائب -وأرجح أن ذلك بعد استشارة الرئيس كما هي العادة في كل الأمور صغيرها وكبيرها- قراراً بإعادة المجلة إلى الصدور، وعندما كنت أسير في ممرات القاعة الكبرى بعد حضور الاحتفال بذكرى سيد الخلق ﷺ التقيت الشيخ عبد الوهاب رحمه الله، فرأيته مستبشراً بعودة مجلة التربية إلى الصدور، فسألته: كيف عادت؟

فقال: لا أدري.

فأعلمته عن المراجعة بشأنها، فازداد سروره سروراً، ودعا لي رحمه الله بخير، ونسأل الله جل شأنه حسن القبول، وأن يكون ذلك في سبيله سبحانه وابتغاء مرضاته.

١٧- منذ منتصف الثمانينيات من القرن الماضي خطونا خطوة إيجابية مع العراقيين إذ أتيح لنا أن نقترح وننصح وننبه إلى بعض الأمور التي من شأنها أن تلفت النظر إلى محاسن الإسلام، أو تجنب ما يخالفه دون أن نواجه برفض أو تحفظ، بل أصبحنا نشعر بأن

العراقيين يتقبلون نصحنا، ويأخذون بما نقترحه عليهم في كثير من الأحيان.

وعندما اقترحنا عليهم توجيه الدعوة إلى العلماء الكبار والمخلصين في أصقاع العالم الإسلامي ليقولوا رأيهم في الحرب المشتعلة بين إيران والعراق بعد أن مر على نشوبها سنوات دون أن ينطفئ لهيبها أو تقتنع إيران بالتفاوض حول إنهائها.

سألنا العراقيون عن طريق المكتب السوري عن الطريق إلى إنهاء الحرب الضروس، فقلنا لهم: توجيه الدعوة إلى العلماء الصادقين الصريحين الذين لا يجاملون على حساب الحق، أو بدوافع غير شرعية، وذكرنا لهم أسماء المعروفين من الإخوان وغيرهم في البلاد العربية والإسلامية وفي الجاليات وفي القارات الغربية والآسيوية والإفريقية، ليسمعوا منهم صدق الحديث وأحكام الشريعة حيال هذه الحرب، ثم تقدمنا بمقترحات من شأنها تهيئة المناخ لإنجاح مثل هذا المؤتمر الفريد من نوعه، والذي يقبل به العراق لأول مرة في تاريخه الحديث.

أ- تقدمت بورقة إلى الحكومة عن طريق وزير الأوقاف تحت عنوان: التمهيد للمؤتمر، تتضمن مجموعتين من الأفكار، في المجموعة الأولى ثلاث عشرة فقرة تحت عنوان: التمهيد للمؤتمر وهي:

- عفو عام عن المقيمين خارج العراق، يعقبه اتصال بهم، لتسوية أمورهم، من جوازات ومرتبات وغير ذلك، ثم يترك لهم الخيار

بالعودة أو البقاء حيث يقيمون، لإكمال دراستهم أو الاستمرار في أعمالهم.

- إحياء التعليم الديني في المدارس الملحقة بالمساجد والاستفادة من الشيوخ المصريين والسوريين وغيرهم إن وجدت ثمة حاجة لذلك.

- إقامة معهد ديني خاص بأبناء العشائر -حديثة التشيع- تمهيداً للعودة بهذه العشائر إلى ما كانت عليه منذ عهد قريب، والإكثار من المساجد في مناطق هذه العشائر، وتزويدها بالأئمة والوعاظ المؤهلين.

- الحفاظ على ريع الأوقاف الإسلامية، وصرفها في وجوهها الشرعية، والإنفاق على المؤسسات الدينية الأخرى من الريع الخاص بها، أو من ميزانية الدولة.

- العناية بالتوجيه الإسلامي في الحزب، وتفسير الرسالة بمضمونها الحقيقي، وبما يتفق ومقولات وتفسيرات عدد من المسؤولين، وما أدلوا به من تصريحاتهم في تحدثهم للعلماء ولرجال الصحافة.

- الاهتمام بتوجيه المرأة بشكل خاص نحو القيم العربية الأصيلة، والإسلامية السامية من حشمة ووقار، وتحل بالمثل الإسلامية الرفيعة.

- تشجيع الكتاب الإسلامي، ونشره محلياً كان أو خارجياً،

وإفساح المجال لاستيراده وتوزيعه، وكذا المجلات الإسلامية المتخصصة للدخول إلى العراق أسوةً بالمجلات الأخرى الوافدة من الكويت والبحرين وأوربا وغيرها.

- الحد من انتشار الخمور، ومنع تقديمها في الملاهي والفنادق والمطاعم، وحصر ذلك في الحانات المخصصة لخدمة الأجانب، والتقليل من استيرادها كما حدث لمواد غذائية مهمة، ترشيداً للاقتصاد ومراعاة للظروف، وانسجاماً مع مواد الدستور، والتماساً لمرضاة الله وتوفيقه، فالخمور ليست أكثر أهمية من بعض المواد الغذائية التي توقف استيرادها.

- مكافحة الزنى ومطاردته، تطهيراً للمجتمع من هذه الآفة، وما تجره من فساد للصحة، ودمار للأخلاق، وقتل للمروءة، والدولة قادرة على ذلك، بدليل ما أحرزته من نجاح في مكافحة الشذوذ والقمار والرشوة وغيرها، وهذا ما يدفع بالشباب إلى الزواج والتفكير الجاد به، والإقبال الملح عليه بعد أن تُسد في وجوه الشباب أبواب الفحش والدعارة، وكم من ذريعة سيغلق بابها، ومن مصلحة عظيمة ستتحقق، بعد أن ازداد عدد الأرامل بعد استشهاد العديد من الشباب والرجال المقاتلين.

- تعظيم الحرمات الإسلامية ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ولاسيما شهر رمضان المبارك، وذلك بإصدار الأوامر الصريحة من دوائر الدولة النافذة القرار، وليس من دوائر أخرى لا تكون لقراراتها الهيبة الكاملة والنفاذ التام في نفوس

المواطنين.

- أن تأخذ المساجد دورها كعامل تربية وتوعية وتعبئة وتهذيب في تنشئة وتكوين الإنسان الصالح، والمواطن النافع، والمجتمع المتكامل والمتضامن، وذلك عن طريق دعاة علماء وموجهين أقوياء، يتم اختيارهم وتكوينهم وإعدادهم بعناية، ليصبحوا قادرين على تفجير طاقات الشباب والشابات، فينشأ مجتمع صلب يستعصي على دواعي الرذيلة وأسباب الفساد.

- السير بالإعلام -صحفاً وإذاعة وتلفزيوناً- إلى حيث يكون منسجماً مع التوجيه في المدرسة والجامعة والمسجد، ومع عدد من المقالات والمقابلات الصحفية والرسائل التي صدرت، ومع بيانات الجيش العسكرية التي تفيض حماسة وإيماناً.

لقد كان التلفزيون العراقي منذ أكثر من عامين مثلاً طيباً لمحطات التلفزيون العربية في تأكيده على الفترات التاريخية الزاهية لأمتنا، في المسرحيات والتمثيليات التي يقدمها، وفي تكريس البرامج العلمية النافعة، مما كان يشكل نسبة عالية في برامج التلفزيون اليومية، وفجأة شرع يعرض برامج هابطة، فيها الكثير من التبذل والتعري، الأمر الذي لم يكن مألوفاً من قبل.

- إعادة النظر في المناهج التعليمية، وإفساح المجال للتربية الإسلامية -عقيدة وعبادة وقيماً ومثلاً وبحوثاً في مجالات الإسلام المتنوعة- لتأخذ حظها، أسوة بمواد المناهج الأخرى -علمية وأدبية

ورياضـية- من حيـث الكم والنوع والامـتحان والـمدرس المخـتص، لتحقيق التكامل التربوي في تـكوين الإنسان الكامل والمواطن الصالح الذي تفـجرُ معـاني الإيمـان ودعائم الإسـلام في قلبه، مـعاني الـوفاء والفداء والاستشهاد في سبيل الله، دفاعاً عن الأرض والعرض، وعن المـبادئ والأمـة، وعندئذ تـكون أمتنـا مهـيأة للنـهوض من كـبوتـها، واستئـناف مسيرتهـا، والاضطلاع بدورها في أداء رسـالتها للعـالمين، فـتعـود أمة السـيادة والـقيـادة والريادة بإذن الـله وعونـه ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

وفي المجمـوعة الثانية تحت عنوان التـمهيد للمؤتمـر سبع فقرات هي:

- أن تمثل جميع البلاد العربيـة والإسلامية دون استثناء، ولو مثل القطر أو البـلد بشخص واحد، وأن يكـون الوفد مناسبـاً في عدده مع أهمية الدولة، وعدد شعبها ومكانتها في المحيط الإسلامي، ومع وزن المدعوين علمياً واجتماعياً وسياسياً.

- توجيه الدعوة لـشخصيات مؤيدة وحيادية ومـعارضة، إذا كانت الأخيرة معقولة ومتزنة.

- التشـاور في شأن المؤتمـر مع عدد من الشخـصيات المـخلصة والصديقة، إما باستدعائها، وإما بزيارتها في بلد إقامتها.

- توجيه الدعوة لمنظمات غير إسلاميـة لترسل ممثلين عنها بصفة مراقـب، مثل: الأمم الـمتحـدة، الفاتـيكان، منـظمة العـفو الدولـية،

الوحدة الإفريقية، منظمة المؤتمر الإسلامي، عدم الانحياز. . . إلخ.

- زيارات خاطفة يقوم بها واحد أو أكثر لعدد من البلدان والأقطار، بغية القيام بدراسة مستأنية للشخصيات، لمعرفة ما تمثله من وزن شخصي، وثقل شعبي، ومكانة سياسية، وقيمة علمية في محيطها بهدوء ودقة وكتمان.

- أن تشارك في الإعداد لهذا المؤتمر في الدراسة والاتصال والزيارات، شخصيات عراقية لها وزنها وصلاتها الوثيقة بالشخصيات الإسلامية العالمية، من أمثال: الندوي، وطفيل، وخورشيد، والغزالي، وممثل الزعامة الدينية في السنغال ونيجيريا، والقرضاوي وشيخ الأزهر، وتقي عثماني، ومفتي تونس، ومفتي المغرب، واتحاد الطلاب المسلمين في أمريكا وإنكلترا، وحركة الشباب الماليزي برئاسة أنور إبراهيم، والجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية، والمفكر جارودي، وموريس بوكاي وغيرهم.

- يحسن أن يكون موعد الانعقاد في مطلع الصيف، وبعد الانتهاء من الموسم الدراسي، وفي موسم الإجازات الصيفية، كي يتاح لأكبر عدد من المرغوب بحضورهم تلبية الدعوة والمشاركة في المؤتمر.

استلم وزير الأوقاف هاتين الورقتين في ٢٥-١-١٩٨٥ تحت عنوان: التمهيد للمؤتمر كما رأينا، بارتياح وقبول حسب ما بدا لنا، دون أن يكون لهذه المقترحات وما جاء فيها من نصح صريح موقف سلبي تجاهنا، أو تحفظ حيالنا، أو ردود حادة أو غاضبة، الأمر الذي

شجعنا وجرّأنا على توسيع دائرة النصح التي أدت إلى إصلاح الخلل في أمور عديدة كلما حانت الفرص أو وجدنا إلى ذلك سبيلاً، نقتصر على إيراد أمثلة منها محدودة، كان النصح فيها يقدم إلى الرئيس العراقي أو إلى نائبه طه ياسين رمضان.

ب- في الخامس عشر من شهر ربيع الأول عام ١٤٠٨ الموافق ١٩٨٧ فاجأ الرئيس صدام العراق والعرب والمسلمين بقرار يقضي أن يكون مولد المصطفى ﷺ عيداً قومياً للمسلمين ولغيرهم، تحتفل الأمة كلها (دولة وشعباً ومنظمات) به، وتذكر بالمبادئ السامية والمتقذة التي بلغها الرسول ﷺ للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ودعا الوزارات والمؤسسات وجميع رجال الدولة الكبار، كما دعا البعثات الدبلوماسية ورجال السلك السياسي في بغداد إلى المشاركة في قاعة الاحتفالات الكبرى لإحياء ذكرى سيد الخلق، ورسالته الخالدة والخاتمة، فكان يوماً مشهوداً ملأ قلوب أبناء العراق، ومن يعيش على أرض العرب سعادة وسروراً، واستبشاراً بتحول عظيم نحو الإسلام، واتباعاً لسيد الأنام، عليه أفضل صلاة وأزكى سلام.

انتهزت هذه الفرصة لتذكير الأمة بمبادئ الإسلام ورسالته المنقذة، وأخلاقه العظيمة، وقدرته على النهوض بالعرب والمسلمين، ليعودوا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

سارعت إلى كتابة هذه الرسالة العفوية السريعة دون مقدمات أو

برتوكولات، ورفعتها بالحال إلى الرئيس صدام مباركاً ومشجعاً على هذا التوجه الميمون:

السيد رئيس الجمهورية العراقية صدام حسين حفظه الله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فإن مولد محمد بن عبد الله ﷺ كان ميلاد الأمة العربية مجداً وحضارة وسؤدداً.

لقد أرسى سيد الخلق محمد رسول الله ﷺ للعرب وحدة عتيدة، لم تقم على غير مبادئ الرسالة العظيمة قط على مدار التاريخ في القديم والحديث، وبنى لأمتنا حضارة مجيدة أساسها الرحمة والحب والأخوة الإنسانية، ما زالت قادرة على إنقاذ البشرية من الدمار الذي يتهددها، كما أشاد لأمته صرحاً من العدالة كانت المجتمعات البشرية وما تزال تحلم بتحقيقها، وتلهث وراءها ذات اليمين وذات الشمال، وأعلن المساواة الكاملة بين الناس جميعاً لا فرق بين أبيض وأصفر وأسود، منذ خمسة عشر قرناً في تطبيق فعلي لحقوق الإنسان، لم تبلغه حضارة اليوم رغم الإقرار النظري لهذه الحقوق في ميثاق الأمم المتحدة عام ١٩٤٨، وشق لهم طريق السعادة والفوز في هذه الحياة الدنيا، وفي الدار الباقية، وقادهم هو وخلفاؤه ومن سار على هديه من نصر إلى نصر حتى رفرفت أعلامهم على بقاع الأرض وفي العالمين.

يا سيادة الرئيس الموقر:

إن الرسالة الإسلامية التي أقامت لأمتنا وحدتها، وشيدت

حضارتها، وأرست عدالتها، وصنعت أمجادها، لقادرة دون سواها أن تفعل ذلك مرة أخرى، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها كما قال الصديق رضي الله عنه، فنعود كما كنا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

إن اهتمامكم العظيم بميلاد الرسول العظيم الذي تمتلئ قلوب العراقيين بحبه، والإيمان بتعاليمه لهي البشرى بإذن الله للنصر القريب الذي لا يخص العراقيين وحدهم، بل ستشمل فرحته الكبرى الشعب العربي والعالم الإسلامي وكل محب للحرية، وعاشق للسلام. ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم، ويسألونك متى هو قل عسى أن يكون قريباً.

١٥ ربيع الأول ١٤٠٨هـ	**المراقب العام**
٧ تشرين الثاني ١٩٨٧م	**للإخوان المسلمين في سورية**
	عدنان سعد الدين

ج- كان الأستاذ محمد المبارك في مقدمة المفكرين الإسلاميين الذين قرأوا الفكر القومي، وسبروا أغواره، وما ينطوي عليه من تطلعات، وما ينبثق عنه من برامج وأفكار، وما تفرع من تنظيمات قومية وعلمانية وليبرالية وراديكالية، وناقش أصحابه، والتقى رجالاته ومؤسسيه، ووضع يده على ما يتطلع إليه البعثيون والناصريون وأمثالهم، وما يتفرع عنهم، فحملته هذه الدراسة المعمقة والإحاطة الشاملة على تأليف كتابه: (الأمة العربية في معركة تحقيق الذات)

مبرهناً على أن العرب لن ينهضوا بغير الإسلام، ولا يملكون مقومات استئناف دورهم الريادي من دونه، وإن جميع محاولاتهم بما فيها استعارة الفكر من الخارج ومن الأيديولوجيات الوافدة، لن تجديهم نفعاً، وواجه، رحمه الله، كل دعاة القومية والعلمانية بفكره المقنع، وأدلته الدامغة، وفي مقدمتهم ميشيل عفلق.

رأيت في هذا الكتاب خير ما يُهدى ويقدم إلى قادة الحزب في العراق من منظرين ومسؤولين، فاشتريت من مكتبات عمان عشر نسخ، وضعتها بين يدي قادة الحزب: صدام ونوابه وأعضاء في القيادة، وكان في مقدمتهم صدام حسين قائلاً: أقدم لكم كتاباً تليداً وضعه أحد رجال الفكر والحضارة والإصلاح الأستاذ محمد المبارك عن مقومات الأمة العربية ومستقبلها وطريق نهوضها، رجاء التفضل بقبوله، آملاً أن يكون في وقتكم المليء بالأعمال الكبيرة، متسع للاطلاع عليه، أو على بعض فصوله، وتقبلوا أزكى سلام وأعطر تحية. في ٩-٤-١٩٩٠ .

د- في منتصف عام ١٩٩١ أصدر العراق قانوناً للأحزاب السياسية -وإن لم يكن له تأثير على أرض الواقع- فاحتوى على مادة مسيئة للإسلام، لا يمكن السكوت عنها، فخاطبت نائب الرئيس طه ياسين بكتاب جاء فيه: لقد أثار قانون الأحزاب السياسية كثيراً من التساؤلات والتفسيرات، من أهمها وفي مقدمتها:

- هذا التباين بين أقوال الرئيس، وبين النص على إقصاء الإسلام عن السياسة.

- نصت المادة الخامسة من القانون على منع إجازة تأسيس الحزب السياسي على أساس زج الدين في السياسة، أو على أساس الإلحاد أو الطائفية أو العنصرية أو الإقليمية أو العشائرية، ليأتي إبعاد الدين عن السياسة في سياق الأوبئة والأمراض الاجتماعية كالطائفية والإلحاد والشعوبية.

إن العرب والمسلمين يقفون مع العراق في محنته وتصديه للهجمة الصهيونية والاستعمار بقيادة أمريكا بعد أن أعلن العراق مواقفه الإيمانية، ورفع راية الجهاد وشعار الله أكبر، وجعل الإسلام دستوراً أسمى (من كلمة لصدام) تسير في ركابه وفي ظل مبادئه الوطنية والقومية دون أن تخالفه أو تخرج عليه أو على أحكامه، فإذا سمعوا مواد القانون الذي بدأت الإذاعات العالمية مثل مونت كارلو تعلن عنه، وتؤكد على إقصاء الدين العمل السياسي، فإن ذلك سوف يؤدي إلى بلبلة في وقت نحن أشد ما نكون فيه إلى المزيد من التلاحم وتعميق الثقة وتأكيد المواقف المبدئية كي نقطع الطريق على الذين طبعوا الدستور في إشارة منهم إلى مادة مماثلة تقصي الدين عن السياسة، ويفرضون على العراق وشعبه حصاراً لئيماً، ويهددون ويتوعدون.

إن الهدف الذي ترمي إليه المادة الخامسة في قانون الأحزاب هو قطع الطريق على الصراعات الطائفية التي تمزق الوطن، وتعرض وحدة الشعب للخطر، يمكن أن تؤدي إلى النتيجة نفسها لو جاءت كلمة الطائفية بدلاً من كلمة الدين، فنصت على عدم جواز قيام أي حزب على أسس طائفية أو مذهبية تخص فئة من المواطنين دون

الفئات الأخرى. فهل يمكن استدراك هذا التصحيح فتهدأ النفوس وتطمئن القلوب هنا وهنالك، فتكون حجة المدافعين دامغة، وحجة المشككين داحضة؟

قال رسول الله ﷺ: الدين النصيحة... إلخ ومن هذا المنطلق نقدم هذا المقترح.

لم تمض أيام حتى قرأنا في جريدة أردنية، أرجح أنها الدستور، أن الحكومة العراقية أجرت تعديلين، أحدهما خاص بالأكراد، وثانيهما خاص بقانون الأحزاب، وتعديل المادة الخامسة بما لا يمس الإسلام في قانون الأحزاب أو في العمل السياسي.

هـ- نشأت في العراق حركة صوفية تسمى الكسنزانية، سجل العلماء والفقهاء الموثوقون عليها مآخذ كبيرة في مخالفاتها الشرعية، وفي انحرافاتها، وقد فاجأت المجتمع العراقي في مطلع عام ١٩٩٢ ببدعة شاذة وانحراف كبير، إذ أصدرت تقويماً مطبوعاً على ورق صقيل، وصادر عن مطابع رسمية يحمل اسم التقويم المحمدي، فراعني ما قرأته فيه من تاريخ جديد غير التاريخ الهجري لم أسمع به من قبل، وفيه مسخ للأشهر القمرية التي أجمع المسلمون على تسميتها منذ فجر التاريخ الإسلامي، وخلاصة الشذوذات فيه:

- درج الغربيون على تسمية المسلمين بالمحمديين تشبيهاً بالأديان الأخرى التي سمّى أتباعها أديانهم باسم النبي الذي جاءهم، فاليهود ينتسبون إلى يهودا، والمسيحيون إلى المسيح، وكذا الأديان غير

السماوية كالبراهمة والبوذيين وغيرهم، أما المسلمون فقد سماهم القرآن بالمسلمين نسبة إلى الدين الخاتم، لا إلى النبي الذي حمل لهم الرسالة العظيمة الخاتمة.

- اجترأ التقويم على الشهور القمرية فسمّى بديلاً منها أو ما يوازيها، متناسياً أن الشهور القمرية قد وردت في السنة النبوية على لسان المصطفى ﷺ، كقوله: اللهم بارك لنا في رجب وشعبان، وبلغنا اللهم رمضان، وقوله ﷺ: من صام رمضان، وأتبعه بستٍ من شوال فكأنما صام الدهر كله.

رفعنا إلى السيد النائب مذكرة احتجاج على هذه الفئة المنحرفة التي تجرأت على تشويه التاريخ الهجري الذي أجمع المسلمون منذ ظهور الإسلام وحتى يومنا بأن بدء التاريخ الإسلامي هو يوم هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة وأقام دولته المباركة على أرضها الطاهرة، ولم يجرؤ على مخالفة ذلك إلا القذافي الذي ذهبت محاولته الفاشلة أدراج الرياح، وشرحت المذكرة جميع الشذوذات التي وردت في التقويم الذي طبعته مطبعة رسمية وأنفقت عليه بسخاء، وروجت له الإذاعة والتلفزيون، وذكرت أن صاحب التقويم الكسنزاني رغم أنه استجاب للرئيس في إعادة كتابة التاريخ، جاهلاً أو متجاهلاً الفرق الواسع والبون الشاسع بين إعادة كتابة التاريخ لإبراز الصفحات الغر في أسفاره، وتنقيته من الزيف والدس والتزوير، وهذا ما كان يحض عليه كبار المفكرين من أمثال سيد قطب ومحمود محمد شاكر رحمهما الله، وبين المسخ والتشويه والعبث في المعالم

والثوابت والأصول التاريخية التي أجمعت الأمة عليها بكل فرقها ونحلها وما تزال.

تستلم السيد النائب المذكرة، وبذل جهده لوأد هذه الفتنة ودفنها في مكانها، فتم القضاء المبرم عليها، وكأنها لم تكن بفضل الله، ثمَّ، بجهود النائب في استجابته السريعة رحمه الله.

و- إن أهم ما خاطبنا به العراق -باسم التحالف الوطني السوري- مذكرة تتضمن حلاً لأزمة العراق بعد دخول جيشه إلى الكويت، بعد أن شعرنا أن الخطر على العراق والعرب أضحى محدقاً، وهو وشيك الوقوع في كارثة لا يعلم إلا الله خطرها ومداها، ولذا فلابد من مصارحة القيادة العراقية بالكارثة الوشيكة والتفكير بالخروج منها بسلام، وقد صاغ المذكرة التي تقدمنا بها باسم المكتب السياسي للتحالف: الأستاذ شبلي العيسمي الأمين العام المساعد السابق للقيادة القومية لحزب البعث. بالرغم من إدراكنا أن وقعها سيكون ثقيلاً على نفوس القيادة العراقية، ونظراً لطول المذكرة أكتفي بنقل فقرات منها تبرئة للذمة، وقياماً بأداء واجب النصيحة مهما كان الحديث عنها مراً وثقيلاً:

السيد الرئيس صدام حسين المحترم

تحية واحتراماً: رأينا من الواجب أن نضع بين أيديكم بعض الآراء التي نعتقد أنها قد تنطوي على فائدة في هذه المرحلة العصيبة التي يتقرر فيها مصير أمتنا ومستقبلها، في حدود معلوماتنا واجتهادنا، وتحليلنا للأوضاع العربية والدولية الراهنة.

ومهما يكن من أمر فإن ما يشفع لنا في تقديم هذه الآراء هو حرصنا الشديد على أن يبقى العراق القائد لمسيرة التحرر والنضال ضد الإمبريالية والصهيونية وأتباعهما، وأن تتحقق أهداف الأمة العربية في الوحدة والتحرر.

إن العراق قد بنى جيشاً قوياً بثروته وجهد أبنائه، يستطيع به الذود عن الوطن والأمة، ويقيم التوازن الاستراتيجي بصورة حقيقية مع العدو الصهيوني، ويضع حداً لعربدته، كما فضح الادعاءات الزائفة لبعض الأنظمة العربية، وفي مقدمتها النظام السوري الذي يزعم أنه يعمل لتحقيق هذا التوازن، للخداع والتضليل وابتزاز الأموال من دول الخليج، لهذا كله فقد لاحظنا أن الحملة الشديدة المغرضة والمفتعلة على العراق بدأت في الربع الأول من هذا العام ١٩٩٠، بحجة الدفاع عن الشرعية الدولية والقانون الدولي، بكلمة حق يراد بها باطل.

ومما زاد في حرج هؤلاء الأعداء وفضح تلك الذرائع الزائفة، وَضعُ قضية فلسطين في الواجهة من اهتمام العالم وفضح أساليب الغرب ومقاييسه المزدوجة تجاه القضايا العالمية المتماثلة، ومن ثم فضح أغراضها في الهيمنة على النفط العربي، وابتزازها لثروات العرب وشعوب العالم الثالث، والإبقاء على إسرائيل قوة راجحة ومهيمنة في المنطقة العربية، ومن ثم تمكينها من تحقيق أحلامها التوسعية في إقامة إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل، وهذا ما يفسر لنا التوافق التام بين ما ينادي به بوش وإدارته، وما تنادي به إسرائيل واللوبي الصهيوني من تصريحات حاقدة تعبر عن استراتيجية

مشتركة تهدف إلى تدمير قوة العراق العسكرية وقيادته الوطنية.

انطلاقاً من هذا التحليل، وإبطالاً للذرائع التي استخدمتها أمريكا وحلفاؤها الحاقدون، والتي استطاعت أن تثير بها قطاعاً واسعاً من الرأي العام العالمي الرسمي ضد العراق، وأن تسخر مجلس الأمن وهيئة الأمم في إصدار القرارات المعادية والمؤذية للعراق تمت بضغوطٍ وإغراءاتٍ أمريكية، ورشاوى بأموال عربية، نقول: انطلاقاً من ذلك كله، وثقة منا أنكم تدركون بعمق أبعاد التآمر الأمريكي والأوربي والصهيوني على العراق والأمة العربية، فإننا نجد من المفيد اعتماد بعض المرونة في الاتجاه الذي يعزز جانب التسوية السلمية، ويبعد احتمالات الحرب، الأمر الذي يسمح لنا أن نقترح تقديم مبادرة جديدة باتجاه السلام وفق ما ترونه ممكناً ومناسباً لهذه الفترة، وإلا فحسبنا أننا توخينا ذلك وأردناه.

وبعد: فلكي يكون الحلّ عربياً، واستبعاداً للهيمنة الأمريكية عليه: هل يمكن القبول بعقد مؤتمر قمة عربية لبحث الأزمة من جميع وجوهها؟ والقبول بما يتخذ بالأكثرية وفق الضوابط والشروط التالية في حالة المطالبة بانسحاب القوات العراقية من الكويت.. يشترط:

- تزامن انسحاب القوات الأجنبية من السعودية والخليج.

- إلغاء كل القرارات الجائرة التي صدرت عن مجلس الأمن ضد العراق.

- استئناف المفاوضات السابقة لضمان الحقوق المشروعة في

الكويت.

- تأكيد العرب على تبنٍّ واضح وحاسم لمؤتمر دولي لحل قضية فلسطين حلاً عادلاً وشاملاً وفق ما تراه مناسباً منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد لشعب فلسطين.

- التعهد بالوقوف إلى جانب العراق أو أي دولة عربية يقع اعتداء عليها من أي جهة، ولاسيما إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، أي اعتماد ميثاق الدفاع العربي المشترك والالتزام به.

- إيجاد صيغة محددة لضمان الدعم الاقتصادي الفعال من الدول العربية الغنية للدول العربية الفقيرة، وربما كان من الأجدى في تحقيق هذه المبادرة إن لقيت من جانبكم قبولاً أن يتم طرحها من جهة عربية.

أما إذا كان لابد أن يأتي الحل على الصعيدين العربي والدولي، فإننا نقترح أن يعلن العراق استعداده لقبول مبدأ الانسحاب من الكويت ضمن الشروط التالية:

- أن يكون الانسحاب متزامناً مع انسحاب القوات الأجنبية من السعودية والخليج.

- أن يترك حل ما يسمى بأزمة الخليج إلى الجانب العربي.

- أن يصدر قرار عن مجلس الأمن الدولي بعقد مؤتمر دولي للسلام لحل القضية الفلسطينية والقضايا المتعلقة بالمنطقة في غضون عام ١٩٩١.

وفي الختام: تقبلوا من المكتب السياسي للتحالف الوطني لإنقاذ سورية خالص الاحترام والتقدير مع أطيب التمنيات بالتوفيق والنصر المؤزر.

٢٥-١٢-١٩٩٠

المكتب السياسي

للتحالف الوطني لإنقاذ سورية

لم تلق مذكرتنا وما انطوت عليه من مقترحات وتحذيرات أذناً صاغية من الرئيس صدام، بل كان نصيبها الإهمال وعدم الالتفات إلى أي شيء ورد فيها، واستمر العراق في الطريق الذي اختاره وسار به حتى وصل إلى ما وصل إليه.

كان النائب يغمز جانبنا كلما التقيناه حول المذكرة، ويقول معرضاً: أهذا كل ما وصلتم إليه واقتنعتم به؟ وكأنه يعيرنا ويعتبر أننا ارتكبنا الخطأ الفادح!!

ز- بدأ سقف علاقتنا مع العراق ينخفض، ووتيرتنا تضعف جراء حادثين منفصلين متباعدين، اعتبرهما العراقيون التفافاً حولهم، ونكوصاً أو نكثاً عن الاتفاق معهم.

كان الأول في أول عام ١٩٨٥، عندما التقيت مع الدكتور حسن هويدي بالسيد نائب الرئيس، فعرض الدكتور حسن أمام السيد النائب أن فرصة تلوح للحوار مع النظام السوري، ونحن لا نخسر في ذلك شيئاً، غير أننا نسبر غورهم ونكشف عن نواياهم ومواقفهم.

أجاب النائب: هذا أمر يخصكم ولا نتدخل به، ولكن طالما أنكم تعرضون الأمر علينا، لمعرفة رأينا فيه، فنقول: إن لهذا التفاوض أو الحوار سلبيات ليست لصالحكم، فإذا عرف السوريون ذلك فإن هذا يضعف من شعبية الإخوان في الداخل، ويعرض تنظيمكم للتفكك، وفتح الباب لعدد من أعضاء التنظيم بالتراجع والخروج من الجماعة، ثم ماذا نقول نحن لجمهورنا وأعضاء حزبنا وهم يتساءلون عن صلة الإخوان بالنظام والتفاوض معه؟ فهل لكم أو لديكم موقف أو نشرة نواجه بها تنظيمنا؟

بدأت الانتقادات تترى من أعضاء المكتب السياسي كلما عقد المكتب جلساته، فقد قال أبو عبدو -أمين الحافظ- إن لقاء قادة تنظيمكم بضباط مخابرات للتفاوض معهم لا يليق بكم، وهذا مأخذ كبير عليكم.

وقال أبو عمر -محمد عمر برهان-: كل اتصال يجب أن يكون بعلم التحالف، لكن فوجئنا بالإخوان يفاوضون ثم يخبرون.

في لقاء لاحق مع النائب قال فيه: نحن نعرف الطليعة تماماً، وقد تبين لنا أنهم خطرون، ولابد أن يلتقوا بحافظ أسد، أما لقاء الإخوان بالعدو، فقد حذرنا منه بوضوح تام، ولا أجد أي إيجابية في هذا اللقاء.

إن تأثير ذلك -التفاوض- سينعكس على الإخوان أولاً، ثم على التحالف، ولابد من علاج هذا الأمر، ونحن مقتنعون بأن السلطة سوف تكرر اتصالها بالإخوان.

أما اللواء محمد الجراح فقال: لقد بوغتنا بالاتصال بين الإخوان والسلطة، وسوف يكون لهذا الأمر أثر على الوضع في سورية كلها، ولاسيما أن السيد النائب قد حذر من مغبة هذا اللقاء.

وقال النائب: أنا قلق من أي سلاح يسلم للإخوان منذ ثلاثة أشهر، وهناك مجموعات بكاملها سوف تتعرض للسقوط في الداخل إذا شاع لديهم أمر التفاوض!! إننا -نحن الحزبيين- لم نتوقف، ونحن مستمرون في معارضة النظام، وأوضاعنا أفضل من ذي قبل، وحزبنا تجنب الضربات، إنني أتساءل: كيف يتفق التلاؤم بين الانشغال بالحوار مع العدو، وبين الكفاح المسلح؟ إذا كان رئيس الجماعة ومجموعة كبيرة من قيادته منشغلة منذ ثلاثة أشهر بالمفاوضة مع العدو، لقد قلت للجنة: استمروا حتى لا يشعروا (الإخوان) بأننا سبب توقفهم، لكن شعورنا أن جو الإخوان غير مناسب.

فلابد من معالجة نفسية شباب الإخوان في هذا الجو، لأنه ليس مستبعداً أن يستسلم شباب الإخوان بعد انطلاقهم من العراق يحملون السلاح.

إن وضعنا أفضل من أي وقت مضى، فعندنا حماسة، وعندنا حركة، وعندنا تحفز، ونحن نوزع بياناتنا ونشراتنا، ولكن لم نقرر أن نبدأ وحدنا، وإن كان ذلك باستطاعتنا. وأملنا أن يتجاوز الإخوان ظروفهم الصعبة.

ح- لم يمض شهر على هذه الحوارات النكدة حتى صدر عن حزب البعث السوري -القيادة القومية- نشرة داخلية عن شهر شباط

عام ١٩٨٥ جاء فيها: أعلن ناطق باسم وزارة داخلية نظام حافظ أسد أن رئيس النظام قد أصدر عفواً خاصاً عن تنظيم الطليعة المقاتلة -تنظيم عدنان عقلة- بعد اتفاق وقعته القيادة المنهارة -للطليعة- مع ممثلين عن المخابرات الأسدية في إحدى المدن الأوربية، ويقضي باستسلام عناصر التنظيم الموجودين في الخارج، وبتقديمهم نقداً ذاتياً لمسيرتهم السابقة، وبالإعلان عن توبتهم، وعن ولائهم للنظام، واستعدادهم للعمل تحت مظلته والدفاع عنه، فكان هذا بمثابة عقد استسلام ذليل بين نظام فاشي خائن، وبين قيادة منهارة ومتواطئة.

لقد شملت الاتصالات أكثر من طرف وأكثر من شخصية، ولكنها لم تسفر عن نتيجة ملموسة إلا مع جماعة عدنان عقلة.

إن أهم أهداف حافظ أسد تتلخص في السعي إلى تصفية المعارضة الوطنية بكل فئاتها ورموزها، وهو عندما يمد الجسور مع بعضها إنما يريد من ذلك الإيقاع بها، والتشكيك بمبادئها، وتشويه نضالاتها، وتفتيت وحدتها التنظيمية، وزعزعة ثقة شعبنا وأمتنا العربية بها، وليقطع الطريق على قوى المعارضة الوطنية كيلا تستعيد قوتها ونشاطها وحيويتها، ليضعف أمل الشعب في الخلاص وإقامة البديل الديمقراطي الذي يطمح إليه.

لقد أعلمنا الإخوان المسلمين بشكل مباشر، وقلنا لهم: إن حافظ أسد رجل مخادع، ولا يمكن الاطمئنان إليه، كما أوضحنا لهم بأن النظام يهدف من وراء التفاوض إلى تفكيك قواهم ووحدتهم التنظيمية، وإن أي تفاوض في ظل المعادلة الراهنة للصراع مع النظام

هو استسلام وإذعان له، وإن مواجهة النظام الأسدي هو الخيار الممكن الوحيد لتحرير سورية من هذا الكابوس الثقيل.

إن المطلوب في هذه المرحلة ليس فقط فضح جرائم النظام وخياناته ودوره التآمري داخل الساحة الوطنية والقومية، وإنما استنهاض كل قوى الشعب وطاقاته ومناضليه كي يفوتوا الفرص على النظام الفئوي الذي استباح أرض الوطن، وعاث في البلاد فساداً وإجراماً وتسلطاً لم تشهده أعتى الدكتاتوريات في العالم.

لا مهادنة مع نظام خائن، ولا تفاوض مع متآمر، بل حرب شعبية مستمرة ومتصاعدة ومكشوفة، حتى تتحرر سورية وتعود إلى مكانتها في الجسد العربي المتحرر المقاتل من أجل الأهداف السامية.

القيادة القطرية المؤقتة لحزب البعث العربي الاشتراكي

أواخر شباط ١٩٨٥

ط- لم تمض على هذه النكسة في علاقاتنا الوطيدة مع العراق الشقيق، حتى أصبنا بنكسة أخرى أشد إيلاماً، إذ إن أحد عناصر التنظيم غير المنضبطة، بدأ يكثر من السفر من بغداد إلى عمان عن طريق التنظيم بالصلاحيات التي حصل عليها للتحرك، وقد ارتاب مدير مكتبنا الأخ منذر كوجان رحمه الله من هذه الأسفار غير المبررة، وطلب من هذا العنصر التوقف عن السفر، وما كنا نعلم أن هذا العضو كان همزة وصل بين تنظيم ناشئ محدود التشكيل من وراء قيادته في بغداد، وبين عناصر في الخارج مرتبطة بهذا التنظيم، ولم نكن ندري أنه تحت مراقبة شديدة، وأن أنفاسه تحصى عليه، وفجأة

ألقي القبض عليه وعلى قيادة هذا التنظيم، فاحتج بأنه يتحرك بإذن منا أو بتوجيهنا، فاستدعي نائب المراقب العام ف. ط إلى المكتب السوري للتحقيق معه، أو للاستفسار منه وهم يستغربون هذه التهمة أو هذا السلوك الذي لم يلحظوا طيلة سنوات أي خلل أو التفاف بالعلاقة معهم، ولم يمض إلا وقت قصير حتى تبين لهم كذب هذا الادعاء، وأن تنظيمنا بعيد كل البعد عن هذه الصلة، وعن ذلك التحرك.

اقتصرت التحقيقات على ٥٢ عضواً من التنظيم الناشئ، ورغب المسؤولون بعدم التوسع، وأطلق سراح العشرات، وصدرت أحكام بالإعدام على خمسة منهم هي قيادتهم، فاضطررنا إلى بذل المساعي لإصدار العفو عنهم، وقد يسر الله ذلك، وخفف الحكم أولاً، ثم أطلق سراحهم في مرحلة لاحقة، أما صاحبنا فلم يكن في مقدورنا التخلي عنه أو تركه لمصيره الذي يتراوح بين الإعدام والمؤبد، بالرغم من أنه ألحق بالتنظيم كله أشد الأذى، فلم نعد نحظى بالتسهيلات التي تشمل جوازات السفر والالتحاق بالجامعات وبالبرامج الإذاعية التي كنا نشرف عليها وعلى جميع فقراتها، وعلى التحرك الواسع بالأسفار والأنشطة الأخرى الكثيرة، ولم نعد نجد مفراً من مخاطبة الرئيس بشأن هذا العنصر الذي سولت له نفسه أن يلتف علينا، ويلحق بنا من الأذى ما ألحقه بنا، فرفعت كتاباً إلى الرئيس صدام هو ثالث كتاب رفعته إليه خلال عقدين من الزمن:

سيادة رئيس الجمهورية العراقية الرئيس صدام حسين حفظه الله ورعاه.

إن ما طوقتم به أعناق شباب سورية ومجاهديها من خير عامر وفضل غامر، أذهب عنهم وحشة الغربة، وفراق الأهل، فَألِفُوا في العراق الشقيق الوطن بعد أن غادروا الوطن، ووجدوا في العراقيين الأهل بعد أن فارقوا أهلهم وأرحامهم.

هذه السياسة الأخوية التي أرسيتم قواعدها في القطر العراقي الشقيق تشجعنا أن نلتمس من سيادتكم إصدار عفو عن ولدنا وأخينا (ز. و. ع) الذي ما زال نزيل السجن منذ حوالي عامين لخطأ صدر عنه، وكلنا معرض للخطأ ومجانبة الصواب، ولكن الذي يحملنا على رفع هذا الالتماس أن (ز. و. ع) شاب نشأ منذ نعومة أظفاره على الجهاد، وقارع الظالمين البغاة على أرض الشام، وتعرض للتنكيل والتشريد هو وجميع أفراد عائلة كريمة مجاهدة قدمت الفداء والشهداء، وفقدت شباناً كالليوث قضوا شهداء منهم: شقيقه غ.ع رحمه الله الذي طارده الطغاة في الشارع وصرعوه، ومنهم شقيقه (ع. و. ع) نزيل بغداد وضيفها الذي خطف من عمان وأعدم في دمشق، ومنهم شقيقه (م. و. ع) الذي انتزع إعجاب السوريين كلهم بشجاعته وثباته في محكمة الطاغية التي قضت ظلماً بإعدامه، هؤلاء جميعاً أبناء رجل شهم ذي نخوة ومروءة اغتاله المجرمون في منزله يوم عدوانهم على حماة المجاهدة، كما أنهم أبناء امرأة صالحة مكثت في السجن طويلاً قبل وفاتها، لأنها أم لهذه الكوكبة من الشهداء المجاهدين. لقد قضى كل أبناء العائلة شهداء ومعتقلين ومطاردين، وقضى معهم حفيدهم شنقاً، وكثير من ذويهم ما زالوا يقبعون في

سجون الطاغية في دمشق منذ بضعة عشر عاماً.

نلتمس يا سيادة الرئيس إصدار عفو عن ولدنا وأخينا (ز. و. ع) لأنكم أهل لإصدار العفو الذي هو من سجاياكم، وأخونا أهل لأن يشمله عفوكم لأنه من المجاهدين الصابرين.

وتفضلوا يا سيادة الرئيس بقبول أزكى التحيات، وأخلص آيات الود والامتنان.

المراقب العام للإخوان المسلمين في سورية

عدنان سعد الدين

١٥-١٠-١٤٠٩هـ

٢٠-٥-١٩٨٩م

لم يمض يومان أو ثلاثة على استلام الرئيس لهذه الرسالة عبر مساعد مدير المخابرات أو مدير المخابرات بالوكالة السيد فاضل صلفيج العزاوي نزيل سجون بغداد الآن، حتى صدر مرسوم رئاسي بالعفو، فاتصل هاتفياً أبو العباس فاضل عزاوي وبشرني بذلك، وقال: يمكنكم غداً أن تذهبوا إلى السجن وتستلموا سجينكم منه.

ذهبت إلى سجن أبو غريب، والتقيت بجميع المسؤولين فيه، ووقعت في خمس دوائر على استلامه هي: إدارة السجن، ودائرة الأمن، ودائرة المخابرات، ودائرة الشؤون الاجتماعية.. إلخ وأركبته بجانبي وذهبت به إلى المنزل ليتناول طعام الغداء، الذي أعددته لهذه المناسبة.

١٨- في نهاية هذا الفصل أو هذا البحث الذي طال الحديث عنه لأهميته وكثرة العِبر فيه، وتشعب بحوثه وموضوعاته أختم هذا البحث بذكر عدة ملحوظات ذات أهمية لابد من إيرادها والتنويه عنها في العمل السياسي.

الملحوظة الأولى: إننا طيلة هذه العلاقة لم نعتمد أو نأخذ من الإسلام برأي شاذ أو ضعيف أو مرجوح، بل استندنا على الآراء المتفق عليها والمعتمدة بالإجماع أو على رأي الجمهور.

إن الذين يأخذون من الفقه بالآراء الشاذة أو الضعيفة في علاقاتهم مع الآخرين، تقرباً إليهم، أو إرضاءً لهم، إنما يرتكبون خطأ فادحاً، لأن ذلك يضعفهم أمام أنفسهم وتجاه الآخرين، وينال من قدرهم ومكانتهم، لقد كتبنا بيان الثورة الإسلامية ومنهاجها من أوله إلى آخره دون أن نأخذ بحكم ضعيف أو رأي شاذ، لأن الإسلام غني بمبادئه وأحكامه وفقهه وساحات اجتهاده، والذي يود التأكد من ذلك، نأمل منه أن يقرأ المنهاج بكامله، ليتأكد أن الجماعة اعتمدت في مشروعها الإسلامي في الحكم وبناء المجتمع، وفي العلاقات السياسية والدولية على الأحكام التي لا يختلف عليها العلماء والفقهاء والمجتهدون.

الملحوظة الثانية: الابتعاد عن المجاملة والمداراة والخطاب الممزوج بالمداهنة، إذ ينبغي على الداعية، وعلى من يسير في طريق الدعاة أن يحافظ على كرامته الدعوية، وعلى مروءته الشخصية، وهذا لا يتنافى مع الطيب من القول، وأن يقول للناس حسناً، ولذا لمس العراقيون منا عدم المجاملة كما يفعل الكثيرون إن لم نقل الجميع

بإرسال البرقيات المطولة في كل المناسبات الشخصية والوطنية والقومية والدينية، فقد درجنا منذ وطئت أقدامنا أرض العراق الطيبة **(التي ضمت في حناياها مئات الصالحين والعارفين وآل البيت والمبشرين بالجنة والخلفاء الراشدين)** أننا لا نأخذ بأسلوب المجاملة، وإرسال البرقيات التي تعني العراقيين بما في ذلك عيد الفطر وعيد الأضحى، الأمر الذي ألفه منا العراقيون وقبلوه، فصار أمراً معتاداً.

الملحوظة الثالثة: رفضنا أن يستخدم التحالف الذي دخلناه أو أن يزج به في تأييد مواقف حزبية للبعث ولغيره، وفي ذات يوم قرأنا برقية باسم التحالف موجهة لميشيل عفلق في إحدى المناسبات، فأنكرنا عليهم ذلك في اجتماع المكتب السياسي، ثم كررنا هذا الإنكار في اجتماع الهيئة التأسيسية متسائلين: من قرر إرسال هذه البرقية؟ فقيل لنا: قد وافق عليها ممثل الناصريين وممثل البعثيين، فقلت: ولكننا لم نُستشر، ومن ثم فإن هذا الموقف لم يأخذ صيغة القرار الصادر عن المكتب السياسي. ثم قلنا لهم على مسمع من أعضاء الهيئة التأسيسية:

لدينا مناسبات كثيرة، مثل استشهاد إمامنا حسن البنا، وذكرى كبير الدعاة الدكتور الشيخ مصطفى السباعي، ووفاة كبير المفكرين في الجماعة الأستاذ محمد المبارك رحمهم الله جميعاً، وسوف نرسل من طرفنا البرقيات بهذه المناسبات باسم التحالف، فأجابوا جميعاً:

لن يتكرر هذا التصرف مرة أخرى.

ولا يزال الذين حضروا هذه الاجتماعات من أمثال الأخ الأديب عبدالله الطنطاوي الذي يذكر هذا الحديث بتفاصيله.

الملحوظة الرابعة: إن جميع هذه الإنجازات التي أثبتُّ بعضها في هذه الأوراق، إنما هي من إنجازات الجماعة، وتصب في خانتها، لأننا كنا نتحرك بقرار منها، وبمواقفها وتوجيهها، وهي من ثم ليست إنجازات ذات طابع شخصي تنسب إلى أشخاصنا وذواتنا وأفراد من تنظيمنا، إنه بفضل الله تعالى أولاً وتثبيته ثانياً ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ ومن ثم فهي من إنجاز جماعة الإخوان المسلمين الراشدة التي لها الفضل سابقاً ولاحقاً بكل عمل أو مسعى أنجزناه، وأقدمنا عليه، وإن لهذه الجماعة فضلاً على الأفراد والجماعة والمجتمع، لا ينكره إلا جاحد، أو مضيّع للجميل.

الملحوظة الخامسة: مواجهة المستجدات والمتغيرات والمعطيات والأحداث الطارئة، بفهم عميق، وإدراك دقيق، وإحاطة تامة، لمواجهتها بما ينبغي من مرونة وتكيف، مستلهمين ذلك من ثوابت عقيدتنا، وأحكام شريعتنا، والحكمة في كل تصرفاتنا ومواقفنا، والقرارات المتخذة من قيادتنا، وفي السيرة النبوية حلول لكل ما واجهه المجتمع الإسلامي الأول بقيادة الرسول ﷺ في معالجات مرنة، وحكيمة، ففي صلح الحديبية خرج الرسول ﷺ من المدينة على رأس ما يقارب ألفاً وخمس مئة معتمر من أصحابه في رحلة تعبدية خالصة، لكن قريشاً حالت دون ذلك، ومنعتهم من دخول مكة والطواف حول الكعبة، غير أن رسول الله ﷺ وصحبه الكرام أصروا

على أداء العمرة، ونزلوا على أرض الحديبية على بعد ٢٥كم من مكة، وبايعوا رسول الله ﷺ على الموت والاستشهاد تحت الشجرة في أعلى درجات الاستعداد لمواجهة قريش، ولاسيما بعد أن أشيع أن عثمان بن عفان الذي أرسله رسول الله ﷺ لمفاوضة قريش قد قتل أو اعتقل، وعندما عاد عثمان، وحضر سهيل بن عمرو مندوباً عن قريش، اتفق الطرفان على تأجيل الزيارة إلى عام قادم، وتم توقيع صلح الحديبية الذي ظن بعض الصحابة، ومنهم عمر بن الخطاب أن فيه تساهلاً من المسلمين مع القرشيين، وحيفاً في حقهم، ثم أدركوا فيما بعد حكمة الرسول ﷺ وبُعد نظره وما حققه الصلح من مكاسب للمسلمين.

في مثال صلح الحديبية رأينا كيف واجه المسلمون بقيادة سيدنا رسول الله ﷺ المواقف والمتغيرات ، وما طرأ من مستجدات، مرت بثلاث مراحل: السفر إلى مكة لأداء العمرة، ثم رفع الاستعداد إلى أعلى مستوياته عندما بايع الصحابة نبيهم ﷺ على الموت، ثم التوقيع على معاهدة يبدو التساهل في بنودها كما ظنَّ البعض، وهي كما أثبت الواقع، وكما جاء في القرآن الكريم فتح الفتوح في العهد النبوي إذ اعترفت قريش لأول مرة بكيان المسلمين، ووقعت معهم معاهدة هدنة وأتاحت للمسلمين نشر الدعوة في الجزيرة العربية، واستقبال الوفود من أرجاء الجزيرة، ومخاطبة ملوك الأرض، ودعوتهم إلى الدخول في الإسلام. . إلخ مما جعل المعترضين يشعرون بالندم، ويتوبون إلى الله على موقف طارئ وقفوه تجاه صلح

الحديبية.

أ- بعد مباحثات ومراجعات مع العراقيين طال أمدها، خصصت لنا إذاعة المعارضة ركناً باسم صوت المجاهدين، مدته ساعة في كل يوم، وكان تردده قوياً يغطي مناطق العراق ولبنان والأردن وسورية وفلسطين، وكانت مناهجه وبرامجه والكلمات التي تلقى عبره: إخوانية صرفة، في استنهاض همم المسلمين في مواجهة أعداء الإسلام، ولاسيما الصهاينة المعتدون، وكان لذلك تأثير كبير في الأرض الفلسطينية المحتلة كما علمنا ذلك من أبناء الضفة والقطاع الذين كنا نلتقيهم في البلاد الأوربية والقارة الأمريكية التي كانوا يذهبون للدراسة في جامعاتها، كما ترك هذا الركن أثراً إيجابياً في الشمال العراقي بين الأكراد ذوي الاتجاه الإسلامي.

لقد استمر هذا الركن ثلاث سنوات، حتى جدت أحداث في بلادنا وفي المنطقة كلها، ذكرنا بعضها الذي أضعف موقفنا تجاه العراقيين، فانخفض صوت الإذاعة المخصصة للمعارضة، ومعها انخفض صوت المجاهدين، قبل أن تتوقف الإذاعة كلياً في ظروف بالغة القسوة والتعقيد.

ب- في المؤتمر الإسلامي الشعبي الذي أراد له الرئيس العراقي أن يكون همزة صلة مع بلدان العالم الإسلامي، فمنحه صلاحيات واسعة، وتبرع بتكاليف ألف طالب ثم رفع العدد إلى ثلاثة آلاف طالب من العالم الإسلامي يدرسون على نفقته في العراق: علوم الشريعة واللغة العربية، كما سمح للمؤتمر أن يوجه الدعوات إلى

شخصيـات إسلامية ذات وزن وشهرة من دول الـعالم الإسلامي، وأن تشكل وفـود لزيارة الدول الإسلامـية، وكان من صـلاحيات المـؤتمر إقامة مـؤتمرات شعـبية واسعة فـي العراق، نُفّذ منهـا ستة مهـرجانات كبيـرة في الموصل وبغداد والرمـادي والنجف والبصرة وفـي الشمال، حضرتـها أعداد كبيـرة من مختلف الأطيـاف العراقية، وكـانت الدعوة فيها إلى الإسلام واضحة وصريحة، حتى طغى هذا النشاط على نشاط الحزب الحاكم بصورة ملموسة.

تناوب على منصب الأمين العام للـمؤتمر الإسلامي: بشار عواد، وعرفان عـبد الحميـد، وعبد الرزاق السعـدي، وعبد اللطيـف هميم، وكانت مـيزانية المـؤتمر كبيـرة في أيام المؤتمـر الأخيرة، لتـغطي كل مناحي النشاط فـي الأسفار، وفي المؤتمرات، وأخيـراً إصدار مجلة: المفكر المسلم، كلفت بالإشراف عليها، فصدر منها سبعة أعداد مليئة بالـمقـالات والبـحوث والدراسـات الإسلامـيـة، كان منـها الـتعـريف بشخصـيات كبيرة توليت دراستـها ونشرها في المجلة، كـان منها: أبو الحـسن الندوي مـن الهند، ومـحمـد أمـين الحـسيني مـن فلسطـين، ومحمـد الحامد من سـورية، ومحمد ناصـر من أندونيسيـا، وقد جاء ذكر الإمـام البنا الصـديق الحمـيم للشيـخ محمـد الحامد، ونـبذة عن حياته وإخلاصه واستغراقه في الدعوة الإسـلامية التي وهبها وقته وقلبه وعقله، فـانتشرت في مصـر، وفي الوطن العربي والعـالم الإسلامي، وقد حضر الشيخ إبراهيم النعمة كبـير علماء الموصل إلى مقر المؤتمر في الأعظميـة، فالتقاني وعانقـني قائلاً: ما كنت أتصور صـدور مجلة

إسلامية في العراق تتحدث عن الدعاة الكبار، ولاسيما الإمام الشهيد حسن البنا طيب الله ثراه، حتى رأيت ذلك وقرأته بعيني في مجلة المفكر المسلم، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أضحى مقر المؤتمر الإسلامي الذي كنت الأمين المساعد له للشؤون الفكرية والثقافية والإعلامية، مقصوداً في الزيارات واللقاءات والندوات (في مقره الجديد الذي بُني خصيصاً كمقر للمؤتمر) من شخصيات عراقية تمثل كل المذاهب والأطياف من أكاديميين وشيوخ من السنة والشيعة، وضيوف من البلاد العربية والإسلامية، تؤم المؤتمر الذي كان يعج بالنشاط دون توقف.

وفي تقديري وكما رأيت فإن المؤتمر كان مؤهلاً لتأدية دور كبير في نشر الدعوة، وفي إقامة صلات وثيقة في أقطار العالم الإسلامي لولا هذه الحرب الخليجية المشؤومة التي دمرت كل شيء بعد دخول الجيش العراقي إلى دولة الكويت الشقيقة.

جـ- في هذه الفترة الكئيبة ورغم قسوة الظروف: تحقق أمران مهمان، ألمحت مسبقاً إلى أحدهما، وهو إصدار عفو عن مجموعة الإخوان التي حاولت أن تنشئ تنظيماً وكان قد صدر حكم الإعدام على خمسة منهم، فأثمرت المساعي الحميدة بفضل الله وتوفيقه إصدار العفو عنهم، وخروجهم من سجونهم، وقد مر معنا من قبل تفصيل ذلك.

أما الأمر الثاني، فإن العراق كان قد أغلق في وجوه الإخوان كثيراً من الأبواب التي كانت مفتوحة على مصراعيها، ولاسيما الجامعات

التي تـوقفت -بتـوجيه قـيادي- عن قـبول الإخوان فـي كلياتهـا، وفي الدراسات العليا على وجه الخـصوص، جراء مواقف الإخوان التي مر ذكرها.

وجدت أن هذه السياسة العراقية تجاه الإخوان سوف تلحق ضرراً كبـيراً بشـباب الجـماعة دونـما ذنب اقـترفوه أو خـطأ فادح ارتكـبوه، فـاضطررت إلى الـتحـرك لدى المـسؤولـين في مكـتب النائـب، وفي المكتب السوري، مـحتجاً على حرمان أبنائنـا من فرص الدراسة وهم أهل لها خلقاً وتفوقاً، وبعد جهود حثيثة، فتح الباب بشكل محدود إذ تم قـبول ستـة للدراسـات العليـا عام ١٩٩٥، وفي عـام تالٍ تم قـبول خمسة عـشر طالباً في جميع الاخـتصاصات، واستمـر هذا الأمر حتى مطلع العام ٢٠٠٣ قـبيل الحرب بأسابيع بـمعدل سبعة عشـر طالباً في كل عام، وكانـت جميع الأسماء من أعـضاء الجماعة الذيـن استلمت أوراقهـم من مكتب الطـلاب بواسطة الأخ أبي حـازم، حتى بلـغ عدد الذين تم التـحاقهم في الدراسـات العليا في بغداد حـوالي ١٢٥ طالب ماجـستـير ودكتـوراه، تخرجـوا أو تخرج مـعظمهـم، وعملوا أسـاتذة ومدرسيـن في جامعات اليـمن، والسعوديـة، ودول الخليج، والأردن بفضل اللـه وعونه وتوفيقه، بـل إن بعضهـم -وهم قلة- أكـمل دراسته وحـمل شهـادات الدكـتـوراه بعد احـتـلال العـراق في ظروف قـاسيـة وأخطار محدقة رعيبة.

وفي ختام هـذا المبحث الذي لو توسـعت بتفصيلاتـه لاحتاج إلى مجـلد، أسجـل شهادة يـسألني الـله عنهـا: أن ما رأينـاه ولمسـناه في

العراق، وما قُدّم لنا خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين من دعم على كل الصعد، (نعجز عن سداده) دونما شرط أو مقابل أو طلب، فجزى الله العراق وأهله خير الجزاء وفرج كربتهم وكتب لهم النصر والتوفيق.



التجربة الثالثة

مع اليمن الشقيق

كان اليمن وما يزال مصدر خير وبركة مذ حظي بدعاء رسول الله ﷺ له بقوله: اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا، ومذ بشره الرسول المعصوم بأن الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية، وهذا ما لمسناه في لقاءاتنا مع اليمنيين، وما لمسناه في زياراتنا لأرضه وشعبه على مدى عدد من السنين.

١- كان كبير دعاة اليمن الشيخ عبد المجيد الزنداني حفظه الله وبارك في جهوده الكبيرة والمثمرة على مختلف الصُّعد، كان يقيم لفترة طويلة، متقطعة ومستمرة في السعودية، وعلى أرض الحجاز، وشاء الله تعالى أن يتعرف على الشيخ سعيد حوى رحمه الله في مدينة سيدنا رسول الله ﷺ ويطلع على جهوده في الكتابة والتأليف، ووضع المناهج التربوية التي يقدمها للأجيال الصاعدة في الوطن العربي، وفي البلاد الإسلامية، فتوثقت العلاقة بين الشيخين الكبيرين، وأعجب الشيخ الزنداني بما خطه يراع الشيخ سعيد من كتابات مفيدة وبرامج عديدة، وبحوث شملت جوانب منوعة من

الفكر والفقه والدراسات القرآنية والسنة النبوية، وفي حقول التربية والتزكية وتهذيب النفوس.

حمل الشيخ الزنداني، أجزل الله له الأجر، ما وصل إلى يده من كتابات الشيخ سعيد حوى رحمه الله إلى بلده اليمن، واتخذ منها مصدراً ومنهاجاً لتنظيم الإخوان المسلمين الذي أقامه وشيّده الشيخ الزنداني مع عدد من إخوانه المقربين منه والمتعاونين معه من أمثال: الشيخ ياسين عبد العزيز، ومحمد اليدومي، وعبد الوهاب الآنسي، وعبد الرحمن العماد، فحلّت بالتنظيم الناشئ بركات اليمن، ليصبح تنظيم الإخوان على أرض اليمن السعيد ملء السمع والبصر، وليكون ثمرة وامتداداً لما قدمه أبناء الشام أو أحد أبنائها، لتعم البركة القطرين اللذين حظيا بدعوة سيدنا المصطفى ﷺ: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا.

ملأ هذا التنظيم الإخواني العتيد أصقاع اليمن، وانتشر في ساحاته، وفي كل مجالاته السياسية والتربوية والاجتماعية، حتى لم يعد تجاهله ممكناً في الانتخابات والحكومات والمرافق الأخرى، وهو الذي ضم تحت عنوان: التجمع اليمني للإصلاح: كبار شيوخ القبائل، وعلماء الدين، وطيفاً واسعاً من المثقفين وطلاب الجامعات، والقبائل المنتشرة في جبال ووهاد اليمن وأعماق أصقاعها.

٢- وجد الإخوان السوريون فيما أصابهم من كوارث على أيدي حكومة الأقلية في سورية، في اليمن ملاذاً وأمناً كالذي وجدوه في

الأردن والعراق الشقيقين قبل ذلك، وفي نفس الفترة من الستينيات والسبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي.

وجدوا صدور إخوانهم اليمنيين مفتوحة على كل المستويات، فقد حظي قادة الإخوان السوريين باستقبال الرئيس اليمني لهم في مناسبات عديدة، وكنت أحد الذين التقاهم السيد الرئيس لساعة وثلث الساعة في حديث ودي وأخوي تضمن أفكاراً وآراء مفيدة، فيما يتعرض له السوريون من نكبات وكوارث من الحكومة الطائفية في دمشق.

كما استقبلنا مراراً وتكراراً الشيخ عبدالله حسين الأحمر شيخ مشايخ قبيلة حاشد ذات الثقل القبلي الكبير، ورئيس البرلمان لدورات عدة، وأحد كبار الشخصيات والزعامات الوطنية في اليمن، ولمسنا منه المودة والتعاطف فيما أصابنا من ضر وابتلاء.

٣- كانت اليمن تعاني من معارضة الشيوعيين واليساريين في اليمن الجنوبي، ومن عاصمتها عدن، والذين امتد تأثيرهم إلى اليمن الشمالي بالتعاون مع اليساريين في الشمال من أمثال عبد الفتاح إسماعيل الذين كانوا أشد تطرفاً في شيوعيتهم من بعض زعماء الدول الشيوعية، وكانت الحكومة السورية تحتضن هذه المعارضة التي تشن هجماتها على حكومة صنعاء، وتقوم بأعمال التخريب والتدمير في أنحاء اليمن الشمالي وفي أطرافها بتوجيه من مكتبها في دمشق الذي تغذيه وترعاه وتسانده حكومة الأقلية السورية.

بالمقابل تحرك تنظيم الإخوان المسلمين في اليمن بالتعاون مع

شيوخ الإسلام، وشيوخ القبائل، وشكلوا قوة عتيدة تصدت للزحف الشيوعي الذي يتحرك من الجنوب بمساندة عناصر يسارية من الشمال، فكسروا شوكتهم، وقلصوا ساحاتهم، وردوهم خائبين، ثم شكل الإخوان وحلفاؤهم جيشاً شعبياً بجانب الجيش الرسمي، وما زال الجيشان ينتقلان من نصر إلى نصر، حتى توجت انتصاراتهم بضم عدن والجنوب كله في أوقات لاحقة إلى الشمال، ليرى العرب أول وحدة يمنية ضمت الشمال والجنوب في دولة اليمن العتيدة الكبرى، فخاب أمل الشيوعيين، وأمل الطائفيين الذين دعموا الشيوعيين وساندوهم، وخاب أمل بعض العرب الذين وقفوا مع شيوعيي عدن وزودوهم بالمال والسلاح، ودعموهم بكل أسباب الدعم، فخابت آمالهم الحثيثة والخسيسة، وقد خاب من حمل ظلماً.

٤- أنشأ الإخوان والعلماء وحلفاؤهم المعاهد العلمية الدينية في كل أرجاء اليمن وأصقاعه على أسس يغلب عليها الطابع الشرعي، فأقبل عليها أبناء اليمن الذين يحرص ذووهم على تنشئتهم نشأة إسلامية، وتزويدهم بعلوم الشريعة الغراء، فبلغ عدد المنتمين إلى هذه المعاهد مئات الألوف، وكان للمعاهد استقلال مالي وإداري وكأنها وزارة للتعليم قائمة بذاتها، واستمر الحال هكذا سنوات حتى انتهى أمرها إلى الاندماج في وزارة التربية بصيغة اتفق عليها المعنيون جميعاً بشأن التعليم الرسمي، وشأن المعاهد الدينية التي أدت واجباً كبيراً، فعمت الثقافة الشرعية والعلوم الإسلامية أرجاء اليمن وأصقاعه. والذي يعنينا من أمر هذه المعاهد إبان نشأتها واستمرارها لسنوات:

أنها فتحت أبوابها لأبناء الإخوان المسلمين السوريين، فوجدوا في رحابها وساحاتها ومؤسساتها الإدارية مجالاً فسيحاً للعمل والتوظيف والدعوة، فاستوعبت منهم مئات المدرسين والإداريين، فأفادوا واستفادوا في ظروفهم القاسية، الأمر الذي ساعد على تكوين تنظيم عتيد للإخوان المسلمين السوريين في اليمن السعيد، كما تركوا أثراً كبيراً في منتسبي المعاهد، كما يصرح بذلك قادة العمل الإسلامي في اليمن، وقد سمعنا ذلك منهم.

وقد لاحظ القادة المعنيون بالشأن اليمني أن المناطق التي غلب على أبنائها خريجو المعاهد تشهد هدوءاً واستقراراً، تفتقر إليه مناطق يمنية أخرى.

٥- ومن الأعمال الجليلة التي قدمها اليمن الرسمي: تخصيص عدد من المقاعد الجامعية بمعدل خمسة وعشرين مقعداً في كل عام شملت كل الاختصاصات العلمية والأدبية، كانت مرشحة للزيادة، فتخرج أبناء الجماعة في الجامعات اليمنية، وحملوا الشهادات الجامعية والتخصصات العالية، وما تزال كليات الجامعات اليمنية تضم أعداداً من أبناء أعضاء جماعة الإخوان المسلمين السوريين الذين وجدوا في اليمن الشقيق ملاذاً لأمنهم، وأمكنة لأعمالهم ووظائفهم، ومقاعد جامعية ودراسات عالية لأبنائهم.

علاوة على ذلك فقد خص اليمن أبناءنا بإقامة خمس سنوات، على أرضه وهي لغيرهم لا تزيد على ثلاث سنوات بأي حال، كما ساوى في الدراسات العليا بين إخواننا وبين اليمنيين في تكاليف

الدراسة، وفي بعض الأحيان كان يعفيهم منها، فهل يستطيع إنسان وفيّ أن ينسى هذه الأيدي البيضاء التي امتدت بالخير والمعروف لأعضاء تنظيمنا على مدى خمس وعشرين سنة بفضل الله أولاً، ومن ثم بفضل إخوتنا اليمنيين في التجمع، وفضل المسؤولين وعلى رأسهم الرئيس اليمني علي عبدالله صالح، فجزى الله الجميع خير الجزاء، وأثابهم على أفضالهم وحفظهم من كل سوء، وألهمهم وهداهم إلى كل ما يرضي الله تعالى في العاجلة وفي الباقية.

ولا يفوتنا في نهاية هذه الفقرة أن نسجل أن كثيراً من أبناء الجماعة الذين أغلقت الجامعات في دول الخليج أبوابها في وجوههم، انتقلوا إلى اليمن، أو أرسلوا أبناءهم إليها، ليجدوا البديل والعوض عما فاتهم في أقطار عربية أخرى، كما وجد من قبل ومن بعد حملة الدكتوراه الذين تخرجوا في جامعات ومعاهد العراق بالعشرات وظائف لهم في الجامعات اليمنية، فشغلوا فيها كراسي جامعية مرموقة، وأضحوا من الأساتذة اللامعين والدكاترة المشهورين في عداد أساتذة الجامعات اليمنية، ومن مدرسي طلاب الماجستير والدكتوراه والدراسات العليا، والمشرفين على الذين يحضرون لحمل الشهادات العليا.

٦- رأينا في نطاق البحث عن الصلة بالعراق، ما فعله اليمنيون غيرة على العراق، وخشية من الكيد الصهيوني ضده، وفي هذه الفقرة أعود إلى الموضوع ذاته لإيراده في البحث عن صلتنا باليمن الشقيق، والذي يعتبر من إنجازات اليمن التي لا تنسى، ومن الأعمال الوطنية

التي تدل على غيرة اليمنيين على أبناء الشعب العربي في أي قطر من أقطاره، سواء أكان قريباً من اليمن أم بعيداً عنه.

لقد طلب مني ذات يوم كبير قيادي تنظيم الإخوان اليمنيين وأنا في منزله في صنعاء أن أحمل رسالة عاجلة إلى القيادة العراقية، إذ تلقى إخوان اليمن من إخوانهم في سفارة اليمن في باريس وثيقة خطيرة حول ما تبيته إسرائيل لضرب العراق أو ضرب مؤسسات ذات طبيعة عسكرية وأمنية واقتصادية على أرضه.

فقد خطط الصهاينة لضرب العراق، أن يتحرشوا بالأردن، ويفتعلوا معه صداماً، سوف يهب العراق لنجدته، كما هي طبيعة العراقيين، فيكون في ذلك مدعاة أو ذريعة لشن هجمات جوية على الأهداف التي قرروا تدميرها.

طلب مني قائد الإخوان في اليمن تسليم هذا المخطط إلى القيادة العراقية بالسرعة الممكنة، ليحيط العراق علماً بما يبيت له من تآمر وكيد، فعدت على جناح السرعة إلى بغداد، وطلبت لقاءً مع نائب الرئيس لأسلمه الرسالة المكتوبة التي بعث بها كبير إخوان اليمن إلى العراق ليتجنب ما يخططه له العدو الصهيوني.

قلت للسيد النائب: هذه الوثيقة أحملها إليك من إخوتنا اليمنيين، أضعها أمامك كما استلمتها دون أن أحدث فيها أي زيادة أو نقصان أو إضافة أو تعليق، بل هي كما حملتها من صنعاء، لتتدبروا أمركم حيالها، فنظر فيها ملياً، وأطال النظر لدقائق، مع أن قراءتها لا تستغرق أكثر من دقيقتين بالقراءة المستأنية، ثم تناول ورقة وكتب

عليها بيده اليسرى كلمات لم أرها، ولا أعرف مضمونها، ووضعها في غلاف رسمي موجود على مكتبه، وقرع الجرس، وسلم الغلاف بصمت إلى مراسله.

بعد لحظات قطعت الصمت، وسألت النائب: ألا ينبغي أن يطلع الرئيس على محتوى الوثيقة؟

فأجاب على التو: لقد استلمها وأضحت بين يديه وعلى مكتبه.

فلذت بالصمت، ولم أزد على ذلك شيئاً.

وأرى من الواجب أو المفيد إيراد نص الوثيقة كما هي في نطاق البحث الخاص باليمن وإنجازاته، وصلتنا الوثيقة معه.

سري للغاية

تدمير العراق هدف استراتيجي مشترك لإسرائيل وأوربا الموحدة: أفاد أحد مصادرنا بفرنسا نقلاً عن أحد ضباط المخابرات الفرنسية، ويدعى المسيو أوديان أن هناك هدفاً استراتيجياً تسعى كل من إسرائيل وأوربا الموحدة إلى تنفيذه، وهو تدمير القوة العسكرية العراقية، وأفاد بالحرف الواحد أن هناك شيئاً ثقيلاً يرتب للعراق، ولن يترك مستقراً، أما البروفيسور جون دنكون -عميد كلية العلوم بجامعة ليون- أحد أقطاب اليمين الفرنسي وصديق حميم للمسيو أوديان- فقد أفاد بأن سيناريو تنفيذ الهدف سيمضي على النحو التالي:

سيمضي جورباتشوف بتغذية التحولات الجارية في الاتحاد السوفياتي، وفي أوربا الشرقية، وذلك لتهيئة الأجواء لتوحيد الاتحاد

السوفياتي مع أوربا الشرقية، وكـذا مع أوربا الغربية، وبمعنى آخر فإن الاتحاد السـوفياتي يسعى لابـتلاع أوربا كلها بشـقيها الشرقـي والغربي -وذلك بالـتعاون مع قـيادات المـاسونيـة العالمـية- وفي نفـس الوقت سيقـوم الاتحاد السوفياتـي بتهجير خمـسة ملايين يهودي إلـى فلسطين المحتلة.

- يروي هذا نقلاً عن زاخاروف عالم الذرة السوفييتي المنشق-.

بعـد قيام أوربـا الموحـدة في ١-١-١٩٩٣، ستـكون إسرائيـل قد أكملت كل الاستعدادات العسكرية، وذلك بالتنسيق مع أوربا الموحدة (وربما مع الاتحاد السوفياتي وأوربا الشرقية).

وذلك من أجـل اجتيـاح الأردن، وبعد إكمـال عملـية الاجتـياح، ستـقوم إسرائيل بتـهجيـر عرب الضفـة الغربية وقطـاع غزة إلى الأردن المـحتل، وبـالطبع فـإن العـراق سيـتدخل إزاء الاجـتيـاح الإسرائـيلي للأردن حيث ستقوم إسـرائيل بتوجيه ضربة قاصمة لـلعراق، تستهدف مراكز الصواريخ، والقواعد العسكـرية، والصناعات العسكرية، والبنية الاقتـصادية دون اجـتياحـها. وأضاف الـبروفيـسور جون دنـكون: بأن أوربا الـموحدة وإسرائيل لن يتركا الـعراق الذي يمثل أقوى دولة عربية في مواصلة صناعـاته العسكرية خاصة في مجـالات الصواريخ وصولاً إلى الـصناعـات الذريـة، وسوف يـتم تـدميـر ذلك عـن طريق حـرب تدميرية شاملة تبدأ مع بدايات ١٩٩٣، وربما يتأخر تنفيذ ذلك الهدف سنة أو سنتين لكن لن يتأخر عن عام ١٩٩٥» .

وأياً كان هـذا الرأي بهذه الوثـيقة والتـسليم أو عـدم التسليـم بكل

فقراتها، فقد أوردتها كما هي، إبرازاً لموقف اليمن النبيل من جهة، وتحذير العراق على وجه السرعة من جهة أخرى.

٧- بعد أن ضيق الخناق على تنظيم الإخوان السوريين كيلا يستطيعوا عقد اجتماعاتهم والتقاء مؤسساتهم، ولاسيما مجلس الشورى، وجدوا على أرض اليمن السعيد متسعاً، فعقدوا اجتماعات مجلس الشورى لفترة حققت لهم ما يريدون من سنّ أنظمتهم، واتخاذ قراراتهم، واستمروا على ذلك ردحاً من الزمن، إذ قامت جهات عربية بتحريض اليمنيين لمنعهم الإخوان السوريين من عقد مجلس الشورى على أرضهم، فلم يشأ الإخوان إحراج إخوة اليمن والمسؤولين فيه بعد أن لمسوا منهم كل تأييد ودعم، ولم تعيَ جماعة الإخوان المسلمين أن تجد البديل في ملاذات أخرى، لتتابع مسيرتها بصبر وثبات واتكال على المولى جل جلاله وتباركت أسماؤه وصفاته، فالحمد لله دائماً وأبداً والحمد لله الذي تتم بفضله الصالحات أولاً وآخراً.

وإن خير ما أتم به هذه الفقرة عن صلاتنا بالقطر اليمني الشقيق: هو ما بدأت به من قول رسول الله ﷺ: الإيمان يمان والحكمة يمانية، وقوله ﷺ: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا، وكلنا أمل وثقة أن تستمر البركة في ربوعهما وعلى شعبهما ببركة دعوة سيدنا النبي الخاتم ﷺ.

❋ ❋ ❋

التجربة الرابعة

مع المملكة العربية السعودية الشقيقة

انتقل الألوف من شباب الجماعة وعائلاتهم إلى رحاب المملكة السعودية ليجدوا الأمن والأمان في ربوعها والعمل في أنحائها، كما وجدوا تعاطفاً كبيراً من شخصيات سعودية مشهود لها بالتمسك بأهداب الإسلام والغيرة عليه وعلى أبنائه، وعمل المعروف وبذل الخير، ومد يد المساعدة إلى كل من يعاني من ضائقة في داخل المملكة وفي خارجها، فوقف كثير من هؤلاء مع السوريين في محنتهم، وتألموا لألمهم، ولما أصابهم في سبيل الله من كيد الحاقدين، وكان على رأس هؤلاء وفي مقدمتهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله وأجزل له المثوبة.

كان رحمه الله يوجه النداء تلو النداء يناشد فيه المسلمين من داخل المملكة وفي خارجها أن يقفوا مع السوريين في نكبتهم التي ألحقها بهم حكم الأقلية الذين اغتصبوا السلطة في دمشق ونفثوا أحقادهم الطائفية ضد الشعب السوري المؤمن ولاسيما المتدينون منهم.

١- فتحت الجامعات الرسمية في جميع التخصصات أبوابها لأبناء سورية المهجرين في المدينة المنورة، وفي مكة المكرمة، وفي جدة وأبها والمدن السعودية الأخرى، فأتاح هذا الموقف النبيل لأبناء جماعة الإخوان السوريين، ولغيرهم من المطاردين في عقيدتهم أن يكملوا دراستهم، ويحملوا الشهادات الجامعية، ويحصلوا على الوظائف الرسمية وغير الرسمية، وكان أشد السعوديين المرموقين تعاطفاً في إفساح المجال في التعليم الجامعي وغيره، الأساتذة الشيوخ: عبد الله عبد المحسن التركي، وعبد الله نصيف، ومحمد عمر الزبير، ومحمد عمر جمجوم، وأصهار الأمير عبد الرحمن: نايف وسعود الشعلان وغيرهم كثيرون.

٢- استقبلنا الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية أكثر من مرة في مكاتبه في الرياض وجدة والطائف، وزرناه ذات يوم بصحبة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة والدكتور حسن هويدي رحمهما الله في الطائف بترحاب كبير ومودة ظاهرة، ويسر لنا أمور الإقامة لعدد كانوا قد وجدوا صعوبة في الحصول عليها، فاستقام أمرهم، واستقر حالهم في سكناهم وفي أعمالهم وتجارتهم، كما استقبل خادم الحرمين الشريفين الملك الأخ الشهيد أمين يكن بمسعى من بعض الإخوان الكبار كالدكتور معروف الدواليبي رحمهم الله جميعاً، كما لمسنا تعاطفاً من الأمير عبد الله بن عبد العزيز -ولي العهد إذ ذاك- واستقبل بعضاً من المحسوبين على الإخوان المسلمين.

٣- كانت مناسبات الحج والعمرة فرصاً ثمينة للالتقاء بإخواننا من

جميع الأقطار، ولعقد اجتماعات لهيئاتنا ومجالسنا، وحلّ الكثير من معضلاتنا، ومقابلة شخصيات سعودية كثيرة، متعاطفة معنا، وداعمة لنا في محنتنا، وزيارة رجال سعوديين، عرفوا بالفضل والخير، وما أكثرهم في أرض الحرمين الشريفين.

إن بركات الحرمين الشريفين كانت -وما زالت- بلسماً لجروحنا، وعزاءً كبيراً لما لحق بنا من ضر، وأصابنا من مكروه.

استمر حالنا مع المملكة العربية السعودية، دخولاً وخروجاً، وإقامة ومزاولة للوظائف والأعمال، حتى امتدت الضغوط لملاحقتنا، فتقلصت الفرص، وضاقت السبل، وأغلقت الجامعات أبوابها في وجوه طلابنا إلا قليلاً، غير أن هذا لم يؤثر في إقامتنا على علاقتنا الحسنة بالحكومة، ولا بالشخصيات السعودية الدعوية والمرموقة، ولم تنل من الأمن الذي نعمنا به على أرض البقاع المقدسة وما حولها، كما هو حالنا في العراق الشقيق، وفي المملكة الأردنية الهاشمية الشقيقة، وفي الجمهورية اليمنية الشقيقة سواء بسواء.

❋ ❋ ❋



التجربة الخامسة

مع منظمة التحرير الفلسطينية

كانت علاقتنا مع منظمة التحرير الفلسطينية متشابكة ومعقدة، وذات أهمية بالغة، تستدعي بحثاً مطولاً خاصاً بعلاقة المنظمة مع العراق التي مر ذكرها في صفحات سابقة، وفي بحث المساعي التي قمنا بها بين العراق والمنظمة، فلا حاجة لتكرارها، ألا وهي المصالحة بين العراق والمنظمة التي استحالت من عداوة إلى صداقة، ومن جفاء مستحكم إلى تعاون وثيق، وهذا ما لا ضرورة لنا في بحثه، لأنه ورد مفصلاً عبر الحديث عن علاقة المنظمة بالقيادة العراقية، كما لا أجد حاجة للبحث عن الصلة بالمنظمة، وكيف تمت العلاقة مع السيد ياسر عرفات لتناولنا لها كذلك في ما سبق.

١- في ٢٢-١٠-١٩٨٤ تم لقاء في بغداد ما بين السيد ياسر عرفات، وثلاثة من أعضاء المكتب السياسي للتحالف وهم: الفريق أمين حافظ، والأستاذ شبلي العيسمي، وكاتب هذه السطور، وقد تميز هذا اللقاء عن سابقيه بأنه كان صريحاً وواضحاً وجاداً، فبعد ساعات من أحاديث المجاملة من كلا الفريقين، طُرح سؤال مؤداه:

متى ننتهي من هذه اللقاءات التي تبدأ بالإعلان عن ضيق الوقت، وأن أبا عمار ليس لديه أكثر من ساعة سيغادرنا بعدها إلى سفر بعيد؟

فأجاب عرفات: حددوا أنتم الوقت الذي يناسبكم لأحضر إليكم دونما إعلان، لنجلس وقتاً كافياً، مهما كان طويلاً، لنضع استراتيجية التعاون، وأشارك فيها بنفسي، ضماناً لعدم تسرب أي شيء عن هذه المرحلة.

وهكذا وضع عرفات الكرة في مرمى التحالف، وإن أي تقصير في هذه العلاقة سوف يتحمل التحالف أو الأحزاب المشتركة فيه مسؤوليتها.

إن محصلة الأحاديث التي وردت في لقاء الثاني والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٨٤ كما وردت على لسان رئيس المنظمة هي:

أ- إن حالة الركود التي يعاني منها النظام السوري بلغت حد الانهيار الاقتصادي، بل وصلت حافة الإفلاس لأن عدداً من الدول تعتبر سورية مفلسة، وترفض التعاون مع البنك المركزي بهذا الاعتبار.

ب- ثمة تذمر كبير في أوساط الجيش المغلوب على أمره، فمحاصرتنا في طرابلس كشفت عن ذلك، فكثيراً ما كان ضباط الجيش يحذروننا قبل مباشرتهم قصفنا، كي نتجنب وابل قذائفهم ولو كانوا جادين في قصفهم لدمروا المدينة، وقضوا علينا، وبعض الضباط الذين تعاطفوا معنا هم الآن في غياهب السجون، لتحذيرهم

لنا، فالصراع في سورية ما زال على أشده، وإذا كان حافظ أسد قد كسب الجولة فيه، فإنه لم يحسمه بعد لصالحه.

ج- شكا عرفات من وضع الجزائر، لأنها نقضت ما تعهدت به، وتراجعت عن التزاماتها حيال منظمة التحرير الفلسطينية مقابل وقوف سورية مع الجزائر في صراعها مع المغرب من أجل الصحراء.

بعد هذا اللقاء بثلاثة أسابيع وردت برقيتان من عرفات إلى مكتب المنظمة في بغداد، يوجه فيهما الدعوة إلى محمد الجراح وإلى أبي عامر لحضور المجلس الوطني في عمان مع شخص آخر يختاره كل منهما للمشاركة في جلسات المجلس، فعقد المكتب السياسي جلستين طارئتين، اتخذ فيهما عدداً من القرارات منها:

- قبول الدعوة والمشاركة في جلسات المجلس، والاستعداد للسفر إلى عمان.

- زيارة مكتب المنظمة للاستفسار عن نقاط حول الدعوة والمشاركة، وظروف السفر والإقامة وغير ذلك.

د- طرح الإخوان فيما بينهم أسماء الأشخاص الذين تختارهم قيادة الجماعة، أحدهم ليكون رفيق أبي عامر في سفره، فوقع الاختيار على الأخ الأستاذ عبد الله الطنطاوي، فتوجه إلى عمان، وتبعه أبو عامر في اليوم التالي.

هكذا نستطيع القول: إن العلاقة بين المعارضة السورية من جهة، وبين منظمة التحرير الفلسطينية من جهة أخرى قد ازدادت رسوخاً،

وقطعت أشواطاً مهمة، سواء أكان ذلك عبر التحالف الوطني لإنقاذ سورية من جهة، أو بيننا وبين المنظمة في علاقة ثنائية من جهة أخرى.

وقد تقدم أبو عامر لقيادة الجماعة ببيان حول هذه المرحلة وتداعياتها وإنجازاتها في ١٩-١١-١٩٨٤، واختتمه بالقول المأثور: والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

٢- عقدت الدورة السابعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني في ٢٢ - ٢٩ من تشرين الثاني عام ١٩٨٤، فكان الحدث الأكبر اكتمال النصاب القانوني للمجلس بحضور ٢٦١ عضواً من أعضاء المجلس الوطني من أصل ٣٨٤، توفي منهم ستة أعضاء، ويقيم أربعة في جنوبي لبنان والضفة الغربية المحتلين.

ومن الجدير ذكره أن بقية الأعضاء لم يحضروا جلسات المؤتمر لمعارضتهم لقيادة ياسر عرفات، أو لمعارضتهم لمكان انعقاد المؤتمر في عمان، أو للضغوط التي تعرضوا لها بغية منعهم من المشاركة في اجتماع المجلس الوطني، سواء أكانت هذه الضغوط من قبل نظام حافظ أسد أو من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي.

لقد تغيب كذلك عن المشاركة في المجلس: المنشقون عن فتح ومنظمة الصاعقة المحسوبة على النظام السوري، والجبهة الشعبية بقيادة جورج حبش، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين الموالية لموسكو قيادة نايف حواتمة، غير أن منظمة فتح التي تشكل ٨٠ - ٨٥٪ من المنظمة استطاعت أن تغطي هذا العجز في الغياب، فاعتبرت فتح أنها نجحت في تفويت فرصة المماطلة في عقد المجلس

بالنسبة للمنظمات المقاطعة.

أ- يجيء انعقاد هذه الدورة، والمنظمة تعاني من الانشقاق بعد معارك البقاع وطرابلس التي خاضها الفلسطينيون ضد بعضهم البعض، ولهذا قالت المصادر الفلسطينية: إن فتح ذهبت إلى المجلس الوطني من أجل الحفاظ على الوحدة الفلسطينية، وبناء التحالفات في الساحة العربية، ومع كل هذه الخلافات فإن خالد الفاهوم الرئيس السابق للمجلس الوطني قال في مؤتمره الصحفي الذي عقده في دمشق بتاريخ ٢١-١١-١٩٨٤: لن أوافق على قيام أكثر من منظمة تحرير واحدة موحدة، أما بسام أبو شريف فقد قال: إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لن تشارك في أي نشاط انشقاقي يستهدف عقد اجتماع موازٍ للمجلس الوطني الفلسطيني أو اختيار قيادة جديدة.

أما فلسطينيو الضفة الغربية فكان اهتمامهم الأكبر هو التخلص من الاحتلال الإسرائيلي، فإذا كان انعقاد المجلس في عمان ودعمهم لعرفات سيحققان هدفهم، فهم مع المؤتمر ومع عرفات.

لقد تعمد العدو الإسرائيلي منع عرفات من تحقيق النصاب المطلوب لتثبيت شرعية الثلثين، لكن أعضاء المجلس في الضفة الذين كانوا سجناء الممانعة الصهيونية، حيث أبلغتهم حكومة العدو أنهم إذا ما خرجوا لحضور اجتماعات المجلس الوطني، فلن يسمح لهم بالعودة، وبالرغم من تدخل جهات عديدة عربية وأجنبية، ظل العدو على رأيه.

في بداية المؤتمر ألقى عرفات رئيس المنظمة والقائد العام للقوات

الفلسطينية خطاباً أمام المؤتمر، فاستهله بالقرآن الكريم، وبمخاطبة الملك حسين والضيوف وأعضاء المجلس، فأكد على عدة حقائق:

الحقيقة الأولى: هي الديمومة المستمرة لمنظمة التحرير بعد فشل التحالف الأمريكي الإسرائيلي وجميع القوى المعادية لشعبنا، فانعقاد مجلسنا الوطني الذي هو قاعدة الشرعية للنضال الفلسطيني، وإطار السلطة العليا، لأكبر دليل، وأسطع برهان على أنه ما من قوة في العالم تستطيع تدمير منظمتنا أو تجاوزها.

الحقيقة الثانية: التي يؤكدها انعقاد المجلس بعد كل الذي جابهناه من معوقات وضغوط استهدفت تعطيله ثم تأجيله في محاولة يائسة لشل المؤسسات الفلسطينية كلها، أن شعب فلسطين متمسك بحرية إرادته النابعة من موقف وطني متجذر في أعماقه، ومن إيمان لا يتزعزع بحق في صياغة قراره الوطني الفلسطيني المستقل على قاعدة الالتزام بقضايا أمتنا العربية ووحدة المصير.

الحقيقة الثالثة: هي الأصالة الديمقراطية في الساحة الفلسطينية، وأن إيمان شعبنا وكوادرنا ومقاتلينا في الثورة الفلسطينية لم يتزعزع، وها هو اجتماعنا اليوم ليؤكد هذه الحقيقة، ويعلن بكل العزم والحزم، بأن مجلس المنظمة ومؤسساتها الشرعية هي وحدها المؤهلة لحل كل خلاف، والبت في أي قرار، أو أي اجتهاد.

بعد هذه الحقائق الثلاث تبقى حقيقة رابعة نستلهمها من انعقاد دورتنا هذه في عمان، ونقولها بصوت عالٍ: وهي أن ما يربط بين شعبينا الأردني والفلسطيني من أواصر القربى والأخوة والعروبة، وما

يجمع بينهما من وحدة المصير والهدف أقوى من كل ما يمكن أن تفرضه ظروف عابرة أو طارئة.

وأرجو باسمكم أن أتقدم من الأردن -ملكاً وحكومة وشعباً- بالشكر والامتنان لاستضافتهم هذه الدورة، كما أشكر الضيوف والأصدقاء الذين تكبدوا متاعب السفر ليكونوا معنا وحولنا.

إننا رغم التجربة المريرة التي خضناها في التصدي للاجتياح الصهيوني للبنان، والتي استمرت ٨٨ يوماً، ووقف إطلاق النار في ١٠-٦-١٩٨٢، لم نحاول التركيز على سلبية أي موقف عربي، بقدر ما ركزنا على الإشادة بتلك الملحمة الأسطورية، في مواجهة أكثر من ثماني فرق عسكرية بما يعادل ٧٥٪ من الجيش الإسرائيلي، بجانب قواته الجوية والبحرية، وحسبنا التقرير الأمريكي الذي نشرته جريدة الواشنطن بوست يوم ١٠-١٠-١٩٨٤ الذي كشف عن جزء هام من الخسائر الإسرائيلية في هذه الحرب، والذي اعترف بأن إسرائيل خسرت في حرب لبنان ٤١٩٥ إصابة و٦١٢ آلية، و٢٣ طائرة و٣٤٠٠ قتيل، بالرغم من الجراح التي أصابتنا حيث فقدنا أكثر من ٧٢ ألف شهيد وجريح فلسطيني ولبناني.

ولا شك أن التحالف الأمريكي الإسرائيلي، وقد هاله أن يجد الثورة مستمرة، قرر استكمال حربه علينا بأسلوب مخابراتي، استهدف ساحتنا الداخلية ووحدتنا الوطنية، عُرف ما أسموه التمرد داخل فتح تحت شعارات مزيفة، ثم جاءت فيه المأساة الموجعة في الحصار المزدوج في مدينة طرابلس، ومخيمي البداوي ونهر البارد، حيث

كانت إسرائيل تقصف من البحر، وبعض العرب -قوات حافظ أسد- تقصف من البر، يلتفون من حولنا في أول ظاهرة خطيرة من نوعها في مجرى الصراع العربي الإسرائيلي منذ بدأ هذا الصراع، فكانت المحصلة أكثر من عشرة آلاف شهيد وجريح، ورحيل ثانٍ عبر البحر في غضون عام واحد من الزمن، ثم بدأت حملة تشكيك وتشويه رهيبة، رفعت شعارات مزيفة، خدمة للمخطط التآمري الإسرائيلي الأمريكي وأعوانهم، وإنها لمناسبة أن أحيي من هنا شعب لبنان، وطلائعه الثورية الحقيقية التي تصدت لمشروع -كمب مورفي الجديد- إذ أشير إلى بندين منه:

ضمان عدم عودة مقاتلي منظمة التحرير إلى الجنوب اللبناني، وضمان ما يسمى بأمن الحدود الشمالية لما يسمى إسرائيل من الفدائيين الفلسطينيين، لنكشف حجم هذه المؤامرة وأبعادها.

نقول هذا بكل الوضوح، لكي يفهم شارون، ومن يفكرون على طريقته، بأننا سنقف كلنا وقفة رجل واحد مع إخوتنا وأهلنا في الأردن لتحطيم أحلام شارون، وللرد على تهديداته الخطيرة للأردن، وأخيراً إذ نعلن هذا بكل الوضوح كي لا يتبادر لأي ذهن، ولأي جهة كانت أية أوهام حول أي وطن بديل غير فلسطين. ثم ختم هذا المقطع من خطابه بالآية القرآنية الكريمة: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

ب- ثم تحدث عن مسؤوليته في قيادة منظمة التحرير، مستشهداً

بقـول خليفـة رسول الله سـيدنا أبـي بكر: لقد ولـيت عليكـم ولست بخيـركم، فإن أحـسنت فأعـينوني، وإن أسأت فـقومونـي، واستشـهد بقول سيدنا عـمر الخليفة العادل: رحم الله امرءاً قـوّم اعوجاج عمر، لذلك أعتـبر بقائي في موقع المـسؤولية الأولى مع إخوانـي في اللجنة التنفيـذية أو إبعادنا عن هذا المـوقع هو من اختصاص هـذا المجلس، باعـتباره الـشرعيـة الفلسـطينيـة، وصاحب الـقرار الوطنـي الفلسطـيني المستقل.

أيهـا الإخوة والأخـوات: إنني إذ أدعـوكم لمـمارسـة حقكـم وما انتخـبتم من أجله، أدعـو لكم أن يوفقكـم الله لما فيـه خير شعـبكم، ونصرة قضيتكم، ولما فيه خير أمتكم.

تحـدث كذلك في الجـلسة الافتـتاحيـة الملك حـسين حيـث أكد حرصه على الهوية الوطنية الفلسطينيـة وعلى منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد لشعب فلسطين.

٣- وبعد أن تحـدث في هذه الدورة السابـعة عشرة: عـشرات من ممثلي الدول والمنظمـات الرسمية والشعبية والحزبية، مـؤكدة جميعها على الحـقوق الثـابتة للشـعب الفلسطـيني، وأن المنظـمة هي المـمثل الشـرعي الوحيـد لشعب فلـسطين، وأنه ليـس لأحد حق التـدخل في شوونها الـداخلية، والمساس بـمؤسساتها الـشرعية، ثم تحـدث ممثل المعارضة السورية في إحدى جلسات المؤتمر الوطني لإنقاذ سورية.

أ - وقبل إيراد خطاب المعارضة السـورية الذي ألقاء السيد جاسم علوان، أشيـر إلى أن فصائل المـعارضة السوريـة قد بلغت ستـة عشر

فصيلاً، شملت اليمين واليسار والعرب والأكراد، والإسلاميين والأحزاب الليبرالية. . . إلخ إذ عقدت هذه الفصائل مؤتمراً فيما بينها على هامش المؤتمر الوطني الفلسطيني قررت فيه توحيد جهودها ومواقفها، وأن تكون كلمة أطياف المعارضة كلها موحدة، يلقيها أحد قادتها باسمها جميعاً.

وقد وقع الاختيار على السيد جاسم علوان ذي الاتجاه الناصري، فكان لكلمته صدى واسع في دمشق وجنوبي سورية، حيث استمع السوريون بشغف واهتمام كبيرين لكلمة المعارضة السورية التي بثها ونقلها التلفزيون الأردني.

كانت كلمة المعارضة السورية التي تحدث باسمها السيد جاسم علوان رائعة -والتي اتفق عليها وتعاونت على صياغتها كل فصائل المعارضة- نالت استحسان أعضاء المؤتمر وإعجابهم، فاستقبلوها بحماسة بالغة وشغف كبير، ومما جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم: من سورية التاريخ والنضال والشهداء، من سورية عز الدين القسام وسعيد العاص، وكل المجاهدين الذين لبوا نداء فلسطين، وعرفتهم ربى القدس والقسطل والجليل، من سورية الشعب، أتينا إلى المجلس الوطني حيث تتجلى إرادة شعب فلسطين الحرة، ويعلو قراره الوطني المستقل.

سيادة الأخ القائد ياسر عرفات

السيد رئيس المجلس الوطني الفلسطيني

الإخوة والسادة أعضاء المجلس، والضيوف المحترمين

إن شعبنا العربي السوري لم يعرف منذ بداية الغزو الصهيوني لأرضنا: قضية وطنية أقدس من قضية فلسطين، ولا قضية قومية أعز من قضية فلسطين.

إن جماهير شعبنا العربي السوري قد رأت في هذه الثورة الفلسطينية منذ أيامها الأولى ثورة على كل القيود والحدود التي حاول خصومنا أن يقيدوا بها شعبنا العربي، ويسدوا في وجهه طريق الكفاح والتحرير والوحدة.

في هذا الطريق كانت ثورتكم المشعل، تواجه الاحتلال الاستيطاني الصهيوني بكل جبروته ووحشيته، وتواجه القوى الإمبريالية التي تقف وراءه، وعلى رأسها الإمبريالية الأمريكية، وكانت -ثورتكم- في الوقت نفسه - تتلقى بصدرها ومن وراء الظهر الكثير من طعنات التآمر والغدر.

وهنا يحز في نفوسنا أيها الإخوة، وفي قلوب أبناء شعبنا العربي السوري أن يحتل النظام الحاكم في بلدنا المنكوب سورية موقع الصدارة بين هؤلاء المتآمرين الغادرين، وينخرط في مجرى استراتيجية العدوان والمخططات الصهيونية بحيث لا تختلف فعاله وكبائره قيد شعرة عن أعمال العدو الصهيوني نفسه، إلا بما يحاول تغليفها به من أردية وأكاذيب وباطنية، فما من مؤامرة على فلسطين، وعلى الثورة الفلسطينية إلا وكان النظام الحالي في سورية شريكاً رئيسياً فيها، سواء من حيث الإعداد أو التنفيذ.

أضاف المتحدث باسم المعارضة السورية جاسم علوان: هناك في

لبنان تجلى دور حافظ أسد ونظامه على حقيقته في مخطط التآمر ضد فلسطين الكيان والقضية والثورة، بل ضد لبنان والأمة العربية كلها، فبعد أن ثبت عجز العدو الصهيوني عن مواصلة زحفه لملاحقة المقاومة الفلسطينية وقيادتها ومقاتليها في البقاع والشمال، وصولاً إلى اقتحام مخيم نهر البارد، ومخيم البداوي وحصار طرابس، ولم يكن ذلك مجرد تكرار واستكمال لما فعله العدو الصهيوني في الرشيدية وعين الحلوة وبيروت، بل كان يتم بالمشاركة السافرة بين قوات حافظ أسد وقوات شارون، فكان حصار طرابلس مزدوجاً من النظام السوري الذي يقصف المخيمات والمنظمة من البر، ومن العدو الصهيوني الذي يقصفها من الجو.

أيها الإخوة: إن هذا النظام الأسدي لم يكتف بحربه ضد منظمة التحرير الفلسطينية في البداوي والبارد وطرابلس في حصارها المزدوج، بل واصل حملته التصفوية، المادية والجسدية والسياسية ضد فلسطين قضية وثورة وثواراً، ولعل أبرز ما في هذه الملاحقة ما تعرض له هذا المجلس الوطني بالذات، إذ بذل حافظ أسد شخصياً كل ما يمكنه من جهد لمنع انعقاده عن طريق المنظمات المصادرة، أو عن طريق الضغط والسمسرة والسعي لدى بعض الأنظمة العربية حتى لا تجدوا مكاناً تجتمعون فيه.

لم يكن لحافظ أسد أن يبلغ ما بلغه من تنفيذ هذا الدور لو لم يعمل في ظل تواطؤ ودعم وصمت على الصعيدين العربي والدولي من أجل ضرب شعب سورية العربية، وتدمير قواه وشل إرادته،

وتمزيق وحدته الوطنية، باعتبـار أن هذا الشعب كان دائماً السد المنيع في وجـه أي تآمر عـلى قضـايانا الـوطنية والـقومـية، وبالـذات قضـية فلسطين المقدسة.

لقد كـمم حافظ أسد الأفـواه، وملأ السجون والمـعتقلات بـخيرة أبناء شـعبنا، فهـناك ألوف المناضليـن في سجون المـزة وتدمر وأقبـية التـحقيق والـتعذيب، آلاف الـمناضليـن من كل أبناء شـعبنا وطوائـفه وفئاته وقـواه السياسية، مـن الإخوان المسلميـن والبعثيين والـناصريين والشيوعيين، من المسلمين والمسيحيين، ومن الدروز والأكراد، ومن العلويين أيضاً.

ختم السيد جاسم علوان كلمته قائلاً: جئنا لننقل لكم رسالة شعبنا الذي آلى على نـفسه أن يجاهد بكـل غال ونفيس من أجل إقـامة نظام وطني ديمقـراطي يحرر سورية، ويعيـد لها دورها التاريخي، ووجـهها العربي المشرق، نظام يطلق الحريات الكـاملة للشعب كله، للمسلمين والمسـيحيـين، لليسـار واليميـن، لكل الأحزاب والمنـظمات دون أي استثناء.

هذا هـو الطريق الـوحيـد أيها الإخـوة لتـصحـيح الوضـع برمتـه، فالـوضع العـربي الآن منكـوب بسوريـة المنكـوبة، وستـظل أوضاعـنا العربيـة تتدهور من سـيئ إلى أسوأ ما لم تـتعاف دمشق، وتـعود قلب العروبة النابض، والقاعدة الأساسية للثورة الفلسطينية، ولجبهة شمالية شرقية هي حجر الزاوية في بناء ذاتيـة عربية قادرة على كسر الخلل في ميزان القوى مع العدو الصهيوني.

أيها الإخوة: على هذا الطريق جئنا إلى مجلسكم الوطني الفلسطيني، نمد يد شعب سورية إلى يد شعب فلسطين، يد التضامن والتحالف والصدق، لا يد التآمر والخيانة والغدر. جئنا لنقول كلمة واحدة، هي كلمة سورية، كلمة سورية التاريخ والنضال والشهداء والمجاهدين، كلمة سورية المعارضة بكل أحزابها وتياراتها، كلمة التيار الإسلامي بإخوانه ومجاهديه، والتيار القومي بناصرييه وبعثييه، والتيار اليساري بشيوعييه واشتراكييه، كلمة سورية الشعب، إنها كلمة العهد، العهد يا فلسطين، العهد يا شهداء فلسطين، العهد يا ثورة فلسطين، العهد يا منظمة التحرير، العهد يا أبا عمار.

إننا ماضون في هذا النضال إلى أن نزيح الكابوس الطائفي الاستبدادي من على صدر الأمة، أوليست سورية صدر الأمة؟ ونسير معاً في الخندق الواحد، وبالبندقية الواحدة، وتحت الراية الواحدة، إلى أن تتحرر فلسطين، وتتطهر القدس، وتتطهر فلسطين، إنها لثورة حتى النصر.

ب- كذلك رفع الإخوان المسلمون في الأردن مذكرة إلى الرئيس وأعضاء المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السابعة عشرة جاء فيها:

يا إخوتنا أبناء فلسطين الأعزاء

يا إخوتنا في بلاد العروبة والإسلام

يا حفدة أجيال الفتح والجهاد

يا خير أمة أخرجت للناس

أيها الإخوة أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: إننا نغتنم انعقاد الدورة السابعة عشرة لمجلسكم الوطني لنقول كلمتنا، ونتوجه بكل صدق وإخلاص إلى كل عضو من هذا المجلس الكريم بمكنونات صدور آلاف الشباب المسلم في فلسطين، وفي هذا البلد، وفي أرض العروبة والإسلام، وهم يرقبون اجتماعكم، وينتظرون إجماعكم على كلمة الفصل التي أنزلها الله من فوق سبع سماوات: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.

إننا باسم هذه الجموع نذكر إخواننا بمجموعة من القضايا والحقائق التي ليست بخافية عليهم، نقتطف منها ما يلي:

أولاً: لا يخفى عليكم، أيها الإخوة، أن الأطماع اليهودية تعتمد استراتيجية ماكرة، تقوم على فلسفة شعب الله المختار، الذي يملك، وغيره لا يملك، والذي من حقه العيش على حساب دماء كل شعوب الأرض.

ثانياً: أنتم أول المستهدفين بكل مخططات هذا المكر، وبكل شراهة الأطماع اليهودية، ثم من جاوركم من إخوانكم حيث يعلم اليهود أبناءهم أن شرقي الأردن جزء من الخريطة اليهودية، في حين نجد كثيراً من أصحاب القضية لا يسمحون بتعليم أبنائنا أن فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ جزء من الأرض العربية والإسلامية، وليس خافياً عليكم أن التآمر الدولي حليف استراتيجي لليهود.

ثالثاً: كما لا يخفى عليكم أن الإسلام هو العدو التاريخي

والاستراتيجي لدولة العصابات اليهودية، وأن القرآن الكريم كتاب الله تعالى هو الذي ثبت -أكد على- الجرائم اليهودية عبر آلاف السنين لتكون دروساً لنا وعبراً، يقرأها المؤمنون ليلاً ونهاراً.

لقد حيل بين الإسلام وبين القضية بحجة إبعاد الدين عن حلبة الصراع، كمعلم من معالم التقدم والثورة مرة أخرى.

رابعاً: وليس خافياً عليكم أن أمتنا مذ فقدت استراتيجيتها الثابتة تحت وطأة النزوات الطائشة والأهداف الشخصية والارتباطات الدولية، تعيش في ردود أفعال، فهي تستدرج في مزالق السياسة الاستعمارية، ويلوح لها الماكرون ببريق الآمال الخادعة، ويعللونها بلعاعات الدنيا، فهم يقدمون لها الحياة المادية عوضاً عن الكرامة، والرق عوضاً عن الحرية، والحكم الذاتي عوضاً عن فلسطين عمر والمظفر قطز وصلاح الدين.

خامساً: وليس غائباً عن إخوانكم ما يتحمله الشعب الفلسطيني المجاهد من عنت الاحتلال ومرارة الحرمان، وقسوة البعداء، وتجهم الأقرباء.

سادساً: وإنه لمن الحقائق المسلمة أن فلسطين ملك للأجيال، قديمها وحديثها، وملك للأبناء والأحفاد، وليس من المروءة أن نتنازل عن حق أجدادنا، ولا عن حق أحفادنا.

يا إخواننا أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني.

إن الله يشهد، والملائكة يشهدون، والناس يرقبون، والتاريخ

يفتح لكم مكان الصدارة فيه، ولا تكون الصدارة إلا للثابتين على حقهم، المجاهدين في سبيل قضيتهم، المؤمنين باستراتيجية لا تتزحزح عن شعار: لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، حتى يقول الشجر والحجر، يا مسلم، يا عبدالله: هذا يهودي ورائي فاقتله.

سابعاً: وإن الحل الذي ما وراءه حل، هو تعبئة الأمة للجهاد والاستشهاد، وقد أصبح معلوماً أن اليهودي لا يقف أمام أمة ترغب بالموت والشهادة.

وأخيراً. . فإن الإخوان المسلمين الذين ربط الله قلوبهم بقلوبكم، والذين تدفّقت دماؤهم على ثرى فلسطين، ليتمنون أن يتمخض مؤتمركم الكريم عما يلي:

- تأكيد حق الأمة في كامل التراب الفلسطيني، وفيما اغتصبه اليهود من أرض الجولان ولبنان وسيناء.
- رفض كافة الحلول السلمية التصفوية.
- الدعوة إلى وحدة الصف الفلسطيني والعربي والإسلامي.
- المطالبة بصندوق إسلامي لدعم صمود الشعب الفلسطيني، ويُحسِّن كفاءة الصناديق القائمة.
- المطالبة بالتعبئة الجهادية على جميع المستويات التربوية والاجتماعية والسياسية والعسكرية.

سدد الله خطاكم لحمل راية الجهاد لتطهير أرض الإسراء

والمعـراج ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنـتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّـؤْمِنِينَ﴾، ﴿فَلا تَهِنُـوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُـمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَـن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾.

الإخوان المسلمون في الأردن

جـ- وفي ذات الـوقت رفـع التـحـالـف الوطـني لإنـقـاذ سـورية -والإخوان إحـدى ركائـزه الأساسـية- مذكـرة إلى المـجلس الـوطني الفلسطيني في هذه الدورة السابعة عشرة جاء فيها:

إن التحـالف الوطني لإنقاذ سوريـة يتوجه بتحـياته إليكم مشـفوعة بتمـنياته لكم بـالنجاح، وإذا كان اضـطراركم لإخلاء بيـروت قد أدمى القلب، فـإن ما وقع عليكم في طـرابلس، واضطراركم لإخلائـها كان أشـد ألمـاً وأعـمق جـرحـاً، ومع أنـكم خـرجـتم مـن طرابلـس أيهـا الصناديد، فإنـكم لم تغادروها، فلقد بقـيتم شعلة فداء ووقـفة عز في قلب كل عربي في طرابلس وفي غيرها.

أيها الإخوة: لـلمرة الثانية نتـحدث إليكم في مؤتمـركم من خلال رسالتنا، بعـد أن تحدثنا إليكم في مـؤتمركم السابق، وإن ما تضـمنته رسالتنا السابقة أكدته الأحداث التي تلت بين المؤتمرين.

إن الشـروط الموضـوعيـة التي صـنعهـا تاريخ شـعبـنا في سـورية وأرضها التي اختارها الله لها، هـي التي قالت، وستظل تقول: إنه ما من طريق قادر على الوصول بكـم إلى فلسطين إلا طريق دمشق، وإن حافظ أسد هو الذي سد عليكم طريق دمـشق منذ سلم هضبة الجولان

وجبهته المنيعة عام ١٩٦٧ دون قتال، وهو الذي يعمل من خلال مخطط لرفع: لثورة الفلسطينية من مأزق لمأزق حتى يوردها حتفها.

إن حافظ أسد، لغم تاريخي في جسد أمتنا العربية، يعمل على الفتك بها لمصلحة عدوها، وإن كل ما اقترفه من مجازر في سورية، وما أثاره في لبنان من فتن بين طوائفه، يؤكد هذه الحقيقة التي تهدف إلى سجن كل قوة عربية في هذه المنطقة لصالح العدو الصهيوني، وتمكيناً له في توسعه، وتوفيراً لأمنه، ولسنا بحاجة للقول، ولا أنتم بحاجة للسماع بعد الذي واجهتموه في طرابلس من حافظ أسد الذي يُنفّذ ما يسمى خنجر إسرائيل خطوة خطوة.

أيها الإخوة: لقد ثبت لديكم أن الثورة الفلسطينية عندما لا تستطيع الدخول من دمشق، فإنها تخرج من طرابلس، وإن الشعب السوري هو حبل الأمان بالنسبة لكم، وهو العروة الوثقى التي أمر الله أن نتمسك بها، وإن الجديد اليوم أيها الإخوة هو التنفيذ -لأن التخطيط قديم ومكشوف- فحافظ أسد يطارد اليوم الثورة الفلسطينية خارج حدود سورية ولبنان، وهو ساع وراء تمزيقها لتذهب ريحها، أو لم يطاردكم حتى في الجزائر؟ والمرض ينخر جسده كما ينخر الحقد قلبه، وإن حمّى شديدة تشب في قلبه ليحبط انعقاد مؤتمركم هذا، لقد هدد كل فلسطيني مقيم في سورية من حضور المؤتمر، وإلا فلن يستطيع العودة إليها!! إنه يعمل على تفريغ المنطقة المحيطة بالعدو من الثورة الفلسطينية، ليمنح العدو درع أمان وحزام أمان، ومع أن عداوته الشخصية لأبي عمار رئيس المنظمة لا يصعب

تفسيرها، فإن أبا عمار بصموده الرائع مع أبطال المقاومة في بيروت تسعين يوماً على مشهد من حافظ أسد وقوى الصمود غير الصامدة، قد كشف خيانته، وخلع عليه لباس الزيف والذل والمهانة، ومع ذلك فإنه يجعل من خلافه مع أبي عمار، وطلبه التخلص منه ذريعة لقطع رأس الثورة الفلسطينية والقضاء عليها.

أيها الإخوة: إن حافظ أسد طرف أساسي في الحرب العراقية الإيرانية، وهو يعلن ذلك ويفاخر به، فما الذي يخشاه السادة الملوك والرؤساء من حافظ أسد أكثر من ذلك؟ إنه يقتل الثورة الفلسطينية ويطاردها، ويحدث المذابح للشعب السوري، ويشعل الفتن في لبنان، ويعتدي على الشعب العراقي، ويرد التحية للجيش العراقي الذي هب لنجدة سورية عام ١٩٧٣، وساهم في إنقاذ دمشق من السقوط بيد العدو، يرد له ذلك بأن يقاتله متحالفاً مع خميني، ومع الصهاينة.

أيها الإخوة أعضاء المؤتمر الوطني في دورته السابعة عشرة:

إن الثورة الفلسطينية من أكبر ثورات التحرير في هذا العصر، بل هي أكبرها بعد أن أوشك أن يبلغ عمرها سبعين عاماً منذ وعد بلفور، وإنها قادرة بعون الله على أن تتغلب على أعدائها من الخارج مهما بلغ جبروتهم إذا استطاعت أن تحافظ على صفائها ووحدتها، وإن التحالف الوطني لإنقاذ سورية -المعارضة السورية بكل أطيافها- منطلقاً من كون شعبنا في سورية شريكاً في معركة المصير في فلسطين، وليس مجرد حليف، يعلن عن تأييده لمنظمة التحرير

الفلسطينية وقيادتها الشرعية، وحرصه على وحدتها، واستقلالية قرارها، ويدين كل محاولة لإخضاعها والتسلط عليها من أي جهة كانت.

إننا واثقون بأن المنهج الديمقراطي القائم على الحوار هو الضمان الحقيقي لحل ما يطرأ من خلافات في أثناء الممارسة والتطبيق، وإن كل موقف أو تصرف يهدف إلى تعطيل دور المؤسسات الديمقراطية سينتهي إلى أن يكون موقفاً معادياً للثورة الفلسطينية نفسها، وهو يفضي بالتالي إلى أن يكون عدواناً على الشعب الفلسطيني الذي تمثله منظمة التحرير الفلسطينية.

إن التحالف الوطني لإنقاذ سورية يحييكم ثانية، ويعاهدكم باسم شعبنا في سورية على الثأر لكل دم فلسطيني وسوري ولبناني سفكه حافظ أسد.

عاشت الثورة الفلسطينية ملتحمة مع الشعب السوري المجاهد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأمانة العامة للتحالف الوطني لإنقاذ سورية

٢٠-١١-١٩٨٤م

د- اتخذ المجلس الفلسطيني عدداً من القرارات كان منها:

- انتخاب الشيخ عبد الحميد السائح رئيساً للمجلس خلفاً لخالد الفاهوم، فنال ١٨٨ صوتاً ومعارضة ٤ أصوات وامتناع ١١ عن التصويت، واعتبار ٦ أصوات لاغية.

- أعاد المجلس انتخاب ياسر عرفات رئيساً للجنة التنفيذية.

- انتخب المجلس لجنة تنفيذية جديدة تشكلت من: فاروق القدومي، ومحمود عباس، وعبد الرحيم أحمد، وجمال الصوراني، والمطران إيليا الخوري، وجاويد الغصين، وفهد القواسمة، وعبد الرزاق اليحيى، ومحمد عباس -أبو العباس- ومحمد ملحم.

وكانت أهم القرارات التي صدرت عن الدورة السابعة عشرة هي:

- الحرص على ضرورة متابعة الجهد لتحقيق وحدة وطنية فلسطينية مستقلة الإرادة والقرار داخل وخارج الأرض المحتلة -فلسطين- إضافة إلى التنظيمات الشعبية المسلحة، بجانب الشخصيات الوطنية الفاعلة.

- إن المجلس إذ يعتبر أن حق تقرير المصير والعودة وإقامة الدولة الفلسطينية هي المدخل والأساس لأي تحرك سياسي عادل لقضيتنا، فإنه يؤكد قراراته في دورته السابقة حول موقفه من القرار ٢٤٢ الذي لا يتعامل مع قضيتنا كقضية شعب وحقوق، وإنما كقضية لاجئين، ويتنكر من ثم لحقوقنا الوطنية.

كما أكد المجلس رفضه لجميع المشاريع التي لا تتضمن هذه الحقوق.

- إن المجلس الوطني، مستلهماً تاريخ شعبنا في علاقاته العربية، وإيماناً بقومية قضيته، اتخذ جملة قرارات تنطلق من هذا كله، وتستهدف بناء واقع عربي قادر على مواجهة تحديات هذا التحالف في

هذه المرحلة.

فبالنسبة للأردن قرر المجلس مواصلة السعي لتطوير العلاقات معه بهدف تنسيق الجهد المشترك من أجل تحقيق أهدافنا الواحدة بتحرير الأرض والإنسان الفلسطيني، استناداً إلى قناعاتنا الثابتة بالمصير الواحد.

وبالنسبة لسورية التي نقدر تاريخها النضالي وأهميتها الجغرافية والسياسية والعسكرية، فقد أوصى المجلس بتجاوز ما أصاب العلاقات الفلسطينية السورية من توتر وتخريب، والتسامي على الجراح والآلام ومشاعر المرارة بهدف تصحيح العلاقة على أسس واضحة وصريحة تضمن حرية الإرادة والقرار الوطني، والتعامل المتكافئ في إطار الالتزام القومي، بعيداً عن التدخل في الشؤون الداخلية لأي من الفريقين من أجل حشد كل الطاقات في مواجهة التحالف الأمريكي الإسرائيلي ومخططاته، كما أوضح المجلس تقديره لمكانة مصر ودورها، والثوابت في العلاقات العربية المصرية، وطلب المجلس من اللجنة التنفيذية للعمل على تعزيز العلاقات بين الشعبين المصري والفلسطيني.

وقد أشاد المجلس بالجهود التي تقوم بها اللجنة التنفيذية والسيد ياسر عرفات لوقف الحرب العراقية الإيرانية، ووقف نزف الدم بين الشعبين الجارين المسلمين، كما أكد المجلس على توثيق العلاقات بين الدول العربية الشقيقة وتطويرها وفق قرارات الدورة السادسة عشرة.

وأكد المجلس على دعم نضال الشعب الفلسطيني من أجل تحرير أرضه وشعبه، ثـم وقف المجلس تحية إجلال للشعـب الفلسطيني في الأرض المحتلة، لصموده الرائع في مواجهة الاحتلال الصهيوني وممارساته العنصرية والإرهابية، دفاعاً عن حريته وأرضه ومقدساته، ولاسيما بيت المقدس، وما يتعرض له المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي، ومقدساتنا الإسلامية والمسيحية لدنس الاحتلال وأخطار التهويد.

وسمى المجلس هذه الدورة السابعة عشرة بدورة الشهداء، كما حيّا المجلس الأسرى في الأرض المحتلة، وفي جنوبي لبنان، وأكد المجلس جميع القرارات التي تحكم علاقات الصداقة بين منظمة التحرير والدول الاشتراكية، ودول منظمة المؤتمر الإسلامي، وكتلة عدم الانحياز، والصين الشعبية، ومنظمة الوحدة الإفريقية، ودول أمريكا اللاتينية، وسائر الدول والقوى والحركات التي تناضل في سبيل الحرية والاستقلال والعدل والسلام المناهضة للإمبريالية والاستعمار والتمييز العنصري.

وأخيراً. . . عبر المجلس في اختتام أعماله عن شكره وتقديره للأردن الشقيق ملكاً وحكومة وشعباً على استضافته للدورة السابعة عشرة، وإلى الجزائر واليمن الديمقراطي واليمن الشمالي، وإلى الملك فهد وقادة مجلس التعاون الخليجي، وإلى تونس لاستضافتها قيادة منظمة التحرير، وإلى العراق الشقيق الذي قدم الدعوة لاستضافة مجلسنا الوطني في بغداد، والذي لا يزال نصيراً لشعبنا، وشريكاً في

نضاله، وإلى السودان، وإلى الملك الحسن الثاني رئيس لجنة القدس، وإلى جميع القادة العرب الذين وقفوا إلى جانبنا ومعنا في مسيرتنا النضالية لتحرير وطننا.

- إن إيماننا لكبير بأن النصر آتٍ لا ريب فيه، وأن أهدافنا الوطنية ستتحقق بإذن الله ومشيئته.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار، وإنها لثورة حتى النصر.

هـ- كتب جهاز الإعلام للإخوان المسلمين بإشراف وجهود الأخ الأستاذ عبدالله الطنطاوي تقريراً حول هذه الدورة السابعة عشرة ضمنه لقطات ذات مغزى كان منها:

- وجه المجلس نداء باسم القدس والمسجد الأقصى إلى إيران يناشدها فيه إيقاف الحرب، وتوجيه الجهود والقدرات الإسلامية لتحرير الأرض والمقدسات.

- قال تيسير خالد عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية المقيم في عمان، ولم يحضر جلسات المجلس بالرغم من أنه عضو فيه:

تعتبر الدورة شرعية، وإن الذين يشككون في شرعية الدورة يرتكبون خطأً سياسياً كبيراً، لأن هذا يعني زوال المنظمة.

- شارك اثنان من المستقلين في أعمال المجلس.

- أبلغت الجبهة الديمقراطية التي قاطعت المجلس رسمياً: أنه إذا كانت هناك أزمة تواجه اكتمال النصاب، فإن عدداً من أعضائها

مستعدون للالتحاق بالجلسة، فشكرهم عرفات على هذه المبادرة، وأبلغهم بأنه لا حاجة إلى تنفيذها، وكان ثمانية من أعضاء الجبهة قد قاطعوا جلسات المجلس وهم أعضاء فيه.

- قام الإعلام الأردني بدور كبير بنقل الجلسات المفتوحة، كما نشرت الصحف الأردنية مع محاضر الجلسات، المقابلات مع أعضاء المجلس والقيادة الفلسطينية، ودخلت في سجال ضد الحملة على انعقاد المجلس.

- بات من المرجح نقل رئاسة المجلس الوطني من دمشق إلى عمان، بعد انتخاب الشيخ عبد الحميد السائح رئيساً له، ويقضي العرف بأن يكون المقر في مكان إقامة رئيسه.

- قال الرائد عبد السلام جلود الرجل الثاني في النظام الليبي: إن اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني هو اجتماع للإخوان المسلمين.

- لوحظ أن الملك حسين لم يذكر إسرائيل بالاسم إطلاقاً، وإنما كان يشير إليها بصفة عدو، ولم يذكر اسم سورية في تعرضه لمحاولات احتواء منظمة التحرير، وأنه أكد عدة مرات عدم وجود حلول أو مبادرات جديدة مطروحة لحل أزمة الشرق الأوسط.

- صرح عرفات بأن حاكماً عربياً -القذافي- وضع قاذفة قنابل في حالة الاستعداد في شرقي لبنان منذ عدة أيام في مهبط رياق -شرقي لبنان -وهي منطقة تسيطر عليها سورية- لقصف القاعة التي يجتمع فيها القادة الفلسطينيون في عمان، وأن الطائرة، أعدت للقيام بهذه

الجريمة النكراء!!!

رفضت سورية بشدة القرارات التي أصدرها المجلس الوطني، ووصفتها بأنها باطلة وغير شرعية.

مثل المغرب أحمد بن سودة مستشار الملك الحسن الثاني فقال: نحن الرجعيين العرب نقدس القضية الفلسطينية (وقد سبق لنا أن تعرفنا على أحمد بن سودة في الرباط، وهو الذي يوصف بأنه من رجال المهمات الصعبة)

والله أكبر ولله الحمد

جهاز الإعلام

المكتب السياسي لجماعة الإخوان

المسلمين في سورية

و- عندما أذيع اغتيال السيد فهد القواسمة في عمان بعد ضمه للجنة التنفيذية بساعات في هذه الدورة السابعة عشرة على أيدي عملاء النظام الطائفي في دمشق، تداعى أعضاء الأمانة العامة للتحالف الوطني لإنقاذ سورية إلى جلسة طارئة بتاريخ ٣٠-١٢-١٩٨٤ لبحث موضوع الاغتيال وقرروا ما يلي:

- ذهاب وفد من الأمانة العامة مشكل من: أبو عامر وأمين الحافظ، لتعزية المنظمة بالفقيد، وكانت التعزية للسيد عزام الأحمد مدير مكتب منظمة التحرير في بغداد.

- إرسال برقية تعزية باسم التحالف إلى مقر المنظمة في تونس،

وإرسال صورة عنها إلى مقر المنظمة في عمان.

- أن يشارك وفد من التحالف بتشييع الجنازة في عمان، فتشكل وفد من الأخ أبي عامر، ومن السيد عبدالله قوجه من مكتب الأمانة العامة الذي يقود التحالف.

- سافر الوفد مساء الأحد ٣٠-١٢-١٩٨٤، وانضم إليه الشيخ أبو النصر البيانوني أمين عام الجبهة الإسلامية في اليوم التالي لوصوله.

- في صباح الاثنين في ٣١-١٢-١٩٨٤ شارك الوفد بتشييع الفقيد إلى مثواه الأخير في إحدى مقابر عمان، وقدم وفد التحالف إكليلاً من الزهر حمل اسم: التحالف الوطني لإنقاذ سورية، كما زار الوفد مقر المنظمة في عمان منذ الصباح الباكر، ثم انتقل إلى مسجد الجامعة لأداء الصلاة على الفقيد، وشاركت سيارتان باسم التحالف في موكب حافل للجنازة.

- ألقى أبو عامر رئيس وفد التحالف كلمة في الجماهير المحتشدة ساعة الدفن (بعد كلمة السيد عرفات) كانت قوية وجريئة ومؤثرة أثارت انتباه وأشجان المشيعين، فبادر عدد منهم إلى أبي عامر معربين عن امتنانهم، وقد نقلت الصحافة الأردنية نبأ مشاركة وفد التحالف، وأشارت إلى كلمة رئيس الوفد.

في الساعة الخامسة من مساء هذا اليوم زار وفد التحالف مقر المنظمة مرة أخرى لتقديم العزاء إلى قيادة المنظمة، ممثلة برئيس

اللجنة التنفيذية السيد ياسر عرفات ورئيس المجلس الوطني الشيخ عبد الحميد السائح، وعدد من أعضاء اللجنة التنفيذية للمنظمة.

- في منتصف الليل تم لقاء مغلق مع السيد ياسر عرفات في القصر الذي نزل فيه ضيفاً على الحكومة الأردنية، واستمر اللقاء حتى الثانية بعد منتصف الليل، وكان التعاطف القوي متبادلاً، ووجهات النظر متطابقة، والتقويم لنظام أسد ولطبيعة المرحلة الخطيرة التي تمر بها أمتنا والقضية الفلسطينية واحداً.

- في اليوم التالي الثلاثاء الموافق ١-١-١٩٨٥ قام الوفد بزيارة آل الفقيد في منزلهم، وقدم لهم التعازي باسم التحالف الوطني السوري المعارض، كما قدم بعض الواجبات التي تلاحظ في مثل هذه المناسبة -كيس رز وكيس سكر وكيس قهوة- فكان لمشاركة وفد التحالف أبلغ الأثر في نفوس آل الفقيد، وقد أعربوا عن امتنانهم قائلين: لقد تركت مشاركتكم في العزاء أثراً كبيراً في نفوسنا لم تتركه مشاركة أي وفد آخر.

- تمت لقاءات عديدة مع بعض التيارات السياسية ذات الولاء لبعث العراق، وقلبنا معها وجهات النظر في كثير من قضايا الساعة، وفي مقدمة ذلك: العلاقة الوشيجة بين العروبة والإسلام، والموقف من نظام حافظ أسد وانحرافاته.

- دعانا السيد عبد الرحيم الأحمد -عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير- إلى حفل عشاء في فندق القدس، فكان عشاء عمل استمر ثلاث ساعات كشف فيه المضيف عن الكثير من جرائم حافظ أسد.

- كما دعانا الأستاذ الكاتب الصيدلاني أمين شقير، وهو البعثي المخضرم إلى منزله يوم السبت الموافق ٥-١-١٩٨٥، فكانت حوارات وتقليب وجهات نظر حول العديد من القضايا الراهنة، وسلّمَنا مقالاً كان قد نشره في مجلة الدستور الأسبوعية التي تصدر في لندن عن العروبة والإسلام، وهو مقال جيد، وقد استمر اللقاء في منزله زهاء ساعتين.

لقد طلبوا منا تزويدهم بما لدينا من منشورات ليوزعوها في أوساطهم، فلبينا طلبهم فوراً، وقدمنا لهم صندوقاً مليئاً بمنشوراتنا مثل: حماة مأساة العصر، ومجزرة حماة، وتدمر المجزرة المستمرة، وقانون العار رقم ٤٩ لعام ١٩٨٠، وبيان الثورة الإسلامية ومنهاجها، وبيان الإخوان حول الحرب العراقية الإيرانية، وميثاق التحالف الوطني، وميثاق الجبهة الإسلامية، ونشرة النذير، وتقرير منظمة العفو الدولية، ثم أرسلنا لهم بناء على طلبهم دفعة أخرى من نشراتنا إلى عمان من بغداد.

- زرنا الأستاذ هاني الحسن -المستشار السياسي لعرفات- بناء على ترتيب تم الاتفاق عليه مع رئيس المنظمة في منزله مساء الأحد الموافق ٦-١-١٩٨٥ استمر ساعتين ونصف الساعة، فكان الحديث ممتعاً وشيقاً، وكنا مرتبطين بموعد، فعرض الأخ أبو عامر على السيد هاني الحسن مشاركتنا في طعام غداء في اليوم التالي في منزل الأخ محمد السيد -أبو زياد- فلبى الدعوة على الفور، وكأنه واحد منا، ومما قاله على طعام الغداء: إنه كان منظماً في الجماعة، بل كان

بالتنظيم الخاص للإخوان المسلمين في دمشق عام ١٩٥٤ وما أعقبه، وقد دُرّب مع مجموعة من الإخوان للقيام بأعمال جهادية، ثم ذكر البيعة وشروطها، ورسائل الإمام الشهيد حسن البنا، وسواها من الذكريات التي يحن لها عندما كان عضواً في الجماعة.

ومن ذكريات المستشار هاني الحسن قوله: حين ذهبنا إلى فيتنام، قال لنا الزعيم الفيتنامي الجنرال جياب: إن لديكم -يقصد العرب والمسلمين- تاريخاً عظيماً تستطيعون به إثارة حماس شعبكم، أما تاريخنا في فيتنام، فإنه لا يمتد أكثر من مئتي عام.

وقال: بعد القيام بعدة دورات في ألمانيا الشرقية وفيتنام على حرب العصابات وسواها، اكتشفت أن كثيراً من التوجهات والمبادئ الثورية وفلسفتها موجودة في كتاب الله تعالى، وفي السيرة النبوية المطهرة، وضرب على ذلك مثلاً حرب العصابات التي هي حرب القلة ضد الكثرة، وانتصار الفئة القليلة على الفئة الكبيرة، وهذا ما ذكره القرآن الكريم: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

وقال: حين كانت النية عقد المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر، كانت فتح تتمنى أن لا توافق الجزائر على عقده على أراضيها، ولكنها كانت محرجة، ولا يمكنها أن تطلب هذا من الجزائر، وعندما قال رئيس عربي للأستاذ هاني الحسن: إن الجزائر محرجة، وتعتذر عن انعقاد المؤتمر في أراضيها، كانت الفرصة المنتظرة قد حانت، فطار هاني إلى الجزائر ، وانطلق يبرر للجزائر حرجها، متقبلاً عذرها مع شكره لها، ثم عاد فرحاً هو وزملاؤه، لأن

انعقاد المجلس في الجزائر سيجعل حضور عملاء النظام السوري الأسدي ممكناً، وهم يودون التخلص من سائر العملاء، وهكذا عقد في عمان.

وقال الحسن: كان كثير من الدول تصدق مزاعم نظام أسد من أن النصاب القانوني لشرعية المجلس لن يكتمل.

فالملك فهد أخبر المنظمة بأن النصاب لن يكتمل، فأجبناه: نحن نتحمل المسؤولية.

وقال ريغان لطارق عزيز: إن النصاب لن يكتمل، فأجابه طارق عزيز: نحن نعرف الفلسطينيين أكثر منكم.

وتحدث هاني الحسن عن إيران حديث القريب العارف، لأنه كان إلى جانب الخميني، وكان الخميني يستشيره في كثير من القضايا القانونية والدستورية والأمنية، ثم قال السيد هاني: لدى إيران ثوابت مذهبية شيعية تحد من حركتها السياسية، ولا تنتهي بها إلى قرار صحيح، فمثلاً لا يستطيع ولا يعقل أن يأمر الخميني بوقف إطلاق النار، ويتراجع عن إسقاط صدام حسين، لأنه إمام معصوم، وتراجعه عن قراره بوجوب إسقاط صدام والنظام العراقي، يعني عدم العصمة، أي يعني سقوط الخميني.

وقال الحسن أخيراً: لم أشعر بسنيتي -أي انتمائي لأهل السنة والجماعة- قبل التقائي بالخميني وزمرته المتعصبين جداً ضد أهل السنة، لأن تربيتي الإخوانية لم تترك في نفسي أي أثر للتعصب

الطائفي أو المذهبي، وضرب ذلك مثلاً بتعاطف الإخوان مع آية الله الكاشاني ومع مصدق، ومع نواب صفوي في زيارته لدمشق والقاهرة.

ز- بعد أن أثمرت المساعي الحميدة التي قمت بفضل الله ببذلها للمصالحة بين منظمة التحرير الفلسطينية والقيادة العراقية، فحل التفاهم والتعاون محل العداء والخصومة، وأضحى الفريقان حليفين حميمين، وبعد أن زالت الأسباب التي أدت إلى سوء التفاهم بين القيادة العراقية وحماس لأسباب مر ذكرها وشرحها، وصارت الزيارات إلى بغداد من قيادة حماس متكررة ومألوفة، وبعد أن افتتحت حماس مكتباً لها في بغداد، والتحق عدد من قادتها وكوادرها بالدراسات العليا، بعد هذين النجاحين بإحكام الصلة بين العراق والمنظمة من جهة، وبين العراق وحماس من جهة أخرى، كان من الضروري أو من الواجب إقامة صلة أخوية بين المنظمة وحماس، أو بين قيادتي فتح وحماس تفضي إلى التنسيق والتعاون وتوحيد المواقف بين الطرفين في كفاحهما ضد العدو الصهيوني المغتصب لفلسطين، والمحتل لأرضها ومقدساتها.

لم يكن هذا الأمر سهلاً ولا ميسوراً، لأن حركة حماس التي استقطبت تأييد قطاع عريض في الوطن العربي والعالم الإسلامي، أضحت في نظر فتح كجهة منافسة تشكل خطراً على مستقبلها، فتشن عليها حملات إعلامية مليئة بالتهجمات والاتهامات، لترد عليها حماس بالمثل.

لم يكن أمر التقريب بينهما سهلاً أو ميسراً، لاسيما أن أيدياً خارجية آثمة من إسرائيل وأمريكا وأوربا وبعض العرب تغذي هذا العداء، وتذكي أواره، بيد أن هذه الصعوبات والتعقيدات لم تدفع بنا إلى اليأس، بل زادتنا إصراراً على وجوب المصالحة بين أبناء الشعب الواحد والقضية الواحدة.

- إن من يعرف عرفات، ويتعامل معه -كالذي صادفناه- يدرك أن لدى الرجل مرونة عجيبة، وأنه لا يغلق الباب أمام أحد، وفي وجه أي جهة، مهما بلغت درجة العداء بينه وبينها، وهو يعترف بذلك، ويفاخر به، ويضرب على ذلك مثلاً بأنه حضر موسم الحج، وباشر في منى برمي الجمرات ورجم الشيطان، قذف خمس جمرات واحتفظ باثنتين،فسئل عن سبب ذلك، فكانت الإجابة: حتى يحتفظ بخط الرجعة، ولا يقطع الطريق على الحوار مع الشيطان، كنت أسمع منه ذلك وهو يضحك بأسلوبه الساخر ووداعته المألوفة.

- أما رجال حماس، فلديهم هذه المرونة والاستعداد للمصالحة والحوارات مع الآخرين، ولاسيما أبو عمار، لذلك لم أتوقف قط عن الحديث مع الفريقين في وجوب المصالحة والحوار، بالإضافة إلى ما تتمتع به قيادة حماس من ضوابط إيمانية وأخلاقية وجهادية، فكانت الاستجابة منهم مضمونة وجاهزة، إلا أن الأمر كان عسيراً، لأن النفوس معكرة والقلوب مكدرة، ولذا احتاج الأمر إلى جهود متواصلة كلما سنحت فرصة أو جاءت مناسبة، فاستغرق هذا الأمر وقتاً طويلاً دونما يأس أو قنوط. ودخل عقد التسعينيات ونحن على

هذه الحالة نراوح في مكاننا، حتى هدأت الخواطر، وجدت أحداث جعلت القلوب تقر، والآمال تكبر في تقريب وجهات النظر بين فتح وحماس.

- وذات يوم كنا على طعام غداء في الخرطوم حضره نصر يوسف الذي استلم وزارة الداخلية في حكومة فتح فيما بعد، فقال: لماذا لا تبذلون مساعيكم في تقريب المواقف بين حماس وفتح، كيلا تحدث تصادمات تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه؟

عدت إلى عمان، وعرضت الأمر على الدكتور إسحاق الفرحان، ومن بعده على يوسف العظم رحمه الله، فلم ألق تجاوباً لسلبية النظرة إلى أبي عمار، فباشرت الأمر بجهودي المتواضعة، فعقدنا جلسة في منزل نصر يوسف بحي أم أذينة حضره عن حماس الأخ محمد نزال، وجرى حوار انتهى إلى كتابة وثيقة، قمت بتحرير مضمونها بمعاونة الطرفين، خلاصتها أن كل فريق حر بآرائه ومواقفه وما يتخذه من قرارات، وثمة خط أحمر لا يجوز تجاوزه من أي من الفريقين في القتل أو التخوين.

وقّع السيدان نصر يوسف ومحمد نزال على هذه الوثيقة التي اطلع عليها أبو عمار فيما بعد بزمن غير بعيد، وأعجب بها قائلاً:

- سوف أضم لكم مندوب السيد عرفات في الرياض السيد أبو كرش.

فكانت خطوة مهمة وحاسمة على طريق التقارب بين فتح

وحماس.

- ذات يوم قال لي د. موسى أبو مرزوق: لعلك تتحرك ببذل المساعي بين فتح وحماس، فقلت له:

- أفصح عما تقصد وتريد.

فأجاب على الفور: عقد اجتماع بيننا وبين السيد ياسر عرفات، وكان الأخير ضيفاً على المملكة الأردنية الهاشمية في قصر الهاشمية، فسرعان ما استجاب لذلك، واتفقنا على ساعة محددة يتم اللقاء فيها بمنزل الفقير إلى عفو ربه. وكم كانت خيبة الأمل في نفسي أمر من الحنظل، عندما حضر أبو عمار، وتخلف موسى عن الحضور مكتفياً بإرسال مندوب عنه بدعوى أن قيادته لم توافق، يا للعجب، أما كان الأولى به أن يحصل على موافقة المكتب السياسي لحماس قبل أن يطلب مني الاتصال والتمهيد لعقد اللقاء والحوار؟!! الأمر الذي أدمى قلبي، وحملني على اللجوء إلى الله، والشكوى إليه سبحانه على مثل هذا السلوك، وقد سمع مني أعضاء مكتب حماس عبارات الشكوى إلى الله على هذا الموقف الحرج الذي وضعونا فيه دون مسوغ!!

إن السياسة، كما تتطلب الذكاء والدهاء وبعد النظر والكتمان في بعض الأمور، فإنها تتطلب النقاء والصفاء والصدق والاستقامة والإخلاص.

- تركت هذه الحادثة في نفسي غصة عجزت عن ابتلاعها، وشعر أعضاء المكتب السياسي لحماس بذلك كلما التقيتهم والتقوني، ثم

تجددت المحاولة مرة أخرى. ودخلت في هذه المساعي عناصر محسوبة على فتح كان السيد صالح القلاب في مقدمتهم، وعملوا على تصفية الأجواء، والاتفاق على عقد لقاء قريب، وكان ذلك في منتصف التسعينيات، وجرى التباحث عن مكان عقد الجلسة، فقال قادة حماس: في منزل أبي عامر، تعويضاً عن الخطأ الذي ارتكبوه، والخلل الذي أحدثوه، فقال السيد صالح القلاب:

- ومن هو أبو عامر؟

فقالت قيادة حماس: أبو عمار يعرفه، فاذكر ذلك له.

فلم يلبث أبو عمار أن استجاب على الفور، وتم الاتفاق على اليوم الذي تلا الحديث على عقد اللقاء.

- حضر أبو عمار في اليوم التالي بحراسة مشددة من الحرس الملكي ومن حرس فتح، ووقف شباب الإخوان على رأس الشارع ليقوموا بالدلالة على مكان المنزل، ولم تلبث قيادة حماس التي تعرف البيت أن حضرت، والتأم الجمع بين أبي عمار ومعه الكنفاني والقلاب وعدد آخر من قيادة فتح، وبين قيادة حماس: خالد مشعل، ومحمد نزال، وآخرين.

- كان المنزل خالياً من أفراد العائلة، فامتلأت غرفه ومدخل العمارة بالحراسات. وجلس الوفدان معاً في مودة وابتسام، فافتتحت الجلسة مشيداً بهذا اللقاء، وذكرت أن الذي يجمعنا أكثر مما يفرقنا إن كان يوجد ما يفرق، فنحن أبناء شعب واحد، ووطن واحد، وقضية

واحدة، فقال أبو عمار في مداخلة: وأبناء عقيدة واحدة.

- استمر اللقاء ما بين الثانية عشرة ليلاً إلى الثانية بعد منتصف الليل، وكانت الأحاديث ودية تفيض بالآمال العريضة، والتعاون المثمر، والكفاح المشترك، وكان من أهم الموضوعات التي طال الحديث عنها، عقد حوار موسع في السودان حيث وجه المسؤولون السودانيون دعوة للفريقين ليحضروا إلى الخرطوم. فظهر من فحوى الحديث أن أبا عمار وقيادة فتح لا يرغبون بذلك، مداراة للمصريين الذين كانوا يرغبون أن يتم اللقاء في القاهرة، الأمر الذي أحرج حماس التي استجابت لدعوة السودانيين، فقلت للفريقين:

- إذا كان لقاء الخرطوم يسبب لفتح حرجاً فالأمر يسير، إذ إنني مستعد غداً للسفر إلى الخرطوم وتطييب خاطر السودانيين والاعتذار لهم، واستئذانهم بالتحول إلى القاهرة، وهم الحريصون على التفاهم بين حماس وفتح، ولا أظن إلا أنهم سيستجيبون.

- في الثانية والنصف بعد منتصف الليل انتهى الاجتماع، وغادر الجميع المنزل في جو مفعم بالتفاهم والأمل والاستبشار.

ومرت الأيام لتشهد العلاقة بين أبي عمار والمنظمة وفتح، وبين حماس مداً وجزراً حتى انتهت إلى ما انتهت إليه من توتر وصراع، عملت إسرائيل بكل أساليبها، واشتراطاتها، ومن خلفها ومن أمامها أمريكا وأوربا وعدد من الدول العربية على تمزيق الصف الفلسطيني، حتى لا تقوم للفلسطينيين وحدة ولا كيان ولا دولة، يواجه بها السرطان الإسرائيلي الذي يتوسع ويتمدد على حساب فلسطين

والعرب أجمعين.

والأمل بالله كبير، والمبشرات النبوية معروفة، ومقروءة بحسن الخاتمة السياسية، وبالنصر المؤزر الحاسم على الصهاينة المجرمين، ومن يقف وراءهم من المعتدين والظالمين، مهما طال الزمان، وامتدت الأيام، فالله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

٤- استمرت العلاقات بيننا وبين منظمة التحرير بقيادة أبي عمار في نمو واطراد كبيرين، وكانت تزداد على مر الأيام وثوقاً وتعمقاً، بل وتعاوناً، أورد منها نماذج على ما كان بين الجانبين من علاقات وصلات:

أ- بعد فترة لم تكن بعيدة تلقى مكتب الأمانة العامة للتحالف الوطني لإنقاذ سورية عن طريق سفارة فلسطين في بغداد برقية السيد ياسر عرفات -رداً على برقية عزاء من التحالف للسيد عرفات بعد الغارة الإسرائيلية على مقر المنظمة في حمام الشط بتونس، جاء فيها: ببالغ التقدير تلقيت برقيتكم بالتعزية في شهدائنا الأبرار الذين سقطوا إثر العدوان الإمبريالي الإسرائيلي الأمريكي على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، وإذ أشكر لكم مشاعركم الدافئة، ومواقفكم الوطنية المخلصة لأوكد لكم أن العدوان الأمريكي الصهيوني، ومؤامرات عملائهم في المنطقة، لن تزيدنا إلا ثباتاً وقوة وعزماً، على مواصلة النضال وتصعيده من أجل استعادة حقوق شعبنا الوطنية الثابتة، وتحرير أرضنا المقدسة، أرض فلسطين المباركة.

ونحن على ثقة أن شعب سورية الشقيق يقف إلى جانب نضال شعبنا مهما تكالب عليه الأعداء، ومعاً وسوياً حتى النصر، إلى

القدس الشريف بإذنه تعالى، وإنها لثورة حتى النصر.

في ٢٨-١٠-١٩٨٥م **ياسر عرفات**

رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية

ب- أرسل المراقب العام للإخوان المسلمين في سورية برقية إلى السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية جاء فيها:

بارتياح بالغ، وفرحة غامرة تلقينا نبأ قيام الدولة الفلسطينية الفتية كخطوة مباركة على طريق التحرير الكامل لفلسطين الشقيقة الغالية.

الإخوان المسلمون في سورية يؤيدون جمهورية فلسطين الناهضة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية التي تمثل الشعب الفلسطيني بكل فئاته كتعبير عن وحدة وطنية عتيدة، كيلا يتقدم على تحرير الأرض وتخليص الوطن من الغزاة المحتلين أي اعتبار آخر.

إن شباب سورية جند مستنفر للجهاد في سبيل الله دفاعاً عن كل شبر من فلسطين، ولاسيما القدس الشريف، والأقصى المبارك، أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين.

الأمل كبير بالله أن تدخلوا المسجد الأقصى ظافرين كما دخلها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب أمير المؤمنين. عشتم، وعاشت فلسطين دولة عربية مستقلة، تقوم على دعائم الحق والعدل والشورى

والخلق القويم.

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾.

٢٠-١١-١٩٨٨م **المراقب العام للإخوان المسلمين**

في سورية

عدنان سعد الدين

فجاء الرد من السيد ياسر عرفات للمراقب العام للإخوان المسلمين في سورية، وهذا نصه:

المراقب العام لتنظيم الإخوان المسلمين في سورية:

تحية مباركة وبعد: أشكركم على تهنئتكم الأخوية الصادقة، بإعلان قيام دولتنا الفلسطينية المستقلة، وعاصمتها القدس الشريف.

إن إعلان قيام الدولة الفلسطينية المستقلة كما أعلنها مجلسنا الوطني الفلسطيني في دورته التاسعة عشرة غير العادية، يشكل تتويجاً مجيداً للجهاد الشاق الطويل الذي يخوضه شعبنا منذ أكثر من سبعة عقود، كما يؤكد أيضاً على إرادته الوطنية الصلبة في الاستمرار بجهاده المقدس، والعمل على تعزيز وتصعيد انتفاضته الوطنية المباركة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي الوحيد، وبدعم ومؤازرة الأحرار والشرفاء في أمتنا العربية والإسلامية، وفي العالم أجمع، من أجل تحرير وطنه من نير الاحتلال الصهيوني، وتمكينه من ممارسة حقوقه الوطنية غير القابلة للتصرف.

وإذ يعتز شعبنا المجاهد بهذا الموقف الأخوي والإسلامي الذي يقفه تنظيم الإخوان المسلمين في سورية بقيادتكم، إلى جانب قضيته المقدسة، فإن شعبنا ليتطلع بكل ثقة إلى سيوفكم، وسيوف أشقائه في أمتنا الإسلامية، لمؤازرته ومساندته من أجل مواصلة جهاده المقدس حتى النصر، وإنهاء الاحتلال عن أرضه الفلسطينية، وتحرير القدس الشريف أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى النبي محمد ﷺ وعاصمة دولته المستقلة، وبلوغه استقلاله الوطني التام.

وإذ أؤكد باسمي شخصياً، وباسم شعبنا المجاهد عميق شكرنا، وتقديرنا لكم، ولتنظيمكم المجاهد، لأتمنى لكم الصحة والتوفيق، ودوام التقدم والنجاح.

وفقنا الله جميعاً في العمل الجاد من أجل مصلحة وخير وتقدم أمتنا الإسلامية، وقضيتها الأولى المقدسة، قضية شعب فلسطين المجاهد، ومعاً وسوياً لنصلي في القدس الشريف المحرر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٩-١١-١٩٨٨م **ياسر عرفات**

القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية

رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

٥- قام تنظيم الإخوان المسلمين السوري بخطىً متتابعة للتقريب بين الثورة الفلسطينية، وحركة الجهاد الأفغانية، كان من أهمها سفر مبعوث عرفات خضر اللحام -أبو خالد- إلى باكستان والالتقاء بقيادة

الحزب الإسلامي ورئيسها قلب الدين حكمتيار، ثم سافرنا إلى داخل أفغانستان بترتيب من الحزب ودخولنا الأرض الأفغانية المحررة، وزيارة أسرى الحكومة الأفغانية الذين أسرهم الحزب الإسلامي.

أ- كانت هذه العلاقة بين الفلسطينيين والأفغان تسبب حرجاً للفلسطينيين في صلاتهم مع السوفيات، إلا أن عرفات لم يعجزه وجود مخرج لذلك، إذ وظف صلته الجديدة مع الأفغان في حل أمور معلقة بين السوفيات والأفغان، إذ وقعت شخصيتان عسكريتان من ذوات الرتب العالية أسرى بأيدي مقاتلي الحزب الإسلامي، فأبدى عرفات استعداده لحل مشكلة الأسيرين، والعمل على إطلاق سراحهما مقابل مكتسبات يشترطها الأفغان من السوفيات، وكانت جهات سياسية عدة قد تدخلت في الأمر دون جدوى، لأن الحزب الإسلامي رفض كل الوساطات في هذا الموضوع. وبعد أخذ ورد بين عرفات وحكمتيار، طرح أبو عمار حلاً يرضي السوفيات والأفغان جميعاً، ويتلخص بإطلاق الأسيرين السوفيتيين كهدية للقدس الشريف وفلسطين، ويطلق السوفيات مقابل ذلك خمسين أسيراً أفغانياً تابعين للحزب الإسلامي، وقد تمت الصفقة على هذا المنوال بعد مخاض عسير، فأرضى عرفات كلاً من السوفييت والأفغان، ووثق علاقاته بالأفغان، دون أن يكون ذلك على حساب علاقاته بالسوفييت.

ب- أعرب عرفات لحكمتيار عن امتنانه له على إطلاق سراح الأسيرين السوفيتيين، وأرسل له برقية مطولة تفيض بالشكر والعرفان بالجميل وهذا نصها:

الأخ المجاهد المهندس حكمتيار أيده الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسأله سبحانه وتعالى لكم التوفيق لما فيه خير الشعب الأفغاني الشقيق وخير المسلمين.

أخي المجاهد حكمتيار: يشرفني أن أكتب إليكم لأحييكم تحية الجهاد والثورة، ولأنقل إليكم من أرض القدس الشريف تحيات إخوانكم المجاهدين من شعبنا الفلسطيني الذي يُصعد اليوم من مقاومته وجهاده ضد المحتلين الصهاينة في انتفاضة شعبية مباركة عارمة تعم كامل مدننا وقرانا ومخيماتنا، مضيفاً إلى سجلات الخالدين أسماء جديدة على طريق الشهادة والجهاد، وآلافاً أخرى من الجرحى والمعتقلين، وهو في نفس الوقت يقف صامداً مرابطاً في الجنوب اللبناني مع إخوانه الوطنيين والمسلمين اللبنانيين يواجهون منفردين آلة الحرب الإسرائيلية الأمريكية وعدوانها المستمر على القرى اللبنانية والمخيمات الفلسطينية في الجنوب اللبناني.

إن شعبنا الفلسطيني المجاهد وهو صامد هذا الصمود الأسطوري في انتفاضته المباركة، رغم قلة الدعم والمساندة التي نتلقاها، مصمم على المضي قدماً على تحقيق النصر مهما غلت التضحيات، وهو يتطلع إلى اليوم الذي تتوجه فيه طاقات الأمة العربية والإسلامية وقدراتها لتحرير أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، لتحرير القدس الشريف ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

أخي العزيز: إنه في الوقت الذي نتصدى فيه للاعتداءات الصهيونية اليومية المتلاحقة علينا في لبنان، وفي الوقت الذي نتابع فيه انتفاضة شعبنا المباركة ودعمها بما يلزم من وسائل الاستمرار والتعاهد، وصولاً لتحقيق كامل حقوقنا الوطنية المشروعة بما فيها حقنا في تقرير المصير، وإقامة دولتنا الفلسطينية المستقلة، وعاصمتها القدس الشريف بعون الله، فإننا نتابع باهتمام شديد وجاد ما يجري على أرض أفغانستان الشقيقة، وتطورات الوضع هناك، موقنين بأن قضايا المسلمين هي كلٌّ لا يتجزأ، ولأن فلسطين ومقدساتها هي محور الجهد الإسلامي الذي يجب أن يكون، فإن منظمتنا معنية بكافة قضايا المسلمين، كما هي معنية بتوجيه كل الجهد الإسلامي والعربي والدولي نحو هذه القضية المقدسة التي تمثل كرامة المسلمين والمجاهدين والأحرار في العالم أجمع، ومن هنا لابد أنكم شعرتم كما شعرنا بهذه الفرحة الغامرة التي عمت الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، عندما توقفت والحمد لله هذه الحرب المدمرة بين إيران والعراق، والتي كانت تهدد وحدتنا وطاقاتنا وإنساننا المسلم، والتي وضعت اقتصاد المسلمين على شفير الضياع، كما أنها أفقدتنا مئات الألوف من المؤمنين، وسفكت الدم الإسلامي الطاهر في غير مكانه الصحيح، وهدت كياننا الإسلامي بكامله، وكما بذلنا لوقف الحرب العراقية الإيرانية، وتم النجاح والحمد لله رغم مسعانا المتواضع للوصول إلى هذه النتيجة الطيبة، فقد رأينا من واجبنا الإسلامي والأخلاقي أن نتوجه إلى إخوتنا وأحبتنا في أفغانستان الشقيقة لتساهم في وقف نزف الدم المسلم من أبناء الشعب الواحد،

وإن فلسطين لن تألو جهداً في وضع ثقلها العربي والإسلامي والعالمي لتحقيق هذا الهدف السامي النبيل، والذي يقربنا خطوات أخرى من القدس الشريف ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

أخي العزيز المهندس حكمتيار: لا يفوتني أيها الأخ المجاهد أن أتقدم باسمي وباسم منظمة التحرير الفلسطينية، وباسم شعبنا المجاهد بالشكر على تكريمكم لفلسطين وللقدس ولنا في الموافقة على إطلاق سراح اثنين من أسرى السوفيات مقابل أسرى مجاهديكم في كابل، ونحن إذ نُثَمِّنُ لكم هذا التكريم الذي لم تكرموه لأحد من قبل، لنعدكم بأن فلسطين ومجاهديها وقادتها لن ينسوا لكم ذلك، وبدورنا، فقد عملنا جهدنا لدى الأصدقاء السوفيات الذين أكرموا فلسطين بدورهم، وذلك بقبولهم بحث القضية الأفغانية معكم شخصياً، وبرعاية فلسطينية، وبهذا الصدد اتخذت القيادة السوفياتية خطوات إيجابية عديدة، تم إبلاغنا بها، وسوف يبحثها معكم موفدنا الأخ خضر اللحام. وفي الوقت الذي نتمنى فيه لكم ولإخوانكم كامل التوفيق، فإننا نأمل بإطلاق سراح الأسيرين هدية فلسطين كما قلتم قبل انعقاد دورة مجلسنا الوطني التاسعة عشرة، خلال الأيام القادمة، وسوف نقوم بتحرير خمسين مجاهداً من مجاهدي الحزب الإسلامي كخطوة أولى على طريق الحل الشامل معكم، وأهلاً بكم أخاً كريماً، ومجاهداً صادقاً، ينال منا كل التقدير والاحترام ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا

نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ والله من وراء القصد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم: ياسر عرفات

رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية

حـ- أضحت لقاءاتنا مستمرة مع منظمة التحرير الفلسطينية عبر قياداتها، وعلى رأسهم السيد ياسر عرفات في عمان وبغداد وتونس وأماكن أخرى، ومن ذلك أننا استلمنا دعوة من عرفات لحضور اجتماع المنظمة في تونس، فلبينا الدعوة، ونزلنا ضيوفاً على المنظمة.

حضرنا عدداً من اللقاءات العامة والخاصة، غير أننا فوجئنا بمندوب عن رفعت أسد برتبة عميد، يعرض علينا عقد جلسة معه، ليعرب عن براءة سيده من مأساة حماة، ومن المآسي الأخرى، فغادرت للتو فندق الدبلوماسي الذي كنت نزيلاً به، وتوجهت بالحال إلى إحدى الشقق التابعة للمنظمة، والمستخدمة لإعلام الرئاسة الفلسطينية عن طريق خليل الزبن المسؤول عن الشقة، والذي وافته المنية فيما بعد باغتياله بالطريقة التي تم فيها اغتيال الضابط الفلسطيني سعد هايل وغيره من القادة الفلسطينيين الذين ذهبوا ضحية مؤامرات الموساد في أوربا وغيرها، ومؤامرات بعض الأنظمة العربية المعادية للمنظمة.

أما اللقـاءات مع عرفات وبعـض أعضاء اللجنـة التنفيذيـة مثل أبي جهاد وأبي مازن -قبل أوسلو وتداعيـاتها- وهواري -اليد الضاربة عند أبي عمـار في بغداد- فقـد كانت مستـمرة وكثيـرة، وكلها أو معظـمها تدور حول مـعارضة نظام الأقلـية في سورية، تمـهيداً للتـخلص منه، والعـودة بسورية إلى الـنظام البرلـماني الذي اسـتمرت علـيه منذ فـجر الاسـتقـلال، وحـتى وقـعت فـريسـة الانقـلاب الذي أطـاح بحـريات السوريين في ٨-٣-١٩٦٣ .

٦- أخذ السيد عرفات على عاتقه دعم المعارضة السورية بإصدار مجـلة شهريـة لهم في باريس بـاسم الفيـحاء، على غـرار مجلة الـيوم السابـع الأسبوعـية التي تصـدرها منظمـة فتح التي كـان يشرف عليـها السيد بلال الحسن في باريس، غير أن مطالب الذين نُدبوا إلى إصدار الفيحاء كانت باهظة، بل تزيد على تكاليف اليوم السابع الأسبوعية مع أنها شـهرية، فـصُرف النظر عن الـموضوع، وضاعـت الفرصة بـسبب اشتراطـات وطلبات بعض السـوريين المعـارضين غير الـمنطقية وغـير المقنعة.

أ- شعرنـا أن السوفيات يريـدون الخروج من المأزق الـذي وقعوا فيـه باجتـياحهم لأفـغانسـتان، وأنهم عـجزوا عن تطـويع المجـاهدين الأفغـان، والتغلـب على طبـيعة الأرض الأفـغانيـة الوعرة التي تـشكل الجبال ٨٠٪ من مـساحتها، فرغـبوا بالانسحاب مع حـفظ ماء الوجه، وقد ذكرت تفصـيلات ذلك في صفحات سابقة، عـندما عرضت الأمر علـى المنـظمة لـلتـوسط بيـن السوفـيات والأفغـان، وأن السـوفيـات

استوضحوا من السفارة الفلسطينية في بغداد عن الجهة التي تقدم هذا العرض، وأن السفير الفلسطيني عزام الأحمد التقاني ونقل إلي استيضاح السوفيات عمن يقوم بهذه المساعي الحميدة، فأخبر السفير موسكو بذكر كاتب هذه السطور بعد الاستئذان بذلك، وطرحت الموضوع بشيء من التفصيل ليقوم الفلسطينيون بهذا الدور بعد أن أفسد طارق عزيز هذه المساعي التي كان المقصود منها تمكين العراق من صلاتهم بالسوفيات وهم مصدر تسليحهم في حربهم مع إيران، كما حاول إفساد العلاقة بين حماس وبغداد من قبل.

قام الفلسطينيون بالدور، وجرت لقاءات بين الأفغان والسوفيات بمساعي عرفات في تونس وبلغراد، وهذا ما أتاح للفلسطينيين القيام بأدوار مهمة في هذا المجال، عرضنا لبعضها كالذي قام به ياسر عرفات ما بين حكمتيار والقيادة السوفياتية.

ب- استمر عرفات في حواره مع المعارضة السورية أو بالأصح مع قيادة الإخوان المسلمين السورية، وفي بذل المساعي المستمرة لفتح آفاق جديدة أمامهم، وكان واضح الحماسة لإيجاد جسور أو علاقة بين قيادة الإخوان وبين القيادة المصرية، لقناعة عرفات بأهمية مصر ودورها في المنطقة، وتأثيرها بالأحداث وعرض علينا القيام بزيارة القاهرة والالتقاء بالسيد محمد عبد السلام مدير المخابرات المصرية، وعندما لمس منا تخوفاً وتردداً برَّر ذلك بقوله: إن علاقته بمصر هي عن هذا الطريق، وهو أمر اعتيادي، ليس فيه أي حرج.

ذهب وفد من الإخوان مؤلف من الإخوة: عبد الله الطنطاوي

وفـاروق طيفـور، وكـاتب هذه السـطور، فـتمـت زيارة الوزير رئـيس المخابرات ذي الطبـيعة الدمثة والأسلوب اللطيف، وكـانت ثمة فرصة لتناول عدد من الموضوعات، مثل العلاقة مع السودان، أو مع الجبهة الإسلامـية بقـيادة الدكـتور الـترابي ذات الأفق الـرحب العالـمي الذي يتجاوز الـحدود الإقليمية، وقـد استقبل مـحمد عبد السـلام، الدكتور الترابي بـعد ذلك بوقت قريـب، ومهد له للقـاء السيد الرئيـس حسني مبارك لمدة استغرقت ثمانين دقيقة.

لقـد لمسنـا في لقائـنا مع الوزير مـحمـد عبـد السلام أن مـصر لا تطمـئن إلى النظام فـي سورية، وأنها تـتمنى وجود مـعارضة قـوية في وجه النظام السوري الذي يشكل مـصدر اضطراب وفتن في بلاده وفي جميع دول المنطقة.

بعد هذا اللقاء الوحيد الذي تم بمـسعى عرفات رحمه الله، أحال المـدير موضـوع سورية إلى مـساعـده اللواء عمـاد، فتـمت معـه عدة لقاءات، شارك فيـها الإخوة الذين مر ذكرهم. ثم شـعرنا بعد ذلك أن العـلاقة مع الـلواء عمـاد، ومن ثم مع هـذه المؤسـسة لـيست بـالأمر السهـل، فهم يستـعجلون الحصـول على ما يريدون، وإن كـان الذين يزورونهم لا يمـلكون ذلك، وضنوا علينـا حتى بالتحـاق طالب واحد بإحدى جـامعاتهم، فبـدأنا بالتراجع خطوة إلى الـوراء، ثم توقف هذا الاتصال الـذي لم يكن مجدياً ولا مفيداً، ولا نشـعر معه بـالراحة أو الطمأنينة.

٧- كان سفراء فلسطين سنداً في تحركنا في عدد من البلاد العربية

والإسلامية، مثل بغداد والمغرب وتونس وماليزيا وغيرها، ثم تطور هذا التعاون مع المنظمة لتشكيل لجان تنسيق وتعاون، ضمت اثنين من الإخوان هما: أبو بشير وأبو عامر، واثنين من العراقيين هما: مدير المكتب السوري أبو النمر وأبو العباس، بالإضافة إلى السيد هواري مندوباً عن ياسر عرفات، وقد استمر هذا التنسيق لفترة طويلة، شمل الحدود والوثائق وأشياء أخرى، ثم انضم إلى هذا التنسيق مندوبون من لبنان من المتخاصمين مع سورية من جماعة عون والقوات، لم يلبث أن انتهى بعد أن لمسنا من بعضهم في صدد التهجم على إسرائيل أو ذمها أن الصلة معهم ليست مفيدة، ففهمنا من ذلك أن هذا الذي يسمي نفسه أكرم كان على صلة مع الصهاينة، فابتعدنا عنهم، وعن أي لقاء معهم، وهذا يذكر بكلام منسوب للإمام محمد عبده الذي كان يبرأ من السياسة ويذم الفعل: ساس يسوس، وهذا يشير إلى أن العمل السياسي وما يجره على العاملين فيه إلى حقول ألغام سوف تنفجر بأصحابها، إذا لم يكونوا على حذر شديد، ولم يتلمسوا مواضع أقدامهم في كل خطوة يخطونها، كما ينبه هذا الأمر التنظيمات الدعوية والجهادية وذات الأيديولوجية أن لا يزجوا بشبابهم في الخضم السياسي إلا إذا تأكدوا من أنهم بلغوا درجة الثبات والحصانة والمناعة في اختلاطهم بالآخرين، ولاسيما ذوو الأفكار والمبادئ المناوئة.

أ- وقعت المنظمة في صراعات على الأرض اللبنانية مع النظام السوري، ومع الحركات اليمينية الانعزالية كان دامياً، وكان لابد لهم

من إنجاد الفدائيين في لبنان، وبخاصة في الشمال، لكنهم لم يكونوا يملكون أسباب التحرك من العراق إلى دعم مخيماتهم وتنظيماتهم في لبنان، ولا أسباب التنقل بوسائط لابد منها، وكان هذا الأمر ميسوراً لدينا نحن جماعة الإخوان السوريين، فمددنا لهم يد المساعدة، وهيأنا للمئات منهم أسباب السفر إلى لبنان عبر قبرص والبحر، وقد تم ذلك بنجاح، وكان بطل الحلبة في هذه المساعي الأخ محمد منذر كوجان رحمه الله، ونوّر ضريحه، ووسع مدخله، ورفع شأنه وقدره في جنات النعيم، فكان يسهر الليل كله ليهيئ لحلفائنا الفلسطينيين سبل التحرك والسفر إلى لبنان لإنجاد إخوانهم في المخيمات والأماكن التي كانوا محاصرين بها.

ب- فتحنا للمنظمة طريق التعارف مع المجاهدين الأفغان كما مر معنا ذلك بشيء من التفصيل قبل صفحات قليلة، وزيارات للحزب في مقره في بيشاور، وفي داخل أفغانستان المحررة من الاحتلال السوفياتي، وكان من أهم اللقاءات التي تنوعت أماكنها لقاء في بغداد الذي هيأت له منظمة التحرير، وضم قيادة المكتب السياسي للحزب الإسلامي، ووفداً من السوفيات مشكلاً من مندوبي الداخلية والخارجية والمخابرات في الحكومة السوفياتية، وعندما علمت مصادفة بهذا اللقاء، توجهت إلى فندق الرشيد حيث تنزل الوفود، ففوجئ رئيس المكتب السياسي بزيارتي له، وعلمي بحضوره، وبمشروع المفاوضات بين الأفغان والسوفيات التي هيأت لها قيادة عرفات، فاعتذر قائلاً: إن الذين عرفناهم عن طريقكم اشترطوا علينا

هذا التكتم، فذهبت لمقابلة عرفات في منزل سفيره عزام الأحمد، فتنصل من هذا التصرف، وتبرأ منه زاعماً أنه جرى بغير استشارته!! فأدركت واقتنعت بأن هذه المنظمات تمكر وتغدر، وقليل منها -إن وجدت- على طريق مستقيم، فتحدثت لأول مرة بكلام جارح مع عرفات منذ عرفته.

فعلى الذي يمارسون المهمات السياسية التفاوضية أو التصالحية أو التوسطية، أو يعقدون الاتفاقات بكل ألوانها مع الآخرين من أحزاب ومنظمات ومقاومين أن يأخذوا حذرهم، وأن يتلمسوا مواقع أقدامهم في كل خطوة يخطونها، لأنهم يسيرون في حقول ألغام، وفي أرض مزروعة بالعبوات، وصدق الله العظيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾.

جـ- كان عبدالله لبيب -هواري- مندوب عرفات في التنسيق معنا- حادّ الطبع، ناري المزاج، فاصطدم بفاضل براك مدير المخابرات العراقية -أو بيريا العراق- أخطر مدير للمخابرات العامة عرفته العراق في عهد صدام حسين، فحرض الرئيس العراقي ضد هواري، فعومل بقسوة، وأبعد عن العراق، فأغاظ هذا التصرف مساعد فاضل براك السيد فاضل صلفيج العزاوي الذي كثيراً ما حذرنا من برّاك قائلاً: يستطيع أن يتخلص منكم دون أن يسأله أحد، فاحذروه، واضبطوا ألسنتكم وتحركاتكم، وخذوا حذركم، أمام الجميع، بل أمام أقرب الناس إليكم!!

كان فاضل صلفيج عاجزاً عن فعل أي شيء، يحاول أن يخفف

من الإجراءات التي اتخذت ضد هواري، لكن التنسيق ظل مستمراً معه، لانتهاز أي فرصة يستطيع خلالها إخراج هواري من أزمته في بغداد، كما كان التعاون بيننا وبين هواري مستمراً لم يتوقف، وشاء القدر أن يسند منصب مدير المخابرات (بعد إزاحة برّاك عن موقعه وزجه في السجن، ثم إعدامه) إلى السيد فاضل صلفيج العزاوي، فسارع ببذل جهوده لإلغاء قرار الإبعاد الذي اتخذ ضد هواري، فسجلتُ رسالة باسم هواري ليسلمها المدير الجديد إلى الرئيس، وقد سارت الأمور في الطريق المرسوم، فعاد هواري إلى بغداد، وعادت الأمور إلى مجاريها، وانتهت أزمة حادة ما كان لعرفات أن ينجو من شرورها أو على الأقل من غبارها، وما كان لها أن تنتهي لولا إبعاد فاضل براك عن رئاسة المخابرات العامة العراقية.

لقد كانت حاجتنا ماسة لعودة هواري إلى نشاطه، والذي كان كلامه نافذاً لدى رئيسه عرفات، وهذا الذي بذلناه لإخراجه من محنته في بغداد هو أقل ما ينبغي علينا فعله، لأنه كان يقف معنا في كل ما يواجهنا من أزمات وعقبات، ولاسيما في رومانيا عندما اعتقل لنا سبعة من تنظيمنا وحكم عليهم بأحكام متفاوتة تتراوح بين خمس سنوات والمؤبد، فكنا بحاجة إلى ما يساوي مليوناً ونصف مليون دولار لتخليصهم من هذه المحنة التي وقعوا في حبائلها -لأن الرومان يفدون السجناء بالمال- فكان هواري معنا وبجانبنا في حل هذه الأزمة سياسياً ومالياً، والمنظمة ذات نفوذ واسع في العالم، ولاسيما في دول المنظومة الاشتراكية في شرقي أوربا.

٨- من الأعـمال المهـمة التي اسـتطعنا أن نـرد بها للفـلسطينيـين بعض ما لهم في أعناقنا من دعم وتـعاون، أن السيد هواري كان على صلة وثيـقة بجهات أمـنية عالية الـمستوى قدمـوا له خدمات كـبيرة لا تنسى، لكنهم فوجئوا بأحداث مثيرة، وتفجيرات في الدوار الثامن من جبل عـمان، ذهب ضحيـتها أبرياء مـن المارة، كان منهـم أحد رجال الدين المسـيحي، فتحركت الأجهـزة المعنية لتبـحث عن الأيدي التي ارتكبت هذه الأعمال المنكرة، وكم كانت الصدمة لديهم عندما علموا أن هواري لم يكن بمنأى عن هذا العمل بالرغم مما قدموه له من دعم لا ينسى، الأمـر الذي انعكس سلباً على العلاقة بـين منظمة التـحرير الفلسطينية وبين الحكومة الأردنية.

بذل عرفات مع المسؤول الأمني الكبـير، ومع قمة السلطة والقائد العام جهوداً مضنية لحل الأزمة والحفاظ على الصلة الحسنة بين عمان والمنظمة دون جدوى.

أ- كانت صلتنا مع المسؤول الأمني الكبير في أحسن حالاتها، إذ أسدى لنا من المعروف ما لا ينساه إنسان في قلبه ذرة من الوفاء.

عرضـنا على المـسؤول حلاً بإنـهاء الأزمة مع هـواري، وطيّ هذا الملـف بشرط أن يكون الأردن آمـناً، ويصبـح هواري صديقـاً، وكان المنـطق الذي خاطـبت به المـسؤول الكبـير أن نتـوجه إلى العـدو في خصـوماتنا، بدلاً مـن أن يكون الكيد فـيما بـيننا، وأن يحـصر هواري عداءه أو صراعـه مع العدو الإسرائيـلي عوضاً من عـدائه للوطن، وأن لا يحاصر الأردن العمل الموجه ضد العدو، واتفقنا على عقد اجتماع

في أحد مكاتبنا، اقتصر على المسؤول وهواري وكاتب هذه الأحرف، وبعد مقدمة هادئة وهادفة تلامس شغاف القلوب، تم الاتفاق على أن لا يصدر عن هواري أي شيء يمس الأردن بأذى، أو يسبب له حرجاً في واقعه وفي أوضاعه السياسية، وأن لا يسبب المعنيون أي مضايقات للمقاومة تعرقل توجهها الفدائي ضد العدو الصهيوني خارج الأردن، وبدت لي ضرورة توثيق الاتفاق، فتناولت نسخة من القرآن الكريم ووضعتها أمام كليهما على الطاولة، وطالبت الصديقين أن يقسما ويعاهدا الله جل شأنه على التقيد بالالتزام، وإذا بدا لأحدهما ما ينكره على الآخر، راجعه مباشرة لحل أي إشكال قد يشوب هذه العلاقة التي تم العهد والقسم على رعايتها.

ب- جُن جنون عدد من ضباط فتح الأمنيين من هذا التقارب والتفاهم الذي تم بين المسؤول الكبير وبين هواري، وأرسلوا برقية حاقدة ضد هواري، وطالبوا بإبعاده والبعد عنه، ففوجئ هواري بعدم السماح له بدخول الأردن وإعادته بالطائرة التي أقلته من بغداد، فكان هذا النبأ صفعة مؤلمة لي بعد إجراء المصالحة والتعاهد على رعايتها، ولدى مراجعة المسؤول، كرر لي اتهامات ضباط الأمن في منظمة فتح قائلاً: صاحبنا لا يلتزم، فقلت له: وقد استلمت صورة عن البرقية أحضرها هواري:

انظر إلى برقية الاحتجاج لترى أنها مليئة بالأكاذيب، فقد ذكروا فيها أن هواري دخل بجواز سفر سوداني، وأنتم تعلمون وكذا أجهزتكم أنه دخل بجواز عراقي، وذكروا أن جوازه دبلوماسي، وهو

كما تعلمون جواز سفر عادي، فإذا كانوا قد حشدوا هذه التلفيقات في برقية لا تتجاوز خمسة أسطر، فكيف تسمع شهادتهم ويؤخذ برأيهم؟ وكيف نصدق مزاعمهم؟

وبعد برهة صمت قلت: أعرض عليك أيها الصديق حلاً يخرجنا من هذه الورطة، وهو أن تمنعني من الدخول أو البقاء في عمان حتى أخرج من هذا الحرج بعد أن كنت الوسيط والشاهد على الوفاق والاتفاق والمصالحة التي وثقت بالعهد والقسم على كتاب الله تعالى.

فسكت قليلاً، ثم قال: ادع هواري للمجيء إلى عمان، وحدثه الآن بالهاتف.

فتناولت سماعة الهاتف من على مكتب الصديق المسؤول، واتصلت بهواري، وأشعرته أن سوء التفاهم قد زال، وأن عمان ترحب به، وبعد ساعات كنت في استقباله في مطار عمان الدولي، وركب بجانبي وأوصلته إلى منزله في حي صويلح، ومنذ ذلك الحين استمرت العلاقة بين هواري والمعنيين في عمان نقية صافية كالماء الزلال، لا تشوبها شائبة، ولا يعكرها شيء لفترة طويلة، نال فيها هواري -أبو طارق عبدالله لبيب- الثقة والتسهيلات، وما إلى ذلك حتى وافته المنية في حادث سير غامض على أرض العراق، بالقرب من مدينة الرمادي في جو مغبر وطريق تجري فوقه إصلاحات، فأودت به سرعته الفائقة التي عرف بها إلى تدهور السيارة ووفاة الصديق هواري، لتنطوي صفحة من الجدل لدى قيادة فتح والمنظمات الفلسطينية ودول الجوار ولاسيما النظام في سورية التي

كان يُكنّ هواري لنظامها كرهاً ومقتاً شديدين، وكذا المنظمات المعادية لحركة المقاومة الفلسطينية التي تتحدث عن الإرهاب والإرهابيين والدول المعادية، وفي مقدمتها إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية التي كانت وزارة الخارجية فيها تنشر في تقريرها الدوري السنوي قائمة بأسماء الإرهابيين، كان هواري يتصدرها في كل عام.

أما نحن الإخوان فقد خسرنا صديقاً وفياً لم نلمس منه غدراً أو أي تصرف نشكو منه، بل وقف بجانبنا، ودعمنا بكل ما يستطيع بصدق وإخلاص وتفانٍ بما له من كلمة نافذة لا ترد لدى رئيسه وقائده أبي عمار، رحمهما الله، وعفا عنهما، وتغمدهما بالرحمة والغفران.



التجربة السادسة

مع السودان الشقيق

بدأ اهتمامنا مبكراً بالقطر السوداني الشقيق، تحدونا آمال عريضة في بناء مجتمع إسلامي يكون نموذجاً لشعوب الأمة الإسلامية التي تتوق إلى العيش في ظل نظام إسلامي يتطلعون إلى نموذج له حتى يحاكوه ويقتدوا به.

بدأت العلاقة منذ عام ١٩٦٨ عندما حضر الدكتور حسن الترابي إلى أبو ظبي عاصمة دولة الإمارات العربية المتحدة بتكليف من القانوني والمشرع الكبير الدكتور عبد الرزاق السنهوري، لصياغة مشروع دستور لدولة الإمارات العربية المتحدة الناشئة، فالتقينا طويلاً، واستعرضنا أحوال العرب والمسلمين، ولاسيما السودان وسورية والتنظيم العالمي للإخوان المسلمين الذي يقوده مكتب الإرشاد من القاهرة، وكان للدكتور الترابي ملحوظات مهمة تتعلق بالعمل الإخواني في سورية، وبمكتب التنسيق الإخواني في العالم العربي الذي كان يرأسه الأخ الكبير ومراقب الإخوان عصام العطار.

منذ ذلك التاريخ والصلة تزداد وثوقاً في السودان بعدما لمسنا

فيهم من حيوية ونشاط وطموح وخطط عملية، واتساع دائرة تنظيمهم في السودان حتى بلغ الجنوب وأطراف السودان الأخرى.

في المجلس الإسلامي الأوربي الذي يرأسه سالم عزام التقت نخبة من العالم الإسلامي كان منهم: الصادق المهدي وحسن الترابي من السودان، وعلى هامش اللقاء، تم حوار مع الترابي والمهدي حول مستقبل السودان، اقترحت عليهم فيه أن يضعوا مخططاً لسودان ما بعد النميري الذي استنفد أسباب حكمه، واقترب من الطريق المسدود، وقلت لهما: أنتما تمثلان الحركة الإسلامية بشقيها، التقليدية وعلى رأسها الصادق المهدي، والحديثة وعلى رأسها حسن الترابي، فإذا تعاونتما بصدق نجحتما، ونجح معكما السودان، وإذا اختلفتما، وتصارعتما، خسرتما وخسر معكما السودان، وأرى أن تضعوا ملفات جاهزة بالتعاون مع الشركات العالمية المختصة فيما يتعلق بمشروعات المستقبل والنهوض الذي يشمل تطوير الزراعة وتحديث السكك الحديدية والطرق البرية، التي تربط كل مناطق السودان بشبكة أوتوسترادات حديثة، والمواصلات الجوية والنهرية والموانئ، لأن الذين يحكمون، لا يجدون لديهم الوقت لمثل هذا، بل ينشغلون بأمور الحكم اليومية ومتطلباته الثقيلة حتى عن أفراد أسرهم.

راق هذا الحديث لهما، ولاسيما للسيد الصادق المهدي الذي دعاني لزيارة السودان، لاستكمال بحث هذه الموضوعات في الخرطوم.

لم تمض فترة قصيرة حتى التقيت السيد إبراهيم المصري الذي مر بالسودان، والتقى الصادق، فحمل لي على لسانه التأكيد على زيارة الخرطوم.

رافقت السيد أحمد عبد الرحمن وزير الداخلية في نطاق المصالحة بين النميري وتنظيم الدكتور الترابي، إلى منزل السيد الصادق في أم درمان، وتناولنا أوضاع السودان، ووجوب إنقاذه من أزماته التي يتخبط بها، فقال الصادق لأحمد عبد الرحمن:

- أنت وزير داخلية في حكومة نميري، فهل تملك صلاحيات الوزير؟ وهل لك صلات بأجهزة الأمن التابعة للوزارة؟

فلم يجبه بأي كلام.

١- لم تتوقف مساعي التقريب ما بين حزب الأمة والجبهة الإسلامية، أو بالأصح بين الصادق المهدي وحسن الترابي، وكان مساعد المهدي عبدالله أحمد، شديد الحرص على التفاهم بين الطرفين، فكنا ننتقل معاً بين القيادتين، فتشكلت بجهود أخرى أول وزارة ائتلافية ضمت القوى الكبيرة في البرلمان وهي: الأمة والاتحادي والجبهة، ولكنها لم تعمر طويلاً، وسرعان ما انفرط عقدها، فجرت مباحثات هذه المرة ما بين الأمة والجبهة فقط، فتشكلت وزارة نالت أكثرية نسبية في البرلمان، مما أثار حفيظة الآخرين في البرلمان وفي خارجه، وأكثر المشاغبين على هذه الوزارة كان مجلس الكنائس في السودان الذي كان يتمتع بنفوذ واسع في الجنوب، وكلمة نافذة في الشمال، وتأييد خارجي كبير.

سمعت من السيد الصادق قوله: إن مجلس الكنائس يتحرك ضد الوزارة بنشاط وعداء كبيرين.

فقلت له: إنهم هكذا من قبل.

فقال: لم يسبق لهم أن وقفوا هذا الموقف العدائي وبهذه الشدة كما هو الحال الآن.

لم يحتمل مجلس الكنائس ومن يقف معهم وخلفهم في الداخل والخارج تشكيل الوزارة من تيارين إسلاميين يمثلان القديم والحديث، فما زالوا ومن اصطف معهم يعملون على هدم هذه الوزارة حتى أفشلوها، فلم تعمر طويلاً كسابقتها.

إن التعاون بين المهدي والترابي، كما لاحظنا من الاتصال بهما، لم يكن صافياً ولا نقياً، بل كان كل من الصديقين اللدودين يتحفظ كل واحد من الآخر، ويضمر له أو ضده غيرة وحسداً، رغم ما بينهما من صلات قديمة، ونشأة متقاربة منذ مقتبل العمر، ومصاهرة قربت ما بين العائلتين، وبتقديري لو أن التعاون بينهما كان صادقاً وصافياً لكان لهما شأن آخر في أحداث السودان، وفي مسيرته السياسية، وفي تطوره وتقدمه واستقراره، لكن هذا لم يحدث، وجر التنافس غير المفيد بين المهدي والترابي على السودان أضراراً بالغة، وخسراناً ظهرت آثاره السلبية فيما بعد على الحياة السياسية في السودان، وعلى استقراره.

وما زال هكذا دأب الزعيمين حتى كتابة هذه السطور إذ إن صلتي

بالسيد الصادق لم تتوقف، فقد شكلوا معارضة من خمسة أحزاب هي الأمة والاتحادي والبعث والشيوعي، وحزب المؤتمر الشعبي، فسألت الصادق عن تقويمه لهذه القوى فقال: الاتحادي يتلقى التوجيه من مصر، والشيوعي يفتش عمن يرتبط به بعد أن انفرط عقد المنظومة الاشتراكية، وحزب البعث بعد الذي حل بالعراق لا وزن له، والترابي بتصريحاته أضحى يحرج أقرب الناس إليه.

قلت: ولماذا تزج بتنظيمك الكبير في هذا التشكيل الضعيف غير المتجانس؟

فقال: الترابي هو الذي يطلب الانضمام إليّ!!

٢- اتسعت دائرة الخلاف بين التنظيم العالمي بقيادة مكتب الإرشاد، وبين الإخوان المسلمين -الجبهة القومية الإسلامية- في السودان، ومرت العلاقة بين الطرفين بأزمة ثقة حول الصلة التنظيمية بينهما، كانت تستفحل أحياناً بينهما لأسباب وعوامل عدة، يأتي في مقدمتها تصريحات الدكتور حسن الترابي حول موضوعات فقهية، ولاسيما فيما يخص المرأة وغيرها من فتاوى شرعية كانت تقابل بالاعتراض، وأحياناً بالرفض والاستنكار.

كان مكتب الإرشاد شديد الحساسية حيال الإخوة في السودان، وينظر إليهم كالمتمردين على وحدة الحركة بقيادة مكتب الإرشاد، وكنا في التنظيم العالمي نشعر بالخطورة، إزاء هذا الخلاف، ونعمل على تطويقه كيلا يتحول إلى انقسام داخل جماعة الإخوان المسلمين العالمية، وكنا نلح على الإخوة المصريين كي يعملوا على ضبط

النفس، وأن يتحمل بعضنا بعضاً فيما هو مختلف عليه، فاتخذ التنظيم العالمي قراراً بالتحرك إلى الخرطوم لتقريب وجهات النظر، وتطييب الخواطر والنفوس، والعمل الجاد على بقاء الحركة موحدة مهما بلغت حدة الخلاف في داخلها.

في نهاية الأسبوع الأول من شهر مارس/آذار عام ١٩٨١ تشكل وفد من التنظيم العالمي ضم الإخوة: خيري الآغا أبو أسامة، ومحمد عبد الرحمن خليفة أبو ماجد، وعبدالله المطوع أبو بدر، وأبو عامر عدنان سعد الدين كاتب هذه السطور، وتوجه إلى الخرطوم، وبعد زيارات متنوعة وحوارات واسعة، تم اللقاء مع قيادة الإخوة السودانيين وجرى النقاش الطويل والموسع الذي انتهى إلى الاتفاق التالي في ١٠-٣-١٩٨١، وهذه هي نصوصه:

بحمد الله تعالى وتوفيقه، قامت اللجنة المكلفة من التنظيم الدولي للإخوان المسلمين بزيارة الخرطوم، وتم الاتفاق على ما يلي:

- الإخوان المسلمون في السودان جزء من حركة الإخوان المسلمين العالمية، وهم معها مناصرة في المنشط والمكره، ولكنهم من حيث التنظيم مستقلون، ويرون في الوقت الراهن أن يشاركوا في مجلس الشورى وغيره من المؤسسات الإخوانية الأخرى دون الالتزام بالبيعة أو بقرار الأكثرية، وإنما يرون التنسيق وتطوير دواعي التقارب بين التنظيمات الإخوانية حتى تتم الوحدة التنظيمية إن شاء الله.

- يتخذ الإخوان المسلمون في السودان موقفاً شبيهاً إزاء الحركات الإسلامية الأخرى في العالم، ولكن بدرجة متفاوتة حسب

قربها وبعدها من المنهج العام للإخوان المسلمين.

- اتُفق على أن يكف جميع الإخوان عن الحملات المنشورة وغيرها، وأن تُقتصر المناصحة على الدوائر المسؤولة.

- يعتمد الإخوان المسلمون في السودان علاقات تعاون ثنائي مع تنظيمات الإخوان المسلمين بدرجات متفاوتة، حسب مقتضيات العمل الإسلامي.

- الإخوان المسلمون بقيادتهم وأجهزتهم المنبثقة عن مؤسسات الحركة الشرعية هم التنظيم الشرعي الوحيد للحركة الإسلامية في السودان، ولا ينبغي أن تجري دون علمهم اتصالات مع عناصر أخرى على أساس التعامل الإخواني.

- اتصل أعضاء اللجنة بتنظيم الإخوان المسلمين في السودان، بشأن عودة الصادق عبد الماجد وإخوته إلى التنظيم، فوافق التنظيم على المبدأ بشرط الالتزام بالجماعة، وتحفظوا على بعض الأفراد، ثم اتصلت اللجنة بالأخ صادق وإخوانه، فاعتذروا عن الرجوع إلى الجماعة، فاتفقت اللجنة مع الطرفين، أن يعملا دون إثارة لخصومة بينهما، ودون احتكاك في مجالات العمل.

- تطرق الإخوة الزائرون إلى آراء الأخ الدكتور حسن الترابي، وما تثيره من إشكالات تنظيمية، وما يَنسب إليها البعض من خطأ، وطلب الإخوان الزائرون أن يُتحرى في إبداء الآراء الوضوح والبيان الكامل، واجتناب الإثارة، وشرح الإخوان السودانيون رأي التنظيم في

هذا الموضوع، ثم استمع الإخوان الزائرون إلى توضيحات الأخ حسن الترابي حول ما نسب إليه من آراء.

سائلين المولى سبحانه أن يوفقنا للخير ومرضاته، والحمد لله رب العالمين.

حرر الوثيقة بتكليف الطرفين -أبو عامر- كاتب هذه الكلمات، ووقع عليها أعضاء اللجنة كل باسمه، كما وقع عليها أربعة من القيادة السودانية هم: حسن الترابي، وعبدالله سليمان العوضي، والتيجاني أبو جديري -رحمه الله- وأخ رابع من مسؤوليهم.

٣- استفحل النشاط الشيعي في السودان تحت عناوين متنوعة، منها افتتاح مراكز باسم نشر الثقافة وإطلاق تسميات عليها باسم مركز الزهراء وغيره توحي بالطابع الشيعي، وباسم خط الإمام بالجامعات التي أغدق عليها الإيرانيون بسخاء، وخصصوا للطلاب الذين ينحازون إليهم مئة دولار شهرياً -ربع مليون جنيه- وشجعوا في أجواء الطلاب والمراهقين فيهم على المتعة وروجوا لها!! فشعر السودانيون بأخطار هذا التحرك واتساع دوائره، وجرت مباحثات مع كبار المسؤولين السودانيين والمعنيين على العمل الجاد في تطويق هذه الظاهرة، والحد من أخطارها.

في ٨-٩-١٩٨٥ قمنا بزيارة السودان باسم المؤتمر الإسلامي، شملت الأحزاب السياسية وقادتها، وعدداً من الطرق الصوفية والشخصيات المعروفة، ودخلنا في حوارات مع الكثيرين ممن غابت عنهم الحقائق، وخدعوا في ظواهر الأشياء، ولم يفطنوا إلى الفساد

الذي بدأ يدب في أوساط الجامعات التي بدأ العدد من أبنائها يهملون الفرائض، ويتركون صلاة الجمعة، بدعوى انتظار ظهور الإمام، ناهيك عن الفساد العريض الذي تسببه الدعوة إلى نكاح المتعة في أوساط الشباب والمراهقين.

كان لجولتنا أثر ملموس ونتائج باهرة أكثر مما كنا نتوقع، فعدنا من زيارة السودان، ونحن نشعر براحة الضمير على ما أديناه من واجب تجاه دعوتنا وأمتنا.

قمت بدراسة موسعة عن هذه الرحلة قدمتها لإخواني، أثبت منها مقتطفات لأهميتها، لأن الدراسة واسعة، ولا يتسع البحث لإيرادها كاملة.

زيارة وفد المؤتمر الإسلامي للسودان:

حوالي ٧٠٪ من مساحة الوطن العربي يقع في القارة الإفريقية، وأكثر من ثلثي الشعب العربي يعيشون في هذه القارة، ولذا فهي القارة المؤهلة لأن تكون قارة العرب والمسلمين، من بين القارات الخمس أو الست في كوكبنا الأرضي.

القطر السوداني الشقيق هو العمق الاستراتيجي العربي والإسلامي في قارة إفريقيا، ولاسيما في شرقها ووسطها، ولهذا فالصراع في السودان وعلى السودان على أشده، لا يهدأ ولا يتوقف، إلا ليزداد حدة وشدة وشراسة، ففي هذه البقعة من وطننا تتضح ظاهرة التحدي بين الحضارات المتصارعة، وأكثر ما يبدو هذا التحدي في جنوبي

السودان في صورة احتكاك وصدام عسكري، قومي حضاري لغوي.. إلخ بين العروبة والإسلام من جانب، وبين الوثنية والزنجية مدعومة من مجلس الكنائس العالمي، ومن الشيوعية الدولية -ولاسيما من كوبا- بآن واحد، أو متسترة بواحدة منهما أو من كليهما.

٤- الأحزاب والتيارات السياسية في السودان

إذا تجاوزنا التحليلات والدراسات التي تنشرها المجلات والصحف، واعتمدنا على الدراسة الميدانية في أرض الواقع، نجد أن السودان نهب لكل التيارات المتناقضة على أرضه، ومعظمها إن لم تكن جميعها مرتبطة بشكل أو بآخر بقوى دولية خارج السودان، وكل تيار يحاول أن يثبت وجوده في الفترة الانتقالية -سابقاً- التي أتيح له فيها حرية الحركة والعمل السياسي المكشوف.

وبالرغم من وجود أكثر من ثلاثين تنظيماً على الساحة السودانية فإن التيارات الأساسية هي:

أ- الأنصار -حزب الأمة- وهم أكثر عدداً من التيارات الأخرى، غير أنهم متفرقون ومنقسمون على أنفسهم إلى ثلاثة أقسام، ويحاولون لمّ شملهم، وأبرزهم وأمهرهم وأكثرهم حنكة هو الصادق المهدي ذو الصلات الواسعة عربياً وإسلامياً ودولياً، وقد كان لنا معه جولة واسعة انتهت إلى التفاهم المبدئي حول عدد من النقاط والمواقف، ولاسيما حوب الخليج كما يحلو للبعض تسميتها.

ب- الختميّة -الحزب الاتحادي- وهي القوة الجماهيرية الثانية

من حيث العدد، إلا أن الانقسام في صفوفها أشد مما هو عليه في صفوف الأنصار، غير أن لهم رصيداً في صلتهم بمصر، ولديهم عدد من الشخصيات ذات الحنكة السياسية والخبرة في شؤون الحكم والعمل الشعبي، وأبرز شخصية فيهم هو راعي الحزب والطائفة عثمان المرغني، الذي يغازل في -تلك الآونة- الدكتور حسن الترابي تمهيداً لعمل مشترك أو تنسيق في المواقف كحد أدنى للتفاهم بينهما.

جـ- الحزب الشيوعي، بالرغم من تماسكه وعدم انقسامه، وتسليط الأضواء عليه، والدعاية الإعلامية له في الأوساط الغربية والشرقية، فإنه من دون قاعدة جماهيرية، ومن دون مستقبل في السودان، وبالرغم من المحاولات التي يبذلها قادته في تمسحهم بالإسلام للتقرب إلى الجماهير، فإنهم يزدادون وهناً على وهن، ويظهرون في المجتمع بثوب النفاق والتملق والاعتراف الضمني بأنهم غرباء عن مجتمع العروبة والإسلام.

د- الجبهة الإسلامية القومية، يقودها تنظيم الإخوان المسلمين في السودان، ورغم الهجوم الشديد على الترابي الأمين العام للجبهة، لقربه من النميري في نطاق المصالحة بين النميري والجبهة، ووقوع الخلاف بينهما في وقت لاحق، رغم هذا الهجوم العنيف من الأحزاب التقليدية، ومن الأحزاب اليسارية، فإن هذه الجبهة شقت طريقها، ونمت بصورة فاقت طموحات مؤسسيها، لأن معظم أتباع الطرق الصوفية قد انضموا للجبهة، عندما خرج الترابي ورفقاؤه من سجن النميري إثر انقلابه عليهم، وبعد سقوط النميري وكان قد وجه

لهم تهماً خطيرة، عقوبة كل واحدة منها الإعدام، عقد قادة الجبهة مؤتمراً جماهيرياً قدرته إذاعة مونت كارلو بعشرين ألفاً، وقدره البعض بخمسين ألفاً، ويصر قادة التنظيم وأنصاره على أنه ضم مئة ألف من المؤيدين، بينما كان عدد مؤتمر الجبهة الوطنية المناوئة للجبهة الإسلامية التي تضم عدداً من الأحزاب: حوالي عشرة آلاف من المواطنين.

على كل حال، فإن تنظيم الإخوان في السودان قد استطاع، تحت غطاء المصالحة خلال سبعة أعوام، أن يثبّت قواعده في المجتمع السوداني، وأن يتغلغل في الأوساط العمالية والطلابية والريفية والنسائية، وفي دوائر الدولة المدنية والحساسة، وأن يستقطب عدداً كبيراً من كبار وصغار الموظفين، مما اضطر الدوائر الغربية -ولاسيما أمريكا- أن تنصح النميري أن يعجّل بضرب تنظيم الإخوان، بل إن بوش كما ذكرت المجلات -ومنها الأسبوع العربي ذات النزعة الكتائبية- قد حدد للنميري فترة شهر لتصفية التنظيم، وإلا فإنه سوف يشكل خطراً على نظامه، وعندما شنت أجهزة النميري ونائبه محمد عمر الطيب حملتها على الإخوان، بعد أن مهد لها النميري بكلمة من الإذاعة، وبالمارشات العسكرية، وأعلن أنه ألقى القبض على قادة التنظيم تمهيداً لمحاكمتهم، أكد الإخوان أن معظم القيادات طليقة، وأن عهداً من الكفاح السري بدأ لمقاومة النميري، ودخول المعركة الفاصلة معه، بعد الدراسة المستأنية وإعداد العدة اللازمة، وعندما بدأت المظاهرات العارمة تملأ شوارع العاصمة المثلثة، صرح النميري

من واشنطن بأن الإخوان وراءها، وإن قياداتهم التي توارت عن الأنظار هي التي تحرض الشعب السوداني، ليناقض نميري تصريحه وتصريحات أجهزته بأن جميع القيادات قد اعتقلت، وألقي القبض عليها لتقديمها إلى محاكم أمن الدولة.

والخلاصة فإن تنظيم الإخوان المسلمين السوداني -الجبهة- مستقل إدارياً عن تنظيمات الإخوان الأخرى، ولديه مقومات في العمل السياسي والاجتماعي من أبرزها:

- يؤمن بالعمل الجماهيري والاختلاط بكل فئات الشعب، ويدرب أعضاءه على تقديم الخدمات للمجتمع، ولاسيما الفئات الكادحة من خلال مؤسسات عديدة، منها: منظمة الدعوة، ووكالة الإغاثة، وحل أزمة المواصلات، وغيرها من المؤسسات التي لا يتسع الحديث عنها في هذه الصفحات.

- يهتم هذا التنظيم بالعمل النقابي والنشاط الاقتصادي، وبالجمعيات ذات الأنشطة العديدة، ولذا سيطر لسنوات عديدة على اتحادات الطلاب الجامعيين والثانويين، وعلى عدد من النقابات العمالية الشهيرة مثل نقابة السكك الحديد في عطبرة، وعلى نقابات المزارعين، وكذا بالنسبة للاتحادات النسائية.

- لا يشترط في تحالفاته السياسية وحواره مع الآخرين اتحاد الأفكار، بل يكتفي بالتفاهم حول المواقف التي تخدم المصلحة العليا للأمة والوطن.

- له تأثير أدبي واسع على الحركات الإسلامية في شمالي إفريقيا، ولاسيما في القطر التونسي، وفي شبه القارة الهندية وعلى الأخص في لاهور لدى قيادة القاضي حسين أحمد أمير الجماعة الإسلامية في باكستان.

- تكونت لديه نظرة خاصة للعراق، ولاسيما موضوع حربه مع إيران، بعدما كان في بداية الحرب أقرب في تأييده لإيران، فتخلى عن هذه النظرة بعد وقوفه على تفصيلات هذه الحرب، وبعد تجاربه السياسية والاقتصادية مع إيران، كما شرحوا لنا ذلك، فانحاز إلى العراق في حربه الطويلة مع إيران.

- لهم تأثير ملموس على الجاليات الإسلامية في أوربا وأمريكا وكندا، ولهم علاقات وثيقة بالمسلمين السود في القارة الأمريكية، وفي عدد كبير من الدول الإفريقية مثل نيجريا وأوغندا ودول أخرى كثيرة في إفريقيا.

هـ- حزب البعث العربي الاشتراكي: التباين كبير في تقدير قوة الحزب بين قادة الحزب وخصومه، فالأمين العام للحزب الأستاذ بدر الدين المدثر، يتكلم وكأنه قائد السودان، والآخرون ينظرون إلى تصريحاته ومحاضراته بالاستنكار والاستخفاف، ولذا أتجاوز هذا الجانب، وأتكلم عن المواقف والأفكار والتوجهات للحزب ورئيسه.

إذا صح أن العروبة يمكن أن تنفصم عن الإسلام كما طرح ذلك الأستاذ ساطع الحصري في أربعينيات القرن العشرين، ورد عليه أنطون سعادة مفنداً هذا الرأي ومؤكداً أن العروبة لا تنفصل عن

الإسلام في معرض هجومه على العروبة، ودفاعه عن فكرة الأمة ونشوئها وربطها بالأرض، أو قل: إذا صح افتراق العروبة عن الإسلام في قطر كلبنان، فإن هذا لا يمكن أن يحدث بأي صورة من الصور على أرض السودان، ولهذا كان طموحي كبيراً في إقامة تحالف أو تعاون أو تنسيق أو تعايش على الأقل بين الاتجاهات الإسلامية والعربية في السودان لمواجهة التآمر الرامي إلى سلخه عن الوطن العربي والعالم الإسلامي، وفي طليعة المتآمرين أو رأس الحربة فيهم: إسرائيل، ومن الشرق بالزحف الباطني بدعم من جميع الحاقدين على العرب والمسلمين، بهدف إقامة دولة باطنية صفوية قرمطية تمتد من بحر الخزر إلى شواطئ المتوسط، ومن جنوبي تركيا إلى شمالي باكستان.

إن طروحات حزب البعث السوداني بقيادة بدر الدين المدثر تذكر بما كان عليه الحزب في سورية في الأربعينيات من القرن الماضي، عندما كان بعض شبابه يهتفون: تسقط الرجعية رداً على الخطيب الذي يبدأ حديثه بـ بسم الله الرحمن الرحيم، وغير ذلك من الأفكار والطروح التي أحدثت بلبلة مؤذية، وردود فعل حادة، وأحياناً غير واعية في أوساط العاملين للإسلام -علماء وعامة وأحزاباً- أدت إلى صراعات ونزاعات كان مآلها أن تصاب الأمة كلها بسهم مسموم في قلبها النابض من جراء هذا الصراع المفتعل بين العروبة والإسلام، والذي يحقق للأعداء أهدافهم دون أن يكلفهم شيئاً.

و- كان مخطط التحرك لوفدنا الإسلامي يشمل الزيارة واللقاء

والحوار مع شخصيات دينية وسياسية رسمية وشعبية، تحقق فيها عقد جلسات مع أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى في السودان، والجبهة الإسلامية القومية، والأستاذ صادق عبد الماجد رئيس مجموعة الإخوان المرتبطة بمكتب الإرشاد في القاهرة، والسيد الصادق المهدي، ومنظمة الدعوة الإسلامية، وشخصيات سودانية أخرى.

- تم اللقاء في مقر المجلس الإسلامي الأعلى، حضره عشرة من الأساتذة والشيوخ، كان منهم الدكتور عبد الرحمن محمد سعيد أمين عام منظمة الدعوة الإسلامية التي تضم مجموعة مؤسسات، أهمها وكالة الغوث للجنوب السوداني وعدد من البلدان الإفريقية، فشرحنا لهم ظروف الحرب بين إيران والعراق، وما يبيته الخمينيون في هذه الحرب المدمرة من مكر وكيد للعراق وللعرب وللمسلمين، فكان التجاوب كبيراً، بل أكبر مما توقعناه.

- عندما وصلنا إلى الخرطوم قرأنا مقابلة لوفد إيراني برئاسة وكيل الخارجية الإيراني شيخ الإسلام في جريدة الراية المحسوبة على الإخوان، فوجهنا انتقادنا للجريدة.

في اليوم التالي وجه السفير العراقي الدعوة على طعام الغداءإلى الدكتور الترابي وعدد من إخوانه، فلبوا الدعوة، كما دعا السفير عدداً من الشخصيات، وفي هذا اللقاء قرر أعضاء القيادة في الجبهة برئاسة الترابي مقاطعة الوفد الإيراني، وعدم استقباله أو الالتقاء به، ربما لإصرار الإيرانيين على استمرار الحرب.

كان حديث الترابي وإخوانه مبعث ارتياح عميق في نفس السفير

العراقي جراء ما سمعه من مواقف وآراء وتحليل وتفسير حول الصراع بين العروبة والإسلام من جهة، وبين أعدائهما من جهة أخرى.

بدت قناعة الترابي التامة بموقف العراق من الحرب بين العراق وإيران، وفي أمور أخرى، وأبدى استعداده التام للتفاهم والتعاون والحوار، ومما مهد لهذه القناعة ليس حواري معه من قبل فحسب، بل ما سمعه من شروح من صديقه الحميم الدكتور محمد يوسف المقيريف من موقف القيادة العراقية، وما قدمه من توضيحات إثر زيارته للعراق، وعودته منها إلى السودان كأمين عام لجبهة إنقاذ ليبيا.

- بعد أن اتفق السفير العراقي مع مكتب الصادق المهدي على زيارتنا له في مكتبه ظهراً، لم نتمكن من الوصول إليه في الوقت المحدد، فذهبنا إلى منزله مساءً، فحضر بعض أنصاره، واعتذر هو عن الحضور، فأعربنا عن أسفنا لما حدث في النهار، وكتبت رسالة عتب للسيد الصادق المهدي سجلت فيها مكان نزولنا في الفندق، وغادرنا المنزل.

في الصباح حضر إلى الفندق مرافق الصادق، ورغب إليّ الذهاب إلى الصادق، لأنه بانتظاري، ولم يكن يعرف من الذي حضر في الليل إلى منزله، وقال: كلفني أن أصحبكم وحدكم.

وعندما شرحت لزميلي عضو الوفد شجعني كثيراً، فذهبت إلى مقر حزبه، وخلال ثلاث ساعات تناول الحديث أربعة موضوعات وهي: رأيه في حزب البعث وفي بدر الدين المدثر، فكان كلامه قريباً من كلام الترابي على ما بين الاثنين من خلاف، وموقفه من الذين

يشوهـون سمعـة الإسلام بادعائـهم أنهم يطبـقونه، كالـنميري وضـياء الحق، ووجوب اتـخاذ موقف واضح حيـال ذلك، وانتقد الـترابي في مجامـلته للنميـري، وكيف تجاوز الحـدود المعقولة، وأخـيراً رأيه في الحرب العـراقية الإيرانيـة، ثم اتفقنا على إصـدار بيان موقع من نـخبة من قادة الفـكر لفضح هذا الاستـغلال، وانصب الحـديث خلال ذلك الوقت وعلى مدى ساعتين عن الحرب وعن إيران.

خـلاصـة رأي الصـادق: أنه كـان مـعجـباً بإيـران في أول الأمـر لاستطاعتها إزالة طاغوت الشاه، كـما قال، وأنه يريد تضييق الهوة بين السنة والشـيعة، ثم أدرك أن حكومة إيـران متحجرة، لا تؤذي غـيرها فقط، بل تؤذي نفسها وشعبهـا أيضاً، وتشوه سمعة الإسلام، ويقول: لابد مـن تحـرك حيـال هذه الـحرب، وأنه يـأخذه عـلى عـاتقـة وفي المحيط الذي يستطيع التحرك فيه.

قلت: ولكن صديقك سالم عزام جنح نحو ممالأة إيران.

فقال: لـقد أدرك هذا، ويريد أن يصحح خـطيئته، ثم قـال: يبدو أن للعراقيين موقفاً سلبياً مني.

قلت: هـذا وهم، فالسـفيـر هو الذي حثنا على زيـارتكم تقـديراً لكم.

فقـال: هذا شيء طيب، وعنـدي استعـداد للتفـاهم معه والـحوار حول هذا الموضوع وغيره.

وفي الختام حـددنا للسفير وللآخريـن مقترحات كان منهـا: توجيه

النصح للمدثر بالتوقف عن الهجوم على التيار الإسلامي في صحيفته وتصريحاته، ولاسيما تهجمه على الفكر الإسلامي، مهما كان تعليله لذلك، وأوردنا أمثلة على ما يفعله ويقوله، واقترحنا دعوة الترابي والمهدي إلى العراق، فإن هذا سوف يقلب الموازين رأساً على عقب في السودان، وفي شمالي إفريقيا، وفي كثير من الدول الإفريقية، وفي أوساط الجاليات الإسلامية في أوربا وأمريكا، وفي أوساط التنظيمات الإسلامية في الخليج وفي شبه القارة الهندية، وفي بعض الدول الآسيوية كماليزيا.. إلخ. بالنسبة للترابي، وبالنسبة للصادق المهدي الذي له صلات واسعة في الغرب، وفي محيط كثير من الإيرانيين في داخل إيران وفي خارجها.

لقد كانت زيارة الوفد إلى السودان مبدعة، قلبت الموازين ضد الحرب العراقية الإيرانية، وصححت كثيراً من المفاهيم الخاطئة، وأكسبت العراق مواقع مهمة في حربه مع إيران للعمل على إيقافها، وإيقاف نزف الدم بين الدولتين الجارتين، وأسأل المولى جلّ وعلا أن يحفظ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ويحفظ لنا بلادنا وأمتنا، وأن يتنزل علينا بالنصر المؤزر والفوز المبين.

عضو الوفد الإسلامي

عدنان سعد الدين

ز- انفجر الخلاف بين النميري ومستشاره الدكتور حسن الترابي والجبهة الإسلامية القومية، بتحريض من أمريكا ورئيسها بوش كما مر سابقاً وكما نشرت ذلك مجلة الأسبوع العربي، وأضحى أصدقاء

الأمس أعداء اليوم، وبدأت مرحلة من الصدام بين نظام النميري وتنظيم الجبهة الإسلامية القومية.

اتصل الأخ الأستاذ زين العابدين الركابي يذكر تفصيلات ما يجري، وأن الترابي مع عدد من إخوانه رهن الاعتقال، ولابد من التحرك.

قمت بزيارة للسفير السوداني في بغداد، فاستقبلني في منزله، وأبدى كلانا أسفه على ما يجري في السودان، فسلمته نص برقية رجوته أن يرفعها إلى النميري استنكاراً لما يحدث، وتحذيراً من مغبة هذه السياسة الخطيرة، استلمها السفير السيد علي أحمد علي الذي لمسنا منه الخلق الرفيع والأدب الجم، واعداً بإرسالها، وهذا نصها:

سيادة رئيس جمهورية السودان جعفر محمد نميري المحترم.

لقد راعنا وهز مشاعرنا ما تناقلته وكالات الأنباء عن مطاردة رجال الدعوة الإسلامية واعتقالهم في السودان الشقيق.

إن اعتقال نواب الأمة في البرلمان ورجال القضاء، وكبار رجالات الدولة من دعاة الإسلام يتنافى مع إعلان الدولة عن عزمها في تطبيق الإسلام، وصوغ المجتمع السوداني وفق مبادئه وتوجيهه.

لقد استبشر أعداء العرب والمسلمين في كل الأنحاء بملاحقة الحكومة السودانية لأبناء الدعوة الإسلامية على أرض السودان، وطمأنهم بأن السودان يسير في طريق مسدود، عندما أقدم على الصدام مع رجال الدعوة الإسلامية بعد صدامه مع جميع الفصائل

والفئات الأخرى.

يا فخامة الرئيس: إن المجتمع الإسلامي لا يقيمه ويبنيه إلا الإسلاميون، ومن ثم فإن ملاحقة دعاة الإسلام يعني في نظر المنصفين والمراقبين نكسة إلى الوراء، وتراجعاً عن تطبيق الإسلام في الدولة والمجتمع.

نناشدكم إعادة النظر في موقفكم من الدكتور حسن الترابي وإخوانه.

في ١٥-٣-١٩٨٥

عن قيادة الإخوان المسلمين في سورية

عدنان سعد الدين

وعد السفير بإرسال هذه الرسالة إلى النميري، ثم سافر إلى الخرطوم، فسمعنا عن نبأ وفاته المفاجئ، فحزنا عليه، وأرسلنا إلى الخرطوم الأخوين عبدالله الطنطاوي، ومنذر كوجان لتقديم التعزية لعائلته بعد الذي رأيناه فيه من خلق كريم وأدب رفيع.

هل أرسل السفير هذه الرسالة كما وعد؟ أم كان وعده حياءً منا، ثم أودعها بالملف؟

بعد فترة زمنية حضر إلى السفارة السودانية السيد إبراهيم مطر كواحد من كبار موظفي السفارة، ورأى هذه الرسالة بالملف، فأحضرها لي لأستلمها منه، فهل أرسل السفير صورة عنها، واحتفظ بأخرى؟ علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى.

٥- ازدادت الصلة قوة وتمكيناً بين العراق والسودان، وتجاوز الدعم العراقي للسودان في كل المجالات العسكرية والصناعية والبترولية وغيرها الطموحات، وانتقلت إلى الصلات المباشرة والمشاورات حول القضايا الكبيرة ذات الصلة بمستقبل الأمة على الصعيد القومي -العربي-، إذ حضر الأستاذ علي عثمان نائب الرئيس على رأس وفد من الجبهة الإسلامية القومية في مؤتمر عتيد انعقد في بغداد حول الحرب العراقية الإيرانية حضره الأستاذ محمد حسنين هيكل عام ١٩٨٧ وشخصيات كبيرة من الوطن العربي والعالم الإسلامي.

وعندما كان الأستاذ علي عثمان جالساً على المنصة في إحدى الجلسات، استلم دعوة من السيد النائب طه ياسين رمضان ليعقد معه لقاءً، فاضطر إلى الانسحاب من المنصة وتكليف الأستاذ إبراهيم السنوسي ليحل محله.

كان اللقاء مفيداً ومثمراً، إذ عرض النائب السوداني على النائب العراقي عروضاً أعجب بها، وانبهر من أهميتها، من ذلك أنه قال:

- امدد يديك لنتعاهد على نشر اللغة العربية -وهذه هي القومية- في كل القارة الإفريقية، بينما حزبكم -حزب البعث السوداني- عرض على جارنغ -الذي كان يقود حرباً في الجنوب ضد الشمال- أن تكون الإنكليزية هي اللغة الرسمية.

فقال النائب العراقي: وهل يعقل هذا؟

فأجاب النائب السوداني: لك أن تطلب مني الدليل على كل ما أذكره لك.

ثم ختم الأستاذ طه ياسين رمضان هذا اللقاء المطول بقوله:

- قبل أن ألقاك كنت أشك بكل ما أسمعه من أبي عامر حول حركتكم وأفكاركم، وأظنّ كلامه من قبيل الانحياز الحزبي، ولكن بعد أن التقيتكم، أدركت أنه كان على صواب في كل ما كنا نسمعه منه.

أ- تتابعت الزيارات المتبادلة بين النائبين لبغداد والخرطوم، وقد تركت الزيارة الأولى للأستاذ علي عثمان لبغداد أثراً طيباً في نفسه، جعلته مشدوداً إلى بغداد وأهلها، ودائم التفكير بها، فلم يلبث بعد عودته إلى الخرطوم أن سطر رسالة للسيد النائب الأول العراقي طه ياسين رمضان تفيض بالمودة والذكرى العطرة، جاء فيها:

الأخ الكريم السيد النائب الأول الأستاذ طه ياسين رمضان.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإن زيارتي للعراق الشقيق على رأس وفد الجبهة الإسلامية القومية لمؤتمر السلام، وكذا زيارتكم شخصياً تركت في نفسي أثراً طيباً لا أنساه.

إن الموضوعات التي تناولناها كانت مهمة للغاية، استهدفت تعزيز التعاون الجاد المثمر بين أبناء الشعب الواحد على طريق الوحدة لشعبنا العربي وأمتنا الإسلامية، لتنهض بجماهيرنا إلى المستوى اللائق

بها، والذي يحاكي أمجادنا التليدة، وتاريخنا الأعز.

إننا نتطلع إلى استكمال المباحثات مع الإخوة في العراق الشقيق، للعمل معاً على تقوية أواصر الصلات الأخوية بين السودان والعراق.

إننا في السودان لن ننسى دعم العراق لبلدنا بالسلاح والذخيرة، وهو في حالة حرب ضروس يدافع عن أرضه وكرامته، كما لن ننسى العون السخي لبلدنا عندما حلت به الفيضانات رغم انشغالكم في محو آثار الحرب التي خضتموها بشجاعة وثبات لثماني سنوات.

إنني باسم الجبهة الإسلامية القومية في السودان أبعث لقيادة العراق الشقيق، وعلى رأسها الرئيس المجاهد صدام حسين، وإلى جيش العراق الباسل، والشعب العراقي بأسمى آيات الود، وعاطر التحيات، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الخرطوم يوم الاثنين في ١٢-٢-١٩٨٩

علي عثمان محمد طه

نائب الأمين العام للجبهة الإسلامية القومية

ب- لم يمض على إرسال هذه الرسالة حوالي عام حتى ألحق بها رسالة أخرى مماثلة جاء فيها:

الأخ الكريم النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء الأستاذ طه ياسين رمضان المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يسرني أن أنتهز مناسبة زيارة

الأخ الكريم أبو عامر لبلادنا، لأجدد العـهد وأؤكد العزم على المضي على طريق وحدة أمتـنا العربية، وهي تواجه التحديـات، وتعيش محنة التآمر الأمريكي، والتحريض البريطاني، والتغلغل الصهيوني في أنحاء الوطن العربـي والعالم الإسلامي والإفريقـي، وتشهد التمـدد اليهودي بالهجرة إلى فلسطين المحتلة، كمـا أعبر لكم عن تأييدنا التام لموقف العراق الـشقيق بقـيادة الرئيس القـائد المجاهـد صدام حسين -حـفظه الله- وهو يتخذ إجراءات الحسم والردع لمحاولات التسلل والتخريب لمقدرات الشعب الشقيق.

إن كرامة الأمة وسلامة أمنها فوق كل اعتبار، ولا تخضع لمساومة أو مجاملة، وذلك ما يعبر عنه موقفكم الوطني الشجاع.

لكم خالص التحايا وموفور التقدير.

في ١٩-٣-١٩٩٠

أخوكم

على عثمان محمد طه

الخرطوم

هكذا بلغت درجـة التفاهم والتواد بين السـودان والعراق، وارتقت إلى المستوى الذي رأيناه من تعاون أعـربوا في مراسلاتهم عن بعضه، وسكتوا عن البعض الآخر.

٦- مستشارية التأصيل:

كان السودان في مقدمة الدول العربية والإسلامية المنشغلة في أمر

الدعوة الإسلامية بل كان أسبقها جميعاً في التفكير في تأصيل الإسلام وتثبيته في نفسية الفرد، وفي أعماق المجتمع، ولذا أنشؤوا في ديوان الرئاسة أو في القصر الجمهوري دائرة خاصة بهذا الموضوع، أسموها: مستشارية التأصيل، وأسندوا المسؤولية فيها إلى الرجل الصالح الدكتور الشيخ أحمد علي الإمام رئيس جمعية علماء السودان.

عكف الشيخ أحمد على هذا الموضوع، وأنشأ دراسة خاصة بذلك موسعة ومفصلة.

زارني الشيخ في الفندق حيث أقيم، وعرض علي هذه الدراسة وطلب مني بعد الاطلاع عليها، إبداء الرأي فيها، وإبداء الملحوظات عليها، والتقويم الدقيق لها.

عكفت على هذا المشروع لمدة ثلاثة أيام، فوجدته واسعاً فضفاضاً، لا قبل للشيخ مهما كثر معاونوه أن يضطلع به، أو يقدر على تنفيذه أو تنفيذ بعضه أو شطره!!

رفعت إلى استشارية التأصيل عبر رئيسها المسؤول عنها الشيخ أحمد علي الإمام مذكرة ضافية ضمّنتُها رأيي الصريح، ووجهة النظر التي أعانني الله بفضله على تسجيلها وتقديمها وهذا نص المذكرة التي تقدمت بها في ١٩-٩-١٩٨٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً.

الحمد لله الذي بنعمته وفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المزجاة، من أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وبعد:

فإن وجود هيئة أو جهة معنية بشأن مستقبل الإسلام، وتأصيله في المجتمع السوداني أولاً، ومن ثم بديار الإسلام كافة لأمر يدعو إلى الارتياح والاطمئنان، ويعتبر في ذات الوقت خطوة سابقة ورائدة، لاسيما إذا اضطلع بمسؤوليته رجل ذو بصيرة يرى أو ينظر بنور الله، ونحسبه هكذا والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً.

أ- في حقل الأهداف لخطة العمل في مستشارية التأصيل سجلت الخطة أربعة عشر هدفاً، وفي حقل الوسائل احتوت الخطة ثلاثة وثلاثين بنداً أو وسيلة، وعندما نقرأ الأهداف، واحداً تلو الآخر، نجد أن عمل المستشارية يشمل كل جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويرمي إلى تأصيل فقه الأولويات، ونشر وسيادة قيم الإسلام في الأجهزة والمنظمات والمؤسسات، ويسعى إلى تعظيم شعائر الله، وتثبيت مفاهيم الإسلام في السياسة العامة والقرارات التنفيذية، وتأصيل القوانين والنظم وقواعد الولاية العامة، والارتقاء في سلوك المسؤولين في تعاملهم مع المواطنين، وأخيراً، تبليغ رسالة الله إلى البشرية جمعاء.

ب- أما الوسائل، فتشمل جهود العلماء والخبراء لمعالجة القضايا المعاصرة، وتأسيس مجمع الفقه الإسلامي، ورعاية المنظمات الدعوية، والتعاون مع مؤسسات العمل الاجتماعية في تأصيل القيم

الإسلامية، وتنظيم عمل التأصيل في قطاعات متخصصة علمية وسياسية واقتصادية واجتماعية ودعوية وتعليمية، وتوثيق التعاون مع المعنيين في التعليم العالي والجامعات والمعاهد المتخصصة والمراكز العلمية، وتنظيم الدراسات العلمية والبحوث في مجال تأصيل القضايا وبيان الأحكام، وتأصيل الدراسات المستقبلية على قواعد وأصول الأحكام الشرعية، وتنظيم علاقة عمل مع مؤسسات الاتصال والثقافة ووسائل الإعلام، بغرض التعريف بتوجهات السودان الحضارية والاستفادة من التجارب الإسلامية والإنسانية.

جـ- بعد قراءة مستأنية لأهداف التأصيل ووسائله -وقد أوردت مقتطفات منها- عاودتها مثنى وثلاث ورباع، فوجدتني أمام عمل كبير يشمل جميع جوانب المجتمع السوداني، ويتناول كل مرافق الحياة الإيمانية والتعبدية والأخلاقية والفكرية والسياسية والاقتصادية والإعلامية والتعليمية والقانونية والمدنية والعسكرية و. . إلخ فأدركت أن السودان بكل قدراته ومؤسساته ووزاراته وهيئاته ينوء بحمل مسؤولية خطة التأصيل وتنفيذها، فأشفقت على مستشارية التأصيل من ثقل العبء الذي اضطلعت به وحملته على عاتقها، أن ترهقها تلك الخطة الطموحة ثم تنهكها، لاسيما إذا صبت جهدها وطاقتها على الكيف دون الكم، وعنيت بالروح والجوهر، قبل الشكل والمظهر.

من جهة ثانية، فالتأصيل فيما أفهمه يرمي ضمن ما يرمي، إلى التبديل والتحويل، وأحياناً يضطر إلى الإبعاد والحذف والبتر، وبتعبير آخر، يضطر إذا اقتضى الأمر إلى الاستئصال، فيثير من ثم حفيظة

المعوّقين والفاسدين والمستغلين والمنتفعين والانتهازيين، وأحياناً يستفزهم ويدفع بهم إلى البغضاء والعداء، وتارة إلى الحقد والكيد، وعندئذ يفرض علينا صراعاً نحن عنه في غنى، وننشغل بإطفاء النار من حولنا، ويكون هذا بالتأكيد على حساب مهمتنا الكبرى التي تهدف إلى تحقيقها خطة التأصيل، وربما فوجئنا بأناس نحسبهم صالحين، يقفون في الصف المناوئ إن ظنوا أن التأصيل قد ينال من مواقعهم أو من مصالحهم التي يقاتلون دونها في المجتمع أو في مؤسسات الدولة والحكم.

د- انطلاقاً من الفهم الذي قدمت عن مستشارية التأصيل، والمهمات الموكولة إليها، والأعباء الملقاة على عاتقها، فإن الهدف الوحيد والكبير والأهم الذي يختصر ويختزل الأهداف الأربعة عشر التي تناولتها الخطة، كما أتصوره:

- هدف التأصيل: التمكين للإسلام وترسيخه في نسيج الفرد وتكوينه وتركيبه وكل شؤونه، وفي مرافق المجتمع وبنيته وأعماقه، بحيث لا يمكن للفرد ولا للمجتمع أن ينفك عن دين الله، ولا عن هدي مصطفاه، لا باختياره، ولا بإرغامه.

- تكوين المستشارية: تتكون مستشارية التأصيل من رئيس وعدد محدود من العلماء، الأذكياء الأتقياء، يتراوح عددهم بين الخمسة والعشرة، يتفرغون للتأصيل ولا ينشغلون بسواه، إلا ما كان من أعمال شكلية لا تستهلك طاقاتهم وأوقاتهم، يضاف إليهم عدد من غير السودانيين المشهود لهم بالفهم والاجتهاد وإدراك مقاصد

الشريعة، والإحاطة بالأوضاع المعاصرة وبالواقع، يحضرون إلى السودان في السنة مرة أو مرتين، ليشاركوا إخوانهم السودانيين في مهمتهم الجليلة.

- أرى أن يعمل مجلس التأصيل في الغرف الخلفية بعيداً عن الأضواء والإعلام، في جو يسوده الصفاء والتفكير الهادئ، وأن توضع بين أيديهم وتحت تصرفهم كل المعلومات التي يطلبونها عن أي مؤسسة أو وزارة أو دائرة أو يحتاجون إليها، وأن يبذلوا جهداً مضنياً في تقديم الحلول، وترتيب الأولويات في سلم التغيير -بما يشبه مجالس التخطيط في بعض جوانبها- للبدء في تنفيذ الأيسر والأسهل والأقرب متناولاً، ثم ينتقلوا بعد ذلك إلى الأصعب منالاً وتنفيذاً والأكثر تعقيداً، ثم تحال الدراسة أو المشروع إلى ذوي القرار، ليأخذ طريقه إلى التنفيذ بعد أن يأخذ الصيغة الدستورية أو القانونية أو القرار الإداري.

- لا مشاحة في الاصطلاح. ليس من الضروري أن تحدث التغييرات بأسماء وعناوين إسلامية صارخة، بل المهم حدوث التغيير كيلا تحدث ردود فعل أو ضجيج من الرافضين والمتربصين، وكما قال فقهاؤنا: لا مشاحة في الاصطلاح ولا بالتسميات، بل نود أن يستيقظ العالم ليفاجأ بالبناء قد اكتمل، والدولة المحمدية قد تجذرت، وتمكنت في الأرض أركانها وقواعدها.

- ولنضرب على ذلك مثلاً: أن يتناول مجلس أوستشارية التأصيل موضوعاً بعينه مثل: الحياة أو بناء الحياة العسكرية أو الحياة

التعليمية، أو الصناعية، بعد تقديم المعلومات الكاملة بصدد الموضوع المطروح على البحث، بعد الاستعانة بكبار المختصين بالحياة العسكرية إن كان الموضوع ذا صلة بالحياة العسكرية، أو التعليمية، ثم ترفع الدراسة والمقترحات أو المشروع للجهات المعنية، لينال الموافقة، ويصدر به مرسوم أو قانون أو لائحة مصدقة حسب الأصول الرسمية!!

- توظيف الطاقات المطلوبة: توظف مستشارية التأصيل كل الطاقات والقدرات في الدولة والمجتمع لخدمة هدفها الأسمى في التأصيل، والتي تشمل أنشطة الدعوة والتعليم والتشريع والتقنين والخدمات الأخرى، وإذا ما وجدت نقصاً في جانب يتطلبه تأصيل الإسلام كمجمع الفقه أو غيره أو ما يشبهه أشارت على الرئاسة أو أصحاب القرار بتأسيسه أو إنشائه أو إكماله، أو تصحيح مساره دون أن تنشغل به أو ترتبط به.

- وأخيراً... إذا ما صار لدى المستشارية مشروع جاهز كمحطة لدراسة عميقة، وبحوث دقيقة، واستلهام لروح الإسلام وأحكامه، وفهم واع للظروف الداخلية والخارجية، وللبيئة والواقع، وتهيئة النفوس على تقبل المشروع التأصيلي لدى أبناء الأمة كالذي حصل في المدينة المنورة عندما بلغ التهيؤ مداه، فأبطلوا الخمر وسفحوها في طرقات المدينة كما يسفح الماء الآسن دون تردد أو تباطؤ، عندئذ يصدر بالمشروع التأصيلي قانون أو مرسوم رئاسي، أو لائحة أو أمر أو توجيه حسب طبيعة المشروع، من صاحب الولاية أو الصلاحية،

6894

ليأخذ طريقه للتطبيق والتنفيذ في ميدانه الخاص به، سواء أكان في حقل التعليم أم الإعلام أم الجيش أم الشؤون المالية أم المؤسسات الأمنية، أم في المجال الروحي، بعد أن نكون قد أخذنا بكل أسباب نجاحه.

كل هذا نفعله وننضجه في الغرف الخلفية دون أن ينشغل بها أو يتلتفت إليها أو يفطن لها المتربصون في داخل البلاد وفي خارجها.

إن جميع الأعمال الكبيرة والتغييرات الجوهرية، والتحول الجذري الهائل في حياة الشعوب والأمم تطبخ في الظل والقاعات الخلفية، ويقوم بها رجال ومستشارون لا يبرزون على مسرح الأحداث، ولا يفطن لهم أو لأهميتهم أحد، ولا ينشغلون بالمماحكات والصراعات، وإنما يقدمون لولي الأمر أو القائد أو الرئيس أو السلطان، عصارة عقولهم وذوب نفوسهم وأرواحهم، وخلاصة تجاربهم وبحوثهم، فهم المستشارون، وهم بطانة الخير التي ينظر السلطان ببصرها، ويسمع بأذنها، ويفكر بعقلها، ويتحرك برأيها، أولئك هم الأصفياء الأتقياء الأنقياء الأخفياء، الذين إذا ذكروا لم يعرفوا، وإذا غابوا لم يفتقدوا.

اللهم اجعلنا واجعل الأخ النقي التقي أحمد علي الإمام منهم والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

١٩-٩-١٩٩٨

الفقير إلى عفو ربه

عدنان سعد الدين

٧- استمرت العلاقة مع السودان منذ ما يزيد على أربعين عاماً بدأت في عام ١٩٦٨، ولا تزال، لم تنقطع خلالها الزيارات المتتابعة والمشورات في عهود النميري وسوار الذهب والفترة الديمقراطية، وفي ظل ثورة الإنقاذ، ضمن ترتيب منسق، تكون فيه الزيارة كل ثلاثة أشهر، ثم كل ستة أشهر، ثم حسب الظروف والمناسبات.

كان الفقير إلى عفو ربه يقدم المقترحات والمشورات بل والانتقادات بكل إخلاص وصدق، أملاً أن يحقق مشروع المجتمع الإسلامي أو الدولة الإسلامية نجاحاً يكون قدوة للمجتمعات في البلاد العربية والإسلامية، وكلها تتوق إلى العيش في ظل الإسلام، ولكنها لا تملك الخبرة أو التجربة لبلوغ ذلك.

كانت المشورات والمقترحات تلقى أذناً صاغية وترحيباً صادقاً، وهذا ما شجع على الاستمرار في السير على هذا الدرب في الصلة مع السودان الذي يخوض صراعاً قاسياً لإقامة البناء الإسلامي على أرض السودان.

تكونت لدي قناعة في تسجيل النصح والمشورة في صيغة مذكرات مدروسة، كالذي تقدمت به حول مشروع مستشارية التأصيل، واستمر الحال هكذا طيلة ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي، ثم عبورها إلى مطلع هذا القرن.

كان موضوع التربية والتزكية والسلوك من الموضوعات التي تقدمت بها إلى الإخوة السودانيين الذين كان السيد علي عثمان النائب الأول أكثرهم رعاية لهذه المشورات، وهو الرجل الذي يتمتع

بمواهب وخصائص قلما تجدها لدى غيره.

حملت مسودة كتاب التزكية والسلوك قبل أن أدفع به إلى المطبعة، فشكل النائب لجنة كان هو واحداً منها ضمت مديري جامعة أم درمان، وجامعة القرآن والدكتور عبد الرحيم علي صاحب الحكمة والحنكة، وكبار المفكرين لمناقشة المشروع بعد أن وزعت صور عنه، وسلمت لكل عضو فيهم، فلاقى قبولاً وترحيباً، فقال البروفسور عبد الرحيم علي: لقد جاء هذا في وقته، والسودان بأشد الحاجة إليه بعد انخراطه في العملية السياسية، وما يرافقها من أخطار على الدعاة وعلى رجال الدولة.

استمر اهتمام السودانيين بكتاب التزكية والسلوك حتى انتهى الأمر إلى طباعته في السودان بعد تفويضهم بذلك، وتقريره كمنهج رسمي في الاتحاد العام لطلاب السودان في كل أنحاء القطر.

كان من أهم المذكرات أو الدراسات التي تقدمت بها إلى الأشقاء السودانيين بحث مسهب تحت عنوان:

(السودان الحديث أو سودان المستقبل)

ولأهمية هذا الموضوع فيما ينبغي الاهتمام به في السودان أو أي بلد من الوطن العربي والعالم الإسلامي يتطلع أن يعيش تحت مظلة الإسلام، نثبت نصوصه أو معظمها كالآتي:

أ- مقدمة في طبيعة الدولة:

كما أن المناهج التربوية والتعليمية في تطور دائم وتغير مستمر

لتواكب التطورات والمتغيرات التي هي من طبيعة الحياة، كي تعد المواطن لاستيعابها، والتعايش معها، فإن على الدولة أن تجدد نفسها، وتطور وسائلها وأدواتها، بل وخطابها، وتعيد النظر بصورة دائمة في صلاتها وعلاقاتها مع المجتمعات الأخرى، وإلا فإنها تكون قد بلغت سنّ اليأس، ودخلت مرحلة الشيخوخة، ليؤول أمرها إلى السقوط والزوال كما قال ابن خلدون، وهذا الأمر الحتمي لا يتنافى مع تمسك الدولة بالمبادئ والأفكار التي قامت عليها الدولة، وبنت بموجبها قواعدها وسياساتها، فالخليفة العادل الزاهد عمر بن الخطاب رأى في بلاد الشام أشكالاً وترتيبات في تنظيم الدولة ليس مألوفاً في المدينة المنورة عاصمة الخلافة، وعندما شرح له واليه معاوية الأسباب الموجبة لذلك أقره عليها وباركها له.

ب- الدولة الحديثة ومنطق العصر:

إن مفهوم الدولة الشائع يرفض قيام الحكومات الدينية، ويحذر منها، ويشن عليها حرباً باردة، وأحياناً ساخنة بدعوى أنها تفرق بين الناس، أفراداً وشعوباً، وتضطهد الآخرين، وتثير الأحقاد، استناداً إلى ما خلفه تاريخ القرون الوسطى، عندما تسلطت الكنيسة على الشعوب، وحاربت العلم والمعرفة، وأحرقت علماء عباقرة، وادعت ملكيتها للجنة تبيع للمشترين بموجب صكوك الغفران مساكن وحدائق فيها، لذلك سرعان ما أقنعت أمريكا العالم كله بوجوب القضاء على حكومة طالبان في أفغانستان دون أن تجد معارضاً كالذي واجهته في العراق، وبتأثير هذه الموجة العارمة والمدعومة إعلامياً وسياسياً

وعسكرياً، تراجع كثيرون من علماء أو دعاة الدولة الإسلامية في طروحهم، وعدّلوا أو غيّروا في إعلامهم وتصريحاتهم وحواراتهم في السعودية واليمن وماليزيا وباكستان.. إلخ حتى إن عضو مكتب الإرشاد الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح المعروف بنباهته ودقة تصريحاته قياساً على أقرانه، ذكر في حوار أجرته معه إذاعة لندن:

- إننا لا ندعي أننا نمثل الإسلام ونطبقه، ولكننا نتخذ منه مرجعاً، كما يتخذ الشيوعيون من الماركسية مرجعاً، لنقدم للمجتمع مشروعنا بإقامة المجتمع المدني الذي نصيب فيه ونخطئ، دون أن نزعم أن هذا هو الإسلام، أو أننا نمثل الإسلام دون الآخرين، وهذا هو موقف الإمام حسن البنا - وذلك في معرض رده على الماركسي رفعت السعيد في حواره معه.

حـ- ما بين الإسلام ومنطق العصر:

أنستطيع أن نوائم بين منطق العصر في مفهوم الدولة وبين الثبات على الإسلام؟ أقول بكل ثقة: نعم، فالأمر ليس مستحيلاً ولا عسيراً، ولكنه يتطلب فهماً وإدراكاً ووعياً وقراءة لأفكار الآخرين وما يدور في عقولهم، لنصل إلى ما نريد، دون أن نعطي للخصوم والمتربصين فرصة أو ذريعة للانقضاض علينا، والنيل من مشروعنا الإسلامي، والتهجم عليه، والتشنيع به تمهيداً لإفشاله وهدمه.

لم يعد في تقديري مقبولاً أن يقف المسؤول الأول وأصحاب القرار في الدولة في التجمعات الجماهيرية والمهرجانات والمؤتمرات الصحفية، ليرفعوا سيوفهم أو بنادقهم أو عصيهم، ويقولوا بأصوات

مدوية: نريد تطبيق الشريعة، نريد إقامة الدولة الإسلامية، وإننا لن نتساهل في هذا الأمر، ولن نتراجع عنه، ولو كلفنا حياتنا.

والسؤال الذي يطرح نفسه ويدور في خلد كثيرين، وتتحرك به ألسنتهم: من يمنعكم من تنفيذ ذلك، وأنتم في السلطة، إن كنتم قادرين على ذلك ليكون الإسلام واقعاً حياً دونما إحداث استفزاز أو ضجة؟ وإذا كان الظرف غير موات، فلماذا هذه الإثارة، وهذا التحدي للقوى المتربصة التي تضع أصابعها على الزناد؟ وإذا كان الأمر يحتاج إلى وقت ومراحل، فلماذا لا نباشر تطبيق ما يمكن تنفيذه دون ضجيج أو عجيج أو الانجرار إلى صدامات ومعارك ليست من صالحنا في شيء؟ نستطيع أن نخاطب العالم كله، وشعبنا في مقدمته، بكلام ننفذ منه إلى ما نريد دون أن نمكن المتربصين من نفث سمومهم، ليستطيع المسؤولون أو ذوو القرار أن يتفقوا فيما بينهم على صيغ وتصريحات وبيانات وأجوبة للصحافة ووسائل الإعلام الأخرى نغطي بمفرداتها كل ما له صلة بالحياة العامة من سياسية واقتصادية وثقافية وفكرية وإدارية ودولية.. إلخ والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، من ذلك: نهدف إلى تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص بين المواطنين جميعاً بصرف النظر عن أي انتماء في العرق أو المعتقد، فالحرية للجميع دون استثناء، كفالة حرية التعبير لأبناء الشعب جميعاً، إشاعة العدل بين المواطنين، لا فرق بين شمال وجنوب، أو شرق وغرب، العمل الدؤوب على رفع مستوى المعيشة، وتأمين حاجات المواطنين في معيشتهم وسكنهم وعلاجهم

وتعليمهم، تشجيع القطاع الزراعي، وتمليك العازمين على إحياء الأرض واستثمارها، تخفيف العبء عن المواطن في مجال الضريبة والمرافق الأخرى، الارتقاء بمستوى المرأة، لتلحق بالمكانة التي كانت عليها المرأة العربية المؤمنة أيام عائشة وحفصة والخنساء وخولة، والعالمات في كل فنون المعرفة، ولاسيما في الأدب والفقه والحديث والطب وغيرها، الديمقراطية والحرية والتعددية والإصغاء إلى الرأي الآخر من مقومات حياتنا السياسية، التأكيد على بث مكارم الأخلاق والآداب العامة على أساس الأمانة والصدق، وإنجاد الآخرين، ومد يد العون للجميع، الارتقاء بالتعليم ليواكب التطورات المعاصرة، ويستجيب لكل دواعي النهضة والتقدم والازدهار، إقامة أفضل العلاقات والصلات مع أشقائنا وجيراننا والدول الصديقة، كبيرة وصغيرة، لإشاعة الأمن، واستقرار الأوضاع في الوطن العربي، والعالم الإسلامي، والعالم الثالث على أساس الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة. . إلخ.

من اليسير أن نتعامل مع عشرات بل مئات الصيغ التي لا تنطوي على استفزاز أو تخويف أو إشاعة التوتر والفرقة والعداء أو الصدام مع الآخرين. إن الشعارات الحادة لم تعد مجدية، والسياسة الناجعة أو السياسيون البارعون يتجنبونها في أقسى الظروف، وأحياناً في ظل الحروب، ويحتفظون بخط الرجعة، وتصليح الأمور دون اللجوء إلى قطع الطريق أو كسر الجسور، ورب قائل يقول: إن بعض التصريحات حول الثبات على المبدأ، والتأكيد على تطبيق الإسلام

ترمي إلى تطمين الأكثرية المؤمنة القلقة على مصير الدعوة، وهذا وارد ومفهوم، وإذا اضطررنا أن يكون بين فترات متباعدة من جهة، ويصدر عن غير رئيس الدولة أو نوابه مثل وزير الإعلام أو الثقافة بكلام هادئ وعبارات مصطفاة، ومنطق عذب حسب التوجيه القرآني ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ و﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ و﴿فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا﴾ و﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾.. إلخ، فالرئيس ومن ينوب عنه لجميع المواطنين، مسلمين وكتابيين ووثنيين، وهو المرجع الأخير لفض النزاعات، وحل الخلافات، فيما يشجر بين المواطنين، وهو المصدر الأعلى والأخير لتطمين أبناء الشعب بأسرهم.

د- هذه المرحلة بالغة الدقة والخطورة:

في تقديري أن الأيام المقبلة صعبة وخطيرة، وأن المعركة المقبلة من أعقد المعارك في تاريخ الوطن، بل هي أشد عسراً من المعركة العسكرية التي استغرقت عشرين عاماً دون جدوى، معركة المستقبل القريب عقائدية وأيديولوجية وفكرية وثقافية وحضارية.

النائب الأول في الاتفاقيات المبرمة مع الجنوبيين المدعومين من قوى قوية وحاقدة، إنه يأتي متحفزاً للبرنامج -الأجندة- الذي يحمله تحت إبطه. فهل لدينا برامج أو خطط نواجه بها بأسلوب سياسي وحضاري راقٍ دونما نكث أو توتر؟ المعركة هذه حاسمة، فإما أن يبتلع الجنوب ومن يسانده الشمال، وإما أن يكون فتحاً مبيناً للقارة السوداء كلها، فهل نحن مؤهلون لذلك؟ أخشى وأضع يدي على

قلبي أن يكون استعدادنا ضعيفاً ودون الطموح، لأن الكثيرين من أبناء الدعوة، ومن يُعَوَّل عليهم في هذا الشأن منشغلون بالتجارة والشركات والربح والتطلع إلى الوظائف والمواقع الحكومية مع ضعف أو خور في الحياة الروحية والأخذ بالعزائم والصلة الدائمة بالله، والتي لا يجوز فيها للدعاة والمخلصين والمجاهدين أن يضعفوا أو يفتروا حتى في أشد الأوقات والظروف حرجاً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

هـ- العمل السياسي والنشاط الدعوي:

الذي أراه هو فصل العمل السياسي عن النشاط الدعوي، بقصد التخصص وتوزيع المسؤوليات، كي يتقن كل فريق المهمات التي توكل إليه، وليس من باب فصل السياسة عن الدين كما قد يتبادر إلى ذهن البعض، فالصحابة الذين حملوا راية الإسلام، وأبلغوها للبشرية كافة، تخصص كل فريق أو كل فئة بأمر تحملوا مسؤوليته، فأبو هريرة وعائشة وعبد الله بن عمرو عملوا في موضوع الحديث الشريف وعلم الرواية، وخالد وسعد والمثنى انصرفوا إلى العمل العسكري وقيادة الجيوش وفتح الأمصار، وابن عباس وأبي بن كعب اشتغلوا بالتأويل والتفسير وعلوم القرآن، وهكذا ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾.

أرى أن يفرغ المؤتمر الوطني للشؤون السياسية بضوابط دقيقة من حيث التصريحات والأداء والحوار داخلياً وخارجياً، وأن تتلقى كوادره دورات مكثفة ومركزة، يقوم عليها فريق عُرف ذووه بالخبرة واللباقة

والحذاقة وضبط اللسان، وبُعد النظر، والسيطرة على الخواطر، والشعور بالمسؤولية، وعدم الانجرار إلى ردود الفعل الحادة التي تكلف الدولة والحكومة والوطن خسائر كبيرة، وأخطاراً لا يعلم إلا الله مداها.

وأن تتفرغ الحركة الإسلامية للعمل الدعوي دون أن تخوض في غمار السياسة كي تشق طريقها مهما كان وعراً، وأن تخترق الحواجز في تبليغ الدعوة وجذب غير الملتزمين وغير المسلمين إلى رحابها، وعلى أن يكون برنامج الحركة الإسلامية على ثلاثة محاور:

- **إحياء رسالة المسجد** طبقاً لبرنامج مدروس كي يعود مصدر الهداية والتكوين والتربية والإشعاع، وتخريج الورعين والزاهدين والدعاة، لينطلقوا بهذه الروح الربانية والصدّيقية كروح يسري في وأوصال الأمة كلها فيحييه بالقرآن، ولسان حالها يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد   إلا الهدى وعمل الرشاد

ولا أعني بذلك الخطب والخطباء، فلدينا في هذا تجربة طويلة، فقد كان دعاة بلاد الشام كالسباعي والحامد وكثيرين يخطبون بكلام كالسحر، ويستفزون أبناء المدن الكبرى بالألوف، ثم يتلاشى تأثيرهم بعد وقت قصير، كما يتلاشى بخار الماء الذي صعد تحت تأثير الحرارة المرتفعة، ثم لا يبقى منه شيء.

المهم هو تكوين مجموعات على نار هادئة، وتخريج الدعاة المخلصين من الحلقات العلمية والربانية التي تتلقى توجيهاً عالياً

وسامياً يأخذ بالعزيمة والتجرد، ومثل هؤلاء يحدث بهم التغيير والنهوض، كما حدث مع العارف الكبير بالله عبد القادر الكيلاني والجنيد وابن قيم الجوزية رحمات الله عليهم، وأرى أن لا أمل من أي نهضة روحية، أو انبعاث رباني قادر على التأثير والجذب قبل أن تعود للمسجد رسالته.

- **الزحف دعوياً -لا سياسياً-** على الجنوب، كما يزحف الجنوبيون -هجرة وسياسة- على الشمال، مع الحذر الشديد من الخوض بالأمور السياسية، سواء كان بالانتخابات أو الجدل، أو تسفيه آراء الآخرين، كيلا نعطي أي ذريعة للآخرين من خصوم وجنوبيين وغير مسلمين للردود الحادة، والدخول في صدامات تعطل مشروعنا الدعوي، وتشغلنا عن نشر الدعوة والرسالة، وعن تأليف القلوب.

- **توعية الجماهير والقطاعات الشعبية عامة**، وتعبئة المواطنين بالهداية الربانية والمحمدية، ولغة الحب الخالص في الله، عبر المؤسسات والمناسبات والدراسة المستفيضة في التزكية والسلوك، ومثل هذه المهمة لا يستطيعها إلا المؤهلون لها ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ ولا أعني بذلك الخطابة والخطباء -كما ذكرت من قبل- فهم كُثر، ولدى البعض منهم قدرات فائقة في البيان، وفي زلاقة اللسان، بيد أن تأثيرهم سرعان ما يتلاشى أثره بعد وقت قصير.

إن العبد المؤمن القادر على التأثير والنهوض بهذه المسؤولية العظيمة هو الذي طهر قلبه من الشوائب، كالتعلق بالدنيا، وحب

الجاه، والشهرة، والشهوات، والثروات، حتى لا يبقى في قلبه ما يشغله عن الله، بل يملأه بالتجرد والإخلاص، ومخافة الله ورجائه ومحبته، وجعل الموت واليوم الآخر نصب عينيه، لا يغيب عن خاطره، والسيطرة على لسانه فيما ينطق به ويلفظه ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ والورع فيما يأخذه وما يدعه، والزهد بكل الزخارف الفانية، وبالدنيا برمتها، فهي لهو ولعب وغرور، وليس زهداً في الحرام فقط، بل بكثير من صنوف الحلال، كما قال الشيخان أبو بكر وعمر. ثم يروض نفسه على الصبر الذي هو نصف الإيمان، ينتقل إلى جنة الرضا والتسليم بما يقدره الله عليه، ويرضاه له، ثم يرتقي إلى مقام الشاكرين، ليكون قد اجتاز مدارج التزكية، واستكمل أسبابها، وارتقى إلى مقامها القرآني ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾. وعندئذ يكون قد أصبح مؤهلاً للسير في طريق السالكين، في الذكر والورد القرآني وصيام النافلة، وقيام الليل والتهجد، وإسعاف من حوله من أبناء المجتمع، والأخذ بيد الضعفاء والفقراء والمعوزين، وتطهير المجتمع من النقائص والرذائل، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأسلوب مؤثر، ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ثم ينتهي الأمر بالسالك إلى مقام المجاهدين في سبيل الله، بكل الضوابط الشرعية والعقلية والسياسية، مراعياً في ذلك دقة الظرف وأدب الوقت «لم أومر بقتال».

ولكن هل تتحقق هذه البرامج والمناهج بالتمني والكلام والخطب والحوارات؟ والإجابة الوافية: لا، فلا مناص من دورات تدريبية

وترويضية تستغرق أشهراً، تقوم على أمرها ثلة من ذوي القلوب الكبيرة التي تقدم النموذج الذي يُقتدى، وتمر بها كوادر الحركة الإسلامية فوجاً إثر فوج، ينفذون التعليمات والتطبيقات بهدوء، وبعدٍ عن الضجيج والأضواء، حتى إذا استكمل كل فريق عدته في التزكية والسلوك انطلق إلى دروب العاملين لأداء واجبه في المهمات التي أوكلت إليه.

تحدث أحد العارفين الكبار وهو محمد بن المنكدر في معاناته في السيطرة على نفسه وخواطره، فقال: كابدت نفسي ٤٠ سنة حتى استقامت، وقال آخر وأظنه عبد القادر الكيلاني: قدت نفسي فترة طويلة وهي تبكي -مكرهة- ثم قدتها وهي تضحك -طائعة-، وكان بعضهم يتحدث ساعات فلا يترك في نفوس السامعين الأثر المنشود، وكان بعضهم إذا بدأ بالبسملة، فاضت العيون بالعبرات، وهذا حال الربانيين الصادقين الذين تعلقت قلوبهم بالله، ولم تعد تلتفت إلى سواه.

هذا الموضوع يشغلني، ويستغرقني منذ حوالي عقدين، حتى أعان الله على إنجاز كتاب: في التزكية والسلوك، والفقير إلى رحمة ربه وعفوه يقدم نفسه للمشاركة في تنفيذ هذا المنهج مع الذين يشرفون على تنفيذه، مهما تطلب ذلك من وقت وجهد، والله المستعان.

لا يعني الفصل بين العمل السياسي والنشاط الدعوي أن يسير كل باتجاه بعيد عن الآخر، بل يتمم كل منهما الآخر، فالعمل السياسي يحمل واجهة سياسية مبرمجة، وينطوي على روح دعوية، والنشاط

الدعوي يحمل واجهة دعوية بينة، ولكنه ينطوي على إدراك سياسي، ويصب في خانته تلقائياً في بناء الدولة والمجتمع عبر الانتخابات، ودعم الكيانات والمؤسسات دون أن تحسب عليه، أو يواجه بها، كيلا تؤثر على المسيرة الدعوية التي لا يستطيع عدو أو خصم أن يتصدى لها، أو أن ينكرها على ذويها طالما أنها لا تنافسه على البرلمان أو الحكم أو السلطة أو الجاه.

و- مقترحات في الاقتصاد:

النظام الرأسمالي ظالم في معظم جوانبه، والنظام الاشتراكي فاشل في أكثر تطبيقاته، فالأول مبني على الطمع البشري في الإنسان الذي لا يملأ عينه إلا التراب، والثاني بسبب تسلط الأحزاب الشمولية، والمتنفذين على المؤسسات والمشروعات المؤممة لينهبوها، ويهربوا المليارات إلى البنوك في العالم الإمبريالي -حسب تعبيرهم وثقافتهم- الذي يحاربونه.

كان الشيوعيون يسقطون كل فشل يُمْنون به على الإقطاع والبورجوازية، وبعد أن صفا لهم الجو، وأمسكوا بناصية الحكم، ولم يبق من أثر في مجتمعاتهم للإقطاع ولا لرأس المال، واستمروا في الحكم زهاء سبعين عاماً، دونما منافس أو معارض، استبان بعد سقوط المنظومة في الاتحاد السوفياتي، وفي أوربا الشرقية، أن دهاقين الشيوعية قد ملأوا أيديهم وجيوبهم وبنوك الغرب بالمليارات التي نهبوها من أقوات الشعوب التي زعموا كذباً وزوراً أنها هي الحاكمة، أو أنهم يحكمون باسمها وبتفويض منها.

والذي أراه وأقترحه أن نعمد إلى نظام التمليك بضوابط الشرع والعدل، مبرأة من الاستغلال والمراباة والغش والاحتكار وما إليها.

لقد أوحت لي زيارة المؤسستين العتيدتين في أجياد والمصفاة، وما رأيته فيهما من إنصاف للمهندس والعامل، ومن رعاية صحية وتعليمية وترفيهية، ورواتب مجزية أو مناسبة، وعلمت أن تكاليف كل مشروع قد بلغ حوالي ثلثي مليار دولار، وأنه في طريقه لتسديد تكاليفه، فبدا لي أن يتحول كل مشروع منهما، ومشابه لهما إلى أسهم يقدر كل سهم بدولار أو عشرة دولارات حسبما يقدره ويرسمه المختصون، ويطرح للبيع، على أن تكون الأفضلية للعاملين بالمصنع من مهندسين وعاملين، وأن يوضع حد أعلى لتملك الأسهم للمهندس ثم للعامل، كيلا تسيطر فئة صغيرة على المشروع، وأن يكون له مجلس إدارة تمثل الفنيين والعاملين حسب نظامٍ ولائحة لإدارة المشروع، وأن يقتطع ثمن الأسهم من رواتب الذين تملكوا الأسهم على فترات مريحة بمعدل ثلث الراتب أو ربعه أو خمسه حسبما تقدر الدراسة التي يعدها مختصون، وأن تنفق هذه الأثمان على مشروع مماثل أو مشروعات أخرى، فلا تمضي فترة، حتى يكون المهندسون والعاملون مالكين بما دفعوه من رواتبهم، فيزول التناقض بين المالك -الدولة أو الرأسمالي- الذي يحرص على جَني الأموال من الربح على حساب العامل أحياناً، وبين العامل الذي يحاول الحصول على دخول مجزية عن طريق المطالبة الدائمة والإضرابات، دون أن يكون لديه الحافز على زيادة الإنتاج، لكنه بعد

التملك يعمل بإخلاص وحماسة، لأنه شريك في ملكية المشروع أو المصنع أو المؤسسة، سواء أكان ما يتقاضاه من دخل، أو بما يملك من أسهم، ستعود عليه بالنفع فيما تحققه المؤسسة من نجاح وربح وتقدم.

هذه السياسة الاقتصادية في التمليك، تنهي الصراع والتناقض بين الطبقات أو الفئات، وتزيد الإنتاج، وتنهض بالمؤسسات الاقتصادية والمنشآت، ويتيح للدولة إقامة مشروعات كثيرة، تنشئها، وتستعيد تكاليفها، ثم تعمد إلى تمليكها، ثم تنشئ مصانع أو مؤسسات أخرى جديدة -حسب حاجة المجتمع، وما يقتضيه تطوره وازدهار واكتفاؤه- بالمبالغ التي استلمتها ثمناً للأسهم وملكتها حسب الضوابط المنوه عنها. وسياسة التمليك هذه تتفق والفطرة التي فطر الله عباده عليها، والغرائز التي أثبت علم النفس وجودها في تركيب النفس البشرية، وإحداها غريزة التملك.

إن انشغال الدولة في تملك المشروعات بصورة دائمة، وبالإشراف المباشر على الكبير والصغير فيها، يصرفها عن أمور جوهرية في الحكم، وينتهي بها إلى ما انتهى إليه الحكم الاشتراكي الذي ينكر ذووه الطبيعة البشرية والفطرة التي فطر الله الناس عليها، زاعمين أنها من بقايا رواسب الحياة البورجوازية.

هذه أفكار موجزة، تستدعي حوارات موسعة ومفصلة بين المعنيين والفنيين، لقبولها أو رفضها أو تعديلها ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

والحمد لله في الأولى والآخرة، والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، والله ولي التوفيق.

٣ محرم ١٤٢٦ الموافق ١٤-٢-٢٠٠٥

الفقير إلى عفو ربه وغفرانه

عدنان سعد الدين

٨- لم يكد ينقضي شهران على تقديم المذكرة التي ورد ذكرها وتفاصيلها، حتى أتبعتها بمذكرة أخرى، تناولت تفصيلات جديدة، وتقاطعت مع بعض الأفكار في المذكرة السابقة، غير أنها تحتوي على خطوات وبرامج إجرائية فيما يخص التنفيذ والتطبيق، كما أنها تنبه إلى مخاوف يمر بها السودان من مكائد وأخطار، يبيت له من داخله ومن خارج حدوده، وقد تقدمت بهذه المذكرة الثانية -شأن التي سبقتها- إلى السيد النائب المعروف بفطنته ودقته ومتابعته للموضوعات ذات الصلة بمصير العباد والبلاد، والصبر على ذلك صبراً يذكر بصبر سيدنا أيوب عليه السلام.

وهذه مقتطفات تشمل معظم ما احتوته هذه المذكرة من أمور تم التنويه عنها.

أ- فمنذ أكثر من شهرين تركت السودان، والبال منشغل به خشية أن ينال منه الكائدون والمتربصون في داخله ومن خارجه، والحاقدون عليه، تركت السودان مشفقاً على شعبه من موجة الغلاء التي تجتاحه، وتكاد تطحنه، ولاسيما أبناء الطبقة الوسطى في السكن والغذاء

وغيرهما، تركت الخرطوم والخوف يملأ القلب على المسؤولين في الإدارة السودانية من مديرين وموظفين في الوزارات والإدارات والمؤسسات والشركات والمكاتب من طغيان حب الدنيا على أكثرهم، واستغراقهم في الاهتمام بالمال والمنصب والسيارة والعمارة والجاه وحب الشهرة، قائلاً لنفسي: إذا أصيبت التجربة السودانية بأي نكسة أو فشل، وقد هيأ الله تعالى لها الأرض الواسعة الزاخرة بالكنوز، والفئة التي التزمت بمنهج الإسلام ورفع رايته، وبهدي المصطفى ﷺ، وسارت على خطاه، والتي عرفت بالصبر والحكمة وطول الأناة، أفلا يكون ذلك مدعاة لتحطيم آمالنا -نحن أبناء الإسلام- وإغراقنا في لجج اليأس والقنوط؟!

بعد شهرين من التأمل داخل النفس والحوار مع الذات تبلورت في خلدي مقترحات ربما كانت نافعة لمن كان له قلب مطمئن ذاكر، أو ألقى السمع وهو شهيد.

وإذا لاقت الفكرة التي تقدمت بها في مذكرتين سابقتين، والتي ترمي إلى انصراف الحركة الإسلامية في السودان للعمل الدعوي بكل جوانبه، وأخص بها: إحياء رسالة المسجد، وتوعية الشعب بكل الوسائل المتاحة، وإسعافه بما يعينه على مواجهة الظروف المعاشية الصعبة، والتحرك في الجنوب بعيداً عن الأنشطة والطموحات السياسية مهما كانت المغريات، والنأي عن الصراع حول الوزارة والنيابة والولاية وغيرها، وترك ذلك للمؤتمر الوطني، وكلا النشاطين يصب في المربع الآخر، فالحركة الإسلامية ترفع راية العمل

الدعوي، وتنطوي في أهدافها البعيدة على المحصلة السياسية، أو تكون هي إحدى ثمراتها، والمؤتمر الوطني يرفع علم البرنامج السياسي وينطوي على العمل الدعوي، فكلاهما يتمم عمل الآخر ويكمله.

وفي هذه المفكرة أقتصر في البحث على رسالة المسجد المبرمجة، لأن ما عداها يأتي امتداداً وثمرة لها.

ب- منذ أشرقت شمس الإسلام على البشرية، كان المسجد مبعث النور والهداية، ومركز البحوث والعلوم، ومعهد التربية والتزكية، وعرين المجاهدين الذي انطلقت منه رايات الجهاد والفتوحات، والمقر الدائم لأبناء المجتمع الذي تنصهر فيه جموعهم في وحدة إيمانية متآخية ومتعاونة ومتكافلة، كما كان المسجد ساحة للقضاء والحكم بما أنزل الله، وإبرام عقود الزواج، وغير ذلك من كل ضروب الأنشطة والفعاليات الاجتماعية وغيرها.

إن مشروع أو برنامج التزكية الذي تقدمت به إليكم والذي استخلصته من حياة العارفين والربانيين الذين كتب الله على أيديهم النهوض بالأمة وتربية أبنائها، وحمايتها من أعدائها، بدءاً من الحسن البصري رحمه الله رائد منهاج التزكية والسلوك، ووصولاً إلى حسن البنا مجدد الإسلام في القرن الرابع عشر الهجري، دونما إيجاز مخل بتحقيق الغاية، أو إطناب ممل لا يستطيعه إلا المختصون الكبار دون سائر الناس.

وإذا كان محور العملية التربوية هو المعلم، فإن محور الرسالة

المسجدية هو العالم أو الشيخ أو الإمام أو المصلح الذي يجسد في كلامه وعمله وسلوكه وروحه هدي المصطفى ﷺ، والذين اتبعوا نهجه من الأولياء والصديقين من أمثال الحسن البصري والمحاسبي والقشيري والجنيد البغدادي والغزالي والكيلاني وابن تيمية وابن قيم الجوزية، ومئات من أمثالهم، هيأتهم العناية الربانية للأمة الإسلامية في عصورها وأمصارها ليكونوا ورثة النبوة في أداء الأمانة، وتبليغ رسالة الله إلى خلقه.

ولكن من أين نأتي بأمثال هؤلاء الرجال الأفذاذ في عصر تُغرق الموجة المادية الناس بمن فيهم شريحة من المتدينين إلا من رحم الله؟

ولذا فلا مناص من التفكير الواقعي والعملي والممكن تنفيذه كي لا يضيع الوقت والعمر في الأحلام والأوهام.

حـ- أرى أن نخصص في كل ولاية من ولايات السودان مسجداً ذا أهمية في مكانته ومكانه في مركز الولاية من حيث الموقع والبناء والمرافق، وأن تخصص في العاصمة المثلثة ثلاثة مساجد، فيكون المجموع ثلاثين مسجداً، نختار لها أرباب القلوب الكبيرة -قدر الممكن- والهمم العالية، والعزيمة الصادقة، يمنحون رتبة وزير أو وكيل أو مدير عام، وتخصص لهم رواتب مجزية ومنزل مريح وسيارة، وغير ذلك، ليتفرغ للمهمة الكبرى التي سيناط به أداؤها، ثم تحدد له برامجه ومهماته التالية.

- يؤدي الواجبات التي يضطلع بها أئمة المساجد في السودان من

إمامةً وتدريساً، وإلقاء خطبة الجمـعة، وإفتاء المصلين ورواد المسجد عما يسألونه ويستفسرون عنه.

- يختـار مـن أبناء الـولاية، أو يُخـتار لـه -وهو الأجدى- عـدداً يتراوح بين عشرين وخمسة وعشريـن من الأذكياء والأتقياء ليعايشهم، ويدربهـم، ويأخذ بأيـديهم، تأديبـاً وتعليـماً وتـرويضاً وسلـوكاً طبـقاً للمنهاج الذي يتناول التزكية مـن كل جوانبها، والذي أعانني ربي على وضعـه، وضمَّـه كتاب فـي التزكـية والسلـوك، على طريق الـخلوة أو المرابطة كما كان يفعل المهديون والسنوسيون، بمنطق العصر ووسائله المتـاحة والمتـطورة، يستمـر فيهـا المريد أو التـلميذ مـدة لا تقل عن ثلاث سنوات إلى خمس سنوات دأباً، لا تقطعها إلا إجازات محدودة لأيام يزور فيها التلميذ أهله، ثم يعود ليستأنف سيره.

تقوم هـذه الثلة أو المـجموعـة بعد أن يتأكـد إمامهـا من نجاحـها وسيطرتهـا على نفوسها، وتحـررها من الرغبات والأطمـاع والشهوات والنـزوات والتـعلق بـالدنـيا، والـميـل إلى الشـهـرة والجـاه والمـال، والانصـراف الكامل إلى طـاعة الله، والـجهـاد والمجـاهدة في سبـيل إعلاء كلـمته، وتحـكيم شريعـته، والفنـاء في محبـته، هذه الثـلة التي يشهد لها الشـيخ أو المربي القدوة أنها اجتازت هذه الـمرحلة بنجاح، وسيطرت على خواطرهـا ونفوسها سيطرة كاملة، تصبح مـؤهلة لتبليغ دعوة الـله، ليس فـي السودان وحـده شمـالاً وجنوبـاً، بل في القـارة الإفريقية جمعاء على طريقة الداعية الكبير أحمد ديدات.

هذا العمل الـكبير تخصص له إدارة فـي أجهزة الحركة الإسـلامية

ترعاه، وتشرف على تنفيذه، وتتفقـد سيره طبقاً لخطة أو جدول يحدد عدد الجولات على هذه المساجد أو المراكز -أو الرباطات- الثلاثين، كل ثلاثة أشهر أو أربعة، لتتأكد من حسن التطبيق والتنفيذ، وتخصص لهذه الإدارة ميزانية تكافئ حركتها ومهماتها، ومتفرغون وأدوات للنقل والاتصال وغـير ذلك من لوازم التحـرك، وأنوه -كما قلـت من قبل- إلى أنني مستعد لأن أضع نفسي تحت تصرف هذه الإدارة للعمل معها في التخطيط والتنفيذ والإشراف والجولات فيما تبقى من بقية في هذه الدنيا قبيل الرحيل المحتوم.

هل ينبـغي أن ننتظـر سنوات حتى يؤتـي هذا الجهـد أكله؟ والأيام تمر، والأخطار تزداد، وإغراءات الحياة تلح على شبابنا وأبنائنا؟ وإذن لابد من عقد دورات شهرية ينخرط بهـا، ويؤتى إليها بالموظفين ذوي الأهميـة، وبالأشخاص الذيـن يمسكون بناصـية الأعمال الـمؤثرة، أو الـذين يـحـتلـون مـفـاصل ذات أثـر بـالـغ في الـوزارات والإدارات والمؤسسات والـمشروعات والأجهزة.. إلخ، ليلحـقوا بهذه الدورات المـتـتـابعـة. وهذه الدورات وإن لم تـبلغ الـغاية مـما ورد فـي الفقـرة السـابقة، إلا أنهـا تخفف مـن ضغوط الإغـراءات الحيـاتية في الـمال والجاه، وتـحرك في النفـس عوامل الخـير والتقـوى والبر الراكـدة في الأعمـاق، وتشعل في القـلـب نار الخوف مـن الحي القيـوم، والرجاء برحمته وعفوه، فيكون لذلك بـعض الأثر الحسن في التزكية والسلوك وأداء الأمانة وكـبت روح الطمع والتعلـق بالدنيا دار المتـاع والغرور، وتضـيق الخـناق على الـفسـاد المـالي والإداري المـستـشري فـي كل

بلادنا، وأأسفاه، وحبذا لو تكـررت هذه الدورات شهراً أو بعض شهر من كل عام كما تفعل الجيوش للجـنود كيلا يهملوا أو ينسوا التدريب الذي تلقوه من قبل على حمل السلاح.

د- والخـلاصـة: إن إحيـاء دور الـمسـجـد، وتفـعيـله فـي حيـاة المـسلمين تـشمل: صناعـة الرجال والـدعاة، وتكوينـهم، وتربيتـهم، وتزكـيتهم، تـمهيـداً لدفعـهم إلى السـاحات كافـة، كمـا تشمل إقـامة الدورات الشـهرية أو بـعض الشهـرية، لتـحصـين رجال الدولـة وقادة المجتمع، ليكونوا عامل ارتقاء ونهوض، وتثبيت للأمة في مسارها أو سـيرها إلـى الله، شـأن الجبـال في توازن الأرض أن تـميـد بأهلهـا، بالإضافة إلى الأعمال المعهـودة من إمامة وتدريس وخطابة وإفتاء وما يتبع ذلك، ومن المفيد للغاية، بل ومن الواجب تشكيل حلقات فقهية للجـميع ينضم إليـها -اختـياراً- الراغبـون من رواد المسجـد، وإلزاماً للمـرابطين الدائمـين، وأبناء الدورات الـمؤقتيـن للتمـييز بيـن الحلال والحرام، ولمعرفة وفهم سائر الأحكام.

وأخيـراً، فإن الإدارة المشـرفة على هذا العـمل الجليل تـبادر إلى إصلاح أي خـلل يشوب أو يـضعف هذا المـنهاج من خـلال التطبـيق والتنفيذ عبـر الإشراف والجولات، عندما تكتشف أن إمامـاً غير جدير بهذه المـسؤولية لتغيـيره، أو طالباً يغلـب على طبعه الفسـاد أو الفشل لإبعاده واستبداله.

في الساعات الأخيرة من زيارتي للسودان، قلت للسيد النائب:

إن أزمة الغلاء تطحن شريحة واسعة من السودانيين، ولاسيما أبناء

العاصمة الذين يشكلون شطراً كبيراً من سكان القطر، فبادرتم إلى القول: ادع الله لنا أن يعيننا في التغلب على هذه الأزمة، وهذا يعني أنها خارج السيطرة، وأنها مستحكمة وأنها تشغل حيزاً كبيراً من اهتمامكم وهمومكم، وهذا أمر متوقع بعد زحف شركات البترول والمشروعات الكثيرة إلى السودان، وما تملكه من رساميل كبيرة، ليس بمقدور السودانيين منافستها ولو كانوا من أهل السعة والثراء. تأتي في طليعة هذه الأزمة أسعار العقارات وأجورها، وكذا أسعار المواد الأساسية كالطحين والسكر واللحم والسمك، فليس بمقدور الفقراء وأبناء الطبقة الوسطى منافسة الشركات، فشركة البترول والشركات المماثلة تستطيع استئجار العمارة ذات عشرات الشقق بكاملها ودفع أجورها بملايين الدولارات، فمن الذي يستطيع مجاراتها من الموظفين، بمن فيهم ذوو الرواتب المجزية للعثور على السكن المناسب؟!!

أما أسعار الغذاء فقد صارت فلكية، فكيلو سمك العجل يساوي في السعر بضعة وثلاثين ألف جنيه سوداني، وهو الذي يصطاده السودانيون من النيل الذي يجري من تحت أقدامهم، وسعر كيلو لحم العجل أو الضأن يبلغ بضعة عشر ألف جنيه في بلد يملك أكبر ثروة حيوانية في العالم، أما سعر كيلو السكر، فإنه يزيد أكثر من خمسين بالمئة على مثيله في الأردن الذي يستورده، ويضيف عليه ضريبة مرتفعة غير مباشرة، وكذا حال الطحين والأرز وغيرهما.

ربما يكون لهذا أسبابه من التضخم والطفرة الاقتصادية بعد ظهور

البترول، والتهريب إلى دول الجوار، وما إلـى ذلك مما يحيط بمعرفة تفـصيلاتـه الاقتـصـاديون والمـاليـون والمـعنيـون، ولكـن هل نتـرك المواطنين ينـوؤون تحت كابوس الغلاء وكلكله عـشر سنوات أخرى؟ لابد من التفكير الجاد بحل الأزمة أو التخفيف من وطأتها وقسوتها.

هـ- ولنكتف بالحديث الموجـز عن أزمة السكن وأزمة الغذاء، إذ ليس في الـمنظور القريـب حل أزمة السكـن لأن الطلب عليـه شديد، يفوق الـعرض ويزيد عليـه، وبهذا الصدد أذكـر بما لجأت إليـه بعض الحكومـات حيث خـصصت ضاحـية من ضواحـي العاصمـة للبعـثات الدبلوماسية، وضاحية للشـركات، وأقطعت كل سفارة أو شركة قطعة أرض تبنيها أو تستأجرها، أو تـنشئ الحكومة عمارات وفللاً أو منازل تقوم شركات البناء بـتشييدها، ثم تؤجرها للسفـارات والقنصليات وما إليهـا بأسعـار تغطي تكالـيفها بـفترة قـصيرة، ثم تـشكل دخلاً مـجزياً للدولة بعـد سنوات قليلة، فإذا توقـفت البعثات والشـركات عن طلب العـقارات في داخل الـعاصمـة، انخفـضت الأسعـار، وعادت لسـابق عهدها أو بزيادة معقولة.

أما أسعار الغذاء لاسيما اللحم والسمك والسكر والطحين وفاتورة الكهرباء فـهي فادحة ومرهقة للمـواطنين، وهي أعلى من مثيلاتها في الأقطار العربية، وربمـا كان تخفيضها أمراً عسيـراً لأسباب مرَّ ذكرها، ويطول شرحهـا، فلا مناص، والحال هكذا، من دعم الحـكومة لعدد من المـواد الرئيـسيـة في حيـاة المـواطنين، وأخـص اللحم والـسكر، فـاللحم يـغني عن الـسمك، والـذرة تردف الطحـين، ولا أتصـور أن

الدولة تعجز عن تأمين هاتين المادتين -اللحم والسكر- في العاصمة عن طريق البطاقة، ومتعهدي اللحوم، ليستلم المواطن أو العائلة حصة كل أسبوعين، أي مرتين في الشهر من المتعهد في الحي بالسعر المنخفض، وتستلم العائلة حصتها من السكر على رأس كل شهر، وبالمقدار الذي يحدده العارفون بطبيعة الاستهلاك، وحبذا تخفيض أسعار الكهرباء، مهما كان تحمل الدولة، تخفيفاً عن كاهل المواطن الذي أرهقته فاتورة الكهرباء بسعرها الذي يفوق أمثاله في جميع البلاد العربية، وأن لا تنتظر كثيراً، حتى يكتمل مشروع الكهرباء فيه، بعد أن قيل إنه سيعمل كاملاً عام ٢٠٠٧ وإذا بعام ٢٠٠٩ يأتي ليعمل طوربينان من عشرة، وإذا بالكهرباء تنقطع وتسبب أضراراً بالغة للمواطنين.

و- أنهي هذه المذكرة بعدد من الملحوظات، فأذكر الأولى متسائلاً:

هل الذي ذكرته ضرب من الأوهام والأحلام؟

وهل يجيء هذا النصح تغريداً خارج السرب؟

وأنني لا أدرك الواقع الذي لا يحيط به إلا رجال السلطة وحدهم؟

وهل الدولة عاجزة عن معالجة هذه الأزمات في حدها الأدنى الذي ذكرت؟

ربما، غير أنني أشير إلى نصح الفضيل بن عياض لهارون الرشيد عندما رآه يسعى، فقال له:

- يا هارون: ارق الصفا.

قال: فعلت.

قال الفضيل: كم عدد هؤلاء؟ (وأشار له إلى مجموع الحجيج.)

أجاب هارون: خلق كثير.

قال الفضيل: كم عدد المسلمين؟

قال الرشيد: عدد لا يحصيه إلا الله.

فقال الفضيل بن عياض: كل واحد منهم مسؤول عن نفسه، إلا أنت فمسؤول أمام الله عنهم جميعاً.

فبكى هارون بدموع سخية، فتركه الفضيل يذرف عبراته، ويمسحها بمناديل، ثم مضى.

وفي ملحوظة ثانية، نذكر أن أمريكا تناقض نفسها، فتثني على السودان، ثم تعمل على إيذائه، فما الذي تريده؟ وما هي دوافعها؟

هل الروح الصليبية التي بدت لكل ذي عينين وأذنين في سياسة الفريق الأمريكي الحاكم؟ في عهد بوش.

هل هو التحريض الإسرائيلي الذي يتخذ لنفسه مواقع عسكرية على حدود السودان أو في جواره عبر تعاونه مع حكومة أريتريا الدموية؟ ودول الجوار الأخرى.

هل الطمع الشره في بترول السودان الواعد عالي الجودة؟

هل الخوف من استقرار الحياة السياسية السودانية تمهيداً لقيادة

إفريقيا ذات الأكثرية المسلمة؟

أياً كان الأمر، فالتساؤل الوارد: هل البحث عمن يحرك العربة الأمريكية.

هل تحريض بعض المعارضين (من ذوي الكيد) للأمريكان على تغيير الحكم في السودان كما قرأت ذلك في صحيفة أردنية وسلمت للنائب وللبروفسور عبد الرحيم علي صورة عنها؟

أياً كان الأمر، فأرى أن لا تأتي التصريحات المضادة لأمريكا من السيد الرئيس حفظه الله شخصياً، بل نتعامل معها على طريق السيد النائب والسيد مصطفى عثمان بالتهوين من شأنها، وعدم المناطحة معها، مع الأخذ بالاستعداد قدر الاستطاعة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ ولتأت الردود اللينة من الناطق باسم الخارجية أو الإعلام أو أي جهة معينة أخرى.

وتأتي الملحوظة الثالثة والأخيرة حول منهاج التوعية والتربية والتزكية والسلوك الذي يرمي إلى تثبيت وتطهير القلوب، والنفوس، وتحصين الرجال والنساء من المسؤولين في الإدارة الحكومية والمجتمع في حال الاقتناع به، وإنه طريق الفوز في دنيانا، وفي يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، وفصيلته التي تؤويه، مؤكداً كما ذكرت من قبل أكثر من مرة، أنني على استعداد لتقديم جهدي المتواضع في أي مرفق من مرافقه، أو مرحلة من مراحله، سواء أكان ذلك في الإدارة المعنية في الحركة الإسلامية التي سبق التنويه عنها، أم بالإشراف المباشر للمجموعات المرشحة

والمختارة، أم بالـجولات على المراكز أو المساجـد أو الرباطات كما جاء ذكر ذلك من قـبل، أو أي عمل أضطلع به فيما تـبقى لنا من أيام في هذه الـدنيا الفـانية قبـل الرحيل الحـتمي إلى جـوار الله، سائـلين المولى أن يجعل خير أعمالنا خواتيمها، وأسعد أيامنا يوم نلقاه بقلوب سليمة تفيض بحبه وتعظيمه والتوكل عليه، وتفويض الأمر كله إليه.

والحمد لله الذي بـنعمته وفضله تتم الصـالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

٢٠-١٠-١٤٢٦هـ - ٢٣-١١-٢٠٠٥م

الفقير إلى عفو بارئه ورازقه

عدنان سعد الدين

وبالرغم من أن هـذا المجلد خاص بـالعلاقات السيـاسية لجـماعة الإخوان المـسلمين السوريـة في الثمانينيـات من القرن العشـرين، فإن العلاقات مع السودان حـالة استثنائية خاصة اقتضت أن تسـتمر العلاقة والصلة والتشاور مـعه تتمة سنوات القرن العشـرين، وفي العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، فاقتضى التنويه إلى ذلك، سائلاً المولى سبـحانه أن يحـفظ السودان ويأخـذ بنواصي أهله وقـادته إلى التـوفيق ومرضاة الله سبحانه.

❋ ❋ ❋

التجربة السابعة

مع المجاهدين الأفغان

في عام ١٩٧٩ انفجرت الثورة الإسلامية في أفغانستان، كما انفجر في نفس العام الصدام بين المعارضين السوريين، وبين حكومة الأقلية التي سطت على الحكم واستولت على السلطة عن طريق لواء في الجيش السوري قاده العقيد زياد الحريري، تاركاً الجبهة مع العدو، واتجه إلى دمشق، لتسقط في أيدي تكتل طائفي شكل له الحريري واجهة سرعان ما تم الاستغناء عنها بعد حوالي مئة يوم بعد انقلاب الثامن من آذار عام ١٩٦٣ .

في هذا العام ١٩٧٩ تمت الاتصالات بين قادة المجاهدين السوريين وبين قادة المجاهدين الأفغان الذين اتخذوا من مدينة بيشاور الباكستانية القريبة من الحدود الأفغانية مقراً لهم، فكانت الزيارات والاتصالات لا تتوقف ولا تنقطع، وكانت المشاورات وتبادل الخبرات والتعاون بين السوريين والأفغان قائمة على قدم وساق.

قمت بعشرات الزيارات إلى بيشاور، وتعرفت عن قرب إلى قادة الجهاد الأفغاني، وتكون لديّ انطباع وتقويم لكل واحد منهم، ولكل

تنظيم من تنظيماتهم السبعة التي رفعت راية الجهاد الأفغاني ضد الاحتلال السوفياتي لأفغانستان.

عندما دخلت القوات السوفياتية إلى أفغانستان لدعم الحكومة الشيوعية فيها، لم تكن حركات الجهاد الأفغاني قد ولدت، أو ظهرت على الأرض الأفغانية، فكان من اليسير على القوات السوفياتية الثقيلة أن تصل إلى قمم الجبال وسفوحها، وإلى الواحات في العمق الأفغاني. وعندما بلغ عدد مجاهدي أفغانستان مئات الألوف، لم يكن بمقدور القوات السوفياتية أن تتحرك (في بلد تشكل الجبال الشاهقة من أرضه حوالي ثمانين بالمئة من مساحته الكلية) كما يحلو لها، بل أضحت كالمحاصرة، وفي حالة لا تحسد عليها.

إن عشرات الزيارات إلى بيشاور وممر خيبر والأراضي الأفغانية أتاحت لنا أن نعيش تفصيلات الجهاد الأفغاني من كل جوانبه، وهذا موجز عن نشوء حركة الجهاد والمراحل التي مر بها.

١- بدأ الاحتلال السوفياتي لأفغانستان عام ١٩٧٩، وكان المجاهدون جميعاً في داخل أفغانستان، وعندما اشتدت الوطأة على المجاهدين، قرروا الذهاب إلى داخل الأراضي الباكستانية، والاستقرار في مدينة بيشاور القريبة من الحدود الأفغانية، وكان من رأي برهان الدين رباني، كما تقول مصادر أفغانية، أن يأخذ بالحل السياسي مع الحكومة الروسية، ولكن حكمتيار -أحد المجاهدين الأفغان الكبار- رأى الأخذ بالحل العسكري، لذلك استقطب المجاهدين الذين أخذوا برأيه، وبدأت بذلك مسيرة الجهاد الأفغاني

الذي انتهى بتحطيم الغزو السوفياتي، ومن ثم الاتحاد السوفياتي نفسه.

بذلك يكون قلب الدين حكمتيار أول من رفع السلاح في وجه الغزو الروسي لأفغانستان، وكان رباني يحمل حكمتيار المسؤولية عن الخسائر في صفوف الأفغان، غير أن قافلة الجهاد كانت قد شقت طريقها كإحدى أخطر الحركات الجهادية في القرن العشرين.

تم الإفراج عن بعض السجناء، كان بينهم عبد رب الرسول سياف المحكوم عليه بالإعدام، والذي تم الإفراج عنه عن طريق الخطأ، وسرعان ما انتقل إلى بيشاور، والتقى مع فصائل المجاهدين، ومع قادتهم مثل: برهان الدين رباني رئيس الجمعية الإسلامية في أفغانستان، وغلب الدين حكمتيار رئيس الحزب الإسلامي الأفغاني، ومولوي يونس خالص رئيس الفرع الآخر من الحزب الإسلامي، وصبغة الله مجددي رئيس أصغر المجموعات الجهادية، وسيد أحمد جيلاني رئيس الجبهة الوطنية، وهو من أصل عراقي، وثقافته غربية محضة، لأنه نشأ وعاش في الغرب، ومولوي محمد نبي رئيس جمعية علماء أفغانستان سابقاً، ورئيس حركة انقلاب إسلامي بين فصائل المجاهدين، بالإضافة إلى الأستاذ سياف الذي شكل تنظيم الاتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان.

اتفق قادة الجهاد مع سياف على الاندماج في تنظيم واحد، فتشكل الاتحاد الأول للمجاهدين الأفغان، وانتخاب سياف رئيساً له.

حاولت الدول الكبرى التدخل وتمزيق الصف الأفغاني وشراء أو

جذب بعض الفصائل، فاستطاعوا التأثير على بعضهم مثل مجددي وجيلاني، وإلى حد ما مولوي محمد نبي، فذهبوا إلى الغرب مثل ألمانيا وبريطانيا وأمريكا، فحدث رفض من داخل هذه الحركات الثلاث، فبرز مولوي محمد مير بالانفصال عن سيد أحمد كيلاني، وقام بتشكيل الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان، كما قام رجلان من حركة الانقلاب، وانفصلا عن محمد نبي، وشكل كل منهما جماعته تحت اسم حركة انقلاب إسلامي والرجلان هما مولوي رفيع الله مؤذن، ومولوي نصر الله منصور، فتمت الأمور بتشكيل الاتحاد الإسلامي لمجاهدي الأفغان على النحو التالي:

١ - الأستاذ عبد ربّ الرسول سياف: رئيساً.

٢ - الأستاذ قلب الدين حكمتيار: نائباً للرئيس.

٣ - الأستاذ برهان الدين رباني: مسؤول اللجنة العسكرية.

٤ - مولوي يونس خالص: مسؤول اللجنة المالية.

٥ - مولوي محمد مير: مسؤول لجنة الإفتاء.

٦ - مولوي رفيع الله مؤذن: مسؤول لجنة القضاء.

٧ - مولوي نصر الله منصور: الأمين العام.

سارت الأمور لبعض الوقت على ما يرام، فمجلس الشورى بأعضائه الستين كانوا على قلب رجل واحد، وكذا كان قادة الاتحاد، إلى أن دب الخلاف بينهم حول الجانب المالي، فمنهم من اتهم سياف بصرف معظم المال لتنظيم حزبه، ومنهم من اتهم التوزيع

بنسب بعيدة عن مراعاة ثقل كل تنظيم من التنظيمات السبعة، فحكمتيار يبلغ عدد تنظيم حزبه من المجاهدين ثمانين ألف مجاهد، وعدد أتباع نصر الله يبلغ عشرين ألفاً، فكيف يستلم كل منهما مقدار ما يستلم الآخر؟ واتهم مولوي يونس خالص مسؤول اللجنة المالية بأنه استلم مبلغ ٣٠ مليون باسم الاتحاد، أنفق منها ١٣ مليون روبية واحتفظ بـ١٧ مليون لم يصرح بها، بدعوى أن اللجنة العسكرية واللجنة الصحية لم تقدما كشوفاً بالمبلغ الذي استلموه!!

فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون، بل ويتهمون كالذي حدث في أحد اجتماعات مجلس الشورى.

دُعي رباني وحكمتيار إلى إيران لحضور احتفالات ذكرى الثورة الإيرانية، فسافرا دون موافقة الاتحاد كما أعلن سياف، فاقترح مجلس الشورى في غيابهما تغيير رؤساء اللجان، فلم يوافق رباني بعد عودته على التغيير، ولم يعد يحضر اجتماع اللجنة السياسية التي أسندت إليه، وكذلك الأمر بالنسبة لمولوي يونس خالص الذي ترك الاتحاد، لكنَّ تنظيمه لم يترك الاتحاد.

سافر رباني إلى فرنسا بدعوة من الرئيس الفرنسي دون أن يستأذن من الاتحاد.

سمي من جديد أسماء اللجان في الاتحاد من: أحمد شاه زي، ومولوي محمد مير، ومولوي رفيع الله مؤذن، وواحدي أحمد زي، ومولوي عبد الحي زعفراني، ومولوي سلطان عزيز، والأستاذ سيد ملا صديق.

ازداد عدد المهاجرين الأفغان إلى باكستان فبلغوا ثلاثة ملايين مهاجر، وعدد المهاجرين إلى إيران أكثر من مليون مهاجر، وعدد المهاجرين في داخل أفغانستان إلى حوالي ٨ ملايين مهاجر.

يقدر المعنيون عدد المجاهدين في أفغانستان بثلاث مئة ألف مجاهد، موزعين على التنظيمات السبعة كالتالي:

٨٠ ألف مجاهد تابعون للأستاذ حكمت يار.

٧٠ ألف مجاهد تابعون للأستاذ رباني.

٦٠ ألف مجاهد تابعون للأستاذ سياف.

٣٠ ألف مجاهد تابعون للأستاذ مولوي يونس خالص.

٢٠ ألف مجاهد تابعون للأستاذ محمد مير.

٢٠ ألف مجاهد تابعون للأستاذ رفيع الله مؤذن.

٢٠ ألف مجاهد تابعون للأستاذ نصر الله منصور.

علماً بأنه يوجد حوالي ٨٠٠ ألف غير مسلحين، كما يوجد في بيشاور معسكرات: أبو بكر، وسلمان الفارسي، وهما تابعان لسياف، ومعسكر ورسك تابع للأستاذ حكمت يار، ومعسكر خالد بن الوليد تابع للأستاذ رباني.

٢- استمر التعاون بيننا وبين الأفغان على كل الصعد، وفي كل الميادين سواء أكان ذلك في أفغانستان أو في أوربا أو في العراق، وقد جاء ذكر التعاون بين العراق والأفغان في الفقرة الخاصة بالعراق،

وبين الأفغان ومنظمة التحرير في الفقرة الخاصة بمنظمة التحرير الفلسطينية، فلا داعي للتكرار.

كانت اللقاءات المشتركة مع الأفغان، كما نوهت، مستمرة في أوربا، ومن ذلك لقاء في فرانكفورت بين وفد أفغاني وآخر سوري عام ١٩٨٤ .

كانت مجموعة الأفغان تتألف من: محمد ولي عضو الحزب الإسلامي في ألمانيا، مسؤول المكتب الإعلامي. ومن عبد الكريم بوبال عضو الاتحاد العام واتحاد الطلبة الأفغان، وعبد الكريم رئيس اتحاد المجاهدين الأفغان، ومثل الحزب الإسلامي رئيس الحزب -فرع أوربا-. وكانت مجموعة الإخوان السوريين تتألف من: كاتب هذه الأحرف، وثلاثة من الإخوة أعضاء اللجنة السورية في ألمانيا.

كان موضوع اللقاء: بحث مجالات العمل المشتركة وسبل تعميق الصلة والتعاون.

بدأت الجلسة بحديث عام عن أوضاع الإخوة الأفغان في الداخل والخارج، وعن المشكلات التي تحيط بقضيتهم، خصوصاً ما يتعلق بصلتهم بإيران، وذكروا أنهم مضطرون للتعامل بصورة دبلوماسية مع الإيرانيين مع اقتناعهم بأن الثورة الإيرانية تقف منهم موقفاً معادياً، ففي الاحتفالات الإيرانية -الفجر- دعي كل من رباني وحكمتيار، وتكلم حكمتيار ساعة ونصف، أوضح خلالها الموقف السيئ الذي تقفه إيران من الثورة الأفغانية، وشرح دور وحقيقة الثورة الإيرانية، وبالرغم من وجود عدد كبير من المراسلين والصحفيين لم تنشر

كلمته، وإنما اكتفي بنشر الخبر إذ أذاعوا فقط: بأن أحد رجال الفكر الأفغاني قد ألقى كلمته.

وفي لقاء آخر مع الصحفيين أوضح حكمتيار التعصب المذهبي الذي تنتهجه إيران. كما ذكر الإخوة الأفغان أن الحكومة الإيرانية قد نقلت مركزهم الرئيسي من طهران، واستبدلت به مكتباً صغيراً في مدينة مشهد، كما أن اللاجئين والمهاجرين الأفغان، لا يتمتعون بالمعاملة الحسنة، ولا يستطيعون الانتقال من مكان لآخر إلا بترخيص، وبسبب الحدود الطويلة التي تبلغ ٢٥٠٠ كم التي تفصل بين الولايات الأربعة المحررة على حدود الأفغان وإيران، فإنهم مرغمون على مداراة السلطات الإيرانية، فلو أغلقت هذه الحدود، لتعرض الإخوة الأفغان إلى متاعب وصعوبات كبيرة، ولأصبحوا فريسة سهلة للروس.

تعرض أبو عامر في إجابته إلى وجوب كشف حقيقة النظام الإيراني الذي يتعامل مع أعداء الإسلام في أكثر من مكان ضد أبناء الإسلام، وأن على الأفغان أن يتخذوا موقفاً صريحاً تجاه الحكام الإيرانيين حتى يسقطوا الحجة من أيديهم، إذ إن الإيرانيين وفي كل مناسبة يزعمون أنهم يدعمون المجاهدين الأفغان، ويقفون إلى جانب الثورة الأفغانية، وهذا يغاير الحقيقة، الأمر الذي يضلل كثيراً من المسلمين في أنحاء المعمورة، وإن سكوت الأفغان، سيجلب لهم من الضرر أكثر ما يجلب لهم من المنفعة.

كما نوه أبو عامر إلى ضرورة اللقاء بين الأطراف المتعددة

للمجاهدين، ولاسيما بين الأخوين سياف وحكمتيار، اللذين يكمل أحدهما الآخر، ولا نجاح لأحدهما من دون أخيه، وذلك على الصعيدين الداخلي والخارجي.

وقد أكد الإخوة الأفغان تضامنهم مع الاتحاد الجديد على الرغم من اقتناعهم الضمني بعدم جدواه، علماً بأن هؤلاء الإخوة وكثيراً من الأفغان العاملين في أوروبا ينتمون للحزب الإسلامي بقيادة حكمتيار.

طلب الإخوة الأفغان دعم إخوانهم العرب، خصوصاً في مجال نشر الكتب الإسلامية ليقفوا في وجه المد الشيعي، لأن إيران ترمي بكميات ضخمة من الكتب في الفقه والفكر الشيعي في أفغانستان، فلا يجد الشباب المسلم والمجاهد غير هذه الكتب لينهلوا منها، فاقترح عليهم أبو عامر اقتراحات عملية في هذا الصدد، ثم انتقل المجتمعون لبحث أمور تنظيمية لتوثيق التعاون على كل المستويات، من إعلام ورصد ومال وتعبئة ومجالات أخرى، واتفقوا على لقاء دوري فيما بينهم.

٢٢ شعبان ١٤٠٤هـ ٢٣ أيار/ مايس ١٩٨٤

٣- كانت الصلة بيننا وبين سياف وثيقة ومتينة لا يتقدم عليها إلا الصلة مع حكمتيار الذي وجدنا فيه النموذج الأمثل في قيادة العمل الجهادي، والالتزام بضوابط الشريعة الإسلامية كما سوف يأتي لاحقاً.

كان سياف فصيحاً في اللسان العربي حيث تخرج في الأزهر الشريف، وكان حديثه عن الإسلام شافياً، فكانت، كما سبق، الصلة

معه قوية والتعاون مستمراً.

كان بعض السوريين يتطلعون إلى الذهاب لأفغانستان لينالوا شرف الجهاد مع إخوانهم ضد الروس الغزاة، لكن بعضهم لا يستطيعون الاستمرار وتحمل أعباء الجهاد، وما يتطلبه من صعوبة ومشقة، كان منهم وفي مقدمتهم الدكتور علي المصري من أطباء حماة، فكان يلح على الالتحاق بالمجاهدين وترك عمله كطبيب في الفجيرة إحدى الإمارات في دولة الإمارات المتحدة، وبعد وصوله إلى بيشاور لم يلبث أن عاد بعد أن مكث مع الأفغان فترة قصيرة.

لهذا أوكلنا شؤون هؤلاء السوريين أو بعضهم من الراغبين في الجهاد إلى عبد رب الرسول سياف، وأرسلنا إليه رسالة بتاريخ ١٧- ٣- ١٩٨٥ جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الكبير المجاهد عبد رب الرسول سياف حفظه الله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسأله تعالى أن يحفظكم وإخوانكم من كل سوء، وأن يتجلى عليكم بتأييده ونصره، وإنه أكرم من سئل، وأعظم من أجاب وبعد:

أ- ثمة لفيف من إخواننا الكرام يتطلعون إلى الوقوف بجانبكم، والجهاد معكم، وتقديم جهودهم وخبراتهم إليكم، وقد وافقت قيادة الجماعة على طلبهم بالتوجه إليكم، ليكونوا بإمرتكم وتحت قيادتكم.

ب- نود الإشارة إلى أن ظروفنا في سورية أفرزت حالات صعبة،

نجم عنها اجتهادات لعدد من الإخوة في صف الجماعة تحملنا على توضيح أمر ذي بال: أن تكونوا مسؤولين عن هؤلاء الإخوة الكرام إدارياً وتنظيمياً من حيث الضبط والربط والسمع والطاعة بصورة تامة.

حـ- ونذكر الأخ الكريم أن لنا مندوباً بقربكم هو الدكتور مصطفى حمادي ليقوم بمهمة ضابط الاتصال بيننا وبينكم، ليستمر التنسيق والتعاون معكم بشكل منضبط ودقيق، بإذن الله لصالح الحركة الجهادية في بلدينا كليهما، أفغانستان المجاهدة، وبلاد الشام التي بارك الله حولها.

بارك الله جهادكم، وحفظ جندكم، وخذل عدوكم، وكتب لأفغانستان الظفر والفوز، وقيام دولة الإسلام في ربوعكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في ١٧-٣-١٩٨٥ **أخوكم**

عدنان سعد الدين

٤- بعد التعرف على قادة المجاهدين، وعلى تنظيماتهم، وبعد الاختلاط بهم، والإحاطة الكبيرة بأنماط تفكيرهم، وأساليب عملهم، تولدت قناعة عميقة لديّ بأن حكمتيار، يتمتع بصفات ومزايا تقدمه على سواه من قادة المجاهدين، من حيث الوضوح والصدق والاستقامة، ودقة التنظيم، والالتزام الصارم بالمبادئ الشرعية والآداب الإسلامية والأحكام الفقهية، كما أنه لا يداهن على حساب عقيدته وقناعاته أي جهة، ولا يجامل الدول الكبرى الطامعة في

أفغانستان، وفي مقدمتها روسيا وأمريكا، فعندما زار قادة المجاهدين الأمم المتحدة، قابل القادة الرئيس الأمريكي ريغان في البيت الأبيض، باستثناء حكمتيار، لقناعته أن الولايات المتحدة ستوظف هذه الصلة لمصالحها في صراعها بالحرب الباردة، دون أن يضمن المجاهدون المواقف التي يطمحون إليها.

قويت شوكة الجهاد الأفغاني، واشتد ساعدها، وكان حكمتيار والحزب الإسلامي الذي يقوده في مقدمتها، من حيث العدد والعدة والمساحة التي يحتلها بعد انتزاعها من السوفييت على الأرض الأفغانية، حتى إن رئيس الاستخبارات العسكرية الباكستانية حميد گل الذي يمسك بالملف الأفغاني، اعتبر أن حكمتيار يمثل ٤٠٪ من قدرات المجاهدين، وأن التنظيمات الستة الأخرى بمجموعها تمثل ٦٠٪ منها.

لم يأت العام ١٩٨٨ حتى كان قلب الدين ذا شوكة قوية، تقربه والآخرين من النصر على السوفيات، ولذا أعلن للمسلمين جميعاً في شتى أقطارهم الميثاق التاريخي الصادر عن قادة الجهاد في أفغانستان، ممهوراً بتوقيعه باسم الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان.

وللأهمية البالغة لهذا الميثاق حيث الضوابط الشرعية والوعي السياسي المتقدم، والروح الجهادية النقية، نورد معظم ما ورد في بنوده وفقراته.

أ- أيها المسلمون في كل مكان: يا أنصار دين محمد ﷺ، أيها الغيورون على الحرمات، والسائرون على طريق الجهاد، والجادون

في أمر دينهم، يا من ترجون نصر الله، وتحلمون بإعلاء رايته، وتتمنون رؤية المجتمع المسلم واقعاً حياً، إلى كل مسلم في أنحاء المعمورة نكتب بياننا هذا، لئلا يكون للناس علينا حجة، وحتى تكون شهادة للتاريخ ووثيقة ترجع إليها الأجيال.

الآن وبعد عشر سنوات، ما تجرع الجيش الأحمر غصصاً مثلها، ولا ذاق من الويلات والهزائم، وما تكبد من الخسائر، وما لحقه من مصائب وتدمير أكثر منها، في هذه السنين الحالكة في تاريخه، والتي فقد خلالها، حسب اعتراف حكومة كابل، حوالي ألف وأربعمائة واثنتين وسبعين طائرة تدميراً وإسقاطاً، وحوالي ألف وخمسمائة طائرة استهلاكاً بكثرة استعمالها، وفقد حوالي أربعة عشر ألف آلية، وقتل من جنود الجيش الأحمر قرابة خمسين ألفاً، بالإضافة إلى مئة ألف من الجيش الشيوعي الأفغاني والميليشيات والأتباع والمنافقين، ودعك من حوالي ثلاثة وأربعين مليون دولار ينفقها (العدو) يومياً في أفغانستان، وهو بحاجة إلى ثمن القمح الأمريكي الذي يشتريه، ولا يجد له سوى بيع رصيد الذهب لديه، كما فقد فوق أرض أفغانستان ألف طيار لا يمكنه تعويضهم خلال عشر سنوات قادمة.

بعد أن اقتربت أسود الله من النصر، وبعد أن جرت الدماء أنهاراً تروي تربة كابل والهلمند وجيحون، وبعد أن سقط قرابة مليون ونصف من الشهداء من خيرة أبناء هذا القرن (العشرين) وبعد أن تحولت آلاف القرى إلى أطلال خاوية ورسوم بالية، وبعد أن خلفت الحرب ما يزيد على المليون من الثكالى والأيامى والأرامل واليتامى

والمعوقين والمشوهين، وبعد تدمير المساجد وتمزيق الأسر، وإخراج ما يزيد على عشرة ملايين من المهاجرين من بيوتهم، وتشتتهم خارج أفغانستان وداخلها بين الأدغال والغابات وقمم الجبال.

بعد هذا كله، وعندما رأى العالم كله أننا لم تحن رؤوسنا العواصف الهوج، ولم تنثن عزائمنا إزاء المحن القاسية، وعندها أدرك الناس كلهم أنهم أمام جند لله من طراز غريب، وأن الحرب لا تزيده إلا صلابة، طلع علينا الغرب مشفقاً علينا، وبرزوا في ثياب الناسكين الناصحين ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ وتقدموا إلينا كمحكمين وقضاة وأوصياء يقولون: حقناً للدماء و. . . لا بد من الوصول إلى حل يرضاه الروس حتى يخرجوا، بأن يرجع الملك حاكماً أو تُحكِّم بأفغانستان رجلاً علمانياً أفغانياً تربى في أحضان الغرب، ليس بالمنغلق ولا بالمتعصب، وجاء مؤتمر يالطة الجديد.

ب- تضمنت معاهدة يالطة الجديدة في جنيف بنوداً سرية كثيرة، وبنوداً ظاهرة هي: انسحاب روسيا خلال تسعة أشهر، وعدم التدخل في شؤون أفغانستان الداخلية، أي منع وصول المساعدات من أيدي المسلمين إلى المجاهدين، وإغلاق الحدود الباكستانية في وجوههم، مع بقاء مساعدات روسيا لحكومة كابل الشيوعية!! ووجود قوات دولية لمراقبة الحدود، ويترتب على هذا: الصفة الشرعية لحكومة كابل الشيوعية والمفاوض المختار مع الأمم المتحدة، ويحتمي السوفيات بمظلة الأمم المتحدة وهو أقوى منها، ويذكي نار الخلاف بين فصائل الجهاد، وبين المجاهدين وبين باكستان الحليفة

للمجاهدين، ويقطع الصلة بين المجاهدين والمسلمين والعرب الداعمين له، ويحكم على المجاهدين بالعزلة، وحرمانهم من التأييد السياسي الدولي.

إنها بنود خطيرة ترمي إلى تحويل أفغانستان إلى منطقة منزوعة السلاح، وإغراقها بالترف كي يجتثوا عقيدة الجهاد.

تحركت روسيا في ظل هذا التآمر على الشعب الأفغاني، فكانت مأساة بخارى إذ عقدت مع المجاهدين سابقاً اتفاقاً اشترطت فيه وضع السلاح، فعادوا إلى حياة الدعة، فلم تلبث روسيا أن انقضت على بخارى وابتلعتها، وهذا ما فعلته في القفقاس إذ خدعت شعبه بأن روسيا ستمر في طريقها إلى أتاتورك الذي تآمر معها بدعوى مساعدة الشعب التركي، وعندما دخل الروس قفقاسيا عمل فيه من المجازر الرهيبة ما لم يشهد له التاريخ نظيراً.

من المظاهر التي تجعلنا على يقين من حيث طوايا الروس: إدخال القوات الروسية باسم ميليشيا أفغانية، وبعد التحقيق مع الأسرى اعترفوا أنهم دخلوا مع مئة وخمسين ألف روسي من الجيش الأحمر ممن يتقنون اللغة الفارسية من الأوزبك، متظاهرين بأنهم ميليشيا أفغانية، وأن روسيا كلفت ثلاثين جنرالاً روسياً للبحث عن أماكن صالحة لإنشاء قواعد عسكرية في الشمال مع أفغانستان تحت وصايتها، وعمل أنفاق تحت نهر جيحون الفاصل بين روسيا وأفغانستان، ونقل بعض الوزارات من كابل إلى بلخ -مزار الشريف- تمهيداً لجعل الجزء الشمالي من أفغانستان تحت وصايتها، وتخزين

أكوام من الذخائر والأسلحة تكفي الجيش الأحمر لخمس سنوات على الأقل، (مع أننا نأمل بإذن الله أن تكون هذه الذخائر من نصيب المجاهدين ليواصلوا جهادهم ضد الروس المحتلين). وأخيراً حشد أعداد كبيرة من المستشارين الروس، والذين نرجح أنهم من ضباط الجيش الذين دخلوا بثياب مدنية للتمكين للروس في احتلال أفغانستان، وإغراق كابل وتكبيلها بما يزيد على أربع مئة معاهدة فرضتها روسيا على ضيفتها الحكومة الشيوعية في أفغانستان.

حـ- ذكر الميثاق الأسباب التي حملت الغرب ومعه روسيا على الهرولة لتطويق المجاهدين بالخداع والمكر السياسي، فقال الميثاق: لأن الغرب أدرك أن الجهاد الأفغاني أضحى نموذجاً حياً، وأسوة حسنة، ومثالاً فريداً أمام الشعوب المظلومة التي تريد أن تتحرر من إسارها أو تحطم قيودها، وما الانتفاضات التي نراها في بولندا وأرمينيا وأذربيجان، وصرخات الله أكبر المدوية في رحاب المسجد الأقصى والأرض المباركة، والحياة التي بدأت تدب في الولايات الإسلامية التي ترزح تحت الاستعمار الروسي إلا انعكاسات لنور الجهاد الذي يضيء أرجاء أفغانستان. ولأن هذه القوى قد يئست أن تحتوي الجهاد الأفغاني، إذ وجدتها صلبة المكسر. وأن الجهاد الأفغاني قد تحول إلى مدرسة إيمانية تربوية للعالم الإسلامي كله، حتى إن جنرالاً أمريكياً قال: إن استمرار الجهاد خطر على مصالح أمريكا في العالم الإسلامي. أعقبه الرئيس السابق نيكسون على التلفزيون الأمريكي بقوله: الخطر هو الإسلام. كذلك الرعب العالمي

من وصول المسلمين إلى الخلافة الإسلامية -أي جمع كلمة المسلمين- بعد أن أطاحوا بها على يد أتاتورك في ٣-٣-١٩٢٤، وأيضاً الخوف الدولي من أن تتحول أفغانستان إلى قاعدة صلبة لانطلاق الجهاد في العالم أجمع.

وحمل الميثاق روح الجهاد والنشوة التي يشعر بها المجاهدون، فجاؤوا بمعانٍ إيمانية، وشعارات قرآنية وإسلامية، وأدبيات مما شاع على ألسنة أبناء الدعوة في الوطن العربي والعالم الإسلامي. ومنها:

نحن مسلمون، لا نذل إلا لرب العالمين.

مسلمون مسلمون مسلمون.

حيث كان الحق والعدل نكون.

نرتضي الموت ونأبى أن نهون.

في سبيل الله ما أحلى المنون

نحن أبناء محمد ﷺ: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. نحن مستعلون بإيماننا -على فقرنا وقلة حيلتنا- ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. نحن نعتقد أن العزة للمؤمنين وحدهم، وهم يستمدونها من رب العالمين ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾، نحن نعتقد أن طريق عزتنا في الدنيا والآخرة هو الجهاد مع الإيمان، ونحن ندعو الله أن نكون من الطائفة المنصورة، والعصابة الظاهرة، ففي الحديث

الصحيح:

«لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتي الساعة وهم على ذلك».

نحن نعتقد أن التوحيد في الأرض ورفع الراية الإسلامية مرتبط بالقتال.

«بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي». حديث صحيح رواه أحمد.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

نحن قدوتنا رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام في ميدان التحدي وساح النزال، فقد أمر رسول الله ﷺ أن يتحدى الدنيا بأسرها، فيقول رب العزة له ﴿قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ، إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾.

﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾.

«فالله مولانا ولا مولى لهم».

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾.

وأما خليفته أبو بكر رضي الله عنه، فقد رد على الصحابة الذين جادلوه في أن يؤخر بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ قائلاً: والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث

أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ. ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته.

نحن نعتقد أن الأمر كله لله. ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾.

﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾[1].

نحن نعتقد أن الشرق الملحد والغرب وأمريكا لا تملك من الدنيا ذرة:

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾[2].

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[3].

جـ- نحن قررنا مواصلة الجهاد والسير على هذا الطريق الشائك الطويل حتى ينصرنا الله أو نهلك دونه، وقد توكلنا على الله وهو حسبنا ونعم الوكيل:

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٦ .

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٢ .

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ١٤ .

شَيْءٍ قَدْرًا﴾.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

سأحمل روحي على راحتي ... وألقي بها في مهاوي الردى

فإما حياة تسر الصديق ... وإما ممات يغيظ العدى

نحن بدأنا الجهاد بالحجارة والعصي، فنصرنا الله وأيدنا، ولم نكن نعرف أحداً، ولا يتعرف علينا أحد، ولكن الله أمدنا بروح منه، ونحن نملك بعض الأسلحة، ونستطيع أن نواصل عشرات السنين بإذن الله، وإذا سدت أبواب الأرض، فأبواب السماء مفتوحة، وإذا تنكر لنا البشر، فرب البشر الذي نجاهد في سبيله سينصرنا ويؤيدنا ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾(١).

نحن نقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وقد قدمنا مليوناً ونصف المليون من الشهداء، وماذا علينا لو قتلنا جميعاً في سبيل الله، من أجل إقامة دين الله في الأرض، وحتى تسعد البشرية بالحكم الإسلامي.

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٧ .

مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1].

نحن مسلمون ليس لأحد من العالمين وصاية ولا ولاية ولا سلطة علينا.

إننا نعتبر هذه المؤتمرات مؤامرات دولية علينا وعلى الإسلام، ونحن نرفضها أصلاً وفرعاً، وهي باطلة بطلاناً تاماً.

إن راية هذا الجهاد واضحة منذ أول يوم، إنها معركة بين كفر وإسلام، بين إلحاد وإيمان، بين الشيوعية وبين القرآن.

لقد قمنا ضد الطاغوت داوود الأفغاني، وتراقي الأفغاني، وحفيظ الله أمين الأفغاني، ثم استمر الجهاد ضد بابراك كارمل الأفغاني، ونجيب وسادتهم الروس. إن الجهاد لإزالة الطواغيت واستبدالهم بمسلمين ليكون الدين كله لله ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾.

ونقول ختاماً: إن جند الله صمموا على مواصلة البذل والتضحية، ولا يحسبن إخواننا في العالم الإسلامي الذين تركونا نواجه مصيرنا وحدنا، أنهم في منأى من الحساب يوم القيامة، أما الذين وقفوا معنا، فنحن ندعو الله لهم الأجر والمثوبة والغفران.

إن نصرة المسلمين إذا اعتدي على شبر من أرض المسلمين تصبح فرضاً، فبلاد المسلمين كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وهذا محل

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٧ .

إجماع. يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى: فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين، فإنه يصير دفعه واجباً على المقصودين، وعلى غير المقصودين كما قال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾. وكما قال ابن عابدين في حاشيته ٣/ ٢٣٨: وفرض عين إن هجم العدو على ثغر من ثغور الإسلام، فيصير (الجهاد) فرض عين كالصلاة والصوم، ولا يسعهم تركه، ومن ثم يفترض على جميع أهل الإسلام. ففي الحديث الشريف: «ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه، وتنتهك فيه من حرمته إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته». حديث حسن رواه أبو داوود.

انتهى هذا الميثاق التاريخي الذي صدر على شكل بيان بالعهد والميثاق التاليين: أيها المسلمون في كل مكان: نعاهد الله على استمرار مسيرتنا الجهادية -إن شاء الله- ونطمئنكم أننا لن نخون دماء الشهداء، ولن نبيع دموع الأيتام، ولن نجلس على موائد اللئام، ولن نساوم على ديننا وأعراضنا ونبيعها بثمن بخس ومتاع رخيص.

إن دموع اليتامى تقض مضاجعنا، وإن آهات الثكالى تؤرق أجفاننا، وإن دماء الجرحى التي مازالت تنزف، وأرواح الشهداء التي ترفرف تمثل شبحاً رهيباً يجعل أيدينا ترتعش أن تكتب حرفاً واحداً نخون فيه أماتنا وأمانتكم. إن المآسي التي شهدتها أرض أفغانستان، تطاردنا في يقظتنا ومنامنا، وتحول بيننا وبين بيع أفغانستان.

إن الجلوس على مائدة يشرب عليها كأس خمر: حرام، فكيف الجلوس على مائدة تشرب عليها أنهار الدم؟

أيها المسلمون: إن ربكم سائلكم غداً عن أفغانستان، فأعدوا لربكم جواباً.

إنه سائلكم عن هذه الدماء التي سفكت، وهذه الأرواح التي أزهقت، فماذا تجيبون إن فرطتم وقصرتم؟

﴿انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

سننطلق ونحن ننشد:

حطموا ظلم الليالي   واسبقوا ركب المعالي

واشرفوا كل العوالي   وابذلوا كل الغوال

وانصروا دين محمد

يا غارة الله جدي السير مسرعة   من أجل نصرتنا يا غارة الله

فالله أكبر ولا عزة إلا بالإيمان، والله أكبر ولا حكم إلا بالإسلام ألا هل بلغنا، اللهم فاشهد.

تم إصدار هذا الميثاق التاريخي بالتشاور مع قادة الجهاد.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

صدر في بيشاور في ٣ شعبان سنة ١٤٠٨هـ الموافق ٢١ مايو/

أيار سنة ١٩٨٨

قلب الدين حكمت يار

رئيس الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان

٥- منذ وقت مبكر، وبالتحديد منذ عام ١٩٨٥ خططت الولايات المتحدة لضرب العراق وسحقه، وقد سمعت من شخصية مرموقة في أوساط رجال الأعمال أن وزيراً أطلعه على خطة أمريكية لضرب العراق، ولكنها تنتظر الفرصة المناسبة، وعندما نشبت الحرب بين إيران والعراق عملت أمريكا على تغذيتها واستمرارها بكل الأسباب، وعندما توقفت الحرب بين الدولتين الجارتين اللتين استجرتا إلى هذه الحرب المدمرة لكلتا الدولتين، التمست أمريكا أسباباً وذرائع للإجهاز على العراق، وخاضت ضده حربين، قضت في الأولى على مقومات الحياة العسكرية والاقتصادية، وقضت عليه في الثانية عام ٢٠٠٣ قضاءاً مبرماً.

كانت أمواج القصف لا تتوقف عن بغداد في الأولى، وكانت تعاود قصف المنشأة ذات الأهمية مرات عدة حتى تسويها بالتراب.

في هذه الأثناء، كنا نطوف البلاد العربية والإسلامية ونحرض أهلها رسميين وغير رسميين على الوقوف بجانب العراق، والعمل على إطفاء نار الحرب، فكنا نسافر إلى دول آسيا مثل ماليزيا وباكستان... إلخ، ونتصل بقادة الجهاد الأفغاني لنستفزهم كي يقفوا مع البلد العربي الإسلامي الذي قرر الغربيون بروح صليبية تدميره.

اتصلنا من بيشاور بالسيد حكمت يار عن طريق حزبه، الذي خاطبناه باللاسلكي وهو في ميدان القتال، وطلبنا منه اتخاذ موقف جهادي لمساندة العراق، وهو الذي يعتبر المعركة واحدة سواء في أفغانستان أو العراق، فلم يخيب أملنا، بل سرعان ما أصدر بياناً فيما يخص أزمة الخليج جاء فيه:

أفغانستان: وجه المهندس قلب الدين حكمتيار رئيس الحزب الإسلامي بياناً عبر الهاتف اللاسلكي من داخل الجبهات في أفغانستان، ونشرته جريدة مونستير بوست قاله فيه: إن قصف بغداد من قبل الحلفاء، إن دل على شيءٍ فإنما يدل على وحشية القوة الكافرة، وحقدها على المسلمين، وإن المعرّض للخطر هو الشعب العراقي البريء، وليس من حق الحلفاء، أن يتخذوا الشعب العراقي ضحية لعدوانهم.

وقال: إن الأمة الإسلامية يجب أن لا تسكت على العدوان الأمريكي على العراق، وإذا لم تضع حداً لتصرفات أمريكا اليوم، فليتوقع المسلمون كل يوم طغياناً جديداً، سواء من الأمريكان أو من غيرهم.

فإذا تلقت أمريكا اليوم درساً قاسياً، فلن يكون بوسع النظام الأمريكي الكافر، وعملائه الذين أحضروه إلى المنطقة، أن يقدم على الطغيان بعد اليوم.

وعبّر القادة الميدانيون -أعوان حكمت يار- عن أسفهم الشديد للقصف العشوائي على بغداد الذي لم يشهده التاريخ -من قبل-

وقالوا: إن هذه حرب ضد الأمة الإسلامية، ودعوا المسلمين إلى رفع لواء الجهاد لأنه الحل الوحيد للتخلص من القوى المتحالفة، وعملائها.

وقال حكمت يار: بعد أن سيطر اليهود على أولى القبلتين -القدس- يخططون للسيطرة والاستيلاء على الحرمين الشريفين، وإن على المسلمين أن يكونوا يقظين، وأن يقفوا مع العراق ضد الحشود الصليبية الأخيرة بقيادة الحلفاء وعملائهم في المنطقة.

إذاعة مكتب المجاهدين

٦- اشتد النزاع بين فصائل المجاهدين، واستحر القتل في صفوفهم، ففقدوا خير رجالهم وقادتهم، وتهدم شطر من كابل بعد أن كان صامداً في ظل الحكم الشيوعي.

في إحدى زياراتي للخرطوم، طلب مني السيد عنايت القائم بأعمال السفارة الأفغانية في الخرطوم أن نتحرك لحقن دماء الأفغان، وأن لا نكتفي بسماع الأخبار، والوقوف متفرجين.

نقلت الرسالة للدكتور حسن الترابي، فأجاب على الفور:

- شكل وفداً برئاستك، وتحركوا إلى أفغانستان.

فقلت: هناك أمران يتوفران لدى السودانيين في باكستان وأفغانستان، وهما: معرفتهم بلغة البشتون الأفغانية، والغطاء الدبلوماسي الذي يحظون به بإسلام أباد وكابل، فتشكل الوفد برئاسة ياسين عمر الإمام، ونائبه عدنان سعد الدين، وعضوية أمين حسن

عمر، ينضم إليهم محمد إبراهيم السفير السوداني في كابل والمقيم في بيشاور لظروف الصراع في أفغانستان.

أ- أمضينا أسبوعين في هذه المهمة، منهما ثلاثة أيام في بيشاور وإسلام آباد، وباقي الأسبوعين في داخل أفغانستان، وكانت الرحلة شاقة من حيث وعورة الطريق، واشتداد البرد، والقصف المتبادل بين المقرات التي كنا نقصدها، وننتقل منها وإليها، ومع ذلك كانت الرحلة بلسماً للضمير وراحة وسعادة نفسية ووجدانية كبيرة.

وهذه أهم معالم ومقومات الرحلة إلى أفغانستان في مسعى للوساطة بين المتخاصمين وإطفاء نار الفتنة فيما بين فصائل المجاهدين.

غادر الوفد إلى باكستان في ٢٥ جمادى الأولى ١٤١٥ الموافق ٣٠-١٠- ١٩٩٤ بعد أن رسم لنفسه خطة التحرك حسب التالي: استكشاف الساحة الأفغانية وامتداداتها السياسية والمذهبية، ليكون التحرك على بصيرة، فكانت البداية من إسلام أباد، ثم من بيشاور حيث تم اللقاء بالجنرال حميد كل في منزله، والاستماع إلى تقويم مطول منه باعتباره الخبير الأول في المسألة الأفغانية، إذ تلخصت رؤية الجنرال بالنقاط التالية:

الأوضاع الدولية جميعها تدفع باتجاه حسم الوضع في أفغانستان، لأن الولايات المتحدة باتت تخشى من تنامي الاتجاهات المتطرفة في أوساط الجيش الروسي، وإن تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية في روسيا قد يهدد بعودة شكل من أشكال الحرب الباردة، تريد أن

تسبقها أمريكا بإعادة تشكيل المنطقة على الوجه الذي تريده، وروسيا من جهتها تخشى من انفلات الوضع في آسيا في حالة عدم الاستقرار في أفغانستان مما يهدد مصالحها في أفغانستان وفي آسيا الوسطى، وباكستان تشعر بقلق حيال استمرار الصراع الأفغاني واتساع دائرته، ولاسيما في منطقة القبائل المتاخمة لأفغانستان، كما أن إيران تشعر أن الحرب تستمر على حساب تفتيت الكيان الشيعي في أفغانستان، ولذا يرجح الجنرال بأن تدفع كل القوى الإقليمية والدولية باتجاه تسريع التوصل إلى حل، وهذا ما يفسر تحرك الأمم المتحدة عبر ممثلها المستيري المكلف بتكوين حكومة من عناصر علمانية وجهادية تشرف على الانتخابات، وإبراز حكومة يترأسها شخص تختاره الأمم المتحدة.

ويرجح الجنرال أن استعداد المنظمات الجهادية للسلام قد أصبح الآن أكبر بعد الإنهاك من الحرب الطويلة، كما يرجح أن حكمت يار مستعد للسلام بعد استيلائه على مطار بغرام، ويرى كل أن تكون مهمة وفدنا تقتصر على تقويم الوضع، ريثما تتهيأ الظروف، ويرى أن يشارك الدكتور الترابي في المرحلة النهائية، وسوف يكون الجنرال في الخدمة.

ب- بدأنا الجولة على القادة الأفغان بزيارة آصف زعيم ما يسمى بالحركة الإسلامية الشيعية في قندهار، وهم من الهزارة، فكانت آراؤه تتلخص في أنه يدين الحرب الداخلية، ويحمل حكمتيار مسؤولية كبيرة، ويبدي استعداده لأي مسعى بالصلح بين المتخاصمين، وكان

يعلق شعار المؤتمر الشعبي العراقي في الصالون الذي استقبلنا فيه، إشارة إلى عضويته في المؤتمر الإسلامي الشعبي في بغداد.

- انتقلنا إلى السيد أحمد جيلاني الذي رحب بالوفد، وعبر عن تأييده لمبادرة الأمم المتحدة، وانتقد المنظمات الجهادية، واتهمها بأنها تسعى للسلطة، ويرحب بأية جهود للمصالحة، وأنه في موقف المحايد بين الفصائل.

وبالقرب من بيشاور تمت زيارة مولوي محمد نبي زعيم حركة انقلاب إسلامي، وكانت آراؤه تتلخص في: إدانته للحرب، وأنه في موقع المحايد، ويرفض مهمة الأمم المتحدة التي تهدف إلى فرض حل غير إسلامي على أفغانستان، وأنه يرحب بوفدنا، ويدعو لجهوده بالنجاح.

- وفي اليوم التالي دخلنا بيشاور، والتقينا الجالية السودانية، وقمنا بزيارة يونس خالص زعيم الحزب الإسلامي جناح خالص، فأوضح أنه: ضد الحرب وهي برأيه غير دينية وأنه في موقع الحياد، ويرفض الحل الذي يقدمه المستيري باسم الأمم المتحدة، وأن الحل ينبغي أن ينبع من الأفغان، ثم رحب بالوفد وجهوده على طريق المصالحة، كما التقى وفدنا بالقائد عبد القدير، وهو من قادة يونس خالص، وهو والي قندهار، واتحاد ولايات المشرق الثلاث، ومقره في جلال أباد، ويعتبر الرجل القوي الحكيم الذي حفظ سلام الولايات المشرقية عبر تأسيس ما يسمى بشورى المشرق والتي تشارك فيها كل المنظمات، وهو يحفظ النظام والأمن بحزم، وقد تناول

الوفد طعام الغداء مع الوالي عبد القدير، وكان موقفه مشابهاً لموقف زعيم الحزب يونس خالص.

- في بيشاور التقى الوفد، مندوب الرئيس رباني صدّيق شاكري، والذي زار الوفد في مقر إقامته، ورحب بالوفد، ثم لخص موقفه بالعتب على حكمت يار الذي كان يشترط إبعاد دستم، ثم تحالف معه، وأنهم يتحفظون على خطة الأمم المتحدة، ونصح بمقابلة قاضي أمين الذي عُيِّن عضواً في اللجنة الوطنية التي كونها المستيري، ثم رحب بجهود اللجنة، وقال بأنه سيبذل جهده لتسهيل مهمتها ووصولها لكابول وإنجاح عملها.

لقد برر القاضي أمين مشاركته باللجنة كيلا يترك المستيري يفعل ما يشاء، وقد أدى تدخله إلى إقناع اللجنة بتعديلات في عملها، أهمها أن يكون ممثلو الجهاد هم العنصر الأساسي في خطة الأمم المتحدة، ومع ذلك أكد على أنه لا يمكن للجنة الأمم المتحدة أن تكون مصدراً لأفغانستان.

التقى الوفد مع قطب الدين هلال نائب حكمتيار ورئيس المكتب السياسي الذي وعد بترتيب الرحلة إلى جهار آسياب مقر قلب الدين، ثم لخص موقفه بأن الحرب مؤسفة، وأن الموقف العسكري للحكومة -حكومة ربّاني- سيئ، وأن الحزب يحاصرها، وأن القادة الشيوعيين يلعبون دوراً كبيراً في أمن كابل، وأن الحزب يتحفظ على خطة الأمم المتحدة، ثم رحب كغيره بمهمة اللجنة، وأنه سيعمل على تسهيل مهمتها، وأن قائد الحزب في جلال آباد، سوف يتولى مهمة إيصالنا

إلى جهاز آسياب التي تبعد ٢٠كم عن كابل.

رحل الوفد في ٤-١١-١٩٩٤ بالبر إلى جلال آباد، وفي المساء التقينا القائد فضل الله مجاهد ممثل الحزب الإسلامي، حيث تقرر أن ينطلق الوفد من منزله في اليوم التالي مع حراسة الحزب، بعد أن سمع القائد مجاهد يعرب عن أسفه باستمرار الحرب، وأن وجود الشيوعيين هنا وهناك سبب المشكلة والنزاع، وأن السبب الأساسي للحرب أزمة الثقة بين قادة المجاهدين، وكذا تدخل الدول الأجنبية مثل روسيا والهند وطاجكستان الذين يدعمون الحكومة، وأن الوضع العسكري للحكومة سيئ للغاية، وأن الحل يكمن في حكومة مؤقتة محايدة، ونزع سلاح كابول، ودعا للوفد بالنجاح والتوفيق.

تم اللقاء بالمهندس حكمتيار أول الفرقاء الرئيسيين، ودار معه حوار طويل، وذكرت اللجنة أن وجود دستم بجانب قلب الدين قد ضاعف أزمة الثقة، فقال المهندس:

- إن دستم ليس له ثقل، وأنه تحت السيطرة.

وقال: إن موقفه العسكري متقدم، وأنه قد أحاط بهم، ولم يبق أمامه إلا المطار العسكري في بغرام لاحتلاله.

وحمّل سياف سوء الموقف، وأن الحرب لا تمضي لصالحهم، ولم يبق لديهم إلا الأموال التي تعطيها لهم روسيا والهند.

وقال: إن موسكو طبعت لهم ١٥٠٠ مليار أفغاني، وأن الدولار يساوي ٣٤٠٠ أفغاني، لذلك قَبِلَ رباني ومن معه بلجنة وساطة من

القادة الميدانيين برئاسة نظام الدين حقاني، وأن هذه اللجنة قدمت مقترحاً وافق عليه ووقّعه، وأن اللجنة وعدته بتأمين توقيع رباني وسياف ومسعود على نفس المقترح الذي يتلخص بتشكيل حكومة مؤقتة من شخصيات جهادية دون القادة، وإخلاء كابول من السلاح الثقيل، وأن يكون الأمن في كابول والطرق المؤدية لها من مسؤوليات الحكومة المؤقتة، وأن يكون رئيس الدولة ورئيس الحكومة شخصاً واحداً، ومعه عشرة وزراء، وليس له حق دخول الانتخابات التي ينبغي أن تجري في غضون ستة أشهر، ثم تستلم الحكومة المنتخبة المسؤوليات من الحكومة المؤقتة، وأخيراً، وقف إطلاق النار مع انتقال الحكم من رباني إلى الحكومة المؤقتة.

في اليوم التالي ذهب وفدنا إلى كابل حيث قصد وزارة الخارجية، التي رعت ضيافة الوفد وإنزاله في استراحة تابعة للحكومة، وكان القصف الصاروخي مستمراً على كابول، وبعد استراحة ذهب الوفد إلى بغمان والتقى سياف، فدار حوار مستفيض استمر لأكثر من سبع ساعات، وقد تفاءل سياف بوجود فرصة أفضل للمصالحة بين الفرقاء الذين أنهكهم القتال، حتى أوشكوا على قبول خطة المستيري الذي رفض سياف الالتقاء به، بل وحذر رباني من القبول بمشروع المستيري، وإلا فسوف يحاربه كما حارب نجيب، وأنهما اتفقا على رفض تعيين لجنة من الأمم المتحدة، بل لابد أن تكون اللجنة في حال تشكيلها من المجاهدين، أو ممن يختارهم المجاهدون.

وقال سياف: إن المعارك الدائرة هي تخطيط أمريكي لنزع سلاح

أفغانستان، وتفريغه في صدور المجاهدين، وسحب الثقة محلياً ودولياً من الجهاد الأفغاني بعد أن استنفد أغراضه الأمريكية، وأن دستم والمليشيات هي الورقة التي تلعب بها أمريكا في هذا الصراع، وأن حلفاء أمريكا جميعاً يضغطون لإشراك دستم (تركيا وباكستان وغيرهما) وإن تحول دستم من رباني إلى حكمتيار كان بإشارة أمريكية حتى لا تنتهي الحرب بهزيمة حكمتيار، حسب تقديرات سياف، الذي أكد أن رباني يحتفظ بشيوعيين في صفه، وأنه لابد من إبعاد الشيوعيين من صفوف المجاهدين، ويرى سياف أن الصراع الدائر الآن هو صراع على السلطة، وأورد تفصيلات كثيرة في هذا الشأن، بدأها منذ بدايات الجهاد الأفغاني، ثم لخص سياف الموقف بالنقاط التالية: أن قلب الدين لا يتورع عن فعل أي شيء يبلغ به ما يريد، وأن رباني يعمل بعقلية حزبية ضيقة، وأن ثقة الناس بالمجاهدين في تراجع، وأن الدول الأجنبية تعمل جاهدة على إضعاف المجاهدين، والمجيء بحكومة غير إسلامية.

ثم أبدى سياف تفاؤله من توصل نظام الدين حقاني لاتفاق بين المتخاصمين، مع تحفظه على آراء حكمتيار حول المجاهدين والانتخابات غير الممكنة في تقدير سياف لوجود السلاح بأيدي الناس وعدم وجود إحصاء يمهد للانتخابات، وللطبيعة القبلية السائدة، والشيء الممكن هو إحضار ممثلين للولايات والقادة الميدانيين، وأن وقف إطلاق النار ينبغي أن يبدأ بمجرد الاتفاق، وليس بنقل السلطة، وطلب سياف من الوفد أن يضغط على حكمتيار لإبعاد دستم، وأنه

على استعداد لضمان الاتفاق إن نكثت الحكومة -رباني- في عهدها، وأنه في هذه الحالة سوف ينضم إلى حكمتيار ويقف بجانبه ضدها.

ذهب وفدنا في اليوم التالي لمقابلة رباني، فاستقبله بحرارة بالغة، وأعطى الوفد تفصيلاً عن الأوضاع الراهنة، جاء فيها: أن حكمتيار كان يحاربنا لوجود دستم بجانبنا، والآن يتحالف معه، والآن لابد من الإسراع بالحل الداخلي تجنباً للحلول الخارجية، وأننا أعلمنا المستيري أن الحل لابد أن ينبع من الداخل، وأن يشكل اللجنة من المجاهدين وممثلين عن الولايات، وليست من شخصيات تختارها الأمم المتحدة، وأننا وافقنا كما أخبرنا حقاني على الصلح والقبول بحكومة مؤقتة، ولإخلاء كابل من السلاح، وطلب أخيراً منا الضغط على حكمتيار لإيقاف إطلاق النار.

تناول وفدنا طعام الغداء مع الرئيس رباني، ثم التقينا بعدد من ممثلي التنظيمات المشاركة في الحكومة، ومنهم محمد علي جاويد من حزب الوحدة، وكذلك زعيم جناح الوحدة أكبري، وكذاك وزير العمل الذي يمثل الشيعة جناح محسني، ومع رئيس القضاء من تنظيم مولوي محمد نبي.

غادر وفدنا في المساء إلى بلدة جبل السراج على بعد ١٨٠كم شمالي كابول حيث التقى بأحمد شاه مسعود الخصم العنيد لحكمتيار، وإحدى العُقد التي استعصت على الحل شأن قلب الدين، فاستمر اللقاء معه خمس ساعات، لخص فيها آراءه والموقف التالي: ترحيبه بالوفد، ورغبته في إيجاد حل قاطع لكل الصراعات، وإيقاف

القتال بأسرع فرصة ممكنة، وأن أمريكا تريد أن تفرض رؤيتها، وأن كابل بأيدينا، وأننا رغبنا إلى حكمتيار بإخراج الشيوعيين بالتدريج لكنه رفض، وهو أي حكمتيار يقصف كابل، والأمم المتحدة بعد تمزيق صف المجاهدين تحاول فرض حكومة علينا، وحكمتيار يريد حكومة مؤقتة، وقد وافقنا على ذلك، ويريد إخلاء كابل من الأسلحة فوافقنا بالرغم من أن كابل بأيدينا، وهو يريد انتخابات بالإجماع، وهذا مستحيل، ولذا قلنا بالأكثرية.

وفي الختام أكد مسعود قبوله للحل المطروح، وبالانتخابات على أن يلتزم حكمتيار بإيقاف إطلاق النار، كما أكد استعداده للقاء حكمتيار وهو الرأي الذي اقترحته عليه.

تركنا الأستاذ ياسين ونحن في أوج المهمة الصعبة التي كنا مستغرقين بها، وسافر إلى لاهور لحضور مؤتمر خاص بكشمير!! فعدنا -نحن أعضاء الوفد الثلاثة- إلى كابول، ومنها إلى بغمان حيث يقيم سياف، فعقدنا معه جلسة طويلة أكد فيها على أهمية التنسيق بين وفدنا ولجنة نظام الدين حقاني، وكرر أن هناك فرصة للصلح، وطلب من الوفد الضغط على حكمتيار لتقريب وجهات النظر، وإبعاد دستم، وعندئذ يستطيع سياف أن يعلن في مؤتمر صحفي انحيازه إلى حكمتيار، وفي المساء جمع سياف أعضاء وفدنا مع لجنة الصلح الأفغانية برئاسة حقاني الذي اقترح تأخير الذهاب إلى جهار آسياب حيث يقيم حكمتيار، حتى يحصل على توقيع رباني، فأكد وفدنا للجنة الصلح أن العمل سوف يكون بأيديهم كيلا يكون الحل من

خارج الأفغان، وأن وفدنا سيكون مسانداً وعامل تقريب، وأن تكون الوساطة الأفغانية هي واجهة هذا المسعى وهذه المصالحة.

وفي اليوم التالي وقع رباني على وثيقة معدلة حول تعريف المجاهدين، وإجراء الانتخابات بأي طريقة ممكنة، بغرض تشكيل مجلس شورى بالاختيار من الولايات في حيز الاحتمالات، فعقد الوفد لقاء قصيراً بعد توقيعه على الوثيقة، فودعناه في طريقنا إلى جهار آسياب.

حمل الوفد وثيقة حكومة رباني إلى جهار آسياب والتقى المهندس حكمتيار الذي سارع إلى رفض الوثيقة بعد التعديلات التي حدثت لها، فدار نقاش نص على قيام الحكومة أولاً وعلى إجراء الانتخابات، وعدم اللجوء إلى الاختيار، فوافق قلب الدين على التعديل، وعلى أن يتم تسليم السلطة في غضون أسبوعين.

عاد الوفدان إلى بغمان، وعقد لقاء مع سياف الذي اطلع على مقترحات حكمتيار فوافق على البندين الخاصين بالانتخابات، ووقف إطلاق النار، وقال:

- إنه لابد من اللقاء مع حكمتيار ليتم الاتفاق على نقاط الخلاف، ويتم الاتفاق على وقوفه مع حكمتيار في حال عدم التزام الحكومة بوعودها، وأن التخلص من دستم ليس عسيراً في حال الاتفاق، كما علمنا أن خلافات تدب بين أنصار دستم وأنصار حكمتيار في الشمال، واتفقنا أن يعمل حقاني رئيس لجنة الوساطة لتنظيم اللقاء في المنطقة المحايدة بين مواقع سياف وحكمتيار.

في اليوم التالي عـدنا إلى كابول، والتقينا الرئيس ربـاني في مقابلة قصيرة بسبب تعرض القصر لقصف صاروخي، فاتفـقنا على ما يلي: وافق ربانـي على انتـخابات عامـة، وعلى أهمـية وقف إطـلاق النار، وإخلاء كابول من الأسلحـة الثقيلة، وعلى تسليم السـلطة إلى حكومة مؤقتة يتفق عليها الطرفان والجهات الأخرى.

عدنا من كابول إلى بـغمان، والتقينا بسياف، ولخـصنا له الموقف في التأكـيد على النقـاط المعدلة، وأن النـقطة المتعـلقة بتشكـيل لجنة الانتـخابات لابد أن تخـضع لملحـق يفسرهـا، عقب لقـاء مباشـر بين سياف وحكمتيار، واتفقنا أن يتصل سياف بنظام الدين حقاني، لترتيب اللقـاء، وطالب سـياف وفدنـا أن يواصل مـهمتـه، ووعدناه بـأن وفداً سوف يأتـي لمواصلة الـعمل إن لم يتـيسر لهـذا الوفد الذي كـان على أهبة السفر أن يعود إلى متابعة المهمة.

عاد الوفد مـرة أخرى إلى حكمتيـار، وأكد له أن الحكومة مـوافقة على إجراء الانـتخابات، كمـا أكدنا على ضـرورة وقف إطلاق النار، فاشترط أن يـغادر الجنود غير النظامـيين إلى مناطقهم، فـطلبنا أن يتم ذلك دون إعـلان، ثم وافـق على الاقـتراح الـسابـق بأن يقـتـرن وقف إطلاق النار بإعـلان نقل الحكم إلى الحكومـة المؤقتة، وطرحـنا عليه اللقاء بـسياف، فوافق عـلى مضض، واشتـرط حضور رباني، واتفـقنا على أن ينظـم ويرتب حقاني لـهذا اللقاء الثـلاثي، وعندما أعـربنا عن رغبتنـا في السفر اعتـرض بشدة، وطلب بقاء الوفـد ليستمر فـي القيام بمهمته، فوعدناه بالعودة بعد أن أمـضينا ثلاثة أسابيع، واتفقنا أن يبقى

الأخ محمد إبراهيم عضو الوفد وسفير السودان في كابل على اتصال دائم بجميع الأطراف، فغادرنا في اليوم التالي جهار آسياب إلى جلال أباد، ثم إلى بيشاور في طريقنا إلى الخرطوم.

جـ- عقد أعضاء وفدنا اجتماعاً في بيشاور لتقويم عمل اللجنة، وما حققته من إنجاز بعد ثلاثة أسابيع شاقة في التنقل الدائم بين القيادات المتخاصمة تحت القصف الدائم ومخاطره، وفي طقس اشتدت برودته، وغطت الثلوج السفوح والقمم السامقة التي لا نكاد نرى منها بطون الوديان، ووعورة الطرق الصخرية التي تعيق السير وأحياناً توقفه، فوصلنا إلى النتائج التالية: أن الرحلة بفضل الله وعونه، كانت مثمرة، وإن لم تبلغ الغاية المنشودة، وأن جميع الأطراف كما لمسنا راغبة في سلام مؤقت، لما بلغوه من إنهاك وانقسامات داخل كل فصيل أو تنظيم، كما اقتنعنا أن قيام الحكومة المؤقتة، وإجراء الانتخابات لن يشكل أكثر من هدنة، وأن المعارك ربما تندلع مجدداً، ولذلك فلابد من تلمس حل ناجح للمشكلة قبل انقضاء الهدنة، وأخيراً، اتفقنا على أهمية تقديم مساعدات فنية في مسألة الانتخابات، وربما في مسألة فصل القوات بتكوين لجنة من عدة أقطار إسلامية، ومن جهات غير رسمية، للفصل بين القوات في المناطق التي تقيم بها قوات الفرقاء المتنازعة.

٧- لم يطل مكثنا في الخرطوم حتى عدنا أدراجنا إلى أفغانستان عن طريق بيشاور في رحلة ثانية كما جاء ذكر ذلك، كانت من حيث الأهمية مليئة بالأحداث والإنجازات على مستوى تنظيم الدولة

والإعداد الفكري والدستوري لقيام دولة أفغانستان الإسلامية، وعندما التقينا الجنرال حميد گل في كابل قال: لمست الأثر الإيجابي لزيارتكم الأولى والذي لم أكن أتوقعه، مما يشجع على استمراركم في وساطتكم المباركة بإذن لله. لمسنا ترحيباً حاراً من جميع الفرقاء لهذه الوساطة، وقبولاً صادقاً غير متكلف لمباشرتها، رغبة من الجميع في الخروج من الأزمة المستحكمة، وإطفاءً للنار التي تلتهم الأخضر واليابس في أفغانستان، وبالرغم من أنهم رفضوا، أو رفض معظمهم وساطة المستيري ممثل بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة، ووساطة الأمين العام للمؤتمر الإسلامي، بل ورفض بعضهم استقبال الغامدي باعتباره في نظرهم موظفاً صغيراً لدى بعض الأنظمة.

ألح الجميع على استمرارنا بالوساطة، وعدم التوقف في هذا المسعى، بل بدأ بعضهم يأخذ بوجهة نظرنا، ويصغي إليها باهتمام.

شرعنا بالوساطة بعيداً عن الأضواء، وعن الأسلوب الذي يستفز الأفغان، كما تورطت بذلك دول وجماعات وهيئات، وتحركنا خلف لجنة من العلماء الأفغان، مراعاة للنفسية الأفغانية الجبلية.

وعدناهم بالاستمرار في أداء واجبنا، وبعد أن فرغنا من أمور ضرورية في الخرطوم، وطلبنا من أحد أعضاء الوفد -محمد إبراهيم- أن يستمر معهم كي لا يحصل أي انقطاع، فالتحقنا به سراعاً بفضل الله. ثم انتهينا إلى توصيات في موضوع الوساطة التي مر ذكرها وهي:

أن يستمر الوفد في مسعاه بعد الذي لمسناه، وتأكدنا منه في ترحيبهم وقبولهم وحرصهم على ذلك، والمعروف عن الأفغان أنهم لا يخضعون ولا يقبلون الوسطاء بيسر، ولاسيما من يمارس عليهم وصاية، أو يكلمهم من علٍ.

كان تحركنا وحديثنا باسم المؤتمر العربي الإسلامي الشعبي في الخرطوم، وبتكليف من أمينه العام الدكتور حسن الترابي.

كنا نؤكد لهم بين الفينة والفينة أننا جئنا إلى أفغانستان تحرقاً على الدماء الزكية التي تراق بدون مسوغ شرعي أو منطقي أو سياسي، فأفغانستان بحاجة إلى كل أبنائها وكل أصدقائها، وأن الأفغان مجاهدون راشدون لا يحتاجون إلى أوصياء ولا إلى وسطاء، ولذا نضع أنفسنا في خدمة الوسطاء الأفغان والمجاهدين الأفغان، لنتحرك بالشكل الذي يرونه نافعاً ومفيداً، فإذا بنا نرى أن وفد الوساطة المشكل من العلماء حريصاً أن نكون بجانبه في رحلاته وتحركاته.

- ينبغي أن يلحق أعضاء الوفد ويعودوا كما جاء ذكر ذلك لاستئناف مهماتهم، لأن الموضوع معقد ودقيق، ويمر بأحرج المراحل، إذ إن فترة الشيخ رباني ستنتهي قريباً، وسينشأ فراغ في الحكم، وسيجر البلاد إلى حرب لا تبقي ولا تذر، بل ربما كانت أمر وأدهى من كل ما سبقها من حروب، فالضباط السابقون في حكومة نجيب التحق بعضهم بهذا الفريق، وبعضهم بالفريق الآخر، وهم يسعون لتسعير الحروب وإيقاد نارها، والتدخل على أشده من باكستان

وإيران وكازخستان والهند وطاجاكستان وأوزبكستان. . إلخ والسلاح وافر في كل الجهات ولدى كل الأطراف.

والخلاصة: إن العمل على إخماد نار الحرب الأهلية في أفغانستان من أجلّ الأعمال، ويأتي في رأس قائمة السلوك الجهادي، وفيه عز الدنيا والآخرة، وإذا ما أثمر فإن أفغانستان تغدو إحدى قلاع الإسلام العتيدة، خبرة في الحرب، ووفرة في السلاح، وشجاعة قل مثيلها، في دعم الصف الإسلامي في معاركه ضد الصليبية والصهيونية وأعداء الإسلام بكل شرائحهم، والله الهادي إلى سواء السبيل، وبالله التوفيق.

١٩-١١-١٩٩٤

نائب رئيس الوفد

عدنان سعد الدين

ب- نصح حميد كل الشخصية المهمة في القضية الأفغانية، أن يصار إلى وضع ميثاق يجتمع عليه الأفغان بكل أطيافهم ويحتكموا إليه في حال أي خلاف يدب في صفوفهم، كيلا تتكرر خطيئة الباكستانيين عندما قامت دولتهم على العناوين والمشاعر دون أن يعمدوا إلى وضع ميثاق يجتمعون عليه، كان قلب الدين أسرع الأفغان إلى التجاوب مع فكرة الميثاق.

قدمت اللجنة، بعد التشاور، ميثاق دولة أفغانستان الإسلامية إلى الفصائل الجهادية في سياق مسعى المصالحة التي تقوم به اللجنة،

وهذه هي نصوصه الموجزة في صياغته النهائية.

ميثاق دولة أفغانستان الإسلامية

- تكون الحاكمية في دولة أفغانستان الإسلامية لله وحده، والمرجع الوحيد والنهائي في كل المنازعات والقضايا هو الكتاب الحكيم والسنة المطهرة.

- الحكم في دولة أفغانستان الإسلامية يُسند لمن يلتزم بالحكم بما أنزل الله، ويحظى باختيار الشعب له، عبر آلية انتخابية يحددها الدستور ولا يجوز لأحد أو جماعة الوصول للسلطة عن طريق القوة، واستعمال السلاح، اعتماداً على قوة داخلية أو خارجية أياً كانت.

- دولة أفغانستان الإسلامية دولة شورية موحدة، تحكم رئاسياً، ويكون رئيس الدولة هو رأس السلطة التنفيذية، ورمز السيادة الوطنية في آن واحد.

- سلطة سنّ القوانين الشرعية والرقابة على الحكومة من مسؤولية مجلس الشورى، وقرارات المجلس ملزمة للسلطة التنفيذية.

- السلطة القضائية في دولة أفغانستان الإسلامية سلطة مستقلة، ووظيفتها القيام على تحكيم الشريعة، وإقامة العدل، والحفاظ على الحقوق الفردية والعامة.

- الشريعة الإسلامية هي المرجع لكل القوانين والتشريعات والمناهج والسياسات.

- من حق القضاء إبطال أي قرار يخالف الشريعة الإسلامية، أو

يتجاوز على حقوق الأفراد، ولأي جهة أو فرد الحق في مراجعة المحاكم لإبطال مثل تلك القرارات.

- جميع المواطنين في دولة أفغانستان الإسلامية متساوون أمام القوانين، ويتمتعون بكل الحقوق المدنية والسياسية التي تعلنها المواثيق الدولية، وتقرها الشريعة الإسلامية الغراء.

- الحريات السياسية مكفولة في دولة أفغانستان الإسلامية لجميع المواطنين دون تمييز، بما في ذلك حرية التعبير والتنظيم، ولا يجوز أن تُستغل الحرية السياسية وسيلة لتمزيق الوحدة الوطنية، أو تهديداً لاستقلال البلاد وهويتها الإسلامية.

- تعمل الدولة أو المجتمع في دولة أفغانستان الإسلامية على تحقيق أهداف الجهاد الإسلامية، وتطوير ودعم الروح الجهادية، والخدمة العسكرية واجب على كل أفراد الشعب الأفغاني، للدفاع عن سيادة البلاد واستقلالها ووحدتها وكيانها الإسلامي. والله على ما نقول وكيل.

في ٦-١-١٩٩٥

جـ- أعقب الاتفاق على الميثاق في مطلع عام ١٩٩٥ اتفاق سلام بين الفصائل، وبمساعي وتعاون اللجنة الرباعية التي تضم ثلاثة سودانيين وكاتب هذه السطور، ومجموعة من العلماء الذين يتمتعون بثقة الشعب الأفغاني، تضمن عدداً من المبادئ التي يتطلبها قيام الدولة المستقرة في أفغانستان:

- تنصيب حكومة مؤقتة: إن تنصيب حكومة مؤقتة في أفغانستان يتم بنقل كل سلطات الدولة إليها في وقت لا يتجاوز اليوم الأول من شهر رمضان ١٤١٥هـ ومنتصف العام الميلادي ١٩٩٥م، وسوف تكون الحكومة المؤقتة ذات تفويض محدود، ولفترة للحكم لا تتجاوز ستة أشهر، وسوف تتشكل الحكومة من أشخاص أخيار ذوي اقتدار، ليسوا من الأعضاء الفاعلين في الأحزاب، وسوف يقدم كل طرف إلى لجنة الوسطاء قائمة بعشرين شخصاً من هؤلاء، وستعرض القائمتان على لجنة تضم مفوضاً من كل طرف بحضور لجنة الوسطاء، وسيكون هؤلاء مفوضين لاختيار رئيس الدولة، وأعضاء مجلس الوزراء، وقاضي القضاة، وهيئة للانتخابات مكونة من سبعة أعضاء، ومن ضمن الأسماء الواردة في القائمتين، وفي حال تعذر اتفاق ممثلي الطرفين، يكون للوسطاء الحكم الملزم بينهما، ويجب تشكيل الحكومة المؤقتة في غضون ثلاثة أيام من التوقيع على الاتفاق.

- تجري الانتخابات تحت إشراف هيئة انتخابات مستقلة عن الحكومة خلال ستة أشهر من تشكيل الحكومة المؤقتة، وسوف تجري الانتخابات على أساس التصويت المباشر لجميع المواطنين (يستثنى النساء في الانتخابات الأولى) لانتخاب رئيس الدولة، وأعضاء مجلس الشورى، وذلك عبر بطاقتين منفصلتين، ويتم التصويت في آن واحد، وتقوم هيئة الانتخابات بوضع اللوائح التي تحدد أهلية المرشح والناخب والإجراءات الانتخابية، وفي حال

وجود ضرورة تقتضي تأجيل الانتخابات، فإن هيئة الانتخابات سترفع الأمر إلى لجنة الإشراف في مدة أقصاها أربعة أشهر من توقيع الاتفاق، ويحق للجنة الإشراف أن توافق على التأجيل لفترة لا تتجاوز الثلاثة أشهر، أو تقوم باستبدال هيئة الانتخابات للمضي قدماً في إجراء الانتخابات.

- تتوقف جميع الأعمال القتالية فوراً، وتُسحب القوات إلى أماكن تجمّع خلال أسبوعين من تشكيل الحكومة المؤقتة، ومن يخالف هذا الأمر، سيتعرض للمحاكمة تحت طائلة الخيانة العظمى، وسوف يتم إخلاء المدن والطرق الرئيسية والثغور من الوحدات المسلحة ومن المقاتلين، وستناط مهمة حفظ الأمن في هذه الأماكن بوزارة الداخلية في الحكومة المؤقتة، والتي يحق لها إذا اقتضى الأمر إعداد قوة خاصة لحفظ الأمن في كابل وفي غيرها، وسوف تسحب كل الأسلحة الثقيلة إلى مستودعات الأحزاب والتنظيمات بناءً على توجيهات هيئة الصلح التي يحق لها تحديد أماكن هذه المستودعات.

- تتشكل هيئة الصلح مبدئياً من عشرة أشخاص، وتتسع فيما بعد، لتصل إلى واحد وخمسين عضواً، وتضم ممثلاً لكل حزب، وممثلين للمحافظات، وأحد عشر شخصية من العلماء، ويتم تشكيل هيئة الصلح مباشرة مع تشكيل الحكومة المؤقتة، وتنتخب رئيسها فور انعقادها للمرة الأولى، وتستمر أعمال هيئة الصلح إلى حين انتقال السلطة للحكومة المنتخبة.

- سيتم تشكيل هيئة انتخابات من سبعة أشخاص محايدين، تعلن

أسماؤهم مع إعلان تشكيل الحكومة المؤقتة.

- تشكل لجنة إشراف من قائمة متفق عليها، وتشتمل على شخصيات بارزة من شعوب الأمة الإسلامية، تكون مهمتها تسهيل تنفيذ هذا الاتفاق، إلى أن يبلغ الأمر تمامه بتنصيب الحكومة المنتخبة، ويجوز لها أن تشتمل على مراقبين من الأمم المتحدة، ومن منظمة المؤتمر الإسلامي، ولن يقتصر عملها على مراقبة تنفيذ هذا الاتفاق، بل سوف تقضي في المنازعات، وتضطلع بتفسير بنود هذا الاتفاق.

- لا يحق لرئيس وأعضاء الحكومة المؤقتة، وأعضاء هيئة الصلح، وأعضاء هيئة الانتخابات خوض الانتخابات المقبلة.

تم التوقيع على الاتفاق بحضور شهود أفغان وغير أفغان، ختموه بعبارة والله خير الشاهدين.

- لقد حضرت اختيار وترشيح تشكيل لجنة الإشراف من كبار الشخصيات من الأمة الإسلامية، وكان من السوريين الذين رشحوا في هذه اللجنة فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى، وكاتب هذه السطور.

٨- جرت الأمور في أفغانستان على غير ما كنا نسعى ونتمنى، فالتدخلات الأجنبية زادت شدة واتساعاً، والانقسام بين الفصائل، ولاسيما بين أحمد شاه مسعود القوة الضاربة في الجمعية الإسلامية التي يقودها رباني الذي نصبه وزيراً للدفاع في حكومته، وبين

حكمتيار، وكلاهما كالصخر في صلابته وعناده، فذهبت جهود كثيرة بذلها المسلمون سدى، ولم يتوقف نزف الدم بين الإخوة الألداء، وفي صفوف المجاهدين الذين قهروا السوفيات، لكنهم لم يستطيعوا قهر جموحهم وخلافاتهم التي استحكمت، فلم تعد الجهود المبذولة بذات جدوى.

أ- إن لأفغانستان مقومات وخصائص انفردت بها عن الأقطار الإسلامية كافة، فالطبيعة الجغرافية والطبوغرافية تجعل منها قطراً عصياً على الغزاة والمحتلين، فالجبال شاهقة الارتفاع، تبلغ ألوف الأمتار، وهي شديدة الوعورة، لا يسلكها، ولا يصبر عليها إلا الذين ولدوا في شعابها وعلى سفوحها، وكأنهم جزء من صخورها وتكوينها، أما شعبها فلا يقل صلابة عن طبيعتها الجغرافية، فهو شعب صلب عنيد، لا يخضع لطاغية، ولا ينحني أو يستسلم لمعتد أو محتل، وقد تعرضت أفغانستان لغزوات كثيرة، فهي المعبر إلى آسيا الوسطى، وحلقة الاتصال بين العمق الآسيوي ومناطق الشرق الأوسط، فارتدت تلك الغزوات على أدبارها، ومنيت بالهزائم المنكرة ولاسيما بالنسبة للإيرانيين، أما تمسكهم بالإسلام فحدث عن ذلك بلا تردد أو حرج، وكأن الله بحكمته وقدرته سلط الأفغان على من يريد بالإسلام وأهله شراً، وبهذه الروح شهدت الأرض الأفغانية ظهور دول قوية ذات شوكة، كان الغزنويين من أشدهم بأساً وأقواهم شكيمة، فكسرت دولة الغزنويون شوكة الغزاة، وكان محمود الغزنوي أبرز رجالهم وقادتهم من كبار القادة المسلمين العظام في تاريخ

المسلمين، والحديث طويل عن السلاجقة الذين نصر الله بهم مذهب أهل السنة والجماعة، وخضد شوكة الحركات الباطنية التي استفحل أمرها، وكادت تكتسح العالم الإسلامي بعد الجرائم الوحشية التي أشاعتها في عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد وما حولها، وتسلطهم على الخلفاء العباسيين، وما الحديث عن البويهيين وشرورهم ببعيد عن المؤرخين والباحثين.

لقد عادت لأهل السنة والجماعة عزتهم وكرامتهم على يد الشعوب التركية منذ وقت مبكر، بعد أن ابتلي المسلمون بالحركات الباطنية -كالبويهيين وأمثالهم- من الفرس الذين أشاعوا البدع والمنكرات والشذوذات ضد العقيدة الإسلامية النقية، وضد الأحكام الشرعية والتقاليد والسنن التي تلقاها أبناء الإسلام جيلاً بعد جيل عن سيدنا رسول الله ﷺ وعن أصحابه الكرام ومن تبعهم بإحسان.

ب- يطلق الباحثون -ومنهم محمد حسنين هيكل- على أفغانستان اسم: سقف العالم لما عرفت به من شدة البأس والمراس، ولصفاتٍ أخرى، وكأن الله جل جلاله بحكمته قضى أن يؤدب بها الطغاة والسفاحين، فإذا انتقلنا من القرون الوسطى والأدوار التي اطلعت بها أفغانستان، إلى العصور الحديثة، ولاسيما القرون الثلاثة الأخيرة، فإن بريطانيا التي كانت في القرن التاسع عشر الميلادي من أقوى الدول الاستعمارية في العالم براً وبحراً، والتي امتد نفوذها إلى القارات الخمس، فصارت الشمس لا تغيب عن أملاكها في إفريقيا وأمريكا وآسيا وأقيانوسيا، ثم حملتها أطماعها على اقتحام أفغانستان،

والتـوغل في جـبالهـا وأرضها الـوعرة، فـتصدى الأفـغان ذوو الـبأس لعدوانها، وخاضوا معـها معركة رهيبة ضد جيشها الـعتيد على ضفاف نهر كابل، الذي يصل ما بين العاصمـة وأكبر واحات أفغانستان جلال أباد، المـحاذية للحـدود الباكسـتانية والقـريبة من ممـر خيبـر، فكانت ساحة المعركة التي شهـدناها ذات يوم في إحدى رحلاتنا الداخلية في أفغانستان مقبرة للجيش البريطاني الذي كان عدده خمسين ألف جندي وضابط، فـلم يبق منهم إلا طبـيب ومرافقـه اللذان أخبرا عـن الكارثة التي حلت بالإنكليز والبغاة، فكان القرن التاسع عشر قرن الكارثة التي حلت بالإنكليز على أرض أفغانستان.

لم يقرأ الـدب الروسي عن كارثة الإنكلـيز، ولم يتعظ مـن ثم بما حل بهـم في أفغـانستـان، فغرتـهم الآلة العـسكرية الـتي كان الجـيش الأحمر يملكها، فتورطوا كما رأينا مـن قبل تفصيلاً، فحل بالسوفيات ما حـل بالإنكلـيز من قـبل، ولا حـاجة بنـا إلى تكرار مـا ذكرنـاه من خسائر الروس ونـكبتهم التي مهدت لـسقوط إمبراطوريتـهم التي كانت تثير الـرعب بقدراتها النووية واتسـاع رقعتها مـا بين المحيط المتـجمد والمياه الدافئـة، وما بين العمق الآسيوي والبـعد الأوروبي، وما يدين لها من ولاء الأحزاب الشـيوعية في العالم أجمع، وهكـذا كانت نكبة السوفيات في القرن العشرين.

وكـأن القـدر كتـب على الأمـريكان الـذين دعـموا الـصهـاينـة في اغتصاب فـلسطين، وتدمير شعـبها قتلاً وتهجـيراً، أن يأتي دورهم في العقوبة على ظلمـهم، فاستخفوا بأفغانستان، وحـرضوا شعوب العالم

وعشرات الدول ضدها، وبعد عشر سنوات قالوا وقال حلفاؤهم في العدوان: إن النصر غير ممكن في أفغانستان، فلابد من الحل السياسي، وليس العسكري، إنهم يتجرعون الغصص، ويعيشون حيرة لا يدرون كيف يخرجون منها، فالبقاء نكبة مستمرة في نزف المال والدماء، وخروجهم مندحرين سوف يلحق بهم ذلاً وانكساراً، وكأن القرن الحادي والعشرين سيكون قرن النكبة على الأمريكان، كما كان القرن العشرون قرن تمزيق الإمبراطورية السوفياتية، والقرن التاسع عشر قرن فناء الجيش البريطاني على ضفاف نهر كابل القريب من العاصمة.

جـ- بيد أن الذي يحز في النفس ويفري الكبد ويدمي الفؤاد، ما انتهى إليه المجاهدون الأبطال من تفرق كلمتهم، وتمزيق صفهم، والصراع الدموي فيما بينهم، حتى استحر القتل، وقضى على خيرة قادتهم الذين عرفنا بعضهم عن قرب، والذين كان صبرهم وسمتهم وتضحياتهم تذكر بحياة الصحابة رضوان الله عليهم، رحمهم الله وغفر لهم، ورد المجاهدين الأفغان إلى رشدهم.

إن فترة الجهاد في ثمانينيات القرن الماضي قد أضحت تاريخاً للاتعاظ، فمولوي محمد نبي ومولوي يونس خالص قد طواهما الموت، وأحمد جيلاني، وصبغة الله مجددي قد انحازا إلى الغرب منذ وقت مبكر، وسياف، ورباني تعايشا مع الاحتلال الأمريكي بجانب كرزاي، بعد أن كانا في صفوف المجاهدين الأولى، ولم يبق على ما كان عليه من مقارعة المحتل إلا حكمتيار الذي أشرت قبل

صفحات إلى ما يتحلى به من ثبات واستقامة وتمسك بأهداب الإسلام، وأن ما لديه من ثبات واستقامة ما يقدمه ويرجح كفته على من عداه من قادة المجاهدين منذ البدء، وها هي ذي الأحداث تثبت أنه ما يزال يناوئ المحتلين الأمريكان وحفاءهم، ويقاومهم دون مهادنة أو مساومة، ويصارعهم دون كلل أو ملل، كما كان حاله أيام الجهاد ضد السوفيات، وهذا ما يجدد الأمل في انتصار قريب للملا عمر ومن يسير في ركابه، وللمهندس حكمتيار وحزبه الإسلامي، وللشعب الأفغاني كما تشير الدلائل، وكما يصرح أعداء أفغانستان أنفسهم يائسين من أي نصر، وكما يدل موقف كرزاي الذي يتوسل للتفاهم مع المجاهدين ومصالحتهم للخروج من المأزق الذي يعاني منه هو وسادته الذين استوردوه من أمريكا، وجاؤوا به من عمله في المطاعم التي كان يديرها في أمريكا ظناً منهم أنهم يخدعون به الأفغان، باعتباره منهم ويتحدث بلسانهم.

أما موقف رباني وسياف فيذكرنا بقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾، وقوله ﷺ «اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك»، وقوله ﷺ «اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة».





التجربة الثامنة

مع جمهورية باكستان الإسلامية

منذ بدأت الاضطرابات والصدامات في سورية في أواخر سبعينيات القرن الماضي، كانت باكستان إحدى محطاتنا الرئيسية، ومراكزنا الأساسية، لاعتبارات عدة، منها أنها مقر لقيادة الجهاد الأفغاني الذي ربطتنا به علاقات متينة وتعاون وثيق، كما رأينا ذلك في البحث عن العلاقة مع قادة الجهاد الأفغاني ومنظماته، فكان سفرنا إلى بيشاور لا يتوقف على مدى عشر سنين، كما أن مركز الثقل للجماعة الإسلامية التي أسسها الإمام أبو الأعلى المودودي والمنتشرة في شبه القارة الهندية وما حولها، إنما هو في باكستان، والجماعة صورة عن الإخوان المسلمين في البلاد العربية، أو هي شبيهة بها في مبادئها ووسائلها وأساليبها في التربية والفكر والنشر والحراك السياسي.

لقد كانت مقرات الجماعة الإسلامية مفتوحة لنا، وأبوابها مشرعة أمامنا في لاهور -مقرها الرئيسي- وإسلام أباد وبيشاور وغيرها، وكان تجاوبهم معنا كبيراً جداً، وكأننا بين ظهراني جماعة الإخوان

المسلمين التي ننتمي إليها في بلادنا العربية.

كان المودودي أحد أئمة الحركة الإسلامية في القرن العشرين، وقد زار منذ وقت مبكر مقرات الإخوان في سورية، وعندما حضر إلى حماة أواخر الأربعينيات كلفني إخواني بتقديمه كمحاضر في مركز حماة، وكنت في العشرين من العمر بعد انتمائي للحركة أو للجماعة بأربع سنوات، وشاء القدر أن نشارك في تشييع جنازته في لاهور، ونسافر على عجل، ونحضر صلاة الجنازة عليه والتي أمنا فيها الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله، وكنا -كضيوف- في الصف الأول بجانب الرئيس الباكستاني ضياء الحق رحمه الله.

استمرت العلاقة مع الجماعة بقيادة خليفة المودودي الشيخ طفيل محمد الذي كان لا يقل حماسة لنا وتجاوباً معنا عن سابقه المودودي.

غير أن العلاقة شهدت ازدهاراً بين الإخوان والجماعة في عهد القاضي حسين الذي عزم على التجديد في أساليب العمل ووسائله، والخروج بالجماعة من الدوائر الضيقة التي كانت تعتمد فيها على النخبة إلى ساحة العمل الجماهيري العام، وفي الميادين السياسية والأنشطة الطلابية والاجتماعية في باكستان، متأثراً بمنهج الحركة الإسلامية في السودان.

١- وللأهمية البالغة لجمهورية باكستان الإسلامية، والتي بلغ عدد سكانها عند كتابة هذه السطور ١٨٠ مليوناً، ولكونها دولة نووية، وذات دور كبير في دول آسيا -إيران والهند وأفغانستان وغيرها- فإنها

تتعرض لضغوط ومؤامرات غربية وهندية.. إلخ، نسأل الله تعالى أن تخرج منها سالمة معافاة.

الواجب يقتضي منا حيال هذه الدولة الشقيقة والمساندة لنا: أن نقدم عن نشأتها وأهميتها والمراحل التي مرت بها صورة عبر تقرير موجز أعده تنظيمنا وممثلونا في باكستان في ٥-٣-١٩٨٥ .

انفردت باكستان بالقيام على أساس إسلامي، فقد ضحى ألوف مؤلفة من أبنائها في مقاومة الإنجليز والهندوس، لتحقيق هذا الهدف الكبير، إلا أن باكستان، ويا للأسف، لم تتمكن من إقامة الدولة الإسلامية بما تعنيه هذه الكلمة من معنى دقيق، فالزعماء الذين قادوا حركة الاستقلال، والذين وعدوا المسلمين في شبه القارة بإيجاد دولة إسلامية مستقلة -باكستان- لم يوفوا بوعودهم، الأمر الذي جعل العلماء المخلصين يقودون حملة قوية صادقة ضد المحاولات التي ترمي إلى إجهاض المشروع الإسلامي، فاستطاعوا أن يسيطروا على الأوضاع، بدعم من الجماهير العريضة والفئات الشعبية التي كانت مستعدة للدفاع عن الإسلام، وحمايته من مناوئيه.

في عام ١٩٥٢، وعندما بدأ الاتجاه نحو الإسلام يأخذ مساره الصحيح، وأخذت المحاولات التطبيقية طريقها نحو التنفيذ، فوجئت باكستان بالحكم العسكري لأول مرة -يرجح أنه بتأييد خارجي- فاستلم الجنرال محمد أيوب خان السلطة، كقائد عام وحاكم عسكري للبلاد، فاستمرت فترة حكمه عشر سنوات لم يبد للحكم الإسلامي خلالها أي ظهور. وبالرغم من التعسف في فترة هذا الحكم، تابعت

القوى الإسلامية العمل لنصرة الإسلام.

أ- تبع هذا الحكم العسكري حكم عسكري آخر بقيادة جنرال آخر هو يحيى خان الذي لم يكن كما ذكر الباكستانيون، من أهل السنة والجماعة، فأجرى انتخابات، ظهر فيما بعد، أنها معدة عام ١٩٧٠، فكانت صدمة مؤلمة للجماعة الإسلامية، حيث حصل العلمانيون والشيوعيون والحركات المعادية للإسلام في باكستان الشرقية على أغلبية الأصوات.

بعد نشوب حرب عام ١٩٧١ مع الهند تمزقت باكستان شر ممزق، إذ انفصلت باكستان الشرقية عن الغربية، ووقع جيشها -جيش باكستان الغربية- في الأسر في بنغلادش، وتسلم ذو الفقار علي بوتو -المعروف بعدائه للإسلام- الحكم في باكستان الغربية، فكانت هذه الفترة بالغة القسوة على باكستان، وشهدت البلاد حالة من الفوضى، وأحكم بوتو قبضته -وهو يحكم باسم الديمقراطية على باكستان- فكان أسوأ دكتاتور عرفته البلاد، حيث انتشرت عمليات النهب والاغتيالات والاعتقالات على نطاق واسع، وقد تنبهت الحركات الإسلامية لذلك، وقامت بتحريك الرأي العام، والقيام بمظاهرات واسعة، فسعى بوتو لتهدئة الأوضاع بالإعلان عن انتخابات جديدة في باكستان عام ١٩٧٧، فقام حلف وطني باكستاني عريض ضد بوتو ضم معظم فئات الشعب الباكستاني، حتى أضحى تياره كاسحاً بقيادة المفتي محمود، فعمت المظاهرات، وقتل المئات، وأقدم بوتو على أكبر عملية تزييف للانتخابات بتاريخ باكستان، فتحرك الجيش في

٤-٧-١٩٧٧ بقيادة الجنرال ضياء الحق فزج بوتو في السجن وأجرى له محاكمة انتهت بإعدامه، وأعلن أن البلاد إسلامية وستبقى كذلك، ووعد بإجراء انتخابات عامة حرة خلال ٩٠ يوماً من استلامه السلطة، لكنه لم يف بوعده واستمر في الحكم إحدى عشرة سنة.

بمرور الوقت بدأ ضياء الحق يعطي حكمه وجهاً إسلامياً، ويبدأ خطبه بآيات من القرآن الكريم، لكن ذلك كله كان شكلياً، وعلى الورق، وبقي المجتمع على حاله دون تغيير يذكر، وبقيت البلاد على ما هي عليه من فقر وحرمان، وبقي المرتشون والمختلسون تحت حماية الدولة يرتعون في مصير الناس كما يريدون.

ب- كانت سياسة الحركات الإسلامية هي العودة بالبلاد إلى الديمقراطية وإنهاء الحكم العسكري، فأجرى ضياء الحق استفتاءً عام ١٩٨٤ وانتخابات عامة ١٩٨٥ ليحكم لفترة خمس سنوات أخرى واعداً بإنهاء الحكم العسكري والعمل على تثبيت دعائم الإسلام.

لم يستجب الشعب لدعاوى ضياء الحق، ولم يشارك في الاستفتاء أكثر من عشرين بالمئة، ولكن الحكومة التي نظمت الاستفتاء ذكرت أن النسبة بلغت ٧٥٪ وكان الخاسر الأكبر في الانتخابات هي الجماعة الإسلامية التي لم تنل إلا عشرة مقاعد من أصل ٢٢٦ مقعداً، لأن الانتخابات جرت في غياب الأحزاب بصورة فردية.

وقفت باكستان على مفترق الطرق، فإما العودة إلى الحياة المدنية وتوزيع السلطات بين الرئيس ورئيس الوزراء، أو أن تغرق في مستنقع حكم عسكري جديد!

كانت صلاتنا -نحن إخوان سورية- قد توثقت بالرئيس الباكستاني ضياء الحق وتكررت الزيارات إلى منزله مراراً، وقد شعرت في أثناء جولاتنا في باكستان، وزياراتنا للحركة الإسلامية الرئيسية، أن أزمة حادة قائمة بين الرئيس وبين قيادة الحركات الإسلامية، فنصحنا الرئيس بالعمل على إيجاد جو من التفاهم بينه وبينهم، فأبدى استعداداً كبيراً لذلك، ورغب إلينا أن نقوم بهذه المساعي الحميدة، وكان الذي أقام هذه العلاقة بيننا وبين الجنرال هو مفتي باكستان الشيخ تقي عثماني وابن مفتيها عن طريق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله الذي كانت تربطه بالعثماني وبكبار علماء باكستان علاقات علمية وأخوية وشيجة، فكنا نأتي ضيوفاً على الرئيس الباكستاني ونزوره في منزله، وعندما رغب إلينا بتقريب وجهات النظر بينه وبين القادة المسلمين، استجبنا نحن الثلاثة الذين يتكون منا الوفد السوري: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة والدكتور حسن هويدي رحمهما الله، وكاتب هذه السطور.

كانت الحركات الإسلامية الكبرى في باكستان هي: الجماعة الإسلامية بقيادة القاضي حسين، وجمعية علماء باكستان برئاسة شاه أحمد نوراني، وجمعية الحديث برئاسة إحسان إلهي ظهير، وجمعية علماء الإسلام برئاسة المفتي محمود وولده من بعده، فوجئنا أن ضياء الحق عمل على تقسيم هذه الحركات ليكسب منها من يقف بصفه، فنجح في تنفيذ ذلك في جمعية علماء الإسلام وجمعية علماء الحديث، كما فوجئنا بأن الثقة مفقودة بين قادة هذه الحركات وبين

ضياء الحق، لأنهم جميعاً قالوا: إن ضياء الحق لا يتقيد بوعد أو بميثاق وأنه مكن للشيعة في باكستان من مراكز حساسة في الدولة، كما فعل في وزارتي الدفاع والداخلية، وأنه يعد ويخلف في إجراء انتخابات على مدى أكثر من عشر سنوات، حتى أعطى لحزب الشعب بقيادة عائلة بوتو فرصة في أن يجمع صفوفه، وينظم قواعده، ويكسب الرأي العام لجانبه بعد أن نكث الجنرال بكل وعوده، ولذا -قالوا- إنهم لا يثقون بكلامه ولا يمكن لهم أن يركنوا لمواقفه ووعوده، وكانت حجة الجنرال أنه إذا أجرى انتخابات، كما يطالب بذلك قادة الحركات الإسلامية، فإن حزب الشعب سيفوز بها، وكان الرد على ذلك بأن الحركات تحمله مسوولية ذلك لأنه بنكثه للوعود خسر ثقة الشعب الذي انحاز بأعداد كبيرة إلى حزب بوتو.

لقد لمسنا من ضياء الحق مثل هذه السياسات في علاقته مع الآخرين، فعندما طلبنا منه أن يقف حيادياً في الحرب بين إيران والعراق، وأن يقوم بدور الوسيط لإطفاء نارها وعد بذلك إذا انسحب العراق إلى الحدود بين الدولتين، ولما حدث ذلك، وانسحب العراق من الأرض الإيرانية، ازداد ضياء الحق انحيازاً لإيران، لأسباب غير مفهومة، هل كان تقرباً لإيران؟ أم لتنشيط التجارة مع إيران التي كانت تستورد كميات كبيرة من الرز وغيره من باكستان؟

وعندما وعدنا بفتح أبواب الجامعات أمام طلابنا السوريين بعد أن طوردوا في سورية وغادروها، وعدنا بذلك، كما وعدنا بتدريب عدد من شبابنا، ولكنه كان في كل الحالات لا ينفذ من كلامه شيئاً، فكان

البعد بين ما يعد به وبين تنفيذه كما هو بين المشرق والمغرب!

جـ- وعندما لمسنا في ضياء الحق تخاذلاً في علاقاته وتراجعاً عن وعوده، ورفعنا له مذكرة نذكره فيها على ما اتفقنا عليه معه بشأن طلابنا وشأن وعوده الأخرى، بعد التشاور مع الجماعة الإسلامية، الذين وعدونا بتسليم مذكرتنا إليه.

تسلّم منا خليل الحامدي، سكرتير أمير الجماعة، ومدير دار العروبة المتخصصة بترجمة كتب المودودي وغيرها من الأردية إلى العربية، مذكرتنا في ٣٠-٩-١٩٨٤ في أثناء لقائنا به في الخرطوم، وهذا نصها:

فخامة الجنرال ضياء الحق رئيس جمهورية باكستان الإسلامية الموقر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسأله تعالى أن يسدد خطاكم إلى ما يرضي الله سبحانه، ويحفظ باكستان وشعبها من كل سوء وبعد:

فقد حظينا بلقياكم أربع مرات في عام واحد، وتلقينا موافقتكم الكريمة على إلحاق نفر من شبابنا بجامعاتكم في باكستان، وحملنا لهم البشرى بذلك في كل مرة، بل وأسررنا في آذان إخوتنا من قادة المسلمين في العالم الإسلامي بهذا الأمر، وأن فخامة الرئيس قد فتح قلبه وبلده إلى شبابنا من سورية، ليلتحقوا بالجامعات الباكستانية، وقد بنى الشباب آمالهم على إكمال دراستهم بناءً على موافقة

فخامتكم، والآن وبعد انتظارهم الطويل وانتظارنا، نرجو من فخامتكم أن تصدروا أمركم بتنفيذ موافقتكم الكريمة للجهات المختصة في الجامعات الباكستانية، ليعلم إخواننا المسلمون في العالم، وأبناؤنا في سورية وخارجها أن الوعد الذي تفضل فخامة الرئيس به، وأكده لوفد الجبهة الإسلامية في سورية قد أخذ طريقه بالتنفيذ، إن لم يكن لجميع الطلاب الذين قدمنا أسماءهم فللمتيسر منهم، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في ٣٠-٩-١٩٨٤

المخلص

عدنان سعد الدين

عن وفد الجبهة الإسلامية في سورية

٢- اتسعت الهوة بين ضياء الحق والجماعة الإسلامية، وبدت رغبته جلية في كبتها وإسكات صوتها، بعد أن وقفت بجانبه في الاستفتاء وفي مواقف أخرى أملاً منها في تبني المشروع الإسلامي، فخسرت الجماعة تعاطف الشارع وبعض العلماء والجمعيات معها، ليأتي دور ضياء الحق، فيضيق عليها، ويضعف تحركها، وكانت جمعية الطلبة أقوى تنظيمات الجماعة، بل هي التنظيم المتحرك والمعارض وذو التأثير الكبير في الجامعات الباكستانية، فسلط ضياء الحق أجهزته الأمنية على جمعية الطلبة الإسلامية، وأطلق لها العنان بالتنكيل بالطلاب واستخدام وسائل من التعذيب وأساليب قذرة يعف القلم عن ذكرها، ولم تكن معروفة أو مسبوقة قبل ضياء الحق في

باكستان بما في ذلك عهد بوتو ذي الوطأة القاسية على معارضيه، وعندما ضج الشعب الباكستاني والوسط الطلابي من أساليب أجهزة ضياء الأمنية، اضطر ضياء الحق أن يصرح وينفي ما يتعرض له الطلاب الجامعيون من أعضاء جمعية الطلبة إحدى أقوى التنظيمات التابعة للجماعة الإسلامية.

أ- رفع نائب رئيس جمعية الطلبة راشد نسيم مذكرة إلى الجنرال محمد ضياء الحق في ١٢-٥-١٩٨٤ جاء فيها: نأسف أن نبين بالنيابة عن الأوساط الطلابية في باكستان أن تصريح الجنرال ضياء الحق بتاريخ ٦-٥-١٩٨٤ في مطار لاهور الذي نفى فيه تعذيب الطلبة من قبل إدارته، يعتبر حتماً غير صحيح، وسعياً ممقوتاً لتغطية الحقائق.

إن مئات من الطلاب تعرضوا لأساليب وحشية من التعذيب في المعتقلات خلال فترة الحركة الطلابية ضد قرار الحكومة الاستبدادي بإغلاق الاتحادات المنتخبة والمنظمات الطلابية الصادر في شهر شباط/ فبراير الماضي.

إن ضحايا عديدة قد عريت، وأحرقت أماكن حساسة في أجسامهم بالسجائر والشموع، وقلعت أظافرهم، وتحمل آخرون التعذيب الوحشي والسباب والتهديدات من قبل البوليس.

لم يرحم البوليس حتى آباء الطلبة وأقاربهم وحتى النساء في بعض المناطق، وقد أخذ كثير من الشباب إلى مراكز البوليس والمعتقلات والأماكن المهينة، واتهموهم بتهم عديدة ملفقة، ولا يزال العنف المفرط مستمراً بحق الطلبة حتى الآن.

لقد ثبت زيف التصريح الذي أدلى به ضياء الحق، والذي نفى فيه ممارسة التعذيب مع الشباب المسلم في ٦-٥-١٩٨٤، وذلك بجدول الحقائق الثابتة من التعذيب وأنواع العنف الأخرى المفرطة الموضحة في نهاية المذكرة، وهي بحاجة إلى تقرير كامل ووثائق عن جميع الحالات، يستوعب مئات الصفحات.

إن إسلامي جمعية الطلبة تتحمل المسؤولية كاملة عن صحة هذه الحوادث المذكورة، وكذلك الحالات الكثيرة التي لم ترفق هنا، ويمكن إبرازها عند الطلب من المحكمة لهذا الغرض.

في ٩ آذار/ مارس قامت وحدة من أفراد البوليس بمهاجمة مسجد رشيد في حي أجهرة بلاهور، واعتقلوا ٧٠ طالباً، كانوا يحضرون دروس القرآن، فمنع البوليس التجمعات لإقامة صلاتي العصر والمغرب، وكان المسؤول عن العملية هو المدير الإداري للشرطة المدعو نيازي في منطقة أجهرة لاهور وقد كبل الطلبة جميعاً من أيديهم وأرجلهم، وأخذوا إلى معتقل الوحدة، وطرحوا جميعاً في غرفة واحدة مساحتها ٣×٤م، ثم قام البوليس يضرب الجميع بالعصي وهم مكبلون، ثم تبع ذلك نقل ثمانية من الطلبة الموقوفين إلى منطقة وادي رود على دفعتين، وقام البوليس بتعريتهم وتعذيبهم حيث أحرقت أعضاؤهم الحساسة ولحاهم، وأجزاء عديدة من أجسامهم بالسجاير والشموع، كما تم نقل فوجين آخرين إلى شارع لتن حيث عروا أيضاً وقام البوليس بإدخال العصي بقوة في أدبارهم، وهي واحدة من أغرب وأشنع عمليات التعذيب المعروفة حتى الآن.

هاجم البوليس في ٢٩ فبراير / شباط اجتماعاً كان يضم ٤٠٠ طالب داخل حرم كلية الطب في كراتشي، وألقى ما يزيد على مئة قنبلة مسيلة للدموع، وأجبر بعض الطلبة على التعري، وقد أسفر الهجوم عن ٢٠ جريحاً و٣٠ معتقلاً.

ضرب طالب في ملتان حتى الإغماء، فحمله البوليس في دراجة ركشا، وضرب الطالب رشيد حسن هاشمي سنة ثالثة كلية طب بكعب المسدس من قبل البوليس داخل الكلية في طريق بوسان حتى أغمي عليه، ونقل بواسطة دراجة ركشا إلى جهة غير معروفة.

بتاريخ ٢٨ آذار / مارس قامت مجموعة من الجيش عددها ١٢ فرداً بمساعدة البوليس المزودين بالمسدسات والهراوات واعتقلوا الطلبة: منور حسن، وراجا محمد يعقوب، وسعيد أحمد، وعاصف محمود، وهم من طلبة البنجاب، وقد ضربوا بعنف شديد، وضمدت جراحاتهم في معتقل الوحدة، ثم أخذوا إلى السجن المدني الذي رفض استقبالهم مبدئياً، بسبب نزف جراحهم الشديد، وتخوفاً مما يترتب على ذلك من مسؤوليات، ولذلك قام البوليس بنقل الطلبة الأربعة إلى قسم الطب الشرعي في منطقة أناركلي، حيث أثبت الجرّاح التابع للبوليس في تقرير كتابي -لدينا نسخة منه- خطورة الجراح ثم قام بالتخفيف من خطورتها تحت ضغط الإدارة، ثم حول الطلبة إلى مستشفى ميو الرئيسي في لاهور، ثم قام البوليس بتسليم الطلبة إلى السجن المدني، وقد احتفظوا بهم دون طعام، ومنعوا من النوم بالقوة لمدة ٢٤ ساعة، ثم وضع الطلبة عمداً داخل زنزانة فيها

بعض مهربي المخدرات وعلى عكس المتوقع، فقد تفاعل المهربون بصورة مدهشة مع الطلبة، بعد أن رأوا ملابسهم التي عليها بقع الدم، وقاموا بتأمين ملابس نظيفة وبعض الطعام.

ضرب بعض الطلبة بعنف في سجن فيصل آباد، كما قام البوليس بربط آصف راشد عالم كير الطالب في السنة الأخيرة في طب البنجاب في سيارة جيب، وسحب حول مكتب المحافظة خلال فترة استجوابه في الليل.

وعندما فشل البوليس في اعتقال آصف أمين سر الجمعية في ملتان طارده وأطلق عليه النار فنجا بأعجوبة، واعتقل خالد كوهر في كلية ملتان، بعد أن وضع فوهات المسدس على رأسه، وعرى البوليس كاملين خان من كلية الحكومة، وضرب أمام العديد من الآباء والطلاب ثم سلط البوليس سائقي الشاحنات في المعتقل على الطالب ليمارسوا معه... على مرأى ومشهد من الجميع!! وعندما أراد الطالب فضل الحق في قسم الهندسة الكيميائية جامعة البنجاب تأدية صلاة الفرض داخل معتقل الوحدة، أمر البوليس بتعريته وجلده بشدة، وعندما فشل البوليس باعتقال فواجا عبيد الرحمن أحد المرشحين لانتخابات مجلس جامعة ملتان، اعتقلوا أخاه الأصغر الذي كان طريح الفراش، ووضعوه في السجن تحت أوامر الحكم العسكري، وهذا ما فعلوه بأحد أبناء ملتان عندما فشلوا باعتقاله، فألقوا القبض على أحد موظفيه، ثم ألقي القبض على السيد أختر لأنه جار لأحد زعماء الطلبة المطلوبين.

وأخيراً أوردت المذكرة أسماء عدد من الطلاب الذين تعرض أقرباؤهم للتهديدات والسباب والتعذيب في لاهور وروالبندي وبهاولبور وملتان.. إلخ.

إن جمعية الطلبة المسلمين مستعدة لعرض الحقائق والشهادات والوثائق لإثبات التعذيب على نطاق واسع في جميع أنحاء باكستان من قبل إدارة ضياء الحق، وتطالب بتشكيل لجنة من المحامين والصحفيين للكشف عن الجرائم غير الإنسانية بحق الطلبة منذ شهر شباط عام ١٩٨٤.

لقد صرح ضياء الحق بأنه يتحمل المسؤولية الشخصية كاملة عن أي تعذيب أو إهانة ضد الطلبة، وإذا كان الرئيس يعني ذلك حقاً، فإننا ندعوه للظهور أمام اللجنة المقترحة، والموافقة على قراراتها ومشاهداتها أمام الحقائق المعروضة.

ب- لسوء الحظ فإن الرئيس ضياء الحق يحاول خداع وتضليل العامة من الباكستانيين واللجان العالمية فيما يتعلق بالحوادث الأخيرة للطلبة، إذ كانت أوامره لتحريات معينة، هي من قبيل ذر الرماد في العيون، فالمحققون هم في الحقيقة موظفون مأجورون، وهم بأنفسهم خططوا ونفذوا سلسلة التعذيب والإهانات للطلبة، وقد أكمل الرئيس المسرحية باستدعاء النائب العام للبوليس في البنجاب، وجعله يحلف يميناً كاذباً بالله -غموساً- أمام الصحفيين بوجوده أن الإدارة والبوليس بريئان تماماً من أي تعذيب أو إهانات اتهمتا بها!!

والحقيقة أن هذه ليست المرة الأولى التي يستغل بها الرئيس

الجنرال اسم الإسلام لنشر الأكاذيب، وتمرير فظائعه الشنيعة، وأن النظام العسكري قد وضع خطة لتدمير كل المعاهد في البلاد، وإهانة الطلاب، وهي جزء من هذه الخطة لإجبار شباب باكستان للاستسلام، تمهيداً لاستمرار الحكم العسكري غير الشرعي في باكستان.

إننا نذكّر الجنرال ضياء الحق وأعوانه ومن معه في الحكومة العسكرية: أن المجتمع الطلابي في باكستان لن يتركهم بمنجاة عما ارتكبوه من جرائم دون أن ينالوا العقوبة والجزاء العادل، كما أنهم لن يستطيعوا النجاة من غضب الله العظيم يوم الحساب العسير، ومن حكم التاريخ عليهم بإذن الله.

٣- بعد أن كشف ضياء الحق عن سياسته ومواقفه، واستفحل الخلاف بينه وبين الجماعة الإسلامية، وبعد أن شرعت أجهزته بالتنكيل بجماهير الطلاب الجامعيين الموالين للجماعة الإسلامية، بالأساليب الوحشية التي رأينا أمثلة منها، جهر أمير الجماعة ميان طفيل محمد بموقفه، وعبر عن استنكار الجماعة لما آل الأمر إليه على يد الجنرال، فعقد مؤتمراً صحفياً، اكتفى بذكر بعض الإجابات دون ذكر الأسئلة رغبة في الاختصار، وكان ذلك في نهاية عام ١٩٨٤ فقال: منذ عام ١٩٧٩ أعلنت الأحكام العرفية في شهر أكتوبر/ تشرين الأول، فمُنعنا من التحرك والتعبير، فتجنبنا الصدام مع الحكم العسكري العرفي، وصرنا ندعو في نطاق ما يزعمه الحكم من أنه يريد الإسلام.

إن الرئيس يعلـن أنه يريد الإسلام، ولكن تصوره عـن ذلك قاصر وخاطئ، ولا يملك رؤيـا عن الشـريعة التـي يجب تطـبيـقهـا في كل شؤون الحياة، في المعاملات والعبادات والاقتصاد.. إلخ، فالحاشية التي يعـتمد عليـها الجنرال في تـطبيق الإسلام هم مـن البيروقراطـيين الذين تـربوا في ظل السـياسـة البريطـانية، ويتـعاملـون بالرشوة ونـشر الفساد، فـأين هم من أحكام الإسلام ومفـاهيمه، بل إنهم يقـفون سداً منيعاً أمام تطبيق الشريعة.

إن ضـياء الـحق وبالـمفـهوم الـبريـطاني الـذي عمـل على وجـود القـاديانيـة، ونشـرها، سـمح لهـم بنشـر ضلالاتـهم، إلا أن الشـعب الباكـستانـي أحبط ذلك، فأعـلن مروق القاديـانية من الإسـلام، وأنها تعمـل على محاربـته فأحبـط الباكسـتانيون (والمـودودي وجماعـته في المقدمة) ما صنعوا، وهذا ما نبه الدول الأخرى إلى أخطار القاديانية.

إن ضـياء الـحق طارد اتـحاد الـطلبـة واضطـهدهـم، فاسـتنكرت الجماعة الإسـلامية هذا العمل الهمـجي -حسب تعبير طفـيل محمد- وعمـلت الحكومـة على اسـتدراج اتحـادات الطلبـة لضـربه وسحـقه، وعذبـت شبـابهم عـذاباً شديـداً، وخلعت مـلابسـهم وضربـوهم وهم عراة، وأحـرقوا بـالشمع الأمـاكن الحـساسـة من أجسـادهم، وعلـقوا بعضهم أربعين ساعة، ولم يسمح لهم بأداء الصلاة، وقبضوا على آباء وأمهات بعضهم، واستعملوا كل أساليب القهر والإذلال لأهل المعتقل وأقاربه.

كانـت الحكومة تـخطط لجر الـجماعـة للصدام ومـقاومة الـحكم

العسكري، فيقضي الجيش على الجماعة قضاءً مبرماً، لكننا صبرنا، وعالجنا الأمر بحكمة، وتحكمنا بأعصابنا، ومنعنا الشباب من الصدام المباشر، ففوتنا الفرصة على الحكم العرفي بسحقنا.

ويقول أمير الجماعة طفيل محمد في مؤتمره الصحفي: إن هذه الإجراءات أي إلغاء الاتحادات الطلابية واستدراج الطلاب إلى الصدام مع الحكومة مخطط مدروس، خطط له من قبل روسيا والهند ضد باكستان، حيث أرادت تلك القوى أن يقع الصدام بين الجماعة الإسلامية وضياء الحق، عندئذ يضعف الحكم، وتنتهي المعارضة، الأمر الذي يعطي الفرصة لتغيير السلطة، ووضع عملاء الروس والهند على كراسي الحكم.

أود أن أطمئن الجميع أن قوة الجماعة الشعبية قد زادت، وسوف نحقق بإذن الله تقدماً إذا أجرى ضياء الحق انتخابات في عام ١٩٨٥، فالجماعة بفضل الله تنادي بالفكر الإسلامي الصحيح دون إفراط أو تفريط في العقائد، وهي التي اهتمت بنشر العقيدة والفكرة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة في باكستان وكشمير والهند ونيبال وسيريلانكا، ونؤكد أن هذه الفكرة تنتشر بقوة في القارة الهندية والحمد لله.

أما حال أفغانستان، فقد عرف الإمام المودودي رحمه الله خطر الزحف الشيوعي منذ أكثر من عشرين سنة، وركز جهده على جامعة كابل، فترجمت كتبه إلى الفارسية، ووزعت على طلابها، ومعها كتب الحركة الإسلامية التي كان لها انتشار كبير في أفغانستان، فنشأ جيل

إسلامي حمل لواء الجهاد ضد الدب الروسي والمد الشيوعي، من أمثال سياف وحكمتيار، ورباني وغيرهم، ومنذ أن قام الغزو الروسي لأفغانستان، ونحن نساعد المجاهدين بكل ما أوتينا من قوة مادياً وأدبياً، فلقد أقمنا المستشفيات، وساعدنا المهاجرين، وحاولنا توحيد الصفوف داخل حركات الجهاد، وسنظل نقدم ما نستطيع حتى تقوم راية الإسلام على ربى أفغانستان إن شاء الله.

أما الحكومة فإنها تقوم بتقديم المساعدة، ومع أن ضياء الحق يعذبنا ويشردنا، فإننا نقول كلمة الحق لا نخشى في الله لومة لائم، فالرئيس ضياء الحق يقدم للأفغان كل ما يستطيع.

لقد أسهبت في الحديث عن ضياء الحق، وتمسكه بالسلطة رغم الوعود الكثيرة التي بذلها بالعودة إلى الحكم المدني بانتخابات نزيهة والعمل الجاد على تطبيق الإسلام، فصادم جميع التيارات السياسية وكانت الجماعة الإسلامية آخرها، وكيف أسرف ضد أبناء الجامعات الباكستانية تنكيلاً وتعذيباً.

إن ما أعنيه من هذه الخاتمة هو تنبيه العاملين للإسلام والعازمين على العودة به كاملاً إلى المجتمع والحياة بكل جوانبها، أن لا يركنوا في تطبيق الإسلام وتحكيم شريعته على وعود حاكم أو سلطان مهما كانت الثقة به كبيرة، لأنه سوف يختلف مع التيارات الإسلامية كما يختلف مع غيرها، لأنها ستطالبه بالتنفيذ، لكنه يتوقف أو يرجئ ذلك لاعتبارات شخصية وسياسية وخارجية. فيرى أنها عقبة في طريقه، فيعمل على إزاحتها والتخلص منها. فإذا ركن الإسلاميون إلى وعود

الفرد، فإنهم سيواجهون أمثال النميري وضياء الحق وعبد الناصر الذي وعد بالالتزام بالإسلام أول عهده بالانقلاب عام ١٩٥٢، وبعض قادة الثورة الجزائرية التي قامت على أساس الإسلام، والجميع نكصوا بوعودهم، وطاردوا أبناء الحركة الإسلامية، وأعدموا قادتها كما حدث في مصر، أو حاولوا إعدامهم كما كان حال النميري بتحريض من الرئيس الأمريكي بوش، أو طاردوهم كما فعل ضياء الحق في باكستان.

إن الضمان في تطبيق الإسلام وجود قاعدة قوية ذات نفوذ وقرار، تلزم به الرئيس أو السلطان باسم أهل الحل والعقد، أو البرلمان ذي الشوكة، أو تنظيم عتيد مؤثر، فيذعن المسؤول طائعاً، أو يستبدل به من هو خير منه: إن تتولوا يستبدل قوماً غيركم.





التجربة التاسعة

مع الجمهورية التركية الشقيقة

منذ كلفت بمهمة المراقب العام سنة ١٩٧٦، تطلعت مع إخواني إلى إقامة صلات مباشرة مع الأتراك على كل الصعد الرسمية والشعبية بدوافع كثيرة، واعتبارات تشمل العقيدة والتاريخ والجغرافيا والحدود الطويلة والمصالح المشتركة، ولجوء عدد كبير من السوريين المطاردين إلى الأرض التركية وغيرها، ولم يدخل العام ١٩٧٧ إلا وقمت بزيارة تركيا، والتقيت الأستاذ نجم الدين أربكان الذي أضحى نائباً لرئيس الوزراء في تشكيلين وزاريين، مرة مع سليمان ديميريل، وأخرى مع أجاويد لأنه كان يملك كتلة برلمانية -٤٩ نائباً- ترجح كفة أي من الحزبين عندما يكلف أحدهما بتشكيل الوزارة.

تناولت طعام السحور مع الخواجه نجم الدين في منزل أحد وزرائه -وزير الأوقاف- أو المسؤول عنها، ثم تناولنا الأحاديث الخاصة بالتعاون، ولاسيما في موضوع المناهج المدرسية (التي كنت أتولى العمل في دائرتها في أبو ظبي عاصمة الإمارات العربية المتحدة)، وكان أربكان متحمساً لها، وشديد الحرص عليها، أملاً

منه أن يدخل في المناهج التركية ما يقربها من المفاهيم والقيم الإسلامية. ومنذ ذلك الحين لم تنقطع اللقاءات مع حزب السلامة الذي استطاع أربكان بتوازناته السياسية أن يحتل سبع وزارات ومنها الداخلية في الوزارات الائتلافية التي شارك فيها، أقول: منذ ذلك الحين لم تنقطع اللقاءات مع حزب السلامة، ولا التشاور مع زعيمه أربكان من خلال مكتب الإرشاد الذي كنت عضواً فيه، وعبر الزيارات واللقاءات الثنائية، والمناسبات والمهرجانات التي كان الحزب يقيمها، إحياءً لذكرى فتح القسطنطينية، وتحويلها إلى عاصمة السلطنة العثمانية باسم اسطنبول التي أضحت ملء السمع والبصر في تاريخ المسلمين.

١- تسربت أعداد كبيرة من تنظيمنا إلى تركيا، هرباً من المطاردة والقتل والاعتقالات التي كانت تمارسها السلطات الأمنية في ظل الحكم العرفي، وكان لابد من علاج لهذه الأعداد التي وصلت إلى الأراضي التركية، وزج بعضها في المعتقل، ويكون لدينا غطاء قانوني أو سياسي، غير أن جهودنا ذهبت أدراج الرياح، حتى قيض الله لنا صديقاً تركياً مخلصاً هو السيد صالح أوزجان الذي تم اللقاء والتعارف معه، عبر برنامج تلفزيوني كنت أقدمه في أبو ظبي باسم: من نور الإسلام، وذكرت فيه فضل العثمانيين في تصديهم للزحوف الصليبية على بلادنا، فأراحه ذلك وسعى إلى أن نلتقي خلال ساعات، فتوثقت الصلة فيما بيننا، والتزاور معه في أنقرة، وفي اسطنبول حيث كان يعمل مديراً لبنك فيصل الإسلامي، كما كان عضواً في رابطة العالم

الإسلامي في مكة المكرمة، ونائباً عن مدينة أورفه في البرلمان التركي في إحدى الدورات الانتخابية.

طلب الأستاذ صالح لقاء عاجلاً معي في فندق هيلتون في الخرطوم لأمر مهم. قال فيه: كنتم تطلبون منا أن نفتح لكم قناة مع الأتراك، ولم يكن ذلك متاحاً، وقد حانت وجاءت الفرصة المناسبة التي كنا نبحث عنها.

إن شخصية كبيرة ونافذة فقد أخاه الذي كان يشغل منصباً كبيراً على الحدود السورية التركية، بالصدام مع السوريين، وهو حانق على النظام السوري، وهو على استعداد ليلقاكم في اسطنبول، وقال: إنه الرجل الثاني في المؤسسة التي يعمل بها، دون أن يُعَرِّف السيد صالح أوزجان عن هذه المؤسسة، هل هي الأمن الداخلي، أو المخابرات العامة، أو الشرطة، أو مؤسسة عسكرية؟

عقد لنا أوزجان لقاء مع الرجل في مكان عام، أتبعه لقاء آخر في شقة خاصة بالدائرة التي يتبع لها الرجل، يرفع فيها داخل صالون الاستقبال لوحة كبيرة تضم القرآن الكريم كاملاً، فأشار لي إلى اللوحة، ليؤكد على تمسكهم بالقرآن وتقديسهم له، ومنذ ذلك الحين، قامت صلات مهمة، وقدمت تسهيلات لبعض المعتقلين، فأطلق سراحهم، ولبعض الهاربين اللاجئين إلى تركيا، فأمِنوا واستقرت أحوالهم.

٢- كان ذلك في عام ١٩٨٤، وقد اقتضت هذه العلاقة، إيجاد نقطة ارتكاز في أنقرة، وافتتاح مكتب لتنظيمنا فيها، وانتداب مبعوث

لنا في العاصمة التركية، قام بمهمته خير قيام، وكان أميناً في أداء مهمته، وقيامه بواجباته، وكان دمثاً في التعامل مع الأتراك، فكسب ثقتهم، وسرعان ما أتقن الحديث بلغتهم.

أ- أبلغنا حلفاءنا في بغداد وفي التحالف الوطني الذي كنت أمينه العام عن هذه العلاقة، كما أبلغنا المعنيين الأتراك بحزب السلامة، وزعيمه نجم الدين أربكان، كما أبلغنا الأخير عن صلتنا بالجهة المعنية التركية كيلا نترك أي شك يتسرب إلى نفوس إخواننا وأصحابنا وحلفائنا عن تحركنا على الأرض التركية، وفي كل هذه العلاقات حصرنا مهماتنا وأنشطتنا ومساعينا بأمر واحد لا نتجاوزه ولا نتعداه، وهو العمل على تغيير نظام الأقلية الذي يحكم سورية والسوريين بالحديد والنار، والسلطات الأمنية ذات الصلاحيات المطلقة في ظل الحكم العرفي وقوانين الطوارئ منذ عقود.

أسجل للأتراك معاملتهم الراقية طيلة السنوات التي تم فيها الحوار معهم، إنهم لم يتدخلوا قط بالشأن الداخلي لتنظيمنا، ولم يتعرضوا قط لمبادئنا وأفكارنا وقناعاتنا، بل كانوا يظهرون كثيراً من التقدير والتبجيل لعقيدتنا الإسلامية، ويشعروننا في كل مناسبة أنه مسلمون، يعظمون الإسلام، ويوقرون عباداته وتوجيهاته.

كما أسجل للأتراك أنهم أفسحوا لنا من المجالات ما لو كنا قادرين على استيعابه وتوظيفه، لكان الوضع في بلدنا يختلف عما هو عليه الآن.

ب- إن الذي كان يحملهم على كره النظام في سورية، بل

والحقد عليه، ما لمسوه، وتأكدوا منه من أن نظام الأقليات يعمل بكل الوسائل على تقويض الحياة السياسية، وهدم أسس المجتمع على الأرض التركية، ويتخذ من الأقلية العلوية في جنوبي تركيا، وبالمحافظات الجنوبية مثل لواء الاسكندرون وقضاء أنطاكية، وكيليكيا مرتكزاً لتنفيذ هذه السياسة مما سيأتي ذكره في فقرات لاحقة.

في سياق هذه السياسة، وما توصل إليه الأتراك من معلومات تسربت إليهم من داخل حزب البعث الحاكم، ومن بعض الاجتماعات التي دأب البعثيون على عقدها في فرع الحزب باللاذقية في شهر تموز ١٩٨٥، حضره عدد من الحزبيين العاملين، بينهم أتراك نصيريون هاربون من اللواء، قال فيه رئيس الفرع غازي خضرا، بعد أن سأله نصيري تركي:

- متى سنبدأ العمل في تركيا؟

فأجابه: إن الأمور منوطة بعدد من الضباط المكلفين من مختلف الاختصاصات والمسؤولين عن هذا الشأن، وهو متوقف على أمرين: ترتيب الوضع في لبنان، وتغيير الحكم في العراق، وقال الخضرا: إن لدينا عشرة ملايين نصيري في تركيا.

وبالمناسبة فإن أرقام العلويين في تركيا مثار جدل كبير، فالبعض المحسوب على نظام الأقلية يرفع العدد إلى عشرة ملايين وزيادة، والبعض يؤكد أنهم لا يزيدون عن ثلاثة ملايين بكل المقاييس، والبعض يزعم أنهم أقلية صغيرة مدعومة بكل أسباب الدعم غير المحدود من النظام السوري.

يقول تركي علوي: إن النصيريين في تركيا يشترون كل شيء، من أرض وعقار ومحلات، ويدفعون الثمن مهما غلت الأسعار، وهناك جمعية تحضهم على الشراء والتملك، وقد توزع النصيريون في جميع أنحاء أنطاكية، بعد أن كانوا محصورين في محلتين فقط، وثمة شواهد أخرى في هذا الموضوع تشير إلى أن الأموال تتدفق بكثرة من سورية لتنفيذ هذه السياسة.

٣ - على مدى ثلاثة عقود أمعن النظام في سياسة البطش والتنكيل والتسلط على البلاد والعباد، وتشديد القبضة عليهم في حكم بوليسي عرفي اختفت فيه مظاهر الحكم المدني، فلم يعد للدستور والقانون والقضاء قيمة أو أثر يذكر في حياة المجتمع، ولم يعد أي مواطن يستطيع أن يعارض أو يعترض أو ينصح أو يقترح، وإلا فكل شيء أمام عصابات الحكم العسكرية والأمنية مستباح، سواء أكان مالاً أم دماً أم ما هو أخطر من ذلك، أما العلاقة مع الدول الكبرى المستبدة بمصائر الشعوب، وكذا الأمر مع إسرائيل، فهي شهر عسل دائم، وحدود آمنة، وخضوع مهين، باستثناء حروب إعلامية، تشنها سورية بين فينة وأخرى، وهي لم تعد تنطلي على أحد من الشعب سواء أكان من العامة أم كان من المثقفين.

هذه السياسة الإرهابية الرهيبة لم تكن مقصورة على سورية في داخلها، وإنما امتدت إلى دول الجوار، ليُلحق نظام الأقلية بها الأذى والخراب والنهب، كما فعل في لبنان، وكما فعل في الأردن من حشده للجيش على حدوده، والتفجيرات على أرضه، ومن تحريض

للأقليات كما حدث لتركيا من أرمن وأكراد وعلويين، وكذلك التآمر مع إيران في حربها مع العراق، وإغلاق أنبوب النفط، مما سبب خسارة فادحة لكلا البلدين سورية والعراق.

لقد عانت تركيا وهي التي تجاور سورية بحدود طويلة تزيد على ٧٠٠ كم من سياسة الإرهاب والتخريب في مرافقها العامة، كالمطار في أنقرة، وفي سوق اسطنبول المغلق، الأمر الذي دعا إلى وضع دراسة مستفيضة نوعاً ما، عن جرائم هذا النظام الأشبه بالمافيا من الحكومات المدنية والدستورية، ليُحذِّر السوريين والأتراك والأردنيين واللبنانيين والعراقيين وغيرهم، كما سيأتي من شرورهم، فيتجنبوا جرائمهم، ويحموا شعوبهم من عصاباتهم التي امتهنت إزهاق الأنفس، وسفك الدماء، وهدم معالم الحياة ومرافقها كما سنرى، ولتكون هذه الدراسة في متناول جميع المعنيين، وتحت أسماعهم وأبصارهم.

٤- سورية الآن في قبضة جزء من أقلية طائفية هي الطائفة العلوية التي لا تزيد نسبتها على ١٠٪ من سكان سورية، وقد استولت على السلطة نتيجة مخطط سري بدأ تنفيذه عن طريق الانقلابات العسكرية، والالتحاق بالأحزاب السياسية مثل: القومي السوري، والبعث، والشيوعي، منذ أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، مستغلة التسامح وعدم التفرقة المذهبية والطائفية والدينية، وهو المنهج الذي سارت عليه الحكومات السورية، بعد الاستقلال، فإذا بقسم من هذه الطائفة توجه أبناءها للانخراط في الجيش، حتى صارت المواقع

العسكرية الحساسة ذات التأثير الكبير بيدها، وبدعم سري -كشف فيما بعد-[1] من الصهيونية والدول الكبرى- أمريكا وإنكلترا وفرنسا وروسيا- وبرعاية مخابراتها تمكنت هذه الأقلية عبر عدد من الانقلابات العسكرية من السيطرة على مقاليد الحكم في سورية.

بدأت هذه العصابة جرائمها بخيانة الوطن إذ سلمت هضبة الجولان المنيعة للعدو الصهيوني دون قتال يذكر[2] عام ١٩٦٧ حين كان حافظ أسد وزيراً للدفاع، فكوفئ على عمله هذا ليكون رئيساً للجمهورية مطلق الصلاحيات، ولتصير البلاد في قبضته، فارتكب سلسلة من الجرائم تجاوز فيها كافة القوانين النافذة في البلاد، وانتهك مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الحياة والحرية وحماية الإنسان من التعذيب الجسدي، والتوقيف التعسفي، فلم يعد في سورية قضاء يلجأ إليه المواطنون لحمايتهم من اعتداء أفراد العصابة الحاكمة على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم، ولم يعد ثمة دستور يحترم، ولا قانون يراعى، ولا عرف سائد، ولا أخلاق تصان، وإنما هي عصابة مستبدة تحكم البلاد وفق أغراض دنيئة أشبه بالمافيات، حيث يحتضن النظام السوري زعماء الإرهاب العالميين من أمثال كارلوس وأبو نضال وعبد الله أوجلان وباشا كوان، وأكوبيان، ومهراج أونال.

لقد أقدم نظام حافظ أسد الطائفي على مصادرة الحريات، واغتيال

---

(١) اقرأ المجلد الرابع من هذه الموسوعة.

(٢) اقرأ المرجع السابق.

القادة من علماء ومفكرين وعسكريين ومدنيين، واعتقال عشرات الألوف من المواطنين دون اتهام، أو إحالة إلى القضاء، ومنع أهليهم وذويهم من زياراتهم في السجن، ومن معرفة أماكن اعتقالهم، واغتال منهم الألوف وهم داخل المعتقلات، كما حدث في سجن تدمر سيئ الصيت، حيث تم إطلاق النار على أكثر من ألف معتقل من الرهائن خلال نصف ساعة، وجرى دفنهم في مقبرة جماعية، وبعضهم ما زال جريحاً على قيد الحياة، وارتكب المجازر الجماعية في المدن والقرى، كمجازر حلب وجسر الشغور وسرمدا وجبل الزاوية وحمص واللاذقية والساحل والمنطقة الشرقية، وبخاصة في الرقة، وكانت أفظع هذه المجازر في مدينة حماة، وعلى الأخص المجزرة الكبرى في شهر شباط من عام ١٩٨٢ حيث قتل زهاء ٣٥ ألف مواطن، ودمر معظم مساجد المدينة البالغة ٨٤ مسجداً، وفيها المساجد الأثرية العريقة كالجامع الكبير.. إلخ وأربع كنائس، وهدم المجرمون شطراً من أحياء المدينة وأسواقها التاريخية ومتاحفها وقضى على جميع مظاهر الحياة فيها.

أ- لم تقتصر جرائم النظام الطائفي الحاكم في سورية على الشعب داخل سورية، وإنما تجاوز الحدود ليشمل جميع الدول المجاورة، ومعظم دول الشرق الأوسط لتأجيج الصراعات في المنطقة لخدمة أهداف بعض الدول الكبرى.

فقد حمل النظام الطائفي السوري من أول يوم دخل فيه لبنان عام ١٩٧٦ الدمار والفوضى والفتنة بين فئاته وطوائفه، وجعل من حياة

اللبنانيين مأساة متصلة دخلت كل مدينة، وكل قرية، وكل بيت.

أما الأردن فقد حشد نظام حافظ أسد الطائفي جيشه على حدوده عدة مرات، مهدداً باجتياحه واحتلاله، وأرسل مرتزقته عام ١٩٨١ إلى عمان لاغتيال رئيس وزرائه، واغتيال عددٍ من شخصياته السياسية، وزرع المتفجرات في عاصمته وعلى حدوده.

استمر النظام في سورية بتسعير نار الحرب بين العراق وإيران، واستمر في إرسال السلاح والخبراء لإيران. وكلما أوشك الوسطاء العرب وغيرهم على حل القضية، وإيقاف الحرب العراقية الإيرانية، نفخ حافظ أسد في نارها من جديد، مشجعاً إيران على رفض كل وساطة لوقف الحرب، زاعماً للإيرانيين أن النظام في العراق على وشك السقوط، ليحبط جميع الجهود والوساطات التي قامت بها المنظمات العربية والإسلامية والدولية لوقف هذه الحرب، ثم قام، كما رأينا من قبل، بإغلاق الحدود بين سورية والعراق، ومنع مرور النفط العراقي عبر الأراضي السورية.

حاول نظام الأقلية في سورية تفجير جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت، وأقدم عملاؤه على نسف مطعم يا مال الشام في دبي، واغتيال بعض الشخصيات المعارضة في عاصمة الإمارات العربية المتحدة، وحرض اليمن الجنوبي ضد اليمن الشمالي، وفتح مكتباً في دمشق لعصابة من شيوعيي جنوبي اليمن لتقوم بالتخريب داخل اليمن الشمالي، وقد امتدت شبكته التخريبية من المغرب العربي إلى باكستان، وحتى أوربا الشرقية والغربية لم تنج من تخريبه، فقد اغتال

السيدة بنان الطنطاوي زوجة الأخ الكبير المراقب العام السابق للإخوان المسلمين في سورية عصام العطار في ألمانيا، وفجر مجلة الوطن العربي في باريس، واغتال عدداً من المثقفين والصحفيين والمفكرين السوريين في لندن ومدريد وبلغراد وروما، وباقي المدن الأوربية، كما فعل ذلك من قبل في بيروت.

أما تركيا فقد كان لها النصيب الأكبر من مؤامرات النظام الطائفي العلوي وتخريبه، إذ دأبت السلطات السورية على ممارسة العمليات الإرهابية على الأراضي التركية، وتحريض الأقليات العرقية والطائفية ضد الدولة التركية بكل الوسائل والأساليب.

ب- توجد فئة من الأرمن حاقدة على تركيا، وتعمل على تقويض المجتمع التركي، واغتيال الشخصيات التركية المرموقة، متعاونة مع كل حاقد على تركيا لتنفيذ هذه السياسة الإجرامية، وقد وجدت في النظام السوري صدى كبيراً، وتجاوباً عظيماً لسياستها وأحقادها، وتنفيذ مخططاتها، عندما أتاح النظام السوري للأرمن -أو لبعضهم- كل وسيلة للتخريب في تركيا، ومن ذلك:

- أقام النظام السوري معسكراً لتدريب الشباب الأرمني على التخريب لحساب الجمعيات السرية الأرمنية الإرهابية التي تعمل ضد تركيا، وهو معسكر عمورية في ضواحي دمشق، وفي كل عام يتخرج في هذا المعسكر أعداد كبيرة مختصة في أعمال القتل والتخريب، ويشارك في التدريب بهذه المعسكرات خبراء من الاتحاد السوفياتي، وهناك ثلاثة معسكرات أخرى في كل من كسب ورأس البسيط

والقامشلي، ورغم تحذير الحكومة التركية للنظام السوري من مغبة هذه السياسة الإرهابية، فإن النظام الطائفي الحاقد استمر في أعماله الإجرامية.

- في ٢٣-١٠-١٩٨٣ اجتمع في جنيف رئيس المخابرات العسكرية للنظام السوري علي دوبا، بقيادة منظمة الأصالة الأرمنية الإرهابية للاتفاق على تنفيذ الأعمال الإرهابية والإجرامية التي تمارسها العصابات الأرمنية ضد تركيا.

- يستخدم النظام السوري أعداداً كبيرة من أفراد عصابة الأصالة الأرمنية لحراسة زعماء النظام لأنهم غير معروفين من قبل المعارضة السورية.

- لقد خصص النظام السوري أبنية خاصة في كل من حلب ودمشق لمزاولة نشاطهم، ورسم خططهم التخريبية، مثل مكتب كرنيك يعقوبيان في منطقة الحلبوني وعدد من الشقق التابعة له -بلغ عددها ٢٠ شقة- كما أن له مكتباً وورشة في حلب، يستخدمها الأمن قواعد لهم.

- تم التنسيق بين النظام السوري ونظام خميني في إيران بشأن الأرمن، حيث خصص معسكر قرب طهران لتدريب الأرمن في إيران، كما فُتح لهم مكتب في طهران للتنسيق مع المخابرات الإيرانية.

- يقوم الأرمن بمساعدة وتشجيع النظام السوري بالتنسيق مع

الحركـات اليسـارية والتخريـبية التي تـعمل ضد تـركيا، كالـشيوعـيين والأكراد والعلويين.

- هيـأت السلطات الـسورية جـميع الأسـباب لمـجمـوعة أرمنـية إرهابية مؤلفـة من ستة أفراد في الهجوم على مطـار أنقرة في شهر آب ١٩٨٢ بعد تدريبهم في معسكراتـها، وزودتهم بالسلاح، ومكنتهم من التسلل لـلأراضي التركية. كمـا كان لها ضلع في مـجزرة مطار أورلي في باريس، وكذا في حادثة السوق المغلق في اسطنبول.

- تنفيـذ عمليات مشـتركة في الخـارج بين عصابة أصالـة الأرمنية ومنظمات الفرسان الحمر السورية الـتابعة لرفعت أسد، حيث يسكنون في بيـوت مشـتركة فـي أوربا تستـأجرها لـهم السفـارة السوريـة، وقد اتضح ذلـك في تورط النـظام السـوري في مقـتل الملـحق العـسكري التركي في بوغاز بلغاريا، عن طريـق أحد عملائه وشريك رفعت أسد في تجارة السلاح.

- استخدم الأرمن في شبكات تهريب الأسلحة والمخدرات حيث يدير هذه الشبكات رفعت أسد، بعـد أن استولى على مزارع الحشيش في البقـاع اللبناني، كمـا أنه يدير شركة تـهريب دولية لتـوريد السلاح إلى عصابات المـافيا، والمنظمات الإرهابية في الـشرق الأوسط وآسيا وأوربا. كـما أن المـهرب الأرمـني هنري أصـلانيان الـذي اعتـقل في مدينة ميـلانو الإيطالية في العام ١٩٨٢، ومات مؤخـراً في السجن هو أحد شركاء رفعت أسد.

- السماح للأرمن بدخول الكليات العسكرية السورية، واستلامهم

مراكز مهمة في الجيش السوري، مثل العقيد أكوبيان في قيادة الدفاع الجوي -سلاح الصواريخ- ذي العلاقات الوثيقة مع الخبراء الروس، وكذلك الضابط الأرمني الإرهابي زاوين بدروس الذي اعتقل في لندن، واعترف أمام المحكمة هناك أنه ضابط في الجيش السوري.

- السماح للأرمن بتنظيم حملة دعائية في شهر نيسان من كل عام احتجاجاً على المذبحة الأرمنية التي يزعمون أنها جرت لهم في تركيا عام ١٩١٥، فيقومون بتوزيع شعارات وملصقات جدارية معادية للأتراك.

- تسخير وسائل الإعلام السورية من إذاعة وتلفزيون لعصابات الإرهاب الأرمنية، وتوظيف عناصر منها في وسائل الإعلام السورية، مثل المذيع مهران يوسف، والمذيعة ومعدة البرامج منى الكردي، والمذيعة والمحررة آيما سروميان، والمحرر السياسي جورج قيصر.

هذه شذرات ومقتطفات موجزة عن علاقة النظام السوري وأجهزته المختلفة بالعصابات الأرمنية في داخل سورية، وفي خارجها، واستخدامهم في عمليات الهدم والتخريب ضد تركيا على أرضها وفي خارج حدودها.

حـ- العلويون: فرقة غالية ترجع في نسبها إلى مؤسس المذهب محمد بن نصير النمري، فيسمون بالنصيرية، وتسمى الجبال التي سكنوها وهي جبال البهراء، بجبال النصيريين، غير أنهم أطلقوا على أنفسهم اسم العلويين، وهم يؤثرون هذه التسمية ويفضلونها منذ عام ١٩٢٠م عندما دخلت سورية في ظل الانتداب الفرنسي، لتهيئهم

لمرحلة جديدة ظهرت مفرداتها في منتصف القرن الماضي.

يقطن العلويون في سلسلة جبال البهراء -جبال النصيريين- وفي جنوبي تركيا في لواء الإسكندرون ومنطقة كيليكية.

لقد ظهرت الطائفة النصيرية في بلاد فارس في القرن الثالث الهجري الذي شهد حركات باطنية عديدة، مارست نشاطاً سياسياً كانت له آثاره على مسرح الدولة العباسية. ثم رحلوا في أواخر عهد الدولة العباسية إلى خوسان، واستقروا في شمال غرب سورية.

يبلغ عدد النصيريين في العالم أربعة ملايين نسمة موزعين ما بين سورية وتركيا، ثم ازدادت أعدادهم في سورية مع زيادة السكان لتصل إلى عشرة في المئة كما يقدر معظم الإحصائيين باستثناء الضابط العلوي محمد هواش الذي يرفع هذه النسبة إلى اثنتي عشرة بالمئة في كتاب أصدره في المغرب باسم ولده.

إن العقيدة الدينية لهذه الطائفة فيها الكثير من الدخن، فقد أخذت من مصادر غريبة عن حقائق الإسلام الثابتة في الكتاب والسنة، وتقوم في جملتها على أن تكون خليطاً متنافراً بين الآراء المختلفة حيناً والمتناقضة حيناً، مع اعتماد طقوس وعبادات تمت إلى هذه الديانة أو تلك، وهذا التنوع والتباين في المصادر حمل الباحثين، قدماء ومعاصرين، على الاختلاف في أصل الطائفة وفي معتقداتها.

إن هذه الطائفة اغتربت دينياً وعقائدياً عن المحيط الإسلامي مما جعلها تحيا في عزلة اجتماعية، تكاد تكون تامة مطلقة عبر مراحل

التاريخ الإسلامي، وفي مختلف أدواره، وقد أدى بها ذلك إلى أن تتشكل في صورة مجتمع مغلق على نفسه وإلى انتشار الخرافات في صفوف منتحليها.

تميزت الحياة السياسية للطائفة النصيرية بالتمرد على كل ما يمت للوطن بصلة أو رابطة، فقد حبست نفسها في دائرة مغلقة من العلاقات والتعاون مع كل غريب، ومد يد النصرة لكل دخيل، ولم يكن نشاطها السياسي عبر التاريخ سوى محاولات استهدفت شعوب المنطقة وسيادتها في ظروف المواجهة التاريخية الحاسمة، فقامت بمد يد العون والنصرة والتأييد، تارة إلى التتار، وأخرى لجحافل الصليبيين وثالثة لسلطات الفرنسيين، وأخيراً ترامت في أحضان الاتحاد السوفيتي، ومن الجدير ذكره أن هذا التأييد لا يشمل كل العلويين، فالبعض منهم انحاز إلى العدو، والبعض الآخر انحاز إلى وطنه.

تغلغل العلويون في المؤسستين العسكرية والأمنية، وكذا السياسية في سورية، وانقضوا على السنة أو على الأكثرية بانقلاب عسكري.

أدركت هذه الطائفة، في إطار طبيعتها المغلقة، ونسبتها العددية، وإمكاناتها المحدودة، وصعوبة قيامها بدور مستقل يعبر عن أهدافها وطموحاتها الباطنية، فلم يبق أمامها إلا أن تلجأ إلى استخدام أساليب وأغطية معينة، تعينها على قدر من التغلغل على نحو متدرج في مؤسسات الدولة المختلفة، والتنظيمات السياسية، وفي المؤسسة العسكرية.

في أثناء الانتداب الفرنسي على سورية فضل الفرنسيون تجنيد أبناء الطائفة العلوية، إذ تبنت سياسة التجنيد الفرنسية تقليداً قائماً على تجنيد أبناء الأقليات من المتطوعين، كما استخدمهم الفرنسيون، كمخبرين، وكانت نسبة العلويين في جيش الشرق -الذي أسسه الفرنسيون- كبيرة جداً، نظراً لأن العلويين أكثر الأقليات عدداً، فقد بلغت نسبتهم ثمانين بالمئة من عدد هذا الجيش، ولاسيما في سلاح المشاة، كما قال كبير ضباط العلويين محمد معروف الذي كان دعامة في انقلاب سامي الحناوي ضد حسني الزعيم[١].

وكانت نسبتهم عالية في القوات الإضافية المختصة في قمع الانتفاضة الوطنية. وبعد استقلال سورية نهجت الحكومات السورية المتعاقبة سياسة عدم التفرقة بين الأكثرية من سكان سورية، وبين الأقليات، وفتحت أبواب الكليات العسكرية للجميع على مصاريعها، فاستغلت الطائفة العلوية هذه الفرصة، فزجت بأكثرية أبنائها في الكليات والمعاهد العسكرية، وإلى التطوع في الجيش، كما انضموا إلى الأحزاب السياسية المختلفة، أملاً في تحقيق مخططهم وأهدافهم عندما تحين الظروف المواتية لذلك. وكان لسيطرة الجيش على الحياة السياسية بعد عام ١٩٤٩ بسبب الانقلابات العسكرية، أثرها في تقليص عدد الضباط الوطنيين في الجيش من أبناء السنة، وخاصة على صعيد كبار الرتب نتيجة لاشتراكهم في هذه الانقلابات، مما أفسح

(١) أيام عشتها، الانقلابات العسكرية وأسرارها من عام ١٩٤٩ وحتى العام ١٩٦٩ ص٥٦، الطبعة الأولى كانون الثاني ٢٠٠٣ بيروت لبنان.

المجال أمام أبناء الطائفة النصيرية للتغلغل بأعداد كبيرة في الجيش، والوصول إلى رتب عسكرية كبيرة، ساعدتهم على تشكيل تكتلات ضمن المواقع التي احتلوها، وللظروف التي أعقبت انقلاب ٨ آذار تمكنت الطائفة العلوية من السيطرة على المراكز الحساسة في الجيش السوري. الأمر الذي أدى إلى تغلغل الكثير منهم داخل التنظيم العسكري لبعض الأحزاب السياسية، وإقامة التكتلات الطائفية داخل تنظيم الحزب، كالذي فعلوه في الحزب القومي السوري الاجتماعي، وفي حزب البعث العربي الاشتراكي، وخلال أشهر قليلة من انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ استطاعوا إبعاد خصومهم العسكريين البارزين عن المراكز الحساسة للجيش، وفي ٢٣ شباط ١٩٦٦ قام أحد الضباط العلويين البارزين وهو صلاح جديد، بانقلاب لإحكام قبضته الطائفية على الجيش، فلم يأت عام ١٩٧٠ حتى صارت سيطرتهم تامة على الجيش والحكومة والحزب الحاكم وأجهزة الأمن.

٥- لقد وضعت الحكومة السورية العلوية مخططاً رهيباً للسيطرة على الحكم في تركيا تدريجياً، عن طريق الطائفة العلوية في تركيا التي يزعمون أن عددها يبلغ ثلاثة ملايين، -كان هذا في الثمانينيات، وقد تضاعف عدد السكان في كل من سورية وتركيا بمن فيهم الأقليات في هذين البلدين المتجاورين-.

ورب قائل يقول: إن سيطرة العلويين على الحكم في تركيا أمر عسير أو بعيد المنال. والجواب: إن هذا الكلام كان يقال في سورية، عندما كان أصحاب الفكر الناضج والنظرة الثاقبة يقرعون الأجراس،

وينبهون على مخططات العلويين للسيطرة على سورية، كان الغافلون واللامبالون يقولون: هذا خيال، لكن هذا الخيال قد تحقق، وسيطرت الأقلية العلوية ذات نسبة العشرة في المئة من تعداد الشعب السوري، على الحكم في سورية سيطرة تامة، وذبحت أكثر من مئة ألف مواطن خلال حكمها في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين الماضي، ولا تزال المجازر بنسبة أو بأخرى مستمرة لم تنته بصورة نهائية -آخرها مذبحة سجن صيدنايا- علماً بأنه لم تكن ثمة دولة علوية تدعم العلويين السوريين يوم سيطروا على سورية، بينما يوجد الآن في سورية دولة علوية تدعم العلويين الأتراك للسيطرة على الحكم في تركيا، وتمدهم بالخبرة والتخطيط والتدريب والدعم بالمال والسلاح، والعمل على تأييد دول عظمى لتنفيذ مشروعهم كالاتحاد السوفياتي -الاتحاد الروسي حالياً-.

أ- تم تشكيل لجنة عليا مؤلفة من جميل أسد شقيق حافظ أسد، وعدنان مخلوف شقيق زوجة حافظ أسد، والدكتور وهيب الغانم، والعقيد رياض خير بك، للعمل من أجل إنشاء دولة علوية تضم جنوبي تركيا والساحل السوري وشمالي لبنان، وقد عملت هذه اللجنة على تشجيع هجرة العلويين الأتراك إلى سورية، وفتحت فرعاً خاصاً في المخابرات السورية لرعاية شؤون العلويين القادمين من جنوبي تركيا، وفتحت مراكز خاصة لاستقبالهم على الحدود التركية السورية، وفي مقهى البرازيل في حلب، وكذلك استقدام الطلاب العلويين من تركيا وتوطينهم فترة في جبال العلويين، ثم تسجيلهم في الجامعات

السورية عن طريق القيادة القومية للحزب، وإعطائهم منحة دراسية لكل طالب، وتأمين سكن مجاني، فبلغ عددهم حوالي ألف طالب، بل وزاد على ذلك في كل الفروع، ويعمل بعضهم في القسم التركي في الإذاعة السورية الذي يعمل على بث وتثبيت الولاء العلوي في نفوسهم مما أدى إلى أن كثيراً من العلويين في جنوبي تركيا يعلقون صور حافظ أسد في بيوتهم[١].

ب- يتلخص المخطط العلوي في تركيا بما يلي:

- تدريب العلويين الأتراك في سورية على أعمال العنف والتخريب والتفجير، وتكليفهم بمهمات إرهابية خارج سورية لحساب النظام السوري، وفي رأس البسيط -قرب اللاذقية على الساحل السوري- يوجد معسكر خاص لتدريبهم.

- مشاركة عدد كبير من العلويين الأتراك في المليشيات العلوية المسلحة في سورية (كسرايا الدفاع، وسرايا الصراع، ومنظمة الفرسان الحمر، وفتيان علي) مثل إلجن دوغان الذي اعترف بمشاركته في مجازر حماة عام ١٩٨٢ .

- تزويد الحكومة السورية للعلويين الأتراك بجوازات سفر سورية، وبطاقات هوية سورية تمكنهم من التحرك في السعودية، وفي دول الخليج العربي، والقيام بأنشطة أمنية واقتصادية.

- بناء شبكة سورية داخل تركيا للاستخبارات السورية بوساطة

(١) لاشك أن هذه المعطيات تغيرت الآن بعد مرور أكثر من ربع قرن عليها. .

العلويين الأتـراك، وإقامة عدد من الأوكار لـلاستخبارات تحـت ستائر مختلفة كشركة باتا التركية للسياحة- شركة باصات-.

- تهريـب السلاح من سوريـة إلى تركيا، وتـخزينه لدى العـلويين الأتراك لاستعماله حين يأتي موعد حاجتهم إليه في تنفيذ مخططاتهم.

- إن الحديث الـمتداول بين العلـويين الأتراك هو أنهم يسـتعدون لأن يلعـبوا ذات الدور الذي لـعبوه فـي سورية للـسيطرة علـى مقالـيد الحكم في تركيا.

- يستخـدم النظام السوري العلويـين الأتراك للتجسس والـتخريب خارج سورية، ولاسيما في الخليج العربي، فقد وزع عدداً كبيراً منهم علـى السـفارات الـسوريـة في مـختـلف بلاد الـعالـم بعـد أن زودهم بجوازات سفر دبلوماسية لتنفيذ خططه الإرهابية.

٦- يقوم الـنظام السوري بدعـم شبكات التـخريب اليسـارية داخل تركـيـا، ولاسيـمـا الكـردية منـها، وإن جـمـيع الحـركـات اليسـارية والانفصالية الكردية، اتخذت من سورية مركزاً لقيادتها -في ثمانينيات القرن الماضي- من أمثال عبدالله أوجلان وزوجته، ومصطفى أوغلو، وكلهـا تتلقى من الـنظام السوري دعـماً غيـر محدود، وذلك بـتدريب أفرادها في معـسكرات داخل سورية، وتزويدهم بكافـة أنواع الأسلحة اللازمة، ومـن هذه المنظمات الأبـوجولر p.k.k الحزب الديمـقراطي الكردي، والجـيش الشعبي الكردي، ومـنظمة Akho- Dev- Gene- Deusol وشـعبـة الأجل جـلر التـي يرأسـهـا الأرمني مـهـراج أونال، وعندمـا طارد الجيش التـركي الأكراد على الـحدود العراقـية التركـية،

أعلن سهيل السهلي عضو القيادة القومية باسم النظام السوري استنكار الحكومة السورية لهذه المطاردة، ودافع عن الأكراد الانفصاليين، وتبع ذلك حملة إعلامية عنيفة ضد تركيا.

كلف النظام السوري زعيم الأكراد الانفصاليين في تركيا عبدالله أوجلان المقيم في دمشق، بأن تقوم منظمته السرية بتفجير خط البترول العراقي المار في تركيا، بعد تدريب عناصره، وتزويدهم بأنواع السلاح اللازم، كما زودت السلطات السورية، عن طريق الحقيبة الدبلوماسية، القنصل السوري في استنبول سعد الدين اللبابيدي، بنقل أسلحة ومتفجرات مختلفة، كان يريد تسليمها إلى الإرهابيين اليساريين في تركيا، وقد كشفت السلطات التركية ذلك، وفي يوم ٢٢-١١-١٩٨٣ صرح ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في أنقرة بأن سورية أدخلت فرقاً إرهابية إلى تركيا لتقوم بأعمال التخريب والتفجير، وكذلك ضبطت قوات الأمن التركية كمية من الأسلحة والمتفجرات في طائرة الخطوط الجوية السورية القادمة من دمشق إلى استانبول حين نزولها في مطار استنبول، وذلك ضمن الحقيبة الدبلوماسية التي كانت عازمة على تسليمها إلى الإرهابيين بقصد التخريب داخل تركيا.

أ- أتاح النظام الطائفي الحاكم في سورية للاتحاد السوفياتي إقامة قواعد حربية فوق الأراضي السورية، فقام بنصب قواعد صاروخية شمالي سورية، يصل مداها إلى جنوبي أنقرة عاصمة تركيا، وهذه القواعد تحت سيطرة وإشراف العسكريين السوفييت سيطرة كاملة،

كما أن عدد الخبراء العسكريين الموجودين في سورية ارتفع إلى سبعة آلاف خبير -في ثمانينيات القرن الماضي- كما يوجد للسوفيات قاعدة حربية بحرية على الساحل السوري، وبذلك يكون النظام الطائفي في سورية جعل من الأراضي السورية بؤرة خطرة على السلام العالمي بشكل عام، وعلى الدول المجاورة لسورية، ومن بينها تركيا بشكل خاص التي تحيط بها القواعد السوفياتية من الشمال في الأراضي السوفياتية ومن الجنوب في سورية.

ب- أقام النظام السوري علاقات خاصة ومتميزة مع قبرص اليونانية، ومنها الاقتصادية والسياحية والأمنية، وخاصة تبادل المعلومات في حقل الاستخبارات، في الوقت الذي منع فيه المواطنين السوريين من التعامل الاقتصادي والسياحي مع قبرص التركية، ومنع المواطنين السوريين من السفر إلى قبرص التركية، سواء من أجل السياحة أو من أجل الزيارة والعمل التجاري.

إن هذه المساعدات تقدمها سورية إلى قبرص اليونانية مقابل مساعدة اليونان وقبرص اليونانية للنظام السوري في تنفيذ مخططات داخل تركيا، تمهيداً للقضاء على قبرص التركية من جهة، والبدء بسياسة جديدة ومتفق عليها حيال إسكندرون ومناطق مماثلة، كذلك تهاجم الصحف السورية وجود الجيش التركي في قبرص التركية، كالصحفي غازي جريدة الذي يعمل في جريدة الثورة السورية، حتى إن السفارة التركية في دمشق قد احتجت على كتاباته المعادية لتركيا منذ عام ١٩٩٧ في أثناء زيارة رئيس القسم اليوناني إلى دمشق.

إن سورية عارضت الاعتراف بجمهورية شمالي قبرص التركية في مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذي عقد في دكا عاصمة بنغلادش، وقد تعهد وزير الخارجية السوري خلال زيارته الأخيرة إلى اليونان بمواصلة الدعم العسكري والمادي والدبلوماسي للقبارصة اليونانيين، وإن النظام السوري سوف يبذل قصارى جهده من أجل عدم اعتراف الدول العربية والإسلامية بجمهورية قبرص الشمالية.

جـ- إن حلم الإمبراطورية الفارسية كان وما يزال يملأ رؤوس الساسة الإيرانيين، فمنذ بداية القرن السادس عشر -فترة نشوء الدولة الصفوية- واعتداءات الإيرانيين على جيرانهم لم تتوقف، فهي تحلم باحتلال أفغانستان، -خراسان سابقاً- والعراق وجنوب شرقي تركيا، ومنطقة الخليج العربي، وضم هذه المناطق، كما ضمت الجزر الإماراتية العربية الثلاث إلى إيران، وتحقيق أحلامهم بإعادة إنشاء الإمبراطورية الفارسية.

لقد استغلت الدولة الصفوية الإيرانية حروب الدولة العثمانية مع النمسا، وقامت بالانقضاض على أراضيها، فقد جهز الشاه إسماعيل الصفوي حملات عسكرية احتلت العراق عام ١٥٠٨ فقام السلطان سليم الأول بطرد الإيرانيين بعد أن انتصر عليهم في معركة جالديران عام ١٥١٤، غير أن الإيرانيين أعادوا الكرة مرة أخرى، واحتلوا بغداد عام ١٥٢٩، فقام السلطان سليمان القانوني، وأجلى الإيرانيين عن العراق عام ١٥٤٩، ثم قام الإيرانيون باعتداء آخر اضطرت معه الدولة العثمانية إلى دخول حرب أخرى مع إيران انتهت بمعاهدة ١٥٥٩ .

إن الإيرانيين ينقضون المعاهدات كلما شعروا بالقوة، ويقومون باعتداءات جديدة، فقد نقض الإيرانيون خمس عشرة معاهدة عقدوها مع الدولة العثمانية، ففي عام ١٦٢٣ احتل شاه إيران صفي بهادر بغداد منتهزاً فرصة اضطراب الأحوال في الدولة العثمانية بسبب ثورة بكرصوباشي، فقضى السلطان مراد الرابع على الجيش الإيراني وطرده من العراق بعد أن عقد مع الإيرانيين معاهدة جديدة أطلق عليها معاهدة زهاب في ٨-٥-١٦٣٩، وفي عام ١٧٣٢ هاجم نادر شاه الإيراني أراضي الدولة العثمانية بجيش قوامه مئة ألف مقاتل، فتمكن العثمانيون من صدهم وإيقاع هزيمة نكراء بهم، مما اضطرهم إلى عقد معاهدة مع العثمانيين في ١٩-١١-١٧٣٣ .

نقض الإيرانيون كعادتهم المعاهدة، وقاموا باعتداء جديد انتهى بهزيمتهم مرة أخرى، مما اضطرهم إلى عقد معاهدة أرضروم الأولى في ٢٨-٧-١٨٣٣، ثم أرضروم الثانية في ١١-٥-١٨٤٧ بعد توسط الإنكليز والروس بين الإيرانيين والأتراك في عقد تلك المعاهدة.

د- في الوقت الراهن، وعبر التحالف بين نظامي حافظ أسد وإيران في عهدي الشاه والخميني، وتنسيق أعمال الإرهاب الدولي بينهما، أقامت إيران معسكراً على أراضيها قرب مدينة طهران، لتدريب الأرمن على أعمال الإرهاب والعنف على غرار المعسكر الذي أقامه لهم حافظ أسد في ضواحي دمشق، كما يقوم نظام خميني بتسهيل تسللهم إلى الأراضي التركية عبر الحدود الإيرانية التركية، وفق مخطط متكامل وتنسيق تام بين النظامين المتآمرين، وقد اتخذت

منظمة أصالا الأرمنية مكتباً لها في طهران للتنسيق في عملها مع المخابرات الإيرانية، أما التعاون بين سورية وإيران ضد تركيا فإنه يهدف إلى: نسف خطوط أنابيب البترول العراقي ضمن الأراضي التركية، وتنسيق العمل بين مخابرات النظامين السوري والإيراني من جهة، وبين المخربين الأرمن والأكراد داخل الأراضي التركية من جهة أخرى.

إن التعاون بين نظامي أسد وخميني الباطنيين يستهدف إنشاء دولة باطنية تمتد من بحر الخزر إلى البحر الأبيض المتوسط، وإن هذين النظامين أشد خطراً من الدولة الصفوية التي استطاعت رغم صغرها أن تضرب الإمبراطورية العثمانية من الظهر، حين كانت تخوض أخطر حروبها في أوربا، وتحاصر فيينا، فأجبرتها على سحب جيوشها من أوربا، ويضيع عليها الانتصار الكبير على أكبر قوة هي إمبراطورية النمسا في أوربا.

وقد تكررت هذه الفجيعة ثلاث مرات، أولاها: في عام ١٥٢٦، وثانيتها سنة ١٦٧٦، والثالثة كانت حرباً طارئة ليست بأهمية تينك الحربين الحاسمتين.

٧- في حرب الخليج الثانية ضربت أمريكا ومن يدور في فلكها حصاراً مدمراً على العراق، مصممة على تحطيم العراق والعودة به إلى قرون سابقة، ولم تجد الوساطات المعلنة وغير المعلنة، كما اشتد ساعد المعارضة التي لمست من أمريكا تصميمها على إنهاء العراق كدولة أثبتت قدراتها في المجالات السياسية والاقتصادية

والعسكرية، فمنعت عنه كل مقومات الحياة الأساسية والنهوض، ودأبت على قصفه من تركيا، ومن قاعدتها (إنجرلك) على أرضها، وكذلك من الجنوب، وحرم عليها استعمال الأجواء العراقية لتحطيم الرادارات والمطارات والمواقع العسكرية والمؤسسات الصناعية والاقتصادية على مدار الساعة، فراعنا أن نرى بأعيننا ونسمع بآذاننا تدمير بلد عربي عريق في تاريخه وأمجاده بدافع عداء مستحكم وروح صليبية عبر عنها بوش الابن دون التباس أو مداراة، وتحريض صهيوني يحركه حقد دفين على العراق الذي دك الدولة الصهيونية بصواريخه ونشر الرعب في كل أرجاء فلسطين الغالية المحتلة.

راعنا ذلك، فأرسلنا إلى قادة تركيا نستنهض هممهم، ونخاطب إيمانهم وأخوتهم وغيرتهم وتاريخهم المجيد، ليمنعوا الطيران الأمريكي من قصف العراق الشقيق وتحطيمه من أراضيهم.

أ- خاطبنا نجم الدين أربكان بالرسائل والبرقيات، فجاء في إحدى برقياتنا إليه ما يلي:

الأخ الكريم والصديق الحميم نجم الدين أربكان حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فقد كان همي كبيراً عندما سمعت برقيتكم التي تعلن فرحتكم بهدم العراق وقصفه، وكم كانت فرحتي كبيرة عندما قرأت نفيكم لما نسب لكم من افتراء وبهتان.

يا أخي نجم الدين: هل يوجد أشرف من معركة يتصدى لها

العراق إلى هذا الزحف الصليبي الصهيوني الذي يهدف إلى قتل أمتنا، وهدم حضارتنا؟

أين صوتكم المدوي في وجه الصليبية الثانية والعدوان الصهيوني؟

إنه لأمر غير محتمل أن تنطلق طائرات الحقد الصليبي من أرض بني عثمان، لتنقض على الموصل بلد عماد الدين وابنه نور الدين الشهيد، وعلى كركوك، لقتل العرب والأتراك والتركمان، وهدم المنشآت!!

أستحلفك بالله يا نجم الدين، أيها المجاهد أن تدخل المعركة ضد هذا البغي وهذا العدوان، وأن تبرئوا الشعب التركي من هذا الانحراف الذي وقعت به، وارتكبته الحكومة التركية، أوقفوا طغيان أمريكا في تركيا على الأقل، وإلا فإن الجرح لن يندمل بين العرب والأتراك، وهذا ما يتمناه ويسعى إليه الصهاينة والأمريكان.

لقد صممنا على الثبات الذي نستمده من الله في هذه المعركة، لنعيش في ظل الإسلام سعداء، أو نقضي في سبيل الله شهداء.

أخوكم

عدنان سعد الدين

مطلع شهر آب ١٩٩٠

ب – أعقبت ذلك ببرقية أخرى مطولة في ١٢-٨-١٩٩٠ جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الكريم والصديق الحميم نجم الدين أربكان حفظه الله تعالى ورعاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسأله جلت قدرته أن يسدد خطاكم، وأن يجعل التوفيق حليفكم، وأن يكتب على يدكم خلاص تركيا من كل تسلط أجنبي، ونفوذ أمريكي، وإفساد صهيوني، لتستعيد تركيا دورها في الدفاع عن الإسلام، والتصدي لكل من يريد شراً بالإسلام والمسلمين وبعد:

أخي العزيز نجم الدين المحترم:

سألت عنكم، وحاولت جهدي أن ألقاكم في يومي الجمعة والسبت دون جدوى، لقد اتصلنا بالحاج فهيم، فأعلمنا ولده عبدالله بأن والده في قونيه، ويرجح أنكم كذلك في قونيه، كم كنت حريصاً على زيارتكم، لتناول الأحاديث حول الأحداث الساخنة التي تشهدها بلادنا، وهي أحداث مصيرية على مستقبل المنطقة بأسرها، بعد أن قيض الله من يقول لأمريكا: لا، ولإسرائيل: لا، وللغرب كله: لا، بعد ثلاثين عاماً من الصمت والخضوع والخنوع، حتى صار الناس ينظرون لأمريكا وكأنها القدر الذي لا يرد، ولإسرائيل وهي تعربد على أرضنا وتحت سمائنا، و٢٥٠ مليون عربي يطأطئون رؤوس المهانة أمام طغيانها، ثلاثون عاماً، ونحن نتجرع كؤوس الخنوع، لأن الحكام أو معظمهم عبدوا أمريكا من دون الله، حتى استيقظ الناس على صيحة من نبه الغافلين، مذكراً أن الله هو الحق المبين، وأنه

القوي المتين، وأنه القادر والقاهر، وأنه الغالب والناصر، وأن كل شيء بأمره، وأنه على كل شيء قدير، فحشد الأعداء كل ما في مقدورهم لإسكات هذه الصيحة، تستعيد أمتنا الإسلامية دورها، وتحرر إرادتها، وتستأنف بالتالي أداءها لرسالة الإسلام، وعمل العدو جاهداً أن يضرب شعوب الأمة الإسلامية بعضها ببعض، وأن يجعل من تركيا قاعدة لعدوانه، وشرعت الطائرات الأمريكية بالاقتراب من حدود العراق على الأرض التركية تمهيداً للعدوان.

لقد كان الموقف التركي معتدلاً، بصورة عامة، ولكن هذا ليس كافياً، فالمسلمون في كل مكان، والعرب خاصة، ينتظرون على أحر من الجمر صرخة نجم الدين في وجه الأمريكان، كما هي عادته يوم فضح الصهاينة، ليفهم الغرب، ولتفهم أمريكا أن تركيا وأن الشعب التركي الشقيق، لا يقبل بأي حال أن تكون أرضه منطلقاً للعدوان على أرض الخلافة العباسية وأرض القادسية، وأرض الإمام علي وابنه الحسين، وأرض أبي حنيفة وابن حنبل، وأرض حذيفة بن اليمان كاتم أسرار الرسول، لن يرضى الشعب التركي أن تعربد طائرات الحقد في سماء بني عثمان، لتنقض على العراق، وتقذف حممها، وتقتل أحفاد الرسول، وتهدم قبر الإمام الكاظم، وقبر أبي حنيفة النعمان.

يا أخي يا نجم الدين: هذا أوان صيحتك، ينتظر المسلمون سماعها، لتعلم الدنيا أن الأخوة الإسلامية بين الأتراك والعرب أقوى من كل الدسائس والمؤامرات وقرارات حلف الناتو، فالناتو قام للوقوف في وجه الشيوعية وحلف وارسو، وليس للعدوان على

العراق، فالخطر على تركيا لا يأتي من العراق، ولم يأت قط من العراق، العراق الذي ساند جارته تركيا في تطويق التمرد وحركات الانفصال، وسمح للقوات التركية أن تطارد أعداءها في العمق العراقي، فليتذكر أوزال هذه المواقف إن كان ناسياً، وليعلم بأن الـ٣٠٠ مليون التي تعهد جابر الأحمد بدفعها لتركيا تعويضاً عن عائدات أنبوب النفط العراقي لن تكون البديل عن العلاقة الأبدية بين العراق وتركيا منذ خمسة عشر قرناً، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

يا أخي نجم الدين: أيها النجم الساطع والأمل اللامع في سماء تركيا، ننتظر الموقف الذي أنت به جدير، لتثلج صدور المؤمنين، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

صباح الأحد في ١٢-٨-١٩٩٠

أخوكم

عدنان سعد الدين

جـ- ثم وجهنا رسالة إلى رئيس جمهورية تركيا توركوت أوزال عبر المجلس التنفيذي الدائم للمؤتمر الإسلامي الشعبي العالمي تتعلق بموقف تركيا من العدوان على العراق، فيما يلي نصها:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المجاهدين سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته الغر الميامين وبعد:

فخامة رئيس الجمهورية التركية الشقيقة توركوت أوزال الأفخم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

باسم الأخوة الإسلامية التي جمعت بيننا، وباسم التاريخ المشترك الذي كان لشعب تركيا دور هام فيه، والذي هو محل اعتزازنا جميعاً، وباسم الدماء التي جرت بغزارة من العرب والترك في خندق الدفاع عن الإسلام ونشره، وباسم المستقبل الواعد الذي ننشده جميعاً لنكون في المكان اللائق بنا، لأن الأيام القادمة هي للإسلام وأهله بعد سقوط الشيوعية، وإسقاط أمريكا، فعلى أنقاضهما ستقوم دولة الإسلام، كما قامت على أنقاض دولتي فارس والروم، وقد وعد الله بذلك ووعده الحق: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾.

باسم كل ما ذكرت، وباسم كل ما لم أذكر من الروابط المشتركة بيننا وبينكم، والقيم الإنسانية التي تؤلف بيننا نخاطبكم اليوم، وفي هذه اللحظات الحرجة من تاريخنا لتضعوا حداً لحالة التردي في العلاقات بينكم وبين الأمتين العربية والإسلامية، بل بينكم وبين شعبكم العظيم الذي لا يقبل أن تستخدم أرضه للعدوان على أخيه وجاره العراق العظيم، فلا تسمحوا للصليبية الجديدة واليهودية المفسدة أن تجعل من أرض الخلافة والمجد والعز والإباء في تركيا الشقيقة معبراً لتنفيذ أغراضها المجرمة، فلطالما كان الشعب التركي في خندق الإسلام والمسلمين، فلا نريده، أن يكون في خندق عداوته ومحاربتهم.

فما هي حال محمد الفاتح الآن في قبره؟

بل ما هي حال أبي أيوب الأنصاري، وشهداء الإسلام على ثرى تركيا الطهور؟

فهل يرضى مولانا جلال الدين الرومي عبور طائرات العدوان من فوق قبره لتقصف إخوة الإيمان في العراق الأشم؟

يا فخامة الرئيس:

عهدنا في تركيا المسلمة أن تكون بوابتنا على أوربا لنعيد أمجاد الفتوحات الأولى ثانية، وما دار في خلدنا يوماً أن تكون بوابة أوربا علينا لتصدر لنا من خلالها صواريخ الدمار، وقنابل الإحراق، وأمواج الموت والخراب، ولتكون خندقهم المتقدم الذي يحاربنا ويؤذي أطفالنا ونساءنا.

لقد رأى المؤتمر الإسلامي الشعبي العالمي الذي عقد في بغداد مؤخراً أن من واجبه أن يحيط فخامتكم بمقرراته، ويطلعكم على أحاسيس علماء الأمة في مشارق الأرض ومغاربها، وما يعلقونه على بلدكم من آمال في وقفة متميزة تحفظ للأمة الإسلامية وحدتها وكرامتها، ولكن ظروفاً عديدة حالت دون ذلك، ولعلنا نتمكن من ذلك في وقت قريب إن شاء الله، فآثرنا أن نقدم إليكم هذه المذكرة لعلها تقوم ببعض المراد، وقد ضمناها التماسات أعضاء المؤتمر ورجاءاتهم، ومطالبهم التي يرونها حقاً من حقوقهم عليكم، وعلى الشعب التركي الشقيق، توثيقاً لعرى الأخوة التي لا ترغبون أن تصرم، وهي بانتظار موقفكم المشرف، لينقلوا ذلك إلى شعوبهم، وليسجلوا لكم ولشعبكم الأصيل صفحة من المجد والمواقف المشرفة، وكلنا أمل أن لا يسجلوا غير ذلك مما لا يليق بتركيا التاريخ والخلافة والمجد.

ومما يجدر ذكره أن أمريكا لو لم تجد موافقة جهات معينة من الأمة العربية والإسلامية على معاونتها وتحقيق رغبائها لما أقدمت على عدوانها، ولآثرت الحل السلمي، وقد كان ذلك ممكناً لو تخلت أمريكا عن غطرستها وحقدها الصليبي على العراق وأمتنا جمعاء.

أما وقد وقع المحذور فالواجب الآن يقتضي أن نمنع التمادي والاستمرار في العدوان، وهذا يتطلب من تركيا الجار والأخ والإنسان أن تحول بين العدوان واستمراره، وأن تمنع استخدام أراضيها للعدوان على شقيقها العراق، وأن توجه جهدها إلى إجراء مباحثات سلام لحل الأزمة.

لقد امتدح الرسول ﷺ جيش تركيا بقوله: ستفتح عليكم القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش جيشها، وهذا لا يكون إلا إذا كان جيشها وأميرها للإسلام يعملون.

لنا فيكم يا فخامة الرئيس وطيد الأمل، وفي شعبكم أن لا تخيبوا أمل الرسول والإسلام والأمة والتاريخ، ونحن بانتظار ما يثلج الصدور، وبوقفة عز منكم ومن شعبكم، والتاريخ بانتظار ما تفعلون، وصدق الله العظيم: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾.

الأمين العام المساعد	**نائب الرئيس للمؤتمر**
للمؤتمر الإسلامي الشعبي العالمي	**الإسلامي الشعبي العالمي**
عدنان سعد الدين	**د. علي الفقير**

٨- أنبأني مندوبنا في أنقرة عن طريق همزة الوصل بين مكتبنا والحكومة أن شخصية كبيرة في استنبول، يرغب أن يلتقي بي ليسمع مني الرأي في السياسة التركية ظناً منه أني أستطيع أن أقدم لهم رؤيا أو مشورة هم بحاجة إلى سماعها، التقيت الشخصية ولا أدري من يمثل من المؤسسات التركية، أمنية أو عسكرية أو سياسية، فسألني:

- بم تنصح حول السياسة التركية؟ وبم تنصح، أو ما الذي تنصح به؟

قلت: أختصر لك الإجابة حول ثلاثة محاور:

أ- المحور الأول يخص علاقتكم بالعراق، والصيغة التي تجعلكم في مأمن من خطر الشمال العراقي، فإذا كانت بغداد قوية ومسيطرة على المنطقة الكردية والمناطق الجبلية الوعرة، فإن الحكومة العراقية المركزية تكفيكم الثورات والفوضى التي تشغل الجيش التركي، وتستجره إلى معارك دموية لا طائل لها، بل وتغرق الجيش في معارك مستمرة تستهلكه وتفني سلاحه وأبناءه دونما طائل أو انتصار، فتكون المنطقة الكردية مصدر استنزاف دائم تنتهي بتركيا إلى الدمار أو إلى الإضعاف والوهن على المدى الدائم أو البعيد، ولذا فمن مصلحة تركيا أن تكون حكومة بغداد المركزية قوية، لتكفي تركيا مؤونة الشمال العراقي والمنطقة الكردية، وهذا مالا يريده حلفاؤكم الغربيون والأمريكان، بل يريدون أن تكونوا في صراع وخصام مع العراق، لإضعاف كلا الجارين المسلمين، كالذي أرادوه من الحرب المدمرة التي نشبت بين العراق وإيران على مدى ثماني سنوات، فدمرت قوى البلدين، وأهلكت الحرث والنسل.

ب- أما المحور الثاني الذي لا يقل أهمية عن الأول، فيتعلق بالحياة الاقتصادية التركية، وبالصلة بالعالم الثالث، إن تركيا تعمل جاهدة وتطمح أن تكون جزءاً من الاتحاد الأوربي، وهذا من حقها ومن مصلحتها، ولكن لا ينبغي أن يكون هذا العمل وهذا المسعى على حساب العلاقة مع الوطن العربي والعالم الثالث بما فيهما البلاد الإسلامية، إن أوربا تتقدم صناعياً واقتصادياً على تركيا بعقود أو بأكثر، ومن ثم فليست بحاجة إلى تركيا اقتصادياً، واستيراد الفائض من إنتاجها، أما العالم الثالث، ولاسيما القارة الإفريقية فهو بحاجة إلى الصناعات التركية الخفيفة والغذائية وصناعة الملابس والأثاث وغيرها، لأن تركيا متقدمة على الوطن العربي والعالم الإسلامي والقارة الإفريقية، وثمة معابر من تركيا إلى آسيا وإفريقيا، ولاسيما السودان مفتاح القارة السوداء، وهو يرحب بتنشيط الصلات الاقتصادية والإنشائية مع تركيا، وإذا ما حدث هذا فإنه يستهلك ويمتص الفائض من الإنتاج التركي على كل الصعد، والخلاصة، فإن الصلة مع الاتحاد الأوربي لا ينبغي أن تكون على حساب الصلة مع العالم الثالث، بل تكون متوازية معها، فتركيا تأخذ من الاتحاد الأوربي ومن الغرب ما يساعد على تطويرها وتقدمها، وتعطي للعالم الثالث ما هو بحاجة إليه، وهو متوفر في تركيا.

جرى هذا الحديث في ثمانينيات القرن الماضي، فلم يحل العقد الأخير، والأول من القرن الحادي والعشرين، حتى أعطت تركيا أهمية كبرى لدول الجوار والوطن العربي وأقطار الشرق الأوسط والعالم الثالث، فنشطت علاقاتها بها على كل الصعد، السياسية

والاقتصادية، وعلى جميع المحاور الأخرى، فحققت تقدماً كبيراً، ولاسيما على الصعيد الاقتصادي، وأحرزت نجاحاً فاق الطموحات التي كان الشعب التركي يتطلع إليها.

جـ- وعلى صعيد العلاقات مع الأحزاب ذات اليمين وذات الشمال، ومع حركات المعارضة والمنظمات التي تختص بالمقاومة، مثل حركة حماس ذات الامتداد على الساحتين العربية والإسلامية وخارجهما، فمن المفيد الالتقاء بها، والحوار معها، والاستماع إلى وجهات نظرها، وتوجيه النصح لها، فإن في ذلك فوائد كثيرة، وإذا كان العدو الصهيوني مستعداً للحوار مع حماس إذا اعترفت بأن لها الحق في الحياة، فمن باب أولى أن تكون تركيا مستعدة للحوار مع حماس ذات الجذور العربية والإسلامية، ولا تكون متشددة معها، أو متحفظة حيالها أكثر من أعدائها.

أجاب المسؤول التركي: لقد شعرنا أن سياسة العزلة التي مارسناها قد ألحقت أضراراً كبيرة بتركيا، وأن علينا أن نغير هذه السياسة، ونخرج أنفسنا من هذه العزلة، ومن سياسة الانطواء على الذات في الأيام المقبلة، ثم أبلغني باستعدادهم لاستقبال وفد من حماس، أو مندوب عنها.

سارعت بعد العودة إلى إبلاغ حماس عن استعداد الأتراك لاستقبالهم في أقرب فرصة، وكان مكتبهم في عمان لا يزال مفتوحاً ومعترفاً به.

انتهزنا أول فرصة بالسفر إلى تركيا بدعوة من أربكان إلى استنبول

لحضور ذكرى فتح القسطنطينية ونزلنا في أنقرة، فتم لقاء ما بين المندوب التركي، ومندوب عن حركة حماس (محمد نزال)، وبعد القيام بواجب التعارف، استأذنت في الحديث لخمس دقائق فقط، ثم تركتهما لشأنهما، قلت: إن الأتراك استلموا القدس عام ١٥١٧ واستلمها منهم العرب عام ١٩١٧، أي حافظ الأتراك على القدس أربعة قرون، وهذا رصيد كبير، ومجد تليد، لا ينبغي للأتراك أن يفرطوا فيه، أو يزهدوا به، وإن له نتائج إيجابية على العلاقة بين الترك ومسلمي العالم على جميع الصعد السياسية والاقتصادية، وفي المحيط الدولي، فكان اللقاء أخوياً ووديّاً وعاطفياً، وبعد أن تكلم المسؤول التركي، ومندوب حماس لفترة قصيرة لا تزيد على خمس دقائق، استأذنت بالانسحاب لأن مهمتي التي تقتصر على التعارف بينهما قد انتهت بالتوفيق من فضل الله.

أعود لأقول: إن مواقف الحكومة التركية برئاسة أردوغان حيال فلسطين في أحداث غزة بوأت الأتراك موقفاً عظيماً تقدموا به على كثير من الدول العربية.

* * *

التجربة العاشرة

مع الشعب التونسي الشقيق

كانت الشقيقة تونس كالنجمة التي تشع في جنبات دول الشمال الأفريقي، في الانتماء الوطني والقومي العربي والقضية الفلسطينية، أكثر من غيرها من بلاد المغرب العربي، بل ومن بلاد المشرق العربي. فمنذ عشرينيات القرن الماضي شهدت تونس مظاهرات ليلية غير مسبوقة ضد التحرك الصهيوني وزيارات وفوده إلى تونس، وظل الأمر هكذا في تصاعد على مستويات الحزب الحاكم -الحزب الدستوري القديم- والجمعيات الأهلية والإسلامية، حتى أضحت تونس نموذجاً للكفاح العربي ضد الاستعمار، وضد الصهيونية منذ العشرينيات وحتى منتصف الثلاثينيات حين انعطف الحبيب بورقيبة بالشعب التونسي عن وجهته ذات الإطار العربي والفلسطيني على وجه الخصوص، إلى الإطار الوطني والمحلي التونسي ليقطع ما بينه وبين القضايا العربية في كل أنحاء الوطن العربي، وذلك بعد أن انشق الحزب على يد بورقيبة، ليقود الحزب الذي حمل اسم الحزب الحر الدستوري الجديد.

١- لقد كتب عدد من كتاب المغرب العربي عن تطور الوعي القومي في المغرب العربي، وعن دور القضية الفلسطينية في تعميق الوعي العربي في شمال إفريقيا، كتب الدكتور الهادي التيمومي من كلية الآداب التونسية بحثاً خصه بتونس في هذا الشأن، ربما كان أهم ما كتب في الموضوع، نشرته مجلة المستقبل العربي التي تصدر في بيروت، وبالرغم من نزعة الهادي الماركسية جاء بحثه شاملاً وناضجاً، ولذا وقع الاختيار عليه في هذه الدراسة ليكون مقدمة ومدخلاً للتحرك الإسلامي في تونس فيما بعد، وفيما نورده من مقتطفات من هذه الدراسة.

منذ اكتسح الفرنسيون تونس عام ١٨٨١، جدّت في بقية أرجاء المنطقة العربية قضايا جسيمة، أثرت إيجاباً في الوعي القومي العربي في تونس، نذكر منها على سبيل المثال: الغزو الإيطالي لليبيا عام ١٩١١، وثورة عبد الكريم الخطابي في المغرب الأقصى سنة ١٩٢٥، وتأسيس جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥، إلا أن القضية التي ساهمت أكثر من غيرها في تعميق الوعي العربي في تونس هي القضية الفلسطينية، إذ إن زرع دولة أجنبية في قلب الوطن العربي يهدف كذلك فيما يهدف إليه، خنق حركة التحرر العربية، ومنعها من تحقيق أهدافها الوحدوية والتقدمية، وممّا نود إبرازه من أهدف الاستعمار الفرنسي مزامناً الهدف الاقتصادي: يتمثل في محو التراث العربي الإسلامي للشعب التونسي، وفرض قيمه الثقافية والأيديولوجية على تونس والمستعمرات الأخرى.

إن الاستعمار الفرنسي هو استعـمار عسكري، واستعمار توطيني، واستـجلاب أكبـر عدد من الفرنـسيين، وتجـذيرهم في تونـس، لقلب ميزان القوى السكاني لصالح فرنسا على المدى الطويل.

لقد رسـم الاستعمـار الفرنسي لنـفسه مهـمة قطع صلات الـشعب التـونسي بعـروبته، وذلك بـضرب مقـومات الانـتماء الـقومي العـربي للشعب التونـسي، والتي تشمل الأواصر الاقتصادية القـائمة بين تونس وبقية أرجاء الوطن العربي، كما تشمـل اللغة العربية، والتراث الثقافي والديني المشترك.

لقـد تشكلت الأمـة العربـية مع ظهـور الإسلام، فـقامت عـلاقات اقتصادية تبادلـية بين تونس وبقية أرجاء الوطن العربي، فـعملت فرنسا بعد عـام ١٨٨١ كل ما في طـاقتهـا على قطع هذه الـصلة، ومزاحـمة الإنتاج التونسي، وإغراق تونس بالبضائع المستوردة بأخس الأثمان.

أما القـضاء على العلاقـات الاقتصادية بيـن تونس والجزائر وليـبيا فلم يكلف فرنسا أكثر من تدعيم المراقبة العسكرية على الحدود، ليتم تحويل الاقتصاد التونسي إلى اقتصاد تابع هيكلياً للاقتصاد الفرنسي.

عملت كذلك فرنسا في ذات الوقت على إضعاف الروابط الأخرى مثل اللغة والتراث الثقافي والديني الـمشترك مع الشعب العربي والبلاد العربية، وشجعت اللغة العامية التونسية واللغة البربرية، وأقصت اللغة العربيـة عن تدريس العلوم العصـرية، وأظهرت الإسلام بمظـهر الدين المعادي لـلتقدم، وعملت عـلى الترويج بأن دور العرب فـي الحضارة الإنسانيـة هو مجرد تمريـر التراث الإفريقي والرومـاني إلى أوربا، وأن

عباقرة الحضارة العربية والإسلامية ليسوا عرباً، وأظهر الفرنسيون الوحدة العربية في مظهر الأمر المستحيل، ليحققوا هدفهم الكبير في فصل تونس عن بقية أرجاء الوطن العربي.

إذا كان من اليسير على فرنسا تفتيت العلاقات الاقتصادية لتونس، فإنها رغم إمكانياتها الهائلة لم تنجح في فك الأواصر اللغوية والثقافية والدينية، بل إن هذه الأواصر لم تتضعضع، بل ازدادت متانة ورسوخاً.

لقد ظل التونسيون أوفياء لالتزاماتهم القومية بالرغم من الإرهاب الأسود المسلط عليهم، فكانت أول جريدة تونسية صدرت بعد غزو فرنسا لتونس ناطقة بالعربية، وهي جريدة الحاضرة لعلي بوشوشة الذي فضل التعبير الصحفي باللغة العربية، رغم إتقانه الجيد للغات الأخرى ومنها الفرنسية.

كسر التونسيون الحصار الإعلامي عليهم، حيث أيد الشاذلي خير الله في جريدته: الليبرالي في ٢١-١١-١٩٢٥ نضال الشعب السوري ضد فرنسا، فلاحقته السلطات الفرنسية عدلياً -قضائياً-، وأطلق الصحفي زين العابدين السنوسي على مطبعته التي أسسها غداة الحرب العالمية الأولى اسم: مطبعة العرب، كما اختار للنشرات الشهرية التي كان يصدرها: العرب، ومقالات العرب، ولطائف العرب.

لقد أسست منتديات أدبية وجمعيات علمية، كان من أهدافها المحافظة على العروة الوثقى التي تربط تونس ببقية أرجاء الوطن العربي، وبذلت الجمعية الخلدونية جهوداً كبيرة للتعريف بأمجاد

الحضارة العربية، ونشرت العلوم الطبيعية باللغة العربية لسد الثغرة الموجودة في الجامعة الزيتونية، التي رفضت فرنسا تحديث برامجها. وقد ناضلت حركة تونس الفتاة لأجل إعطاء اللغة العربية مكانة أهم في التعليم إلى جانب اللغة الفرنسية.

من جهة أخرى لم يتردد التونسيون حين غزت إيطاليا ليبيا في مساندة الشعب الليبي بالمؤن والسلاح والمتطوعين، كما أبدى التونسيون تعاطفاً فياضاً مع الثورة المسلحة التي شنها عبد الكريم الخطابي في منطقة الريف في المغرب الأقصى، وذلك بجمع التبرعات المالية، والقيام بحملة لإجبار فرنسا على عدم إرسال الجنود التونسيين إلى المغرب، كما أُسست في عام ١٩٢٦ في باريس منظمة سياسية تحت اسم: نجمة شمالي إفريقيا، كان رئيسها التونسي الشاذلي خير الله، وكاتبها العام مصّالي الحاج، ويتضح من اسمها أنها ذات آفاق قومية. كما أسست في عام ١٩٢٨ في باريس جمعية شمالي إفريقيا للمسلمين، وكان المبدأ الذي قامت عليه هو تمتين الرابطة القومية بين طلبة شمالي إفريقيا.

في سنة ١٩٤٥ أصدر المناضلان يوسف الرويسي والحبيب تامر جريدة في ألمانيا باسم المغرب العربي. وفي آب عام ١٩٤٦ عقد مؤتمر في تونس حضرته كل التنظيمات والتيارات السياسية، أوصى بانضمام تونس إلى جامعة الدول العربية غداة حصولها على الاستقلال.

في أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات طالبت كل المنظمات

الجماهيرية، النقابية والثقافية بتعريب الإدارة والتعليم.

حين اندلعت الثورة الجزائرية المسلحة في بداية تشرين الثاني ١٩٥٤ هب التونسيون لنصرتها بالمال والسلاح والمتطوعين، وعندما رأى الأمين العام للحزب الدستوري الجديد موقف حزبه المتمثل في قبول حل الاستقلال المنقوص، قام بإرسال جيش سماه جيش تحرير تونس، وأوكل له مهمة التنسيق مع جيوش المغرب العربي بهدف تخليص كل المغرب العربي من الاستعمار.

كل هذه الأمثلة تكشف بجلاء عمق الروابط القومية بين تونس وبقية أرجاء الوطن العربي، إلا أن المثال الأكبر دلالةً هو تفاعل التونسيين مع القضية الفلسطينية التي ساهمت بدورها في تنمية هذا الوعي القومي العربي للشعب التونسي.

٢- بذل القياديون الصهاينة مثل: ألفرد فالنزي مؤسس أول تنظيم صهيوني في تونس، وفيليكس علوش، ورينى كوهين نشاطاً دعائياً كبيراً، حتى بلغ عدد الصحف التي أصدروها في النصف الأول من القرن العشرين أكثر من ثلاثين جريدة ناطقة بالفرنسية.

كان للأحزاب السياسية والجمعيات مواقف متباينة من الحركة الصهيونية، فالحزب الشيوعي التونسي الذي أُسس عام ١٩٢١، كان تابعاً للفرع الفرنسي للأممية الشيوعية، وقد أصبح للشيوعيين في تونس غداة الحرب العالمية الثانية ثقل لا يستهان به في الحياة السياسية في تونس عن طريق المنظمات النقابية التي كانت تدور في فلكهم، مثل الاتحاد النقابي وغيره، ولأن الشيوعيين جاهروا بالعداء

للنازية، فكانوا يعملون في العلانية، بينما كانت الأحزاب الأخرى القادرة على مواجهتهم محظورة من الفرنسيين بدعوى تأييدها وتواطئها مع النازية.

وكانت الحركة الشيوعية تهدف فيما تهدف إلى خنق حركة الوحدة العربية.

وفي سنة ١٩٤٧ سقط الحزب الشيوعي في خطأ مميت حين بارك مساندة الاتحاد السوفياتي لقرار تقسيم فلسطين من طرف منظمة الأمم المتحدة.

٣- أما مواقف الأحزاب التونسية تجاه القضية الفلسطينية فإنها تختلف عن موقف الحزب الشيوعي.

أ- فالحزب الدستوري القديم هو أول حركة سياسية في تونس استطاعت أن تشد انتباه فئات كثيرة من السكان المسلمين إلى ما يقوم به صهاينة تونس، وصهاينة الخارج من نشاط ضد العرب، وكان يستغل منابر المساجد لإشعار السكان بالأوضاع المأساوية في فلسطين، كما أنه لم يتوقف عن إرسال البرقيات للاحتجاج على تواطؤ إنكلترا مع الصهاينة في عصبة الأمم، ثم أنشأ الحزب في حزيران ١٩٣٦ لجنة إغاثة فلسطين الشهيدة، لجمع التبرعات المالية لنصرة فلسطين، ولم يبق طلبة الجامعة الزيتونية بمنأى عن الحركة الجماهيرية المساندة لفلسطين، فجامعة الزيتونية يعود تاريخها إلى أربعة عشر قرناً، وقد ظلت مركز إشعاع العلوم الدينية واللغوية والأدب على مر الأجيال، إلا أن فرنسا رفضت تحديثها، وإدراج

العلوم الطبيعية ضمن برامجها كما رأينا من قبل.

لقد أصبحت القضية الفلسطينية بعد صدور قرار التقسيم حديث التونسيين، وشغلهم الشاغل، فتطوع آلاف من الشبان التونسيين المسلمين للقتال في فلسطين ضد جحافل الغزو الصهيوني، وقد وصل عدد من المتطوعين في ٣٠-٥-١٩٤٨ حسب الاستعلامات الفرنسية إلى ٢٦٧٦ متطوعاً، وقد حاولت السلطات الفرنسية عرقلتهم بشتى الوسائل ففشلت، فنصبت بالتعاون مع بعض الخونة، كميناً للمتطوعين في الجنوب التونسي.

إن أغلب المتطوعين لم يتمكنوا من الوصول إلى الشرق العربي، وقد عانوا كثيراً من الجوع والعطش والعيش في العراء، والسير على الأقدام، ومضايقات السلطات الإنكليزية والفرنسية في كل من ليبيا ومصر بخاصة.

ب- ومن الحركات التي أيدت القضية الفلسطينية بقوة وحماسة جمعية الشبان المسلمين، وهي تنظيم ديني وسياسي، أُسس في صيف ١٩٣٤، وشُكلت قيادته من مثقفين تقليديين، أما قاعدته فتكونت من طلبة الجامعة الزيتونية، وهذه الجمعية فرع من جمعية الشبان المسلمين في مصر.

لقد اشتهر رئيسها محمد الصادق بسيس الأستاذ في جامعة الزيتونية بكتاباته الصحفية الملتهبة حول القضية الفلسطينية، وأسس، باسم الجمعية وبالاشتراك مع بعض أساتذة الجامعة الزيتونية مثل الشاذلي بن القاضي والفاضل بن عاشور، تنظيمين هما: لجنة الدفاع

عن فلسطين العربية، ولجنة المؤتمر الإسلامي بتونس لحماية القدس الشريف، وقد انتشرت في كل المدن التونسية.

إن هذه الجمعية، على غرار الحزب الدستوري القديم، لا تفرق بين اليهودية والصهيونية، وهي -تبعاً لذلك- تنظر إلى القضية الفلسطينية على أنها صراع بين اليهود والمسلمين، وأن خط التباين بين العروبة والإسلام ليس واضحاً في كتابات قادتها وخطبهم، شأنهم في ذلك شأن قادة الحزب الدستوري القديم، فالقومية العربية والإسلام -بالنسبة لهم- وجهان لعملة واحدة، والتضامن العربي دائماً من ركائز التضامن الإسلامي.

حـ- ظل شعب تونس وأحزابها وجمعياتها تؤيد بقوة قضايا العرب، ولاسيما القضية الفلسطينية، حتى ظهر على المسرح السياسي حزب سياسي نحا بالشعب التونسي منحى آخر، هو الحزب الحر الدستوري الجديد.

أسس هذا الحزب سنة ١٩٣٤ إثر انشقاق داخل الحزب الدستوري القديم، واستطاع أن يسيطر على قيادة الحركة الوطنية في تونس منذ الثلاثينيات وحتى عام ١٩٥٦ أي حصول تونس على استقلالها السياسي.

إن هذا الحزب لم يكن ينطلق في تعامله مع ما يجري في فلسطين من القانون العام الذي يقرر بأن مصير تونس ارتبط منذ القرن السابع الميلادي بمصير الأمة العربية الإسلامية، فهو يعتبر القضية الفلسطينية، وقضايا العروبة قضايا غير رئيسية، فمساندة هذا الحزب

للقضيــة الفلسطينية كــانت من باب التضامن، وليس مـن باب الانتماء إلى أمة عـربية واحـدة، فهو يعـتبر أن القـضية الـفلسطينـية هي قضـية الشعب الفلسطيني أساساً، وبصفة ثانوية هي قضية بقية العرب.

إن فكرة الأمة التونـسية التي يدافع عنها هذا الـحزب، مأخوذة من فكرة القـوميات في أوربا، ولا تنطبـق على الواقع التونسـي والعربي، وقد روج لها بعض المثقفين الاستعماريين في تونس، الذين تأثروا بها إبان دراستهم في فرنسا.

إن الحزب الدستوري الجديد كان يفرق بـين اليهودية والصهيونية، وهذا ما دعا إليه بورقـيبة، الذي جاء في كلمة طويلة كتـبها في جريدة الحـزب -العمل التـونسي-: إن اليـهودية دين، أمـا الصهـيونية فـهي مذهب سياسي.

إن الحزب الدستوري الجديد، كان أقل تشـدداً من بقية التنظيمات والتيارات السياسية في مسألتي الديـن والقومية (بل كان بورقيبة يجاهر بعدائه للإسـلام والخروج على أحكامه) وهـو التنظيم التونسـي الوحيد الذي ضم في صفوفه بعض اليهـود، دون أن يلتفت إلى أن اليهود في تونس بمن فيـهم الصهاينة كانوا موالـين قلباً وقالباً لفرنـسا، وفاقوا في عدائـهم للحـركة الوطنـية التـونسيـة، غلاة الاسـتعمـاريين الفـرنسيـين أنفسهم.

د – في بغـداد، حيث كنا نـقيم، ظهرت حـركات علمـانية عـربية تعادي الإسلام، وتتطاول علـى تنظيماته وشخصياته، وقـد رأينا، فيما مـضى من هذه الـكتـابة، حـزباً سودانـياً بـعثـياً يـحقـد على الإخـوان

المسلمين في السودان، ويناصبهم العداء المعلن، ولاسيما في بغداد التي كانوا يتمتعون فيها بامتيازات كثيرة، ويشاركون في قيادتها القومية.

كان النزاع بيننا وبينهم على أشده، ولاسيما في المؤتمرات الطلابية، وعبر الوفود السودانية الإسلامية التي كانت تزور بغداد، وقد استمر هذا الصراع حتى كتب الله لنا التوفيق، فلم تعد وجهات نظرهم مقبولة، وحدث التقارب الكبير بين القيادة العراقية والقيادة الإسلامية السودانية، انبثق عنه اتفاقات وتفاهمات وتعاون، مر ذكرها تفصيلاً في صفحات سابقة من هذا المجلد.

ثم واجهنا تنظيماً آخر ينتمي إلى البعث، ويتحدث باسم الاتحاد العام لطلبة تونس. فكان هذا التنظيم أشد عداوة للإسلام والإخوان، بل كان يجاهر بذلك في نشراته الحزبية ومواقفه السياسية، فكُتب علينا أن نخوض صراعاً كالذي جرى بيننا وبين البعثيين السودانيين من قبل.

في مجلة الاتحاد التي كان يصدرها البعثيون التونسيون، كانت ترد مقالات هابطة لا يمكن احتمالها أو السكوت عليها، ففي العدد الأول للسنة الحادية عشرة عام ١٩٨٥ جاء في الافتتاحية سفاهات ضد الإخوان، نورد مقتطفات منها، للتدليل على الصراع الذي نشب بيننا وبينهم، تقول الافتتاحية:

«إنك لتميزه حتى وإن لم يكن لك سابق معرفة به، حيثما وجدته في معهد ثانوي أو في جامعة أو مؤسسة، ذلك هو الكئيب الذي هو

غالباً ما يحمل عاهة جسدية، أو عقدة نفسية، إنه الأخ المسلم، أو ما يطلق على جمعهم الإخوان المسلمين، شكله غريب، وتفكيره غريب، لا لغة له غير لغة العنف، ولا أخلاق له غير أخلاق المجرم المحترف.

إنه ذو تفكير معلب يرجع لأيام وأد البنات، وأحلك أيام العرب في صراعهم الطائفي -القبلي-، يذرف دموع التماسيح عندما تضيق به الدنيا، وينهار بمجرد إغراء مادي بسيط، إنه ذلك الذي يلهث وراء الزعاماتية الزائفة، وحب الظهور، فهو مستعد أن يتاجر بمبادئه وحتى بما يسمَّى عنده بإيمانه الإسلامي، إنه لغز محير، بل إنه خطيئة متنقلة، ولا تراني أسرفت حين أقول: إنه سرطان، هو ذلك الأخ المسلم الذي له ذقن العتروس».

ثم تتابع النشرة إسفافاتها، وتهرف بما لا تعرف، وتزيف الحقائق، ولاسيما فيما يخص الإخوان المسلمين في مصر، فتقول:

«يرجع تاريخ الإخوان المسلمين في مصر، وكان ذلك قبل ثورة يوليو ١٩٥٢، إذ نشؤوا في جو مشحون، كانت بدايتهم أيام الملك فاروق، وتقريباً سنة ١٩٣٠، حيث استُدعي زعيمهم حسن البنا إلى مقر الحاكم العسكري البريطاني ليسلمه ٥٠٠ جنيه لبناء أول شعبهم، وقد جاء ذلك على لسان حسن البنا نفسه في كتابه الدعوة والداعية (يزيف كاتب الافتتاحية ما جاء على لسان الإمام البنا الذي ذكر الحادثة، وذكر موقفه منها، وكيف ردها قائلاً: ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ فما أجرأ هذا الدَّعِيَّ على

الكذب والإفك والافتراء والنقل الممسوخ وغير الأمين.

يتابع الكاتب المفتري فيقول: وهذا الاعتراف ليس الأول، حيث ستقوم بريطانيا بالسهر على نشأتهم وترعرعهم في أحضان الإمبريالية البريطانية، ومن هنا كان الميلاد المشوه القذر، حيث ترعرع كيانهم، واشتد عودهم، وتعددت أنصارهم بالترغيب والهدايا المالية تارة، وباللعب على الإحساس والشعور الديني تارة ثانية.

وحين كانت الثورة تتحسس طريقها، وفي تناقض وقع بين عبد الناصر والإخوان، دبروا جريمتهم النكراء لاغتياله (كتب كثيرون من المفكرين والسياسيين المصريين عن هذه التمثيلية، تمهيداً لضرب جماعة الإخوان المسلمين في مصر).

وبالرغم مما تعرض له الاتجاه الإسلامي وقادته على يد النظام الذي سيطر عليه بورقيبة، العدو اللدود للإسلام وأهله، فإن البعثيين التونسيين اتهموا الحركة الإسلامية في تونس بالتعاون مع الحكومة التي تضطهدهم وتطاردهم، دون حياء من هذا الزيف المفضوح والمكشوف.

ثم اتهم البعثيون التونسيون في مجلتهم الاتحاد تنظيم النهضة بارتباطهم بأوكار الجاسوسية الأمريكية، كما اتهمتهم بالوقوف في وجه القوى الوطنية فقالت: لقد كان تحرشهم ببعض القوى الوطنية واضحاً، وخاصة في داخل الجامعات، حيث كانوا السباقين إلى الممارسات في تحطيم أي مسارٍ نضالي، وأفشلوا منذ عام ١٩٨٢ أي تحرك أو مسار نضالي، كما أفشلوا كل محاولة طلابية، وخاصة في

المركب الجامعي تحت شعار: أسلمة الجامعة، وحتى، وهم يحاكمون، اتهمهم هذا الحزب المسخ بأنهم لولا المحاكمات التي أرادوها بشروط مخجلة لدخلوا الانتخابات!!

تختم افتتاحية البعثيين التونسيين بسيل من السباب الذي لم نسمع بمثله من قبل، مثل: اللعنة للمرة الألف على زمن أفرز أمثال هذه المكروبات، وسلطها على رقاب أبناء شعبنا العربي في تونس... إلخ، هذا هو تاريخ الإخوان المسلمين، ومهما كتب عنهم فهو قليل، فهم ذوو نشأة وسخة، تاريخها حافل بالخيانة، وحاضرها متردٍ، بل إنهم استخدموا كلمات نابية وعبارات هابطة يعف الكاتب عن ذكرها، وكأنها خارجة أو صادرة عن قمامة يضع الإنسان يده على أنفه حتى لا يشم نتنها.

هـ- لم يكن السكوت على هذا المستوى الهابط ممكناً، مهما كانت النتيجة، فحصل الصدام بينهم وبيننا كالذي سبق وحدث مع البعثيين السودانيين، ولم يكن الصبر وارداً على من يتطاول على الاتجاه الإسلامي -الإخوان المسلمين- وعلى قيادات الحركة الإسلامية في مصر وتونس وغيرهما بدءاً من الإمام الشهيد حسن البنا، طيب الله ثراه، فاتبعنا طريقاً آخر لإسكاتهم، وقطع ألسنتهم، وتحطيم أقلامهم، فرجعنا إلى القيادة العراقية الحاكمة، نبحث هذا الأمر معها، ونلومها ضمناً على صدور مثل هذا الإسفاف في بغداد، وفي ظل السلطة القائمة، وبعد فترة وجيزة، نقدر أن الأمر عرض على القيادة العليا، جاءت الإجابة شافية، مستنكرة ما كتب وما نشر،

وأن هذا التصرف لا يمثل القائمين على السلطة ولا يرتضونه، وأنهم سيعالجون الأمر حتى لا يتكرر مثل هذا السلوك، وبالفعل انتهينا من شر هذا الفريق الذي نشأ في ظل بورقيبة، وتشرب مبادئه وحقده على الإسلام والمسلمين، وإن كانوا يختلفون معه في السياسة تبعاً لمواقف قيادتهم العليا. وهكذا يسر الله أمورنا، وعلت كلمتنا، فأسكتنا هذا الصوت النشاز، ولم نعد نسمع له حساً ولا ركزاً، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فمن الواجب أن نذكر موقف الأستاذ مسعود الشابي الذي كان عضواً في القيادة القومية لحزب البعث، إذ قال أكثر من مرة: إن إخوان تونس هم الذين أعادوا لتونس طابعها العربي والإسلامي، بعد أن حاول بورقيبة اقتلاعها من محيطها العربي والإسلامي، وإلحاقها بالغرب، وطمس هويتها العربية، وإخراج شعبها العريق من الإسلام، فكان الفشل حليفه بعد ظهور الحركة الإسلامية في تونس، فلهم اليد الطولى -كما يقول الشابي- في تأكيد هوية تونس العربية الإسلامية، والعودة بها إلى ما كانت عليه منذ أربعة عشر قرناً.

٤- وبما أن حركة الاتجاه الإسلامي أو حركة النهضة -فيما بعد- الإخوان المسلمين- كانت هي المستهدفة من النظام العلماني المعادي للإسلام، ينبغي إعطاء لمحة موجزة عن الإخوان في تونس، وما تعرضوا له من مطاردة واضطهاد.

منذ سنة ١٩٨١ تقدمت حركة الاتجاه الإسلامي بتونس بطلب

للحصول على ترخيص من وزارة الداخلية، فكان الرد هو اعتقال ١٠٦ أشخاص من قيادات الحركة وأعضائها البارزين بتهم باطلة أثبتت المحكمة التونسية بطلانها في أيلول ١٩٨١، ومع ذلك أصدرت المحكمة نفسها أحكاماً بالسجن لمدة عشر سنوات على عدد من الأعضاء، بدعوى تكوين جمعية دون ترخيص!!

إثر تدخلات عربية وإسلامية، وتحرك منظمة العفو الدولية والمعارضة التونسية في الداخل، اضطر النظام إلى الإفراج عن المعتقلين قبل نهاية المدة في صيف ١٩٨٤ .

وفي صيف ١٩٨٥ شن اليساريون حملة إعلامية تتهم الإسلاميين بالظلامية والرجعية.

وفي صيف ١٩٨٦ بدأت الحملة ضد محمد المزالي رئيس الوزراء السابق بتهمة تعامله مع الإسلاميين من خلال بدايات التعريب التي أنجزها في وزارة التربية.

في الشهر السابع لعام ١٩٨٦ جهزت الحكومة التونسية قوائم للإسلاميين في وزارة الداخلية، وسحبت جوازات السفر أعضاء التنظيم أو بعضهم، وشرعت الأجهزة الأمنية في متابعتهم، وإخضاعهم لمراقبة بوليسية دقيقة.

في نهاية ١٩٨٦ صرح بورقيبة بأنه سيكرس الفترة القادمة لإنهاء وجود الإسلاميين في تونس.

أ- في شباط ١٩٨٧ حصلت تحركات طلابية واسعة كان محورها

مطالب نقابية، شملت كل الانتماءات السياسية.

في ٩-٣-١٩٨٧ ألقي القبض على الأستاذ راشد الغنوشي زعيم الحركة بتهمة التحريض على الشغب بالجامعة، أعقبه اعتقال عشرة من قادة الحركة.

اتهمت الحكومة راشد الغنوشي بالسعي لقلب نظام الحكم بتحريض من إيران وألقت القبض على ٥٤ قيادياً من أعضاء الحركة، ومارسوا عليهم تعذيباً شديداً لانتزاع اعترافات باطلة، ولما لم يظفروا بذلك ضاعفوا عملية التعذيب، التي عرضت البعض للخطر، مع أن الحركة في تونس أعلنت مخالفتها الصريحة لاختيارات الثورة الإيرانية، الأمر الذي حمل الإيرانيين على كيل الاتهامات إلى الحركة بالعمالة لأمريكا والرجعية.

في غضون ١٩٨٦ تنبهت الحركة إلى تنامي التشيع في بعض أوساط الشباب، وتوقعت من الداخلية مواجهة هذا النشاط، ولكن حدث عكس ذلك، إذ تركت السلطة نشاط المتشيعين، بل وجندت مجموعات منهم للسفر إلى إيران ودراسة الفكر الشيعي، لإيجاد تيار يواجه حركة الاتجاه الإسلامي، كما يفعل كثير من الحكومات لضرب تيار بآخر للقضاء على الجميع.

وفي هذا السياق منعت وزارة الثقافة دخول الكتب الإسلامية إلى تونس، وعوضتها بكميات كبيرة من الكتب الشيعية التي اختصت بعض دور النشر اللبنانية بطبعها، وقد بيعت بأثمان زهيدة في معرض الكتاب لسنتي ١٩٨٥، و١٩٨٦ .

ب- تزعم بورقيبة الحملة ضد حركة الاتجاه الإسلامي، فقد ترسخ لديه العداء للإسلام، والتركيز على تغريب تونس فكراً وسلوكاً ومؤسسات، وفي هذا الإطار اندرج إغلاق الجامعة الزيتونية، وتعطيل التعليم الديني الإسلامي، وإفساح المجال أمام التعليم المسيحي الكنسي، ومهاجمة عقائد المسلمين علناً، والسخرية منها، والانتقاص من شخص رسول الله ﷺ، وإصدار مجلة للأحوال الشخصية تخالف أحكام الشريعة الإسلامية، والتحريض على إفطار رمضان، ومنع الزي الشرعي لدى الفتيات، ومنع الشباب من إطلاق اللحى، وكان بورقيبة يفخر بهذه السياسات وإقامة دولة علمانية، كما صرح بذلك للملحق السياسي لجريدة اللموند الفرنسية الصادرة في آذار ١٩٧٦[١].

انتاب الشعور بالقلق الطامعين في خلافة بورقيبة من أمثال محمد الصياح الزعيم الشيوعي السابق، ومنصور الصخيري من امتداد الحركة الإسلامية وشعبيتها، باعتبارها أهم خصم عقائدي أيديولوجي وسياسي بعد رحيل بورقيبة، فقاموا بهجمة شرسة على الحركة بتأييد الحزب الشيوعي المعترف به رسمياً، ومارسوا أعمالاً تمس الحريات الشخصية والعامة والدينية فمنعوا الرياضيين من ارتداء الثياب الطويلة، وحاصروا الأذان، ومنعوا سماعه خارج المسجد، وألقوا القبض على الملتحين، وأزالوا الملصقات القرآنية من السيارات، وألزموا الأئمة والخطباء بموضوعات سبعة، لا صلة لها بالتوعية الدينية.

والذي تخوفت منه الحركة: أن النظام التونسي الذي يعمل من

أجل القضاء على حركة الاتجاه الإسلامي، أفسح المجال أمام عناصر شيعية تبذر الخلاف الطائفي، وينتهي الأمر بظهور تيار ديني متطرف يهدد الاستقرار بتونس، وبمنطقة المغرب ودوله على العموم، لاسيما بعد تغييب المرشدين والمربين، وزج كثيرين منهم في غياهب المعتقلات، لتخلو الساحة أمام الحركات المتطرفة، والأفراد ذوي الأفكار الشاذة.

ح- لخصت حركة الاتجاه الإسلامي -الإخوان المسلمين- في تونس الموقف بما يلي:

- الهجمة على الحركة الإسلامية قديمة مذ شن بورقيبة بسياساته العلمانية هجماته على الحركة الإسلامية التي ولدت قوية راسخة.

- استخدمت السلطة أحداثاً لا علاقة للحركة بها، ووجهت إليها اتهامات لا أصل لها، مع أن الحركة لم تخرج في فكرها عن التعاليم السنيَّة، والدعوة المنبثقة عن الكتاب والسنة، ولا يمكن لها أن تلتقي مع أي تيار شيعي أو غيره ممن عُرف عداؤه لدعوة أهل السنة والجماعة.

- وأن المستفيد من الهجمة على الحركة الإسلامية هي الأطراف العلمانية وفي مقدمتها: البورقيبيون والشيوعيون، وهذا يمهد لانتشار الفكر الشيعي المعروف بتطرفه وعدائه للسنة وأهلها.

- لهذا كله يناشد قادة الحركة من يتعاطف معهم في محنتهم أن يفسحوا المجال الإعلامي لرد الاتهامات الباطلة، وتوجيه برقيات استنكار، وإشعار المسؤولين بأن ضرب الاتجاه الإسلامي بتونس يهيئ

مناخاً لانتشار الأفكار الشاذة، وقيام حركات متطرفة، ويعطي الفرصة للشيوعيين كي يحولوا تونس إلى يمنٍ جنوبي جديد بمنطقة المغرب العربي.

- ثم أصدرت قيادة الحركة بياناً عام ١٩٨٧ ناشدت فيه المسلمين والمؤمنين أن يكونوا مع الحركة في محنتها. نورد بعض مقتطفات مما جاء في البيان بإيجاز شديد:

«إليكم قصة شعب يضطهد ويعذب، وقد قام النظام البورقيبي بسياسة التجويع والإذلال، ومنع أبناء الحركة من الخطابة في المساجد، وأرهب الطلبة بجهاز الأمن المركزي، ومنع النساء من ارتداء لباسهن الشرعي، وعندما قام الطلبة في الجامعات التونسية حيث اجتمع حوالي ٢٠٠٠٠ طالب في جامعة تونس، وانتخبوا ممثليهم على مستوى الجمهورية، فوجئ النظام البورقيبي بفوز لائحة الاتجاه الإسلامي بـ ٩٠ في المئة في كل الجامعات ومختلف الفروع، فاهتز النظام، وأعلن عن مكافأة مالية لمن يساعد في إلقاء القبض على رئيس اتحاد الطلبة التونسيين المنتخب عبد الكريم الهاروني قدرها ٥٠٠٠ دينار تونسي، ولكن خاب فألهم.

في شهر شباط وضع رئيس الحركة راشد الغنوشي حفظه الله تحت الإقامة الجبرية -وكان قد خرج من السجن منذ أكثر من عامين بعد محاكمة طلب فيها النائب العام الحكم عليه بالإعدام ولكن القضاء برأه- ثم ألقي عليه القبض بتهمة التعامل مع إيران، ووضع تحت التعذيب النفسي والبدني، كما ألقى النظام البورقيبي القبض

على ٣٠٠ طالب، وعلى عدد من قياديي حركة الاتجاه الإسلامي، وقد بلغ عدد الملاحقين من أبناء الحركة ٤٠٠ شخص، تمَّ القبض على ٤٠ منهم، وفر الباقون، أما المطلوبون من طلبة الجامعات فيقدر عددهم بأكثر من خمسة آلاف طالب، وما زال زوار الفجر يطوقون البيوت ويروعون النساء والأطفال لاستجوابهم عن المطاردين.

ناشد البيان المخلصين والغيورين، واستصرخ ضمائرهم أن يقفوا مع تونس في محنتها، ولاسيما أبناء الحركة الإسلامية، مستنكرين ومحتجين، وأن يجمعوا التبرعات لعائلات المعتقلين والملاحقين..

وأخيراً... أكد البيان ما سبق أن أعلنه من أن الحركة بعيدة كل البعد عن الثورة الإيرانية ومنهجها وأنها تبرأ من أي صلة -يقوم بها بعض التونسيين- بالسياسة الإيرانية.

كان الأستاذ راشد الغنوشي ضمن المعتقلين أو في مقدمتهم، بجانب إخوانه الذين أورد البيان أسماء عشرة منهم، هم من قياديي الحركة في تونس.

د- انتاب الهلع الحكومة التونسية بعد انتشار حركة التوجه الإسلامي في جميع الأوساط التونسية، ولاسيما في الوسط الجامعي الذي استقطبت الحركة ما يزيد على تسعين بالمئة من عشرات ألوف الطلاب الجامعيين، فدفعها شعورها بالقلق إلى اتباع أساليب هابطة في تشويه السمعة الشخصية للأستاذ عبد الفتاح مورو، والسمعة السياسية للأستاذ راشد الغنوشي وأمضت العام ١٩٨٧ وشغلها الشاغل تحطيم هذا العملاق الإسلامي الذي أعاد لتونس هويتها وأكد لها

أصالتها المهددة من المدرسة البورقيبية، فعمدت وزارة الإعلام التونسية إلى عدد من الصحفيين الذين يعملون في الصحافة العربية المهاجرة، عارضين عليهم إغراءات مالية، ليقوموا بنشر تحقيقات صحفية حول اتصالات خفية مزعومة بين حركة النهضة وجهات إيرانية، وقد تولت الأجهزة الأمنية، إعداد ملفات مزيفة منذ عام ١٩٨٧ لتثبت التهم المفتراة، ثم صعدت وسائل الإعلام التونسية حملتها على حركة النهضة متهمة إياها بتدبير وقيادة المظاهرات التي هزت الجامعات والمعاهد الثانوية بمناسبة الذكرى الثالثة للانتفاضة الفلسطينية، وقد استمرت الإضرابات طيلة أسبوع بسبب تردي الظروف المادية للجامعات، وبسبب سوء التصرف حيال الجامعة الزيتونية بصورة خاصة، ونقل إحدى كلياتها إلى محل قديم مهجور، وعندما أضرب ستون طالباً عن الطعام لأكثر من أسبوعين، صرح وزير التربية محمد الشرفي ذي الميول الشيوعية بقوله: فليموتوا!! وداهمت قوات الشرطة يوم الجمعة في ٨/ ١٢/ ١٩٨٩ المصلين في جامع منوبة في حملة تأديبية بسبب احتجاجهم على عزل خطيب الجمعة المتهم بميوله لحركة النهضة، كما عزلت كثيراً من الأئمة بنفس التهمة والتعاطف مع تيار النهضة الجارف في كل أنحاء تونس الخضراء.

رد الشيخ راشد الغنوشي على اتهامات الحكومة بحديث عبر محطة لندن في ١٥/ ١٢/ ١٩٨٩ قال فيه: إن الحكومة هي التي تتحمل مسؤولية الاضطرابات في البلاد لوجود مشاكل حقيقية لم

تحسن التعامل معها، مثل تسمم ٣٠٠ طالب، ونقل طلبة إحدى الكليات لطلبة الشريعة إلى أماكن غير صالحة، وأنكر أن يكون لحركة النهضة صلة مباشرة بهذه الأحداث، واقترح في معالجة الأزمة: الدخول في تفاوض فوري مع الطلبة، وتسليم جوازات السفر لمن منعت عنهم أو سحبت منهم وهم ألوف، ومنهم الشيخ عبد الفتاح مورو، والاعتراف بكل الأحزاب، ومنها حزب النهضة، وهو أكبر حزب معارض، وإلغاء القوانين المقيدة للحريات، مثل قانون الأحزاب والصحافة ومنع الحجاب.

ثم لجأت حركة النهضة إلى الرابطة التونسية لحقوق الإنسان بتاريخ ٥/٧/١٩٨٩ في مذكرة جاء فيها:

ما أصاب الحركة من تنكيل واضطهاد، وما وقع على أعضائها من صنوف التعذيب الجسدي الذي تقشعر من هوله الأبدان من ذلك استعمال مادة الإتيار ETLLER على الأعضاء التناسلية والأماكن الحساسة وتجريد المعتقلين من كامل ثيابهم وضربهم بالسياط البلاستيكية والأسلاك الكهربائية، والصفع واللكم إلى حد الإغماء وتعذيب المعتقل أمام زوجته مما يفقدها وعيها والتهديد باستعمال الكهرباء والاعتداء الجنسي... إلخ وبالرغم من تعمد تأخير إطلاق السراح بانتظار اختفاء آثار التعذيب، إلا أن ذلك لا يخفي ما وقع على المعتقل من إضعاف حاسة الشم، وإظهار آثار الضرب على الظهر والأطراف، وشلل في اليد لبعضهم، ووجود زرقة حول العينين، وإرهاق بدني حاد، كما أكدت ذلك الشهادات الطبية.

ختمت المذكرة التي رفعتها حركة النهضة بتوقيع الشيخ عبد الفتاح مورو نائب رئيس النهضة، مناشدة الهيئات الإنسانية وأصحاب الضمائر الحية ومناصري حقوق الإنسان باستنكار هذه الممارسات البشعة، والمطالبة بمحاسبة مرتكبيها من السفاحين وأعداء الإنسان.

هـ- إن حركة النهضة -الإخوان المسلمين- قد فرضت وجودها بل واحترامها في أوساط تونسية ذات اعتبار كبير، كشخصيات وطنية عريقة في الحياة السياسية التونسية مثل: محمد المزالي رئيس وزراء تونس الأسبق، ومحمد المصمودي أول وزير خارجية وصاحب الشهرة السياسية وغيرهما ممن أشادوا بحركة الاتجاه الإسلامي ودورها الكبير في مصير القطر التونسي، كما وقفت حركات عربية مع حركة النهضة في محنتها تقديراً من هذه الحركات للدور الكبير الذي اضطلعت به حركة النهضة في إنقاذ تونس من السياسة التغريبية البورقيبية، وكان من أبرز هذه المواقف: ما قام به حزب طلائع الوحدة العربية -وهو حزب بعثي تحت مسمى آخر- الذي أصدر بياناً لا تنقصه الصراحة والوضوح في ١٩٨٩/٤/١٧ للوقوف بجانب النهضة في محنتها، ومما جاء في هذا البيان الذي حمل العنوان التالي: بيان مع الإسلاميين دفاعاً عن ثوابتنا:

«تتابع حركة طلائع الوحدة العربية بكثير من الاستياء الحملات المسعورة على الإسلام، وعلى مناضلي حركة النهضة التي يشنها بعض وسائل الإعلام، تحركهم أيادٍ خارجية، والتي وصلت حد المطالبة الوقحة بعدم تديين المجتمع التونسي، وبالدعوة الصريحة إلى

الاستهتار ومحاربة عقيدتنا الإسلامية تحت أقنعة التقدمية والديمقراطية ومقاومة الظلاميين والفكر الماضوي.

إننا نطالب كل الوطنيين المخلصين، وخاصة إخواننا في التيار القومي: أن لا يسقطوا في المؤامرات الرامية إلى ضرب القوى المؤمنة بأصالة تونس، وبهويتها العربية والإسلامية.

وجاء في البيان: ترفض الطلائع العربية الدخول في أي جبهة أو حلف ضد الإسلاميين من مناضلي حركة النهضة تحت أي ستار أو شعار، وندعو إلى إقامة جبهة تأصيلية تجمع كل القوى المؤمنة بتونس عروبة وإسلاماً، ونؤكد على حق حركة النهضة في الحصول على تأشيرة العمل السياسي، كحق لكل الذين طلبوا هذه التأشيرة أو ذلك الترخيص ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ والله ولي التوفيق.

عن المكتب السياسي

عبد الرحمن الهاني

و- إن الذي دعا إلى التوسع بعض الشيء في الحديث عن تونس ذات التاريخ العريق، تونس القيروان، وتونس الزيتونية التي تعرضت لمؤامرة ماحقة، إذ صمم بورقيبة ومن لف لفه أو التف حوله على سلخ تونس واقتلاعها من وطنها العربي وعالمها الإسلامي، وإغراق أهلها بأوضار الحياة الغربية فيما يخص المرأة المسلمة، ونشر الانحلال، وطمس العبادات والفرائض، والتشجيع السافر على النيل

من قيم الإسلام ومثله، ومن تاريخه وحاضره، حتى أوشك الكثيرون أن يغرقوا بين لجج اليأس من مستقبل تونس العربي والإسلامي، وقد أطمع هذا الانحراف رؤوساً عفنة وألسنة ملوثة بالهجوم على الإسلام علناً، وكيل الاتهامات لعقائده وأحكام دينه، واستخدام عبارات لا يحتمل المؤمن سماعها في الطعن بالإسلام ووصفه بكل النعوت النابية.

في غمرة هذا اليأس ولدت حركة الإخوان المسلمين منذ مطلع ثمانينيات القرن العشرين، فأيقظت النائمين، ونبهت الغافلين، ولامست شغاف قلوب التونسيين من رجال ونساء، فدبت الحياة في ضمير الفرد، وفي أوساط المجتمع، فأحبطت هذه الحركة المباركة التي حملت اسم الاتجاه الإسلامي، وبعد ذلك اسم النهضة، المؤامرة على عروبة تونس وإسلامها، وتصدت بشجاعة وإيمان لحركة التغريب البورقيبية، فنجحت في تثبيت الهوية العربية والإسلامية لشعب تونس النبيل، وكسرت شوكة الذين أرادوا شراً بالإسلام والمسلمين، وظهر جيل مؤمن مثقف يفتدي الإسلام بدمه وروحه، ومن جهة ثانية فنحن وإخوان تونس جسد واحد كحالنا مع الحركات الإسلامية الأخرى، ولاسيما حركة الإخوان المسلمين، فكان التنظيم العالمي يجمعنا داخل إطاره في عمل تنظيمي تنسيقي -وليس اندماجياً- منذ سنة ١٩٧٧ في القاهرة مع الشيخ راشد الغنوشي حفظه الله ممثلاً لتونس، ومع الشيخ محفوظ النحناح، رحمه الله، عن الجزائر، أو عن تنظيمات الإخوان المسلمين فيها.

ومن جهة ثالثة في أسباب التطويل، أن جماعة الإخوان المسلمين السورية يأتي الحديث عنها في هذه الذكريات والمذكرات عن كل صلة تقيمها مع الآخرين من حركات إسلامية وأحزاب سياسية وشخصيات ليبرالية أو أكاديمية، سواء أكانت هذه الصلة قوية أم غير قوية، وكانت صلة مباشرة أو غير مباشرة.

وفي هذا السياق فإن تنظيم الإخوان في سورية، كان على صلة ودية قوية بتنظيم النهضة، وكان القياديون من كلا التنظيمين التونسي والسوري، يلتقون في أثناء محنة الإخوان التونسيين في باريس والخرطوم وغيرهما، وكان التشاور والتعاون بيننا وبينهم في أفضل صوره، فعندما التقيت مندوبهم في الخرطوم شكا من ضيق الحال في المسؤوليات التي يتحملها لخدمة إخوانه التونسيين، وقفنا معه فيمن وقف على قدر حالنا، ونحن في مأساة في سورية على يد الحكم العسكري الأمني الطائفي الذي ابتليت به سورية الغالية، وعندما اشتد التضييق على قيادات وأعضاء تنظيم النهضة التونسي في داخل تونس، إذ سحبت جوازاتهم، وضُيّق عليهم في أي تحرك في المدن التونسية وما بينها، مدّ تنظيمنا يد الأخوة إليهم فيما هم فيه من حصار، ليتمكنوا من الحراك داخلياً، والخروج من تونس إلى الفضاءات الرحبة في العالم، وكان تنظيمنا قد سبق غيره في الكثير من الأمور الفنية من جراء المحنة القاسية التي عانى منها.

❋ ❋ ❋



التجربة الحادية عشرة

مع الشعب الجزائري الشقيق

١- استمر الحكم الفرنسي في الجزائر زهاء ١٣٠ عاماً، واعتبر الفرنسيون أن الجزائر جزء من فرنسا، وكأنها إحدى محافظاتها، وفرضت عليها اللغة الفرنسية حتى أوشكت العربية أن تتوارى، فقد قال الزعيم الجزائري مصالي الحاج: إن تسعين بالمئة من الشعب الجزائري لا يعرفون اللغة العربية، ولا يستطيعون التحدث بها.

كما فرضت فرنسا على الجزائريين كل أنظمتها التعليمية والقضائية والمالية.. إلخ لكن جذوة الإيمان الهامدة في قلوب الجزائريين قد استيقظت والتهبت، والشعور بالانتماء إلى الوطن العربي والعالم الإسلامي قد نما نمواً كبيراً بفضل الجهود التي اضطلع بها رمز النهضة الجزائرية الحديثة عبد الحميد بن باديس صاحب شعار: العربية لغتنا، والإسلام ديننا، والجزائر وطننا، وكان من جهوده الكبيرة والمؤثرة: تأليف جمعية العلماء الجزائريين التي قادها بعد ابن باديس، الشيخ البشير الإبراهيمي الخطيب الشهير الذي كان يطوف

البلاد المشرقية والمغربية داعياً إلى تحرير الجزائر ودعم شعبها في ثورته وصراعه مع فرنسا، وكم التقيناه في مقرات الإخوان في سورية، وفي القاهرة بالمركز العام للإخوان في مصر، رحمه الله رحمة واسعة، فقد كان من كبار الدعاة، ومن أخطب خطباء عصره.

أ- بعد الاستقلال الذي كلف الشعب الجزائري مليوناً ونصف مليون شهيد في فترة ما كان عدد سكان الجزائر يزيد على عشرة ملايين، خطف العلمانيون والمتأثرون بالماركسية هذا النصر، وتحركت شهوة العسكريين للسيطرة على الحكم، فتنازعوا بينهم، وشرع بعضهم بتصفية وإبعاد البعض، حتى آل أمر السلطة إلى بومدين الذي سيطر على الجزائر، وتمت تصفية كبار قادة الثورة الجزائرية مثل: محمد خيضر، وكريم بلقاسم، ومحمد شعبان، قائد الثورة في صحراء الجزائر، وجاؤوا بكبار اليساريين ليتخذوا منهم مستشارين في حكمهم للجزائر، ولم نعد نسمع للإسلام وجوداً أو أثراً في السلطة والحكم.

وقبل الانتقال إلى أوضاع الجزائر بعيد الاستقلال، أعرج على حادثتين صادفتهما إبان اشتعال الثورة في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي:

أولاهما: أنني بعد تخرجي في كلية آداب جامعة القاهرة ١٩٥٥، قصدت مقر حكومة الجزائر المؤقتة التي اتخذت مقرها في منطقة قصر العيني بالقاهرة، قاصداً أن أعرض جهدي في تعليم اللغة العربية -وقد تخصصت بها- لأبناء الجزائر في فرنسا، وهم في أشد الحاجة

لذلك، فوجدت المقر خالياً من سكانه ومن حكومة الجزائر، وعندما استفسرت عن ذلك قيل لي: إن عبد الناصر حاول أن يزاول وصاية على الحكومة المؤقتة، ويملي عليها بعض المواقف، من ذلك انحيازهم ضد حكومة تونس إلى عبد الناصر، ولم يكن في مصلحة الجزائريين الدخول في صراع مع تونس أو المغرب، فكلا البلدين يمثل رئة يتنفس بها الجزائريون، ويدعمون بها ثورتهم، فاضطرت الحكومة المؤقتة لمغادرة مصر، وإلغاء مقرها في القاهرة.

ثانيتهما: أن أخاً لنا هو: ع.ح ابتعث إلى فرنسا ليحمل منها شهادة الدكتوراه في الهندسة، وكان نشاط الجزائريين في جاليتهم الكبيرة واسعاً، فكانت لهم فرنسا مصدر تسليح وتمويل للثورة في الجزائر عبر وسائل الاتصال الواسعة بين البلدين، وخارج أعين السلطة، فتعاون معهم الأخ: ع ح حتى اكتشفت الدوائر الأمنية الفرنسية نشاطه، فأخرجته من فرنسا، الأمر الذي اضطره للانتقال إلى جنيف في سويسرا لإكمال دراسته، لأن اللغة واحدة في فرنسا وفي جنيف، وفي ذات يوم أُعلن عن محاضرة سيلقيها -جورسيل المقيم الفرنسي السابق في الجزائر-، وكان الأخ ع ح ضمن الحضور، فشرع جورسيل يتحدث عن إنجازات الفرنسيين في الجزائر خلال فترة الاستعمار التي امتدت قرناً وثلث القرن، فانهالت الأسئلة في نهاية المحاضرة على جورسيل كعادة الغربيين في أعقاب كل محاضرة، فسأل عدد من الحاضرين: إذا كانت الجزائر جزءاً من فرنسا منذ ١٣٠ سنة، فلماذا نسبة التعليم عالية في فرنسا، ومنخفضة في الجزائر؟

لماذا لا توجد أمية في فرنسا، وهي متفشية في الجزائر؟

لماذا الفارق الكبير بين دخل الفرد في فرنسا، وفي الجزائر؟

لماذا ينتشر السل في الجزائر، والرعاية الصحية في فرنسا في أفضل حالاتها؟

لماذا؟ لماذا؟

فإذا بجورسيل يحتد، ويرد بانفعال وشدة عرف بهما الفرنسيون، فقال: Enter neus أي: فيما بيننا، إننا نضحي بأبنائنا وبناتنا، ودماء شعبنا وباقتصادنا لحماية أوربا من خطر المسلمين، أو نسيتم التاريخ؟ أو لا تذكرون معركة بواتييه؟

وبدأ يعدد أو يقلب صفحات التاريخ في الأندلس وفيينا و.. إلخ فسكت السائلون واقتنعوا إلا طالب الدكتوراه الأخ ع.ح الذي رأى بعينيه وسمع بأذنيه ما تنطوي عليه أحقاد الغربيين أو بعضهم، ويتظاهرون بالحوارات الدينية والحضارية والثقافية، ويخفون في أنفسهم مالا يبدون، فعلى أمتنا أن تجمع ما بين السماحة والانفتاح ومعاني الرحمة بالإنسان أياً كان هذا الإنسان، وبين التنبه واليقظة ورؤية الأشياء على حقيقتها بفراسة المؤمن، فكفانا ابن العلقمي وأشباهه الذين لا يزالون يتغلغلون في أعماق مجتمعاتنا، ونفوس الغافلين من وطننا وأبناء أمتنا.

ب- شعر ذوو الاتجاهات الإسلامية بخيبة أمل مريرة بعد هذه التضحيات الكبيرة التي قدمها الجزائريون، ليؤول الأمر إلى

العسكريين والعلمانيين، فانتفضوا وقرروا المواجهة السياسية، وظهرت في الساحة جبهة الإنقاذ الوطني التي خاضت الانتخابات بقيادة عباسي مدني وعلي بلحاج تحت شعار الالتزام بالإسلام، وبمحاربة الفساد، فاكتسحت منذ الدورة الأولى أكثرية كبيرة، فإذا بالجنرالات -من بقايا الجيش الفرنسي- ينقضون على جبهة الإنقاذ، ويعتقلون الألوف الذين نالوا ثقة الشعب، ويبعدونهم إلى الصحراء في جنوبي الجزائر في معتقلات بائسة، وفي ظروف قاسية، وهكذا هدم الجنرالات الذين لا يزيد عددهم على خمسين جنرالاً، حسب تقدير القادة الإسلاميين، الحياة الديمقراطية، وسحقوا إرادة الجماهير، وعاقبوا كل من نال ثقة الجزائريين.

تبلورت الحركة الإسلامية أو قل التيار الإسلامي في ثلاثة تنظيمات في الجزائر، هي: جبهة الإنقاذ، والإخوان المسلمون -حماس الجزائرية- بقيادة محفوظ نحناح رحمه الله، وحركة النهضة -الإصلاح الوطني فيما بعد- بقيادة عبدالله جاب الله.

كانت صلتنا بالحركات الثلاث قوية ومتوازنة، وكانت لقاءاتنا معهم لا تنقطع، وكان تقديرنا بعد معرفتنا معهم عن قرب، أن عباسي مدني يود أن ينفرد بالعمل السياسي على أرض الجزائر دون أن يشاركه أحد في طموحه وسياساته، وكان محفوظ قد ارتبط بقيادة الإخوان دون أن يلتزم بكل مقترحاتها كما حدث يوم خاض معركة الرئاسة الجزائرية، إذ كان للقيادة الإخوانية العليا رأي آخر، أما التنظيم الثالث بقيادة عبدالله جاب الله، فهو كالإخوان المسلمين في

سورية يقوم على التربية والتوجه وحضور المخيمات الرياضية للتعود على الخشونة وشظف العيش، وقد زرت بعضها، فسألني بعضهم: هل تعرف مروان حديد؟ وتحدثنا عنه وعن نشأته وسيرته، وكان هذا التنظيم سبق غيره في توجيه النشء، وأحرز نجاحاً كبيراً دون أن يعم التنظيم أرجاء الجزائر، أما جبهة الإنقاذ فكانت تجمعاً جماهيرياً واسعاً، استقطب الملايين قبل أن يسدد له العسكريون الضربة القاصمة.

جـ- قام تنظيمنا السوري بجمع الكلمة، ورأب الصدع فيما بين التنظيمات الثلاثة، وبذل جهوداً امتدت إلى داخل الجزائر، لكن شيئاً لم يتغير بانفراد كل تنظيم بكيانه وقناعاته، وبالرغم من جهود التنظيمات الإخوانية الأخرى.

من الجهود التي بذلت أذكر جولتين، كانت الأولى على هامش موسم الحج، حيث اتفقت مع الأخ المخلص عبدالله المطوع أبو بدر رحمه الله رحمة واسعة، بعقد جلسة في منزله بمكة المكرمة بين قادة التنظيمات، فذهبت إلى منى وعدت بصحبة عباسي مدني إلى منزل أبو بدر رحمه الله، كما حضر بعد لأي الشيخ محفوظ نحناح، ولم نستطع الاتصال بجاب الله.

جرت أحاديث مطولة عن مستقبل الجزائر، وعن الإسلام الذي يتوقف نجاحه على اجتماع الكلمة ورص الصفوف، فكان موقف أبو بدر نبيلاً لا ينسى، إذ أعلن أنه سيقوم بكل الأعباء إذا وحد قادة التنظيمات الإسلامية كلمتهم، فقال عباسي كلاماً إيجابياً أحيا الأمل

في نفوسنا بوجود جبهة إسلامية عريضة نتوقع لها الفوز الكبير، أما الأخ محفوظ نحناح فلم نصل معه لطائل، ولم نفهم منه ما ينطوي عليه من برنامج يتكتم عليه، أو موقف يحتفظ به في سره، فقلت لأبي بدر: إن محفوظ ينفرد بمشروع لا يود البوح به، وقد بدا ذلك في وقت لاحق.

تلقينا دعوة من الشيخ عبدالله جاب الله لحضور ملتقى في قسنطينة، حضره زهاء أربعة آلاف من طلاب الجامعة، كانوا يستمعون إلى المحاضرات في القاعات التي شغلوها عبر التلفزيون. وقد كلف الشيخ الغنوشي بافتتاح الملتقى، وكلفت باختتامه، وقد راعني وأنا ألقي كلمة الختام أن أرى دموع الجزائريين تسيل من مآقيهم، فتساءلت عن هذه الظاهرة لشعب عرف بالشدة وقوة البأس، فقيل لي: إن الجزائريين يتأثرون كثيراً بالعربية الفصحى والخطاب بها، فتتحرك عواطفهم ومشاعرهم عند سماعها.

٢- كانت الفرصة مواتية لاستئناف المساعي في جمع كلمة التنظيمات الإسلامية الثلاث، غادرنا قسنطينة باتجاه العاصمة في سيارة جاب الله المتواضعة لعدم استطاعتنا حجز أماكن في الطائرة، وأمضينا على الطريق ليلة في جنجل، وعند وصولنا توجهنا بادئ ذي بدء إلى حي القبة لزيارة مقر جبهة الإنقاذ لنلقى الشيخ عباسي مدني، لأنفرد معه في غرفة مغلقة والشيخ جاب الله ينتظر في غرفة أخرى.

قلت يا شيخ عباسي: ها هو ذا جاب الله أتاك من قسنطينة، ليعرف ماذا تريد منه، هل تريد دمجاً للحركتين في حركة واحدة؟

هل تريد تنسيقاً بين التنظيمين في المواقف، ولاسيما في الانتخابات؟

هل تريد منه أن يعتزل العمل السياسي؟

ما الذي تريده منه؟ وقد أجل تقديم طلب التأشيرة إلى وزارة الداخلية قبل أن يعرف ماذا تريد منه، وكل أسباب الترخيص جاهزة لديه ويستطيع الحصول على تشكيل حزبه بوقت قصير.

فاجأني الشيخ عباسي وفجعني بموقف غير متوقع إذ وصف نحناح وجاب الله بأوصاف لا يمكن تسجيلها ولا التحدث بها لجاب الله، وهذا على عكس ما أبداه في مكة المكرمة من استعداده لتعاون غير مشروط، فودعته وخرجت من المقر مع جاب الله الذي لم يظفر بمقابلة عباسي الذي لم يبد أي رغبة في الالتقاء به، أو السلام عليه، وهو في مقره الذي جاءه زائراً ومتعاوناً، فقلت في نفسي: أعان الله عباسي على نفسه، وأعان تنظيمه، وأعان الجزائر في ما سوف تواجه من ظروف وأيام صعبة حالكة.

حقق تنظيم النهضة برئاسة الشيخ جاب الله قفزة في الساحة السياسية أذهلت المراقبين، إذ كان الثالث من بين ٢٦ تنظيماً خاضوا الانتخابات الولائية، وأدخلوا إلى البرلمان ٤٣ نائباً فأثاروا عليهم حفيظة المتربصين، وفي مقدمتهم: الأجهزة الأمنية، فعملوا على شق صفوفه ونجحوا، فتصدع التنظيم الصاعد، وظهرت حركة انشقاق واسعة ضد الشيخ جاب الله، وحدث تراشق على صفحات الجرائد، فاتصل بي البارزون في الانشقاق، وعلى رأسهم رئيس الكتلة

البرلمانية مولود القادري، وطلبوا التوسط، وقدموا أوراقاً لأسباب الخلاف، فالتقيت لجنة من المنشقين مرت بعمان، في طريقها إلى الحج البري، وحضر جاب الله لحضور مئوية الإمام البنا، فتشبث كلٌ بموقفه، فالمنشقون يؤكدون على تحجيم صلاحيات جاب الله، ليرضوا بقيادته، والشيخ يصر على تقديم اعتذار منه على ما فعلوا من تشهير إعلامي على صفحات الصحف الجزائرية.

قلت لمولود القادري: هل ستحافظون على عدد نوابكم في البرلمان بعد أن أعلن جاب الله مقاطعته له؟

فأجاب: بل نأمل الزيادة.

وبعد أن جرت الانتخابات، فاز المنشقون بنائب واحد فقط، وخسروا المعركة خسراناً مبيناً، ونجحت الأجهزة في شق صفهم، ومن ثم في دفنهم.

عزمت على السفر إلى الجزائر لأكون على مسافة واحدة من الطرفين، وأقوم بالجهد الواجب عسى الله أن يجمعهم ويؤلف بين قلوبهم، فلم أوفق في الحصول على فيزا دخول الجزائر، فانطويت على الذات، وأنا أردد قول ربنا سبحانه: ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم.





التجربة الثانية عشرة

مع المغرب الشقيق

ليس لدي ما يستحق التسجيل والذكر عن صلتنا بالمغرب ونشاطنا السياسي مع حكومته وأحزابه سوى أمور طارئة سوف أمر بها سريعاً، ثم آتي على أمر جلل لا يجوز إهماله أو إغفاله أو حجبه عن شعبنا العربي وأمتنا الإسلامية.

فمن الأمور الطارئة: أن شأن التنظيم السوري كان كبيراً في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، فكان الكثير من الحكومات والأحزاب الحاكمة، والأحزاب المعارضة ترغب في الحوار معنا والاتصال بنا، ومن ضمنها ملك المغرب الذي كان يتطلع في سياسته إلى معرفة التطورات والأسرار السياسية في الوطن العربي والعالم الإسلامي بدوافع ذكرها محمد حسنين هيكل في مقالين خطيرين عن الملك في مجلته (وجهات نظر) التي توقفت فيما بعد.

١- رغب الملك الحسن عن طريق صهره الشريقي صديق الأخ عمر بهاء الدين الأميري أن يزور وفد من إخوان سوريا -وكان شأنهم عالياً-، المغرب ولو أدى الأمر لإرسال طائرة خاصة، لكن جميع

ظروفنا لم تكن مواتية لتلبية هذه الرغبة فلم تتحقق.

ومن الأمور الطارئة: سفر المكتب السياسي للتحالف إلى الرباط للالتقاء بالملك الحسن، فالتقينا مستشاره الخاص أحمد بن سودة الذي كان يسمى رجل المهمات الصعبة، فتحدث لنا كمعارضة، كانت تضم أمين الحافظ، ومحمد الجراح، وشبلي العيسمي، وممثلي الإخوان وآخرين ضد النظام في سوريا، عن سوءاته بكلام سمعناه لأول مرة في حياتنا السياسية.

أما الأمر الجلل فهو النفوذ الصهيوني الواسع على أرض المغرب، وتغلغله في أعماق المجتمع المغربي وصلته الوثيقة بملكه الحسن الثاني، وشخصيات كبيرة ذات نفوذ في الحكومات المغربية، وكانت لجنة التحالف في المغرب قد قدمت لنا دراسة ضافية عن النشاط الصهيوني في المغرب العربي، نقتطف منها، للأهمية، ما يعنينا، وما ينبغي أن نحيط به علماً.

٢- أصبح من المألوف أن تعقد الطائفة اليهودية في المغرب دورة لمجلس الطائفة كل سنتين لتدارس أوضاعها الداخلية، إلا أن مؤتمر عام ١٩٨٤ كان أكثر شمولاً واتساعاً على مستوى التمثيل والعدد وحضور شخصيات من داخل الأرض المحتلة بصفة رسمية للمشاركة في هذا المؤتمر الذي عقد في الرباط، حيث علقت لافتات على مشارف فندق هيلتون الذي أحيط بسياج من الحواجز الأمنية الصارمة.

نقل التلفزيون المغربي وقائع المؤتمر حيث ظهر إلى جانب دافيد عمار، وزير الداخلية المغربي إدريس البصري الذي قال: إن جلالة

الملك كلفه بحضور ورعاية المؤتمر.

أ- شارك في المؤتمر أكثر من ٣٥٠ شخصية يهودية، كان من ضمنهم حوالي ٤٠ جاؤوا من داخل الكيان الصهيوني، كان من أبرزهم دافيد بن عمار رئيس الطائفة اليهودية في المغرب، ودافيد كماحي الذي حاور اللبنانيين حول اتفاق ١٧ أيار، ورئيس جامعة تل أبيب، ورئيس المؤتمر اليهودي العالمي، وأبو حصيرة الوزير الإسرائيلي من أصل مغربي، والحاخام الأكبر لرومانيا، ورئيس الجالية اليهودية في كندا، ورئيس الطائفة اليهودية في فرنسا، وأحد عشر نائباً في الكنيست الإسرائيلي.

لقد وجهت الدعوة إلى الأحزاب السياسية والنقابات المغربية، والشخصيات البارزة من وزراء ورؤساء كتل نيابية، وقد حضر الافتتاح مندوبون عن الهيئات والأحزاب، وكان وزير الدولة أحمد العلوي الممثل الرسمي للحكومة المغربية طيلة فترة انعقاد المؤتمر، وحضر من الرسميين: وزير الداخلية إدريس البصري ممثلاً عن الملك، وكان له كلمة في المؤتمر، وأحمد المساري عن حزب الاستقلال -الذي أسسه الوطني الكبير علال الفاسي- وكان له كلمة، وممثل عن التجمع الوطني للأحرار هو أحمد الغسكي، وامتنع البعض عن الحضور مثل الاتحاد الاشتراكي، وحزب الحركة الشعبية، وقد أقيمت دعوة رسمية تحت شرف ولي العهد حضرها رئيس الحكومة محمد كريم العمراني، وجميع الوزراء بالمغرب، وكانت الدعوة قد وجهت إلى المدعوين باسم مجلس الطائفة اليهودية، وكان ضمن الذين

حضروا: بوستة، والجديدي، وأحمد عصمان، والمعطي بو عبيد، وكثير من قادة الأحزاب ورؤساء الوزراء.

لقد قوبل هذا المؤتمر في الأوساط الشعبية بصمتٍ واضح ومشاعر اللامبالاة لدى أغلبية الشارع المغربي، إضافة إلى ما رأينا من مقاطعة الاتحاد الاشتراكي للمؤتمر، كما قاطعته حركة ٢١ مارس بلسان جريدتهم "أنوال" لسان حال الحركة، واعتبروا أن المؤتمر ما هو إلا امتداد للحركة الصهيونية من خلال اليهود المغاربة.

ومما يلفت النظر أن المؤتمر عقد في ذكرى الخامس عشر من أيار ذكرى اغتصاب فلسطين، إمعاناً في الاستهتار بمشاعر العرب والمسلمين، كما تحدوا مشاعر الأمة بإعلانهم في المؤتمر أن القدس هي العاصمة السياسية لإسرائيل في بلد يترأس ملكها لجنة تحرير القدس التي شكلتها مؤتمرات القمة واأسفاه.

قدمت لجنة التحالف هذه الدراسة

من الرباط في ٢٥- ٦- ١٩٨٤

ب- ثم أفادت لجنة التحالف في دراسات لاحقة عن معلومات ذات شأن خطير استقتها من علاقاتها في المغرب، ومن الشخصيات السياسية والرسمية ذات الميول الوطنية والمواقف النبيلة: أن رفعت أسد قد اجتمع في المغرب، إبان انعقاد المؤتمر اليهودي، مع دافييد كماحي لعدة مرات، أن المدعو قذاف الدم ابن عم القذافي قد اجتمع بدوره إلى كماحي في الرباط، وأكدت الدراسة أن رفعت أسد قد مدّ

جسوراً مع طيف واسع من الجهات المسؤولة بالمغرب منذ زمن غير قصير. ووطد العلاقة لدى هذه الجهات المغربية، وأن أطرافاً دولية عديدة تعمل لخلافة النظام أو خلافة رئيسه، وإسناد قيادة سورية إلى رفعت أسد، وفي هذا السياق حسَّن رفعت علاقته بمنظمة التحرير الفلسطينية، وبشخص رئيسها أبي عمار، متهماً النظام بقيادة حافظ أسد بالجرائم التي ارتكبت في لبنان، وضد الفلسطينيين، كما تحرك نحو العراق لتحسين العلاقة معه عبر وساطات أهمها قيادة الاتحاد السوفياتي.

إن رفعت يبشر بأنه سيعود لسورية لإنقاذ شعبها من التخبط والاضطراب اللذين يعاني منهما، وقد وعد أحمد بن سودة الذي ساءت علاقته بسورية: بأنه سيستقبله بدمشق شخصياً بعد تحسن الأوضاع، وتغييرها لصالحه.

وأخيراً، ذكرت لجنة التحالف في المغرب أنه ثبت لديها بما لا يدع مجالاً للشك أن شخصية ميخائيل كاسوحة الدبلوماسي السوري الذي طُرد من باريس هو نفسه المدعو أحمد سالم مسؤول المخابرات بالسفارة السورية بالرباط.

* * *

وأخيراً، وليس آخراً:

فلربما كان هذا المجلد الخامس من هذه الذكريات والمذكرات، أو هذه الموسوعة هو آخرها، بعد أن كتبت كلماتها والمرض منذ أمد يمسك بي، وأنا أقف على عتبة الثمانين من العمر الفاني، غير أن

عناية الـله تعالى شـأنه طيلة هـذه الفترة ومـا قبلهـا واضحة لـي كلون الشمس، فالذهن بفضل مولاي متوقد، والذاكرة في أعلى درجاتها من النشاط، وكـأن صاحبها في الثـلاثين أو الأربعين من عـمره، وهذا ما ساعـد على إنجاز هذا الجـزء بتيسـير من الله وتـوفيقه، فـإذا كان في العمـر والعزم بقـية، استـأنفت كتـابة هذه السلسـلة التي تستـكمل في مجلدين آخرين، السادس الذي يغطي أحـداث وطننا وتنظيمنا من عام ١٩٨٣ حتـى عام ٢٠٠٠ إذ توفي حـافظ أسد، والـسابع الذي يـتناول وريثه ابنه بـشار الذي جيء به من مقعـد الدراسة ليستلـم حكم سورية منذ عـشر سنين طيلـة العقد الأول من القـرن الحادي والعشـرين، في حقبة الحكم الأسدي الثانية، وإلا فإن في الجماعة كُتَّاباً غيورين نهيب بهم إكمـال هذا العمل، كي يكون أبناؤنـا وأحفادنا على علم بمـسيرة الآباء والأجداد، لتـستمر رايـة الدعوة عالية خـفاقة، وليكـون النصر، وتكون مـعه دولة الإسلام ومـجتمع الإسـلام والله غالب عـلى أمره، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله رب العالمين.

١-١- ٢٠١٠

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته

عدنان سعد الدين



ملحق (أ)

انتشار الإسلام في العالم

كان انتشار الدعوة الإسلامية في العالم القديم مذهلاً وقياسياً أذهل الباحثين والمؤرخين الذين شرعوا بالبحث عن الأسباب التي جعلت الإسلام مقبولاً لدى الشعوب وفي الأقطار كافة، فبعد دخول الجيش الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص إلى مصر بعشر سنين، كان تسعون بالمئة من الشعب المصري قد دخلوا في الإسلام دونما إكراه أو إجبار، وكذلك كان حال بلاد الشام والعراق والشمال الإفريقي على تفاوت في المدد بين قطر وآخر في اعتناق شعوب تلكم البلاد لرسالة السماء.

كان الإسلام طيلة القرون التي تلت ظهوره، كالشمس، إذا غربت من جهة، أشرقت من جهة أخرى -كما قال محمد إقبال-.

فعندما خرب المغول بغداد ١٢٥٨م، وعندما طرد فرديناند، ملك ليون وقشتاله، المسلمين من قرطبة عام ١٢٣٦م، وخضعت غرناطة للملك الإسباني، كان الإسلام قد استقرت دعائمه، وتوطدت أركانه في جزيرة سومطرة، وكان على أهبة أن يحرز تقدماً ناجحاً في الجزر

الواقعة في بلاد الملايو.

ثمة حالتان تاريخيتان كبيرتان قهر فيهما الأعداء الوثنويون المسلمين عسكرياً، وهما الأتراك السلاجقة في القرن الحادي عشر الميلادي، والمغول في القرن الثالث عشر، وفي كلتا الحالتين ترى الفاتحين الغالبين يعتنقون ديانة المغلوبين، ومن ثم حمل دعاة المسلمين -الذين كانوا خلواً من أي مظهر من مظاهر السلطان الزمني- عقيدتهم إلى الصين، وإلى جزر الهند الشرقية -أندونيسيا- وغيرهما في جنوبي شرقي آسيا[1].

وفي خطبة ألقاها القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي في أهل تركستان: اعتنق الإسلام ١٥٠ ألف بعد أن كانوا يعبدون النار.

حملت قوةُ الإيمان والتصميم لمحمد بن القاسم، إمبراطور الصين إلى إرسال ابنه ليحمل تراب الصين على صحيفة من ذهب ليطأه القائد المسلم محمد بن القاسم براً بقسمه[2].

وفي أوقات لاحقة انتشر الإسلام في سيريلانكا وفطاني وأراكان ونيبال وتايوان وهونغ كونغ وكوريا واليابان وأستراليا، ليدخل في الإسلام مئات الألوف.

انتقل الرسول الأكرم ﷺ إلى جوار ربه ورايات التوحيد ترفرف فوق ربوع الجزيرة العربية دون غيرها، ولم يمض عامان على خلافة

---

(١) الدعوة إلى الإسلام تاليف توماس أرنولد ص٢٦ طباعة مكتبة النهضة المصرية.

(٢) موسوعة العالم الإسلامي لـ د. موفق بني مرجه ص٢٨ .

أبي بكر حتى كانت جيوش الرسالة الإسلامية تدك معاقل الدولتين الكبيرتين: فارس والروم، وتقضي على نفوذهما، ليحل العدل والمساواة والحرية والأمن ربوع هاتين الإمبراطوريتين العالميتين، وبعد حوالي نصف قرن كان الإسلام صاحب الكلمة العليا في قارات العالم القديم، ولاسيما آسيا وإفريقيا.

إن انتشار الإسلام بصورة قياسية غير مسبوقة لأي دين أو مذهب أو أيديولوجية أدهش الباحثين والدارسين وأذهلهم، فراحوا يبحثون عن الأسباب والعوامل التي تكمن وراء ذلك، وعن الأسرار التي حققت القول القرآني: ليظهره على الدين كله، فسجلوا جملة من الأسباب ذكرها المؤلف المبدع توماس أرنولد الذي توفي في مطلع القرن العشرين، في كتابه: الدعوة إلى الإسلام، هذا الكتاب الذي نصحني اللواء الركن محمود شيت خطاب، رحمه الله، بقراءته قائلاً: سيغنيك عن قراءة مئة كتاب، عندما كنت أحضر بحثاً حول انتشار الإسلام في آسيا لإلقائه في ندوة في بغداد، ومن هذا الكتاب القيم استقيت معظم مواد هذه الدراسة حول انتشار الإسلام في العالم.

عوامل انتشار الإسلام

سجل المؤلف جملة نقاط في هذا الشأن أدت إلى انتشار الإسلام واعتناق شعوب الأرض والأمم مبادئه السمحاء:

١- بساطة العقيدة الإسلامية وخلوها من التعقيدات الفلسفية.

٢- الإسلام دين عقلي يقوم على أساس المنطق والعقل.

٣- الاعتقاد بالله والحياة الآخرة، يلخصان كل تعاليم العقيدة التي جاء بها القرآن.

٤- الوحدانية في عظمةٍ وجلالٍ وصفاء، وأن سيادته -هيمنته- مطلقة لا تحد، وهذا الإيمان بعث في المؤمنين شجاعة خارقة وازدراء بالموت -عدم الخشية من الموت-.

٥- فريضة الحج التي تنظم للمسلمين اجتماعاً سنوياً على اختلاف شعوبهم ولغاتهم من كل أنحاء العالم، فتطبع عقول المسلمين بمعنى الحياة الكريمة -تؤدي إلى وحدة الفكر لدى المسلمين- (١).

٦- نظام الزكاة يؤكد للمسلمين كل عام أخوتهم -إنما المؤمنون إخوة-.

٧- دخول الإنسان في الإسلام يجعله حراً من العبودية -يحرره من كل أشكال الخنوع والخضوع لغير الله-.

٨- في الصلوات الخمس اليومية، تبدو صفوف المسلمين وكأنها صفوف الملائكة، يتساوى فيها الحاكم والتاجر الكبير، مع العبد أو الفقير.

٩- الصوم، وما يحققه من أهداف عظيمة في التراحم بين أفراد المجتمع الإسلامي.

---

(١) توماس، ص٤٥٦، ٤٥٧ .

١٠- تحريم إجبار الناس وإكراههم على اعتناق الإسلام.

١١- عدل المسلمين: لما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن، وعسكر أبو عبيدة في فحل، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب المسلمين يقولون: يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا(١).

وأغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل، وأعلموا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق -الروم- وتعسفهم(٢).

وفي هذا السياق ألقى الأستاذ مَكس ملّر (كما أورد أرنولد في الصفحة ٢٥ من كتابه الدعوة إلى الإسلام) في كانون الأول عام ١٨٧٣م محاضرة في كنيسة وستمنتر في لندن قال فيها: يمكن تقسيم الأديان الستة في العالم إلى دين مختص برسالة، ودين غير مختص، فاليهودية والبرهمية والزرادشتية من القسم الأخير، أما البوذية والمسيحية والإسلام فهي من القسم الأول -دين رسالة- ثم حدد ما ينبغي أن يدل عليه اصطلاح دين الرسالة بقوله: إن الدين الذي يسمو فيه نشر الحق وهداية الكفار إلى واجب مقدس على يد مؤسس الدين

---

(١) الأزدي ص٩٧ .

(١) البلاذري ص١٣٧ .

أو خلفائه من بعده، إنها روح الحق في قلوب المؤمنين التي لا تستقر حتى تتجلى في الفكر والقول والعمل، ثم أورد المؤلف باقة من آيات القرآن الكريم تخصّ الدعوة إلى الإسلام، والنهي عن إكراه الناس على الدخول في الإسلام:

- ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ[1].

- وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ[2].

- وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[3].

- وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ[4].

- فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ[5].

---

(١) سورة النحل، جزء من الآية ١٢٥ .

(٢) سورة آل عمران، جزء من الآية ٢٠ .

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠٤ .

(٤) سورة التوبة، جزء من الآية ١٠٦ .

(٥) سورة النحل، جزء من الآية ٣٥ .

- فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ[1].

- وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ[2].

- لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ[3].

- قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ[4].

ختم أرنولد هذه الفقرة التي يؤكد فيها على الحرية الدينية في الدعوة الإسلامية، بكلمة موجزة لكاتب كبير هو جورج سيل الذي ترجم القرآن الكريم إلى الإنكليزية إذ قال: إنه لن يتحرى الأسباب التي صادفت شريعة محمد ترحيباً لا مثيل له في العالم، لأن هؤلاء الذين يتخيلون أنها -رسالة الإسلام- قد انتشرت بحد السيف وحده إنما ينخدعون انخداعاً عظيماً[5].

ثم يؤكد المؤلف على عالمية الإسلام، مستشهداً بعدد من الآيات

---

(١) سورة الشورى، جزء من الآية ٤٨ .

(٢) سورة يونس، الآية ٩٩.

(٣) سورة البقرة، جزء من الآية ٢٥٦ .

(٤) سورة النور الآية ٥٤ .

(٥) الدعوة إلى الإسلام لتوماس أرنولد ص١٧ .

القرآنية، كقوله تعالى:

إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ [1].

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ [2].

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً [3].

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ [4].

بعد أن انتهى الباحث الكبير من ذكر الأسباب التي كانت وراء انتشار الإسلام، وبعد أن تحدث عن الحريات الدينية التي كفلها الإسلام لكل المذاهب والأديان السماوية والأرضية، وعن إصلاح المجتمع وهداية الناس كافة بمنهج وأسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخيراً بعد أن أكد على عالمية الإسلام، وأنه جاء لهداية البشرية كافة، لا يفرق بين العرب الذين نزل الإسلام عليهم وبلغتهم، وبين الزنوج والهنود الحمر والوثنيين وسكان الغابات لإنقاذهم من الضلال إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى سعادة الدارين، بعد هذا جاء دور انتشار الإسلام في العالم القديم بزمن قياسي، ولاسيما في إفريقيا وآسيا وبعض البلدان الأوربية.

---

(١) سورة ص، الآية ٨٧ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧ .

(٣) سورة الفرقان، الآية ١.

(٤) سورة سبأ، الآية ٢٧ .

أولاً – انتشار الإسلام في إفريقيا

دخل الإسلام إفـريقيـا أولاً مع الجيش الإسـلامي الذي غزا مـصر بقـيادة عمـرو بن العاص سـنة ٦٤٠م الموافـق ٢٠هـ، ويرجع النـجاح السريع الذي أحرزه الـفاتحون قبل كل شيء إلى ما لاقـوه من ترحيب الأهالي المسيحيين الذين كرهوا الحكم البيزنطي، فاليعاقبة الذين كانوا يكوّنـون السواد الأعظـم من السكان الـمسيـحييـن قد عومـلوا معـاملة مجحفة من أتـباع المذهب الأرثوذكسي التابعين لـلبلاط الحاكم الذين ألقوا في قلوبهم بذور السخط والحنق اللذيـن لم ينسهما أعقابهم حتى اليوم.

لقـد قيل إن جـستنيـان أمر بقـتل مئـتي ألف من القـبط في مـدينة الإسكندرية، وأن اضطهاد حلفائه قد حملت كثيرين على الالتجاء إلى الصحراء.

لقد جلب الفتح الإسلامي إلى هؤلاء القبط حياة تقوم على الحرية الدينية التي لم ينعموا بها قبل ذلك بقرن من الزمان(١).

ولاشك أن كثيراً من المـصريين اليـعاقبـة قد تحولوا، وقـد أخذت الحيرة منهم كل مأخذ، واستولى على نفوسهم الضجر والإعياء من ذلك الجدل السقيـم الذي احتدم من حولهم، تحولوا إلى عقـيدة تتلخص في وحدانية الله البسيطة الواضحة، ورسالة نبيه محمد ﷺ(٢).

---

(١) المرجع السابق ص٢٣ .

(٢) الدعوة إلى الإسلام: ٢٦ .

أ- الإسلام في الحبشة

حتى القرن العاشر الميلادي كان عدد المسلمين في الحبشة قليلاً، وفي القرن الثاني عشر أدى تأسيس دولة عربية إلى فصل بعض الأراضي الساحلية عن المملكة الحبشية، وحدث في عام ١٣٠٠م أن شق أحد الدعاة -أبو عبدالله محمد- طريقه إلى بلاد الحبشة، وتمكن من أن يجمع حوله مئتي ألف شخص، واستطاع أن يهجم على حاكم أمهره (المقريزي جـ٢ القسم الثاني ص١٨٣ كما نقله عنه أرنولد في الصفحة ١٣٥). ثم انتشر الإسلام عن طريق رجل يدعى أحمد القرين الذي كان، كما يروي عن نفسه، ابناً لأحد القساوسة، فترك موطنه ودخل الإسلام، وغزا بلاد الحبشة سنة ١٥٢٠- ١٥٤٣، وانضم إلى جيشه الظافر كثير من زعماء الأحباش مع أتباعهم، وإن التحول الواسع إلى الإسلام في مقاطعات كثيرة ليوحي بأن حركته لقيت تأييداً من العامة.

قتل الأحباش بمعونة البرتغاليين أحمد القرين عام ١٥٤٣، ومع ذلك استقرت دعائم الإسلام في الحبشة، فما صنعه البرتغاليون في الحبشة جعل بعض القواد المسيحيين يعلنون صراحة أن من الخير لهم أن يخضعوا للحاكم المسلم من أن يظلوا على محالفة البرتغاليين[1].

أثبت رحالة عاش في القرن السابع عشر أن المسلمين كانوا منبثين في جميع بلاد الحبشة، وأنهم يؤلفون ثلث السكان.

---

(١) المرجع السابق ص١٣٥، ١٣٧، ١٣٨ .

في القرن الثامن عشر تحدث قنصل انجلترا في الحبشة ١٨٤٤-١٨٦٠ عن قبائل الحباب، وهي ثلاث قبائل تنتمي إلى فرع التيجري Tigri أنهم اعتنقوا الإسلام شمالي غربي مصوع -أرتيريا حالياً- خلال المئة عام الأخيرة، كما كان للمسلمين الذين يتجرون معهم تأثير عليهم، وفي هذه الفترة تحولت جموع أخرى من أهالي المقاطعات الشمالية في هذه البلاد إلى الإسلام بطرق مختلفة، ومنها تحول القساوسة إلى الإسلام. وقال رحالة آخر: إن جموعاً من المسيحيين تحولوا إلى الإسلام في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي[1].

٢- أثر الإسلام في الزنوج

الوثنية وأكل لحوم البشر وتجارة المخدرات كلها في وحدة مؤتلفة، فقد ذكر الرحالة جوزيف طومسون أنه عندما ترك وراءه المنطقة الساحلية المنخفضة، وصار على مقربة من الحدود الجنوبية لما يسمى السودان الأوسط، لاحظ تحسناً مطرداً في المظهر الأخلاقي عند الأهلين، وأن الوحشية قد اختفت، وتبعتها الوثنية في الزوال، وزالت تجارة الخمور إلى حد بعيد، وصارت ملابسهم أكثر احتشاماً، وأصبحت النظافة عندهم عادة، ودل مظهرهم الخارجي على وقار زائد وأدب جم، فقد دل كل شيء على أن هناك نواة لمبدأ أكثر رقياً إلى حد ما، ومن الواضح أن هذا المبدأ كان يؤثر تأثيراً عميقاً في طبيعة الزنجي، وسيجعل منه إنساناً جديداً. ولعلك تدهش

(١) المرجع السابق ص١٤ .

لو علمت أن هذا المذهب هو الإسلام[1].

ثانياً- الإسلام في أوربا

١ً- دخل الإسلام في إسبانيا عام ٧١١م، (ليستمر فيها ٨٠٠ سنة، وليشيد فيها حضارة ما زالت شاخصة حتى الآن في ظل تسامح مدهش).

إن سياسة التسامح الديني التي أظهرها المسلمون نحو المسيحية كان لها أكبر الأثر في تسهيل استيلاء المسلمين على إسبانيا، فلم يعترض المسلمون على المسيحيين في إقامة شعائرهم، ولم يكن ثمة ما يدعو القسس إلى إخفاء شارتهم الدينية، أو مع المسيحيين من تقلد المناصب العالية في البلاط، أو اندماجهم في سلك الرهبنة أو انتظامهم في جيش المسلمين.

فلا يسعنا إلا الاعتراف بأن تاريخ إسبانيا في ظل الحكم الإسلامي يمتاز ببعده بعداً تاماً عن الاضطهاد الديني[2].

٢ً- العثمانيون والتسامح مع المسيحيين

بعد سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م بأيدي العثمانيين أعلن السلطان محمد الفاتح نفسه حامي الكنيسة الإغريقية، وحرّم اضطهاد المسيحيين تحريماً قاطعاً، ومنح البطريق الجديد مرسوماً يضمن له

---

(١) المرجع السابق ص٣٧٣.

(٢) المرجع السابق ص١٥٩، ١٦٤ .

ولأتباعه ولمرؤوسيه من الأساقفة حق التمتع والامتيازات القديمة والموارد والهبات التي كانوا يتمتعون بها في العهد السابق، وقد تسلم أول بطريق جنّاديوس بعد الفتح التركي للقسطنطينية من يد السلطان نفسه عصا الأسقفية التي كانت رمز هذا المنصب، ومعها كيس فيه ألف دوكة ذهبية، وحصان محلي بطاقم فاخر، وكان يتميز بركوبه في خلال -شوارع- المدينة، تحف به حاشيته، وكانت المراقبة التامة على الشؤون الروحية والكنسية متروكة كلها في أيدي البطريق وأعضاء المجمع الأعظم، كذلك عومل الأساقفة من الإغريق في الولايات معاملة تنطوي على رعاية بالغة[1].

إن المعاملة التي أظهرها الأباطرة -السلاطين- العثمانيون للرعايا المسيحيين على الأقل بعد أن غزوا بلاد اليونان بقرنين، لتدل على تسامح لم يكن مثله حتى ذلك الوقت في سائر أوربا، وإن أصحاب -أتباع- كالفن Calfin في المجر وترانسلفانيا وأصحاب مذهب التوحيد من المسيحيين في ترانسلفانيا طالما آثروا الخضوع للأتراك على الوقوع في أيدي أسرة هابسبورغ المتعصبة، كما أن البروتستانت في سيليزيا نظروا إلى تركيا بعيون الرغبة، وتمنوا بسرور أن يشتروا الحرية الدينية بالخضوع للحكم الإسلامي[2].

ثالثاً- الإسلام في آسيا

عرف سكان آسيا الحريات الدينية في ظل الحكم الإسلامي، ففي

---

(١) المرجع السابق، ص١٧٠ - ١٧١ .

(٢) المرجع السابق ص١٨١- ١٨٢ .

عهد المعتصم ٢١٨- ٢٢٧هـ الموافق ٣٣٨ - ٢٤٨م أمر أحد قواد المسلمين بجلد إمام ومؤذن مسجد، لأنهما اشتركا في هدم أحد معابد عبدة النار من الوثنيين، في بلاد الصفد -فارس- واستخدما حجارته في بناء مسجد مكانه.

٦- انتشار الإسلام في أواسط آسيا

لما وفد قتيبة بن مسلم على سمرقند، وجد كثيراً من الأصنام كان عبدتها يعتقدون أن كل من أثار حنقها تعرض للموت، فلم يحجم المسلمون عن إحراقها، فكان من أثر ذلك العمل أن دان بالإسلام عدد كبير من الناس كما نقل أرنولد عن البلاذري.

كان انتشار الإسلام بطيئاً في بلاد ما وراء النهر، حيث اعتنق الإسلام بعض السكان في عهد عمر بن عبد العزيز، ودخل قسم آخر في الإسلام في عهد هشام بن عبد الملك كما روى الطبري، ولم يعتنق جمهور السكان الإسلام إلا في عهد المعتصم، بعد أن انضم الأتراك إلى جيش الخليفة، فرسخت قدم الإسلام بين القبائل التركية، ودان عدد من رؤساء عشائرهم بالإسلام، ثم امتد الإسلام من بلاد السامانيين إلى البلاد المجاورة في تركستان، ففي سنة ٩٦٠م اعتنق الإسلام مئتا ألف من الأسر التركية، والتي كانت تشكل الجزء الأعظم من أتراك تركستان بمملكة بخارى، وكان أمير بخارى ساتون قد اعتنق الإسلام على يد الخواجا أبو النصر الساماني، فتحول على يده السكان على ضفاف نهر سيحون إلى الإسلام.

كان لـدخول السلجـوقيـن في الإسلام أهمـية عظيـمة، ففـي سنة ٩٥٦م هاجر سلـجوق مع قبيـلته من بلاد تركـستان إلى بخـارى حيث دان هو وأتبـاعه بالإسلام، وأصـبحوا مـن المتحـمسيـن له، وهذا هو أصل السلجـوقيين الذين أحيـوا بانتصاراتهم وفـتوحهم مجـد الجيوش الإسلامية، ووحدوا الممالك الإسلامـية في غربي آسيا في إمبراطورية واحدة(١).

٢- الإسلام في أفغانستان

في نهـاية القرن الثـاني عشـر الميلادي فـقدت الدولة الـسلجوقـية قـوتها، وعـندما كـان محـمد الـغوري يوسـع رقعـة إمبـراطوريتـه من خراسان شرقـاً حتى شمال بلاد الهنـد، انتعشت حركة انتـشار الإسلام بيـن الأفغـان،إذ طاف عدد مـن دعاة العـرب والهنـود بلاد الأفغـان، وقاموا بنـشر تعاليم الإسلام فـي جرأة وحماسة ظاهـرة، وتدل الأخبار على أن الإسلام دخل بلاد الأفـغان دون أن يلجأ المسلـمون في القرن الأول إلى شيء من القوة أو العنف.

وفي عهد الـمأمون دعا الخليـفة ملك كابل إلى الإسلام كـما ذكر البـلاذري -ص٤٠٢- فـاستجـاب، واعـتنـق معـه الإسـلام عـدد من الأفغان، وعندما وصل يعقوب بن الليث مؤسس الدولة الصفارية سنة ٨٧١م إلى كـابل أصـبحت -كـابل- منـذ ذلك التـاريخ بلداً إسـلاميـاً خالصاً لأول مرة، ثم تمكن الإسلام، وتوطن في كل أرجاء أفغانستان

---

(١) المرجع السابق ص٢٤٦ - ٢٤٧ .

في عهد محمود الغزنوي[1].

٣- انتشار الإسلام بين المغول والتتار

بعد أن اكتسحت جيوش جنكيز خان المراكز الإسلامية، وأتت على كل مدنية وثقافة، وتركت القصور والحدائق خراباً يباباً وأطلالاً دارسة في الحواضر العظيمة، في بخارى وبلخ وسمرقند في آسيا الوسطى، وكذلك كان مصير بغداد، ثم استقر لهم الأمر[2]. بدأ التنافس شديداً بين البوذية والمسيحية و الإسلام لكسب قلوب أولئك الفاتحين القساة.

شرع المغول بالتخلي عن بربرية بداوتهم الأولى، حين وجدوا أنفسهم جنباً إلى جنب مع هذه الأجناس ذات الديانات الراقية، وهدأت ثائرتهم، وتركوا التخريب والتدمير، وظهروا بمظهر التسامح مع أهل الديانات الأخرى، فكسبت البوذية مكانة عليا في الجزء الشرقي من إمبراطورية المغول، وكسب المسيحيون من المغول في أرمينيا وجورجيا[3].

كان بركة خان -١٢٥٦- ١٢٦٧- أول من أسلم من أمراء المغول، وكان رئيساً للقبيلة الذهبية في الروسيا، وكان إسلامه على يدي تاجرين جاءا من بخارى على رأسى قافلة تجارية، فصار جيشه

---

(١) المرجع السابق، ص٢٤٧ .

(٢) المرجع السابق، ص٢٤٩ .

(٣) المرجع السابق، ص٢٥٣ .

كله مسلماً.

دخل بركة خان في حلف مع ركن الدين الظاهر بيبرس ١٣٦٠-١٢٧٧م سلطان المماليك في مصر، فكان لكل أمير وأميرة في بلاط بركة خان إمام ومؤذن، وأن أطفالهم كانوا يحفظون القرآن في المدارس كما ذكر المقريزي في الجزء الأول من كتابه الخطط أو بالأصح من موسوعته ص١٢١٥، فكان من جراء العلاقة بين بركة خان وبيبرس أن كثيراً من القبيلة الذهبية قد وفدوا على مصر، واتخذوا الإسلام ديناً لهم، فكان الحلف بين بركة وبيبرس موجهاً ضد هولاكو.

كان تكودار أحمد -١٢٨٢-١٢٨٤- (الذي اعتلى العرش بعد أخيه أباقاخان) أول أليخانات المغول الذين اعتنقوا الإسلام في فارس، فبذل قصارى جهده في تحويل التتار إلى الإسلام، وأرسل نبأ إسلامه إلى قلاوون سلطان المماليك في مصر.

بعد اغتياله وبقاء خلفائه عل وثنيتهم دخل سابع الأليخانات وأعظمهم شأناً في الإسلام عام ١٢٩٥م، وجعل الإسلام دين الدولة الرسمي في فارس، ومنذ ذلك العهد غدا الإسلام الدين السائد في دولة أليخانات فارس.

في مملكة جغطاي انتشر الإسلام على أثر إسلام رئيسهم طرما شيرين ١٣٢٦، وأسلم ملك كاشغر عام ١٣٤٧- ١٣٦٣م على يد رجل من أهل التقوى والورع في مدينة بخارى يقال له: الشيخ جمال الدين، فأضحى الإسلام دين سكان الحضر في الولايات الخاضعة

لسلطان خلفاء جغطاي.

وفي عهد محمد خان -١٤١٦- أحد أحفاد خانات جغطاي أصبح معظم القبائل المغولية تدين بالإسلام جراء منهج العدل الذي سلكه محمد خان، والمساواة التي عمت الناس في المنطقة التي تسمى تركستان الصينية.

وفي عهد أوزبك زعيم القبيلة الذهبية ١٣١٣- ١٣٤٠م انتشر الإسلام في القبائل الأوزبكية في أواسط آسيا[١].

٤- انتشار الإسلام في فارس

كان الساسانيون مكروهين من الفرس لاستبدادهم ومناصرتهم ديانة زرادشت التي غدت الدين الرسمي للدولة، وتسلط كهنتها على أمور الدولة.

بانتصار المسلمين تخلصت الكنيسة المسيحية من استبداد ملوك الساسانيين الذين أثاروا الخلافات القاسية بين اليعاقبة والنسطوريين.

مال الشعب الفارسي إلى هذا النظام العجيب من التنسيق العقلي الذي ينمو فيه الإسلام في سهولة ويسر، وهكذا قدر للإسلام أن يبدد بضربة واحدة كل هذه الغيوم، وأن يفتح أمام الناس سبيلاً واضحاً من الآمال الكبيرة، وأن يعدهم بتخليصهم في أسرع وقت من عبوديتهم وحالتهم السيئة.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٦٥ - ٢٧١ .

إن سكان المدن، وخاصة الصناع وأصحاب الحرف، وأهل الطبقة العاملة، قد رحبوا بالإسلام، واعتنقه عدد كبير منهم في حماسة كبيرة.

في أوائل القرن التاسع كان كريم بن شهريار أول ملك اعتنق الإسلام من أسرة فارس، وفي مطلع القرن الحادي عشر اعتنق الإسلام شاعر مشهور من أهالي الديلم، هو مهيار الديلمي بتأثير أستاذه الشريف الرضي[1].

٥- الإسلام في روسيا

اعتنق البلغار الذين يعيشون على ضفاف نهر الفولغا الإسلام عن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يتاجرون في الفراء وسائر السلع التي كانوا يأتون بها من البلاد الشمالية، ويبدو أن البلغار دخلوا في الإسلام قبل عام ٩٢١، حين أرسل إليهم الخليفة المقتدر (٩٠٨-٩٣٢م، ٢٩٥-٣٢٠هـ) رسولاً يعلمهم مبادئ الإسلام وشعائره.

حاول البلغار تحويل فلاديمير ملك روسيا إلى الإسلام، فلم يقف في سبيل تحوله هو ورعاياه إلى الإسلام إلا الختان وتحريم الخمر، لأنهما من مباهج الحياة عندهم، كما صرح فلاديمير بذلك، فتوقف انتشار الإسلام فترة طويلة إلى أن صدر مرسوم عام ٩٠٥ ينص على التسامح الديني في أنحاء روسيا كافة، وما تلا ذلك من دعاية نشيطة

---

(١) المرجع السابق، ص٢٣٥ - ٢٤٠ .

قام بها المسلمون التتار، ولاسيما في شبه جزيرة القرم، ولحد ما في ليتوانيا، وقد استطاع الدعاة أن ينجحوا في إقناع القرغيز في اعتناق الإسلام في القرن الثامن عشر، فشقت الدعوة الإسلامية طريقها في سهول القرغيز في اعتناق الإسلام من ناحية بلاد روسيا التي كانت أكثر اتصالاً بأوربا.

صارت مدينة قزان المركز الرئيسي لنشاط الدعوة ونشر الإسلام بين الوثنيين في القرى، فدخل الناس في الإسلام أفواجاً، ويعود النجاح في ذلك إلى مستوى الحياة الأخلاقية في المجتمع الإسلامي، كما يرجع إلى شعور التآخي الذي كان يشيع في هذا المجتمع الذي كان أكثر تماسكاً وقوة.

ومن أهم القبائل التي تأثرت بحركة الدعوة إلى الإسلام قبيلة الفوتياك التي أصبح كثير منهم مسلمين في القرن الثامن عشر ومستهل القرن التاسع عشر، وكذا قبيلة الشيريمس التي أسلمت بأسرها، بالرغم من القوانين التي تحرم التحول إلى دين من الأديان عدا مذهب الكنيسة الأرثوذكسية.

كانت المؤثرات الإسلامية من القوة بحيث هيأت السواد الأعظم منهم ليكونوا مسلمين جراء النشاط الحي الذي تتميز به الدعوة الإسلامية بين القبائل، والذي تجلى في التكافل بين الذين يدخلون في الإسلام، وفي بناء المدارس والمساجد بين الأسر التي تدخل في الإسلام.

لم ترسخ قدم الإسلام في سيبريا إلا في النصف الأخير من القرن

السادس عشر بعد أن كان دعاة الإسلام يشقون طريقهم من حين لآخر في سيبيريا قبل هذه الفترة، علماً بأن عدداً من الدعاة ماتوا موت الشهداء[1].

وعندما أصبح كوتشم خان الذي كان من سلالة جوجي خان أكبر أبناء جنكيز خان خاناً على سيبريا عام ١٥٧٠ بذل قصارى جهده في تحويل رعاياه إلى الإسلام، وأحضر لهذا دعاة من بخارى وقزان لمساعدته في هذه المهمة.

استمر الدعاة الآتون من بخارى وغيرها من مدن آسيا الوسطى، والتجار القادمون من قزان على نشر الدعوة إلى الإسلام في سيبريا، ومما هو جدير بالذكر تلك الأناشيد الشعبية التي يتغناها القرغيز، والتي تحتل مكانة كبيرة بين وسائل الدعاية الإسلامية، فقد تضمنت هذه الأغاني والأناشيد حقائق الإسلام الأساسية، مصوغة في أسلوب قصصي جعلها تصل إلى قلوب عامة الشعب في سهولة ويسر[2].

٦- انتشار الإسلام في الهند

تناول كثير من المؤرخين الأقدمين والمعاصرين الكلام عن غزوات المسلمين في الهند، وتأسيس النفوذ الإسلامي ونموه في الهند، بيد أن أحداً لم يحاول إلى الآن أن يكتب عن تاريخ انتشار الإسلام خارج الانتصارات العسكرية والحربية والأعمال الإدارية.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٧٣ - ٢٨٣ .

(٢) المرجع السابق، ص٢٧٣ - ٢٨٤ .

إن العدد الهائل من المسلمين في الهند تم تحويلهم إلى الإسلام عن طريق التعليم والإقناع اللذين لجأ إليهما الدعاة المسلمون، الذين كان فيهم دعاة وافدون من خارج الهند، ودعاة من داخلها، تحولوا إلى الإسلام بمحض إرادتهم بعيداً عن جواء الحياة السياسية، فدخل السواد الأعظم منهم في حظيرة الإسلام، حيث وجد فيه الهنود البلسم الشافي الذي سرى في شريان الحياة والفكر في بلاد الهند العليا، وسرعان ما أحيا عقولاً كثيرة، وبث فيها حياة أكثر قوة ونشاطاً.

إننا نجد أن الإسلام قد أحرز انتصاراته وأطولها بقاءً في نشر الدعوة، في الأزمان والأمكنة التي كانت فيها قوته السياسية أشد ما تكون ضعفاً، كما كانت الحال في جنوب الهند وفي شرقي البنغال[1].

من أشهر الدعاة في الهند الشيخ إسماعيل أول داع مسلم إلى الإسلام في لاهور، والذي قدم عليها عام ١٠٠٥م فدخلت على يده جموع زاخرة في الإسلام، كما ذكر أن تحول سهول البنجاب الغربية إلى الإسلام، كان من آثار دعوة الشيخ بهاء الحق الملتاني، والشيخ فريد الدين البكبتاني في نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر، وكذلك فإن خواجه معين الدين خشتي وجلال الدين كانا من أعظم الدعاة الذين نشروا تعاليم الإسلام في الهند، وجذبوا إليه خلقاً كثيراً.

---

(١) توماس ص٢٨٥- ٢٩٥ .

استمر سيل الدعاة في الهند وقيامهم بنشر الإسلام دون انقطاع حتى السنوات المتأخرة، كان منهم داعية وفد من العراق يدعى أبا علي قلندر كان له تأثير بالغ، وتوفي في الهند عام ١٨٢٤ .

وفي سنوات لاحقة ثمة شواهد تدل على أن الإسلام كان في طريقه إلى الانتشار في الهند في نجاح عظيم، وقد دل النصف الثاني من القرن التاسع عشر بوجه خاص على نهضة عظيمة في نشاط الدعوة، ليصبح عدد الذين كانوا يدخلون في الإسلام يتفاوت بين عشرة آلاف وخمسين ألفاً، ومئة ألف، وست مئة ألف على أيدي دعاة اشتغلوا بأعمال الدعوة في نشاط وتوفيق، ظهروا في بمباي، وحيدر آباد، ومدن أخرى[1].

كان من أبرزهم مولوي محمد عبيد الله بن منشي قُطامل من مدينة بايال في ولاية تبياله، فكان على جانب عظيم من الثقافة، وقد برهن على أنه داعية غيور على الإسلام، وعندما تحدث عن دخوله الإسلام قال:

«عرفت الهندوكية معرفة تامة، وحصلت على معرفة كاملة بالدين المسيحي، وقرأت كتب الإسلام، وتباحثت مع علماء المسلمين، فوجدت فيها جميعها أخطاء وأباطيل إلا الإسلام الذي تجلّت لي مزيته جلاءً بيّناً، ولزعيم هذا الدين النبي محمد ﷺ من المزايا المعنوية، ما يعجز الإنسان عن وصفه».

---

(١) نفسه ص٣١٥- ٣١٨ .

ثم قال: إن هذا الدين قد بلغ من السمو أن كل شيء فيه يهدي الروح إلى الله. كان ذلك في عام ١٨٦٤م.

في كشمير والتيبت دخل في الإسلام أول ملوك كشمير وهو: صدر الدين في مستهل القرن الرابع عشر على يد أحد الدعاة الزهاد بلبل شاه، وفي نهاية القرن الرابع عشر ١٣٨٨م انتشر الإسلام انتشاراً عظيماً على يد داعية هو سيد علي الهمذاني، ثم تحول إلى الإسلام راجاكشتوار في عهد الإمبراطور المغولي أورنج زيب عن طريق الداعية سيد شاه فريد، فتبعه دخول السواد الأعظم من السكان، وعن طريق تجار كشمير من جهة، والتجار المسلمين الوافدين إلى التيبت من تركستان وزواجهم من نساء التيبت دخل الإسلام إلى هذه المقاطعة[١].

في جنوب الهند يرجع دخول الإسلام لأول مرة إلى القرن الثامن الميلادي، حين قدم جماعة من العراق -وكان العرب وغيرهم يزاولون تجارة التوابل والعاج والأحجار الكريمة بين الهند وأوربا- فنشأت علاقات وطيدة بين هؤلاء التجار المسلمين وبين الحكام الهنود، فلم تقف عقبات في سبيل نشر تعاليم الدعوة، ولقي الذين دخلوا في الإسلام من أهالي جنوب الهند الاحترام والتقدير اللذين لقيهما التجار الغرباء، مع أنهم كانوا ينتمون إلى أحطّ طبقة في المجتمع الهندي، وقد ظل تاريخ الإسلام في جنوب الهند دائماً يتسم

---

(١) نفسه ص٣٢٠- ٣٣٠ .

بالسلام، لذلك لا نعجب إذا رأينا الأهالي المسلمين يزداد عددهم بسرعة بسبب دخول الناس في الإسلام من بين الطبقات الدنيا الذين يحررون أنفسهم بذلك من هذا الظلم الذي يحقر من شأنهم.

عبر الإسلام من مليبار إلى جزائر المالديف في خليج البنغال عن طريق التجار العرب والمسلمين، فدخل أهل الجزيرة جميعاً في الإسلام، وكان أول السابقين إلى الإسلام: سلطان جزيرة ملديف أحمد شنورازه سنة ١٢٠٠م كما ذكر ابن بطوطة في الجزء الرابع ص١٢٨ من كتابه في رحلاته، ومن المحتمل أن يكون التجار المسلمون قد أدخلوا الإسلام إلى الجزيرة قبل ذلك بثلاثة قرون.

يذكر كثير من المؤرخين العرب والأجانب أسماء دعاة وتجار نشروا الإسلام في غربي الهند وجنوبها مثل سيد حيسودراز، وهاشم بيرجوجرات، ومحمد صادق سرمست، وخواجه حسيني، وسيد محمد بن سيد علي، وسيد عمر عيدروس في القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر[1].

في السند دخلت أسرة سمّه Sammas في الإسلام وحكمت بلاد السند من عام ١٣٥١م وحتى عام ١٥٢١م، فكان عهدها عهد سلام وطمأنينة، وكان دخول أهل السند إلى الإسلام بالوسائل السلمية، وكان من اشهر الدعاة سيد يوسف الدين أحد أحفاد عبد القادر الكيلاني الذي ترك بغداد وجاء إلى السند عام ١٤٢٢م فنجح

---

(١) نفسه ص٢٩٦ -٣٠٥ .

في جذب أعداد غفيرة إلى الإسلام.

وفي البنغال لاقى دعاة الإسلام أعظم النجاح من حيث كثرة عدد الذين دخلوا في هذا الدين، وفي البنغال أسست، لأول مرة، دولة إسلامية في نهاية القرن الثاني عشر على يد محمد بختيار الخليجي، ومع أن الحكم الهندي أعيد في البنغال مدة عشر سنوات على يد راجاكافس الذي عرف بتسامحه فكان محبباً إلى المسلمين، فإن ولده جات ترك الديانة الهندوكية وأسلم، وبعد وفاة أبيه عام ١٤١٤م استدعى كل موظفي الدولة، وأعلن إليهم رغبته في اعتناق الإسلام، واستعداده للتخلي عن الحكم لأخيه إذا لم يسمح له كبار رجال الدولة باعتلاء العرش، فأعلنوا أنهم يرضون به ملكاً عليهم، أياً كانت الديانة التي يعتقدها، فاتخذ لنفسه اسم جلال الدين محمد شاه، فتم في عهده تحول واسع إلى الإسلام.

كان للرواد الأفغان الذين استقروا في البنغال أثر كبير في نشر تعاليم الإسلام، ولم يقف في سبيل تقدم الإسلام شيء من النظم الدينية العنيفة كما كان الحال في شمالي غربي الهند، حيث لقي المسلمون ديانة البراهمة في مواجهة الإسلام، غير أن الإسلام انتشر في البنغال، أخصب الولايات الهندي وأغناها، لأن الإسلام أدخل في أذهان البنغاليين تصوراً أرقى لمعنى الحياة، ومثلاً أعلى للأخوة الإنسانية، ونظاماً اجتماعياً جديداً[1].

---

(١) نفسه ص٢٠٦ - ٢١٤ .

٧- انتشار الإسلام في الصين

من المحتمل جداً أن الإسلام دخل الصين أول ما دخل مع التجار الذين كانوا يسلكون الطريق البحري القديم.

ذكر أن الخليفة عثمان أرسل أحد القواد العرب إلى الصين، فأكرم الإمبراطور وفادة أول سفير من المسلمين بعثه إليه الخليفة عام ٦٥١م، كما أن قتيبة بن مسلم الباهلي وصل إلى الحدود الشرقية للإمبراطورية الصينية في زمن الوليد بن عبد الملك عام ٧١٣م، وأرسل رسلاً إلى الإمبراطور الصيني، فعادوا يحملون الهدايا الثمينة، واستمرت هذه العلاقات الدبلوماسية بين المسلمين والصين في عهد الدولة الأموية، وفي مطلع الدولة العباسية.

بدأ الوجود الإسلامي في عهد دولة ناتج على شكل مجموعات من التجار في الموانئ الصينية، وقد كتب أحد الجغرافيين العرب عام ٨٥١م يصف الجاليات العربية، والمساجد التي قام هؤلاء التجار ببنائها لإقامة الشعائر الدينية.

وفي العهد المغولي قامت هجرة واسعة النطاق، هاجر فيها المسلمون من عرب وفرس وأتراك وغيرهم إلى الإمبراطورية الصينية على شكل تجار وصناع وغير ذلك.

وعندما دخل المسلمون الصين، تقلد مسلمون مناصب رفيعة في الصين تحت إمرة حكام المغول، مثال ذلك عبد الرحمن الذي اختير عام ١٢٤٤م رئيساً على بيت مال الدولة، وخُوّل حق تقدير الضرائب

المفروضة على الصينيين، وكذلك ذكر السيد الأجل عمر شمس الدين الذي عـهد إليـه الإمبراطـور قوبيلاي خـان الذي اعتـلى عرش الصـين ١٢٥٩م في إدارة بـيت مال الإمـبراطـور، وقد مـثلت ذريتـه من بعـده دوراً هاماً في توطيد دعائم الإسلام في الصين، فكان حفيده هو الذي حصـل من الإمبـراطور سنـة ١٣٣٥م على الاعـتراف بأن الإسـلام هو الدين الحق الخالص، وأذن الإمبراطور لشـخص آخر من سلالة السيد الأجل بأن يبني مساجد في العاصمتين سينانغو ونانكي عام ١٤٢٠م.

تحدث ابن بطوطـة الذي زار عدة مدن ساحلية فـي الصين، حول منتصف القرن الرابع عشر، عن الترحيب الحار الذي لقيه في الصين، وقال: إن فـي كل مدينـة من مدن الصـين شطراً لـلمسلـمين ينـفردون بسكناهم فيه، ولـهم عدد من المساجد فيه لإقامة الـجمعات وسواها، وهم معظّمـون ومحترمون كمـا قال ابن بطوطة في المجلـد الثالث في الصفحات ٢٥٨، ٢٧٥، ٢٨٣ .

بعد زوال دولة المغول قدّم إليهم مـؤسس دولة منج الجديدة كثيراً من الامتيازات، وتدل كـثرة المساجد التي بنيت على انتـعاشهم خلال الفترة الـتي قضتها هـذه الدولة في الحكم من عام ١٣٦٨م وحـتى عام ١٦٤٤م.

وبالرغم من أن المسلمين كانوا يقـيمون في أحياء خاصة بهم، إلا أنهم انـدمجوا في الـمجتـمع الصيـني، وتمثلـوا عاداته التي لا تـصادم عقائدهـم، وكان لهم طرق متنوعـة في نشر الإسلام، لكنهم اعـتمدوا في نشره على الكتب التي تعرّف بالإسلام، وعلـى المعاهد التعليمية،

أي كانت الثقافة أبرز وسائلهم.

في عام ١٨٦٧م عبّر كاتب روسي في كتاب مهم كتبه عن الإسلام في الصين عن الفكرة التي تقول بأن الإسلام مهيأ لأن يكون الدين القومي للإمبراطورية الصينية، ولأن يقلب، تبعاً لذلك، الأوضاع السياسية في العالم الشرقي رأساً على عقب.

لكن الثورات المتعاقبة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والثورة الشيوعية في النصف الأول من القرن العشرين حالت دون تحقيق هذا المشروع، لكن نشر تعاليم الإسلام في الصين الذي لا يزال وطيداً، وبالرغم من انقضاء أربعة قرون على الوقت الذي استطاع فيه رحالة مسلم هو سيد علي أكبر أن يناقش احتمال دخول الإمبراطور في الإسلام، ودخول رعيته من بعده، فإنه لا يزال من الممكن أن يقرر المسلم الصيني في هذا الجيل أن أبناء دينه في هذه البلاد يتطلعون بثقة إلى ذلك اليوم الذي ينتصر فيه الإسلام في طول الإمبراطورية الصينية وعرضها[1].

٨- الإسلام في أرخبيل الملايو -ماليزيا-

من أهم فصول انتشار الإسلام ما جرى في الملايو، فقد كان واضحاً في انتشار الإسلام قوة الإقناع وحدها، بالرغم من مجابهة الإسبان لدعاة الإسلام.

حمل تجار العرب الإسلام إلى الملايو في القرون الأولى

---

(١) نفسه ص٢٣٢ حتى ص٣٣٦، ومن ص٣٤٥ حتى ص٣٤٨ .

للهجرة، ففي القرن الثاني الهجري كانت التجارة في سيلان كلها في أيديهم، وفي مستهل القرن السابع الميلادي لقيت تجارتهم مع الصين عن طريق سيلان رواجاً عظيماً، وفي الفترة ما بين القرنين العاشر والخامس عشر حتى قدوم البرتغاليين كان العرب سادة التجارة مع الشرق دون منازع.

يرجع الفضل في نشر الدعوة في أرخبيل الملايو إلى الجهود التي بذلها تجار العرب والهنود في الدعوة إلى الإسلام، إلى المصاهرة وتعلم اللغة المحلية وشراء العبيد وإكرامهم، واستلام مراكز مهمة في الدولة، فهم لم يفدوا على الأرخبيل غزاة كما فعل الإسبان في القرن السادس عشر، ولم يستخدموا السيف أداة لتحويل الناس إلى الإسلام، بل لم يدّعوا لأنفسهم حقوق جنس أسمى يتمتع بالغلبة والسيادة.

قدموا في زي التجار، واستخدموا كل ما لديهم من ذكاء أسمى ومدنيّة أزهر في سبيل دينهم.

تعزو أخبار مؤرخي الملايو عن ملقا، إلى تحول هذه المملكة إلى الإسلام في عهد أحد ملوكها سلطان محمد شاه الذي اعتلى العرش عام ١٢٧٦م، فبعد أن حكم عدة سنوات قبل أن ترسو سفينته بقيادة سيدي عبد العزيز إلى شواطئ ملقا آتية من الجزيرة العربية ذجدة- أقنع القادمون الملك بتغيير عقيدته فدخل في الإسلام، واتخذ لنفسه اسماً يحمل اسم النبي محمد ﷺ فانتشر الإسلام في هذه المقاطعة من شبه جزيرة الملايو -ماليزيا-.

وفي قويدة إحدى ولايات الملايو كان دخول الإسلام إليها حوالي ١٥٠١م، عندما قدم داعية عربي من اليمن يدعى الشيخ عبدالله، فزار حاكمها -الراجة- فوجده وقومه يعبدون الأصنام، فقال الشيخ:

- أما سمعتم جلالتكم عن الإسلام والقرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ، ونسخ به كل الديانات السابقة؟

فقال الراجة: إن كان حقاً ما تقول فأرجو منك أن تعلمنا هذا الدين الجديد، وتهدينا بنوره.

فتهلل وجه الشيخ عبدالله، واحتضن الراجه، ثم شرع يشرح له الإسلام، ويفقهه في أموره، وعندما اقتنع الملك أحضر آنية الأرواح التي طالما عكف عليها، وأفرغ ما فيها على الأرض بيده، وأمر بإحضار كل الأصنام التي في قصره، فجمعت بين يديه أكوام من أصنام الذهب والفضة والطين والخش وكسرها الشيخ عبدالله بسيفه وبفأس، وأحرقت الأجزاء في النار، وكان الشيخ مهذباً جذاباً، فجمع له الملك الرجال والنساء من الحاشية، فعلمهم عقائد الإسلام، واستدعى الملك وزراءه، فاستجابوا لدعوة الملك، ودعوا الرعية إلى بهو القصر طالبين إليهم تحطيم كل الأصنام التي يعكفون على عبادتها، فحطمت وحُرّقت، وبنيت المساجد في البقاع الآهلة بالسكان، وأقيمت صلاة الجمعة في أنحاء الولاية.

وتشير كثرة الأضرحة العربية في شبه الجزيرة على أن سيل الدعاة من العرب لم ينقطع عن شبه جزيرة الملايو، حتى غدا الإسلام هو

السائد في ربوعها[1].

٩- الإسلام في سيام وجاوه

انتقل الإسلام إلى سيام عن طريق التجار العرب، وعن طريق هجرات أهل الملايو التي بدأت في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي.

في النصف الأخير من القرن الرابع عشر ظهرت حركة للدعوة الإسلامية، ونالت نجاحاً عظيماً على يد شخص يدعى مولانا ملك إبراهيم، كان قد رسا على ساحل جاوة الشرقي، وكان يرجع نسبه إلى زين العابدين بن الحسين، فعمل على تحويل الناس إلى الإسلام، وأحرز نجاحاً في هذا السبيل، ثم تزوج عربي كان قد قدم إلى كمبوديا لنشر الدعوة الإسلامية، من ابنة أمير تشامبا في كمبوديا، فولد له غلام هو رادن رحمت، فنشأ على مبادئ الإسلام، ورحل إلى جاوة، فصادف داعية عربياً هو الشيخ مولانا حمادى الكبرى، فتأمل له أن تزول الوثنية على يديه، وبأن أعماله ستكلل بالنجاح في دخول أهل جاوه في الإسلام، ولم تمض مدة حتى جذب إلى الإسلام عدداً كبيراً على الساحل الشرقي من جاوه، وصارت أمبل المقر الرئيس للإسلام في جاوه.

ثم ظهر داعية يدعى الشيخ نور الدين إبراهيم، كسب شهرة عظيمة، فدخل الناس في الإسلام ألوفاً وأفواجاً، ثم أرسل ولده مولانا حسن الدين إلى أكبر ولايات جاوه -بنتام القريبة من غربي

---

(١) نفسه ص٤٠٣ - ٤١٤.

جاوه- فتكللت جهوده بنجاح عظيم بوسائل الإقناع اللطيفة، ثم ذهب إلى الحج مع أبيه، وعند عودته بسط نفوذه على ساحل سومطرة القريبة من جاوه بالوسائل السلمية وحدها، ثم صار جميع سكان جاوه مسلمين، نتيجة أعمال الدعاة ونشاطهم أكثر من أن يكون نتيجة جهود الأمراء[1].

١٠- الإسلام في سومطرة

دخل الإسلام سومطرة من بلاد العرب، وثمة شواهد تشير إلى أن الهند هي المنبع الذي استقى منه أهالي سومطرة معرفتهم بالعقيدة الإسلامية، وتذكر أخبار الملايو أن عربياً يدعى عبدالله عارف كان أول من حمل الدعوة إلى شمال غربي سومطرة، ثم اعتلى جيهان شاه عرش سومطرة عام ١٢٠٥م كأول ملك مسلم في الجزيرة، ويُذكر أن شريف مكة أرسل بعثة إلى سومطرة لتبليغ شعبها مبادئ الإسلام، وكان على رأس البعثة رجل يدعى الشيخ إسماعيل، فنجحوا في إقناع أهالي بلدة باسوري باعتناق الإسلام، وعدد من سكان الجزيرة، فانتشر الإسلام في أنحاء الجزيرة، وهذا ما تحدث عنه الرحالة الغربي ماركو بولو، والرحالة العربي ابن بطوطة الذي التقى ملك سومطرة الظاهر سنة ١٣٤٥م، الذي أصبح الإسلام في عهده قوياً، ومملكته واسعة، والحياة الإسلامية في أيامه مزدهرة.

أخذ الإسلام ينتشر بالوسائل السلمية عن طريق الموظفين والدعاة

---

(١) نفسه ص٤١٥ - ٤٢٥ .

والتجار الذين طوفوا في البلاد، واستمر التحاق السكان بالإسلام عن طريق الدعاة حتى دخول القرن العشرين، إذ نجح الدعاة في اجتذاب كثير من المسيحيين في مقاطعة سيبيروك إلى الإسلام في العقد الأول من القرن العشرين، فقد ظهرت نهضة للحياة الإسلامية ودعوة ناشطة، حتى إن الحكومة الهولندية -وكانت إذ ذاك تستعمر سومطرة- لفتت الأنظار في تقاريرها الخاصة بالمستعمرات إلى انتشار الإسلام بين الوثنيين من أهالي مقاطعة بالمبنج أقصى حدود سومطرة الجنوبية، وأن المساجد انتشرت في معظم قراهم(١).

١١- الإسلام في ملوكس وبورنيو وسليبس

حمل الجاويون والملايويون الإسلام إلى سكان جزر ملوكس المجاورة لجزر سليبيس وغينيا الجديدة، وذلك في القرن الخامس عشر، وقد اقتنع ملك تيدور الوثني بالإسلام، على يد شيخ يدعى شيخ منصور، وحمل الملك اسم جمال الدين، وسمى ولده الأكبر منصور باسم العربي الذي حمل الإسلام إلى بلاده، وعندما وصل الإسبان إلى هذه الجزر كان الإسلام قد سبقهم إليها بأكثر من ثمانين عاماً.

ويروي البرتغاليون: أن سلطان ترنات كان أول زعماء ملوكس الذين أصبحوا مسلمين على يد تاجر يدعى داتو ملا حسين الذي استطاع أن ينشر الإسلام في شعب جزر ملوكس.

---

(١) نفسه ص٤٠٤- ٤٠٩ .

ساعد سكان جاوه المسلمون أهالي بورنيو في إخماد ثورة داخلية، فتحول أهلها إلى الإسلام في أواخر القرن الخامس عشر (١٤٧٨م)، وعندما دخل الإسبان بروناي عام ١٥٢١م وجدوا عليها ملكاً مسلماً في الساحل الشمالي الغربي من بورنيو، وبعد قليل دخل الإسلام عام ١٥٥٠م إلى مملكة سوكدنه في الجانب الغربي من جزيرة بورنيو، وبعد موت الملك الوثني الحاكم أصبح خليفته على العرش مسلماً، على يد العرب الذين جاؤوا من سومطرة.

أنكر أبناء شعب هذه الجزيرة -سليبيس- خرافاتهم، وقرروا أن يرسلوا في وقت واحد إلى ملقة يطلبون قساوسة مسيحيين، وإلى أنجيه يطلبون أئمة في الشريعة الإسلامية ليتعاونوا، ثم يقرروا أي دين يعتنقونه، لكن حاكم ملقة أبطأ في الرد عليهم، أما ملكة أنجيه المسلمة فقد بادرت بإرسال مركب مملوء بعلماء الشريعة، فوطدوا دعائم الإسلام بين سكان الجزيرة، وصاروا أشد حماسة للإسلام من أهالي أية جزيرة من جزر الهند الصينية، وكان ذلك في عام ١٦٠٣م -أرخبيل أندونيسيا-.

لقد انتشر الإسلام في جزر الأرخبيل بأحداث مشابهة تمت على يد التجار والدعاة الذين وفدوا على الجزر والولايات في جنوبي شرقي آسيا وغينيا الجديدة وسنغافورة، وقد ربط سكان جزيرة سليبيس بين الجهود في نشر الإسلام وبين أعمالهم التجارية، فأدخلوا العبيد في الإسلام، وأدخلوا -كذلك- النساء الوطنيات اللاتي تزوجوا بهن في الإسلام.

لقد قام سكان سليبيس بدور كبير في نشر الإسلام في الجزر القريبة من جزيرتهم[1].

١٢- الإسلام في الفيلبين

دخل الإسلام إلى الفيلبين من جزيرة الملايو على يد شخص يدعى شريف كابو نجوان، جاء إلى الفيلبين، ونزل في جزيرة مندناو في الجنوب، وتزوج من أهلها، وعندما جاء الإسبان إلى الفيلبين عام ١٥٢١م وجدوا أن المسلمين قد وطدوا سلطانهم في الجزء الجنوبي من الفيلبين، فحاولوا قهر المسلمين وإبعادهم عن دينهم، غير أن السكان نظروا إلى دعوة الإسبان إلى اعتناق المسيحية على أنه فقْدٌ للحرية السياسية كلها والاستقلال الوطني، ومن هنا أصبح الناس ينظرون إلى هذه الدعوة على أنها رمز للعبودية، مع ما رافق ذلك من عنف وتعصب، على النقيض من التسامح الذي ظهر به دعاة المسلمين الذين تعلموا لغة الشعب، وانتحلوا عاداته، وأصهروا له دون أن يدّعوا لأنفسهم حقوقاً تميزهم عن الآخرين.

ظلت مملكة مندناو الإسلامية (حتى زمن احتلال الأمريكيين جزائر الفيلبين) ملجأ لهؤلاء الذين رغبوا في التخلص من الحكومة الإسبانية، كما كان حال جزيرة سولو كذلك (مع أنها دخلت رسمياً تحت حكم الإسبان منذ عام ١٨٧٨) مركزاً إسلامياً مهماً.

دخل الإسلام إلى جزيرة سولو على يد عربي هو الشريف كريم

---

(١) نفسه ص٤٢٧ - ٤٣٨ .

المخدوم، كأول داع إلى الإسلام في سولو عام ١٣٨٠م، واستقر في بوانسا قاعدة سولو القديمة، ويذكر أنه زار كل جزيرة في الأرخبيل، وأنه أدخل في الإسلام أناساً في أماكن كثيرة، ثم تبعه عربي آخر يدعى أبا بكر وصل إلى سولو حوالي عام ١٤٥٠م، وبنى مساجد، وقام بدعاية ناجحة، وتزوج ابنة ملك بوانسا المسلم بجندا، وجعله وريثه، وإلى أبي بكر يرجع الفضل في تنظيم حكومة سولو، وسن قوانينها على أسس إسلامية قويمة[١].

١٣- الحرية الدينية والتسامح لدى المسلمين

إن ما يمكن أن تلتقطه من التواريخ الوطنية ومؤلفات الرحالين الأوربيين والموظفين والدعاة: أن ثمة شواهد كافية تدلنا على وجود جهود سلمية في الدعوة لنشر الإسلام خلال الست مئة سنة الأخيرة، وكانت الدعوة والإقناع هما الطابعين الرئسيين لحركة الدعوة، وإن النجاح الرائع هو الذي أحرزه التجار، بنوع خاص الذين عرفوا الطريق إلى قلوب الأهالي بتعلم لغتهم، وأخذهم بالرفق والتدرج والتزوج من نساء البلاد، وإدخالهن في الإسلام، وإدخال الذين ارتبطوا معهم بعلاقات تجارية، وامتزجوا شيئاً فشيئاً في عامة السكان، وكان دعاة المسلمين كما قال عنهم بكلْ Buckle على جانب من الحكمة والروية.

كان الحجاج الذين يذهبون إلى مكة لأداء فريضة الحج، يعودون

---

(١) نفسه ص٤٤٠ - ٤٤١ .

متحمسين لنشر الإسلام[1].

كان نشر الدعوة يُلقى على كواهل المؤمنين من الأفراد، فكان من أثر ذلك أن أصبح المسلم أكثر تمسكاً واهتماماً في أداء واجباته الدينية، وأشد تحملاً للمتاعب في سبيل تعلم مبادئ الإسلام، وتبليغها للناس، وبذلك يؤثر أن يصبح رمزاً لخلق الداعي إلى دينه أمام الآخرين، وبذلك يصبح كل مسلم داعية إلى دينه، أي أن الدعوة إلى الإسلام هي من واجبات المسلم وجزء من حياته، دون أن يكون مرتبطاً بهيئة منظمة أو إرسالية، أو أن يكون خائفاً من رقابة أو مساءلة، وبذلك تحدث تاريخ الدعوة إلى الإسلام عن سجل حافل بأسماء الدعاة من جميع طبقات المجتمع، من الملك إلى الفلاح والرجال والنساء.

لقد كان للنساء دور بارز في الدعوة إلى الإسلام في جميع أنحاء العالم، كما كان للتتريات دور خاص باعتبارهن داعيات إلى الإسلام.

حتى الأسير المسلم يغتنم الفرص في المناسبات لدعوة آسريه أو إخوانه في الأسر إلى الإسلام، ففي عهد الإمبراطور جهانجير -١٦٠٥-١٦٢٨م أدخل السجن عالم يدعى الشيخ أحمد مُجدِّد، فأمضى في السجن عامين أدخل خلالهما مئات من الوثنيين في الإسلام، وقد نفى البريطانيون أحد مولوية -شيوخ- الهند إلى جزائر أندمان نفياً مؤبداً عام ١٨٦٤ فأدخل هذا الشيخ في الإسلام قبل وفاته

---

(١) نفسه ص٤٤٥ - ٤٤٧ .

كثيراً من المحكوم عليهم[1].

أ- في عهد أبي بكر والخلفاء اجتاح المسلمون سورية وفارس وإفريقيا الشمالية، فقوضوا دولة فارس، وجردوا الإمبراطورية الرومانية من أجمل ولاياتها.

ظلت قبائل عربية تدين بالمسيحية مثل بني النمر التي تقيم داخل الأراضي البيزنطية، وبني قضاعة وبني طيء، ومع ذلك قاتلت بجانب المسلمين ضد الفرس.

لقد حرم الخليفة عمر بن الخطاب استخدام أي وسيلة من وسائل الضغط عليهم عندما أظهروا أنهم لا يرغبون في ترك دينهم القديم، وقبل منهم الضريبة بدل الجزية كما جاء في تاريخ الطبري في الصفحة ٢٤٨ من الجزء الأول.

لم يضطهد العرب أحداً من أجل الدين، كما أنهم لم يعملوا على ضم أحد إلى دينهم بالإكراه، ومن ثم تمتع المسيحيون الساميون في ظل الإسلام بعد الفتوح الأولى بحرية لم يتمتعوا بها من قبل طيلة أجيال عديدة.

إن السواد الأعظم -في بلاد الشام والرافدين ومصر- رحبوا بالعرب، واستقبلوا بحماسة بالغة هؤلاء الذين بشروهم بالتسامح، فقد كتب بطريق أنطاكية اليعقوبي ميخائيل الأكبر بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكم الإسلامي خمسة قرون: بعد سرد اضطهادات هرقل،

---

(١) نفسه ص٤٥١ - ٤٥٣ .

أرسل الله أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصونا من قبضة الروم[1].

ب- لما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن بقيادة أبي عبيدة كتب الأهالي المسيحيون إلى العرب يقولون: يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا -الأزدي ص٩٧- وغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل، وأبلغوا المسلمين أنّ ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم -الاذري ص١٣٧-.

يمكن الحكم على مدى هذا التسامح الذي يلفت النظر في تاريخ القرن السابع عشر من هذه العهود التي أعطاها العرب لأهالي المدن التي استولوا عليها، وتعهدوا لسكانها بحماية أرواحهم وممتلكاتهم، وإطلاق الحرية الدينية لهم، فتسارعت مدن ومقاطعات بأكملها إلى التفاهم مع العرب حتى قبل أن تقع هزيمة الروم النهائية، وفي أرض السواد أذعن السكان دون أية معارضة، وقبلوا السيادة الجديدة دون شرط أو قيد.

لقد أمر الخليفة عمر أن يشمل التكافل الذميين، وأن يكون لهم نصيب كالمسلمين من بيت المال، وأن تعفى أية جماعة من الجزية إذا دخلت في خدمة الجيش الإسلامي، فطبقت هذه السياسة مع قبيلة

---

(١) نفسه ص٦٣ - ٧٣.

الجراجمة، وهي قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار إنطاكية.

توسع معاوية في إلحاق المسيحيين في خدمته، وكذا فعل عبد الملك بن مروان، والمعتصم، وفي عهد المعتضد كان عمر بن يوسف والي الأنبار مسيحياً، والأمثلة كثيرة في آسيا الغربية[1].

جـ- انجذب كثير من المسيحيين في عهد صلاح الدين الأيوبي إلى الإسلام لما عرف عن صلاح الدين من أخلاق أحدثت في أذهان المسيحيين في عصره تأثيراً سحرياً، حتى إن نفراً من الفرسان المسيحيين قد بلغ من قوة انجذابهم إليه أن انضموا إليه بعد أن هجروا ديانتهم الميحية، وهجروا قومهم، وانضموا إلى المسلمين.

من المؤكد أن المسيحيين من أهالي هذه البلاد قد آثروا حكم المسلمين على حكم الصليبيين، ويظهر أن أهالي فلسطين من المسيحيين عندما وقع بيت المقدس في أيدي المسلمين عام ١٢٤٤م رحبوا بالسادة الجدد، واطمأنوا إليهم، ورضوا بحكمهم، كذلك دفع هذا الإحساس نفسه شعور الاطمئنان إلى الحياة الدينية في ظل الحكم الإسلامي، كما دفع كثيراً من المسيحيين في آسيا الصغرى في إبان هذه الفترة ذاتها إلى الترحيب بمقدم الأتراك السلاجقة، باعتبارهم مخلصين لهم ومنقذين من الحكومة البيزنطية البغيضة.

وكذلك فإن المسيحيين تمتعوا في عهد صلاح الدين الأيوبي (١١٦٩- ١١٩٣، ٥٦٤- ٥٨٩) وشعروا بالسعادة إلى حد كبير، ففي

---

(١) نفسه ص٧٣ - ٨٢ .

ظل ذلك الحكم الذي عرف بالتسامح الديني، خفضت الضرائب التي كانت مفروضة عليهم في العهد البيزنطي، وألغي بعضها كلياً، وشغلوا الوظائف العامة كوزراء وكُتّاب وصيارفة، وفي عهد خلفاء صلاح الدين نَعِم المسيحيون بمثل هذا التسامح والرعاية قرابة قرن من الزمان(١).

تعقيب

كان الهدف من نشر هذا الملحق الخاص بنشر الإسلام في العالم القديم إطلاع أبناء الإسلام والأجيال المتعاقبة على الجهود المبدعة والخارقة التي بذلها أجدادهم في تبليغ رسالة الإسلام إلى شعوب الأرض، وعلى الأساليب والوسائل الني اتبعوها وأخذوا بها وتمثلوها من قدوة صالحة، وأخلاق رفيعة، ومعاملة صادقة، وبذل الوقت والجهد والمال في سبيل تبليغ دعوته، دون اللجوء إلى القوة والصدام والقتال، حتى إن المنطقة أو كثيراً من المناطق تخلو من التاريخ العسكري، ولاسيما في جنوبي شرقي آسيا، لقد عم الإسلام الجزر في أرخبيل الملايو وأندونيسيا والفلبين وغيرها، حتى غدا عدد المسلمين في إندونيسيا وماليزيا والصين وشبه القارة الهندية -باكستان وبنغلادش والهند- ما يزيد على مليار مسلم في جنوبي شرقي آسيا وحدها دون أن تنشب معركة عسكرية واحدة، لقد قدّم الدعاة والتجار خبرتهم المالية والإدارية لبعض الإمبراطوريات -كالصين مثلاً- مقابل

(١) نفسه ص١١١- ١١٦ و١٢٩ .

أن يسمحوا لهم بتشييد المساجد ونشر الإسلام.

لقد رأت شعوب تلك البلاد من المسلمين العجب العجاب، فبدلاً من نهب ثرواتهم وأرزاقهم كما فعل المستعمرون الإسبان وغيرهم، كان التجار والأغنياء يقدمون زكوات أموالهم وصدقاتهم إلى المستحقين من سكان الشعوب، وبدلاً من الاستعلاء عليهم كانوا يصلون خلفهم أو يؤمونهم في صلوات الجماعة في مساواة سحرت قلوب السكان، وبدلاً من التعالي عليهم باعتبار التجار والدعاة فئة راقية في ثقافتها ومفاهيمها وكثرة أموالهم الطائلة، كانوا يصاهرونهم ويندمجون معهم بصورة حببتهم إلى قلوبهم ونفوسهم.

إن الإسلام يملك قدرات لا حدود لها في قوة العقيدة وسمو الخلق وحسن التعامل... إلخ لكن أمضى ما يملكه المسلمون من قدرة مؤثرة هي قوة الفكر الإسلامي القادرة على إقناع كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فهل يسير الأحفاد على طريق الأجداد، وينجزون ما أنجزوا أو بعض ما أنجزوا.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

* * *



ملحق (٢)

حوار الأديان والحضارات

مدخل

كثر الحديث حول ما بين الأديان والحضارات والثقافات من صدام أو حوار، فالبعض من مفكري الغرب يعتبرون الصدام بين الحضارات أمراً حتمياً، أما المفكرون العرب والإسلاميون فيؤكدون على تكامل الحضارات ووجوب الحوار فيما بينها، ولا أعلم أن كاتباً شرقياً أو مغربياً خالف هذا التوجه.

في هذا السياق تحدث الدكتور بسام الضويحي مع المعنيين في إسبانيا التي ما يزال يقيم على أرضها منذ حوالي أربعين عاماً، عن إنشاء منتدى للحوار على الأرض الإسبانية، وبالرغم من استجابتهم النظرية لهذا المشروع، فإنهم لم يباشروا في تنفيذه، وإصدار ترخيص له.

قام بهذه المساعي الإيجابية السيد الفاضل الأستاذ حسان الصفدي في عمان، وأجرى في ندوة حواراً مع أمريكيين، كررها مرة أخرى ليشارك بها آخرون، وما زال في هذا المسعى جاداً، وله متابعاً، وفي

السياق التعاون مع الأخوين الكريمين في هذا النشاط المفيد والمرغوب فيه، تقدمت بورقة متواضعة تعزيزاً لمشروع الحوار مع الغربيين من أوربيين وأمريكيين حتى يرتقي إلى المستوى اللائق ليؤتي أكله، ويحقق مقاصده.

وهذا هو نص الورقة التي وضعتها في أيدي الأخوين الفاضلين.

المنتدى الثقافي للحوار بين الأديان والحضارات

مقدمة

ليس في تاريخ البشرية حضارة نشأت وترعرعت بمعزل عن الحضارات التي سبقتها أو عاصرتها. وعندما تبدأ حضارة ما بالانغلاق على نفسها يكون هذا بداية النهاية لزوالها، وبالمقدار الذي تبدو فيه أي حضارة منفتحة على غيرها، متفاعلة مع الثقافات والإنجازات البشرية، آخذة ومعطية، يمكنها أن تستمر، وأن تمتد جذورها في قرون وأزمان سحيقة، وتتسع في المكان لتغطي بقاع الكوكب الأرضي.

لدينا مثال حي على نشوء الحضارة العربية الإسلامية، وكيف تطورت واتسعت وأثمرت، حتى كان لها تأثير في تاريخ الفكر البشري، وفي ميلاد الحضارة الأوربية على كل الصعد، كما يشيد ويشهد بذلك كبار المفكرين الأوربيين.

لقد قامت الحضارة العربية الإسلامية، بادئ ذي بدء، على أساس روحي، ثم استكملت بناءها المادي والاجتماعي والثقافي والسياسي

والفلسفي، وقد تم ذلك عبر تفاعلها مع الموروث البشري كله، فقد عكفت على الفلسفة اليونانية، والحكمة الهندية، والأدب الفارسي، والتشريعات الرومانية، والفنون المعمارية، والتنظيمات الإدارية لدى الشعوب، فهضمت ذلك كله، وقدمت للبشرية قاطبة، ولاسيما للشعوب الأوربية، زاداً أمكنها من العبور من القرون الوسطى إلى العصور الحديثة، وبناء الحضارة الغربية المعاصرة.

أهداف المنتدى

منذ الأزمان الغابرة كان الاحتكاك والتأثير المتبادلان بين الأقطار المطلة على البحر الأبيض المتوسط في أيام الحرب وزمن السلم على حد سواء، والتاريخ يحتفظ بصفحات مشرقة على العهد الفينيقي، وامتداده بكل معطياته الحضارية إلى معظم أوربا وشمالي إفريقيا، ويتحدث بإسهاب عن قرطاجة، وعن هانيبال وغير ذلك، وكذلك الأمر بالنسبة للإمبراطورية الرومانية التي امتدت في أوربا إلى إنكلترا، ومصر في الشرق وهكذا، بل إن بعض أباطرة روما كانوا من بلاد الشام، وتركوا بصماتهم في قيادة الإمبراطورية الرومانية.

أما تأثير الحضارة العربية الإسلامية، فهي أكبر من أن يجحده الجاحدون، وذلك عن طريق الاتصال المباشر بالغرب عبر إيطاليا وجنوه وصقلية -قبل توحيد إيطاليا- والأندلس، وعن طريق الحروب الصليبية والبعثات الدبلوماسية والتجارية.

ولربما كان الاتصال بين أوربا وأمريكا من جهة، والعرب والمسلمين من جهة أخرى في الوقت الراهن، يشكل أكثر من

ضرورة، فالشرق بروحانيته وسحره وقيمه ومثله يتعطش له الغرب الذي استغرقته الحياة المادية والصناعية، وما ينبثق عنهما من ثقافة فكرية واجتماعية وجنسية، والغرب بالتقدم الهائل الذي أحرزه في عصر النهضة الحديثة، وما أفرزه من علوم وتكنولوجيا، وتطور مادي، ونهوض حضاري، يفتقر إليه الشرق أيما افتقار، ويحتاجه إلى أقصى حدود الحاجة، ليعبر به عصر التخلف الذي أغرقه لعدة قرون.

لهذا كله، فإن المنتدى الذي نتطلع إلى إنشائه، وإحداث مقر دائم له في جنيف أو فينّا أو في أي مكان يرمي إلى تحقيق الأهداف الموجزة التالية:

١ - التعارف عن قرب بين رجال الفكر والثقافة والعلم والفلسفة في كلتا الساحتين: الغربية والإسلامية.

٢ - إجراء حوارات دائمة ومفتوحة، تتسع لكل وجهات النظر، سواء أكانت متباعدة أم متقاربة.

٣ - تبادل الأفكار والتجارب، والإنجازات الحضارية، ولاسيما في مجالات العلوم الإنسانية المفضية إلى أن يفهم كل فريق جوهر ما لدى الآخر، وكنه تصوراته بعمق وإدراك بعيدين.

٤ - التعاون الجاد والمثمر، والبحث المستمر وراء المواقف المتقاربة، والأفكار المتآنسة، تمهيداً لبروز حضارة متجانسة، تشمل أهم الإنجازات البشرية، الروحية منها والمادية، لتحقق الشعوب ما تطمح إليه من حياة مستقرة هانئة سعيدة، وتشكل سداً منيعاً أمام

الأفكار المؤذية والفلسفات الضارة القائمة على العنصرية والاستعلاء، والنظرة الحاقدة على الشعوب والأمم التي لا ينتمي إليها هؤلاء الشاذون أو الضارون.

٥ - التعاون على تعميق الروح الإنسانية في أوساط الأمم وأرجاء المعمورة. فمن الأسس الثابتة لتراثنا ومبادئنا أن الناس كلهم عيال الله، وأحبّهم إليه أنفعهم لعياله، وأن الإنسان في ارتقاء مستمر، ما دام يقدم الخير والعون لأخيه الإنسان، أياً كان عرقه أو معتقده أو انتماؤه.

وهذا هو طريق السعادة للبشرية جمعاء، وللإنسانية قاطبة.





المحتوى

* * *

هذا الكتاب

يقدم تجربة فريدة في العلاقات السياسية مع الآخرين، من أحزاب حاكمة وأخرى معارضة، ومع الحكومات: عربية وإسلامية، خاضها أحد تنظيمات الإخوان المسلمين، وهو تنظيم الإخوان المسلمين في سورية، فحقق بفضل الله وتوفيقه إنجازات فاقت الطموح، وتجاوزت المتوقع، وأسمعت الغرب وشعوب العالم أو جلهم عن عظمة الإسلام وجماله، وعن رحمته وعدله، ما أذهل كثيرين أعربوا شاكرين عن امتنانهم في معرفة ما كانوا يجهلونه عن عظمة الرسالة الخاتمة.

جدير بأبناء التنظيمات الإسلامية وحلفاء الجماعة أن يحيطوا علماً ليفيدوا مما يجدونه صواباً، ويقرؤوا بعمق أفكار الآخرين، فيأخذوا بأحسنها، ويحصنوا أنفسهم من شرورها وآثامها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



الإخوان المسلمون فى سورية العلاقات السياسية لجماعة الإخوان

فى ثمانينيات القرن العشرين وما بعدها

فى هذا الكتاب كنز من المعلومات عن العلاقات والتحالفات بين الإخوان، ورصد المكافآتِ لكل من يدل على واحد من الإخوان أو يقتله بيده، فقد أُبيحت دماؤهم لكل من يقدر عليها، وسُنّ لقتلهم القانون ٤٩ لعام ١٩٨٠ الذى أطلق الناس عليه (قانون العار) فى سابقة خطيرة لم تعرفها البشرية إلا فى بعض العهود المظلمة، كعهد ستالين الذى اتخذه رموز النظام قدوة لهم ولعهدهم الأسود، كرفعت أسد.

فعمت فوضى القتل فى كل مكان من سورية الحضارة، فى الشارع،والجامعة، والمدرسة، والجامع، والمعمل،والحقل، فكانت هجرة الإخوان إلى الجهات الأربع.. إلى دول الجوار، إلى الأردن، ولبنان، والعراق، وتركيا، فراراً بدينهم، ودمائهم، وأعراضهم.. من القرامطة الجدد.. وهو ما لا يمكن أن ينساه التاريخ لهؤلاء الأوباش الذين روّوا أحقادهم وبؤسهم الإنسانى من دماء الشعب السورى عامة، ومن دماء